جواهر البحار

في

فضائل النبي المختار ﷺ

تأليف

الشيخ يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني

المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه

محمد أمين الضناوي

الجزء الأول



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدّمة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾
[الأحزاب: ٤٥]

اعلم أيّها المحبّ لهذا النبي الكريم ﷺ، الباحث عن تفاصيل جمال قدره العظيم أن خصال الجلال والكلام في البشر نوعان:

ضروري دنيوي، ومكتسب ديني، فالنبي ﷺ كامل في خلقته، وجمال صورته، وقوّة عقله، وصحّة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزّة قومه، وكرم أرضه. بذلك يكون له ﷺ من الخصال الدنيوية والدينية ما لا يُحصى، وما لا يجمع لبشر سواه.

وقد قال أبو الجوزاء كما ذكره القاضي عِياض في كتابه الشفاء: إن الله سبحانه وتعالى ما أقسم بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البرية عنده. وقال تعالى: ﴿ يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يس: ١] وهذا القَسَم لم يقسمه الله عز وجل لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ.

ومن كرامته ومحبّة الله عزّ وجل له ﷺ أن الله خاطب جميع الأنبياء بأسمائهم إلاّه ﷺ فقد خاطبه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر: ١].

وهذا غاية الإكرام له ﷺ، أضف إليها قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى: ٥]، وهذا يجسّد مدى الكرامة وأنواع السعادة والإنعام في الدارين له ﷺ أيضاً.

أما علمه ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ

﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. فقد علّمه الله تعالى ما في التوراة، والإنجيل، والكتب المنزلة، وحكم الحكماء، وسير الأمم الخالية وأيّامها، وضرب الأمثال، وسياسات الأنام، وتقدير الشرائع، وتأصيل الآداب النفسية، والشيم الحميدة.

أما حلمه وعفوه وقدرته وصبره ﷺ على ما يكره فقد قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧].

روي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشجّ وجهه يوم أُحد، شقّ ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال ﷺ: «**إني لم أبعث لعّاناً، إنما بعثت رحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»(١).

أما جوده وكرمه وسماحته فقد كان ﷺ لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة ولا يُبارى.

أما شجاعته ونجدته فقد كان ﷺ منها بالمكان الذي لا يُجهل، فهو أوّل الحاضرين للمواقف الصعبة، الثابت الذي لا يبرح، مُقبل غير مُدبر لا يتزحزح، وما من شجاع إلاّ وقد أحصيت له فَرّة، وحُفظت عنه جولة سواه ﷺ.

وكان ﷺ لا يغضب، لكنه إذا غضب ـ ولا يغضب إلاّ لله ـ لم يقم لغضبه شيء.

أما حياؤه، وإغضاؤه، وحُسن عشرته، وأدبه، وشفقته، ورحمته بجميع الخلق، وخُلُقه، ووفاؤه، وحسن عهده، وصلته للرحم، وتواضعه، وعدله، وأمانته، وصدقه، وعفّته، ووقاره، ومروءته، وزهده فهي كثيرة شاملة غير منقوصة لا تتسع لها مقدمتنا لكننا نختصرها بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وقوله: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

كل ما سبق وذكرناه قليل، قليل جداً من كثير ورد في هذا الكتاب «**جواهر البحار في فضائل النبي المختار** ﷺ» الذي عملنا على ضبطه وترتيب أبوابه وعنونته وتخريج آياته وأحاديثه بأجزائه الأربعة، كما أننا نحمد الله بأننا وُفّقنا لأن تكون نسختنا هي الأكمل حتى اليوم فكل النسخ التي عملنا على مقارنتها بغية تعميم الفائدة والعلم كلها ناقصة أو فيها اضطراب في الترتيب.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٠٧). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ١٨٩). والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨١٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢١). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٣٤٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢١٨).

أما نسختنا فقد جاءت مرتبة ترتيباً جيداً بمنهج مدروس معنون مبوَّب بحيث يسهل على القارئ الاطّلاع عليها.

ومن خلال عملنا في تخريج الأحاديث النبوية الشريفة وأسانيدها عمدنا إلى عدم التكرار في تخريج الأحاديث لأن الحديث قد يتكرر أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة وعند أكثر من واحد ممن أخذ الشيخ النبهاني عنهم إذ يذكر هو نفسه في مقدمة الكتاب قائلاً: «واعلم أنه قد تكررت في عباراتهم آيات وأحاديث، ومعانٍ تواردوا على ذكرها، وأبقيتها على حالها في الموضعين أو المواضع... وأيضاً لما كانت هذه الجواهر كلها حِسان مستخرجة من أعظم بحور العرفان... أوردتها كذلك كاملة ولم أستحسن أن يطرأ عليها من قبلي نقصان.

أما ما قمنا به بالنسبة للآيات القرآنية فهو تخريجها في كل الكتاب بأجزائه الأربعة حرصاً منها على سلامة كلام الله لأنّ النسخ التي عملنا عليها كان فيها بعض الأخطاء، ربما وقع هذا عن غير قصد ذلك أن المؤلّف ربما كتب بعضها حفظاً، وجلّ من لا يسهو، وقد أشرنا إلى تلك الأخطاء في مواضعها.

وفي الختام أرجو أن أكون قد وُفّقت بعملي هذا إلى ما أصبو إليه من تعميم الفائدة وإضافة نسخة منقّحة إلى المكتبة العربية التراثية الإسلامية، آملاً منك عزيزي القارئ جبر العثرات، فالكمال لله وحده والعصمة للأنبياء. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين النبي الأمي محمد ﷺ وصدق حين قال: **«من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»**[1].

محمد أمين الضناوي

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ٢٧). ومسلم في الصحيح (الزكاة: ٩٨). والترمذي في السنن (٢٦٤٥). وابن ماجه في السنن (٢٢٠). وأحمد في المسند (١: ٣٠٦). والدارمي في السنن (١: ٧٤). والحاكم في المستدرك (٣: ١٢٨). والطبراني في المعجم الكبير (١٠: ٣٩٢). والبغوي في شرح السنة (٣: ١٦٨). وابن حجر في فتح الباري (١: ١٦٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٧٠٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ٣٥٠). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٢٣٧) والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢). والدولابي في الكنى والأسماء (١: ١٥٠). والهيثمي في مجمع الزوائد (١: ١٢١). والشجري في الأمالي (١: ٤٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٠٠). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ٧٠). والطحاوي في مشكل الآثار (٢: ٢٧٨). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤: ١٠٧). وابن كثير في التفسير (٢: ٢٩٢). والقرطبي في التفسير (٣: ٣٣٠).

ترجمة المؤلِّف[1]

يوسف النبهاني

هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني، شاعر وأديب من رجال القضاء. نسبته إلى بني نبهان من عرب البادية في فلسطين، استوطن بنو نبهان قرية اجزم[2] وكانت تابعة لحيفا في شمالي فلسطين، ولد سنة ١٢٦٥ هـ ونشأ بها.

تلقّى علومه بأزهر مصر، ثم ذهب إلى الآستانة، عمل في تحرير جريدة الجوائب، ثم رجع إلى بلاد الشام. تولى عدّة أعمال في القضاء إلى أن أصبح رئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت، أقام ما يربو على العشرين سنة. سافر بعد ذلك إلى المدينة.

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى عاد إلى قريته في فلسطين وتوفي بها سنة ١٣٥٠ هـ.

مؤلفاته له كتب كثيرة:

قال فيها صاحب معجم الشيوخ[3]: «خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام، كابن تيمية، وابن القيّم الجوزية، حملات شعواء، وتناول بمثلها الإمام الألوسي المفسّر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني وآخرين».

من كتبه:

- جامع كرامات الأولياء.

---

(١) للاستزادة: راجع حلية البشر، الدر الفريد: ١٣، معجم الشيوخ ج ٢/ص ١٦١ ـ ١٦٦، جامع كرامات الأولياء ج ٢/ص ٥٢، معجم المطبوعات ١٨٣٨ ـ ١٨٤٢.

(٢) أجزم بصيغة الأمر.

(٣) عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ المسمّى: «رياض الجنة» أو «المدهش المطرب» ج ٣/ص ١٦١ ـ ١٦٦.

- رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة.
- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية.
- وسائل الأصول في شمائل الرسول.
- أفضل الصلوات على سيد السادات.
- تهذيب النفوس (مختصر في رياض الصالحين للنووي).
- حجة الله على العالمين. (في المعجزات النبوية).
- الفتح الكبير (في الحديث).
- نجوم المهتدين (في دلائل النبوّة).
- السابقات الجياد في مدح سيد العباد.
- الشرف المؤبد لآل محمد.
- الأنوار المحمدية (مختصر المواهب اللدنيّة للقسطلاني).
- خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام.
- هادي المريد إلى طرق الأسانيد.
- الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة.
- منتخب الصحيحين (في الحديث).
- الرائية الصغرى (قصيدة فيها هجاء للسيد جمال الدين الأفغاني[١]، والشيخ محمد عبده[٢]، والسيد محمد رشيد رضا[٣].

(١) هو محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين، فيلسوف الإسلام في عصره ولد عام ١٢٥٤ هـ وتوفي عام ١٣١٥ هـ.

(٢) هو الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني مفتي الديار المصرية، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام ولد عام ١٢٦٦ هـ وتوفي عام ١٣٢٣ هـ.

(٣) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، صاحب مجلة المنار. ولد عام ١٢٨٢ هـ وتوفي عام ١٣٥٤ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

[المقدمة]

فائدة مهمة: قلت في كتابي شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ﷺ ما نصه: اعلم أن جميع المسلمين على علم يقيني بأن الله تعالى هو السيد المطلق للخلائق أجمعين، وكلهم عبيد قد اشترك في وصف العبودية له عز وجل أتقاهم وأشقاهم، ولكنهم فيها درجات، فأشدهم عبودية له تعالى الأنبياء، والملائكة لأن معرفتهم بعظمته وجلاله عز وجل أشد من معرفة من هو دونهم، وهم أيضاً درجات أعظمهم درجة، وأعلاهم في العبودية رتبة سيدنا محمد سيد عبيد الله وأحبهم إليه وأفضلهم من كل الوجوه لديه، وتلي رتبته ﷺ في العبودية رتب الأنبياء، ورؤساء الملائكة وعوامهم وأولياء الموحدين، ثم سائر المؤمنين بحسب درجاتهم في التقوى، ومعرفة الله تعالى، وأدنى الناس في مراتب العبودية الكفار الذين أشركوا بالله تعالى، فلم يخلصوا عبوديتهم له، زعموا أنهم عبيد غيره سبحانه وتعالى، وإن كان لسان حالهم يكذبهم، كعباد الأصنام، وعباد المسيح عليه السلام. إذا علمت ذلك تعلم أن قلة الشرف للخلق وزيادته بحسب قلة وصف العبودية فيهم وزيادته، فكلما كانت العبودية أقوى كان الشرف أعلى، ومن هنا يظهر جلياً أن سيدنا محمداً ﷺ إنما ساد الخلق على الإطلاق بعد الملك الخلاق بعلو درجته، وارتفاع منزلته، وسمو مرتبته في العبودية لله تعالى: فهو العبد الخالص الذي لم يشم رائحة الألوهية، وكذلك سائر الأنبياء وورائهم الأولياء، إلا أنه ﷺ أمكنهم في ذلك وقد حماه الله تعالى من أن يدّعي فيه الألوهية أحد من الناس كما ادعوها في سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا علي رضي الله عنه مع أنه ﷺ قد ظهر له من المعجزات، والفضائل، وخوارق العادات، لم يشاركه فيه أحد، وهذه أمته ﷺ مع شدة محبتها له أكثر من

محبة سائر الأمم لأنبيائهم لم نسمع بأحد قط منهم ادعّى فيه ﷺ الألوهية من عهده إلى الآن، ويدل على ما قلته قول سيدنا عبد القادر الجيلاني[١] في إحدى صلواته في وصف النبي ﷺ المتحقق بأعلى مراتب العبودية، وهكذا كثير من الأولياء وصفوه ﷺ بذلك في صلواتهم وعباراتهم إذا علمت ذلك تعلم أن جميع ما مدحوه به ﷺ من العبارات البليغة وذكروه عن حقيقته المحمدية من المعاني الجليلة لا تخرجه ﷺ عن كونه عبداً لله، بل تزيده شدة تمكن وزيادة ارتقاء في العبودية لربه عز وجل من أحاديث وردت عنه ﷺ بافتخاره في العبودية لله تعالى.

الحمد لله رب العالمين الذي اختار سيدنا محمدًا ﷺ من الخلق أجمعين، وأرسله رحمة للعالمين، وجعل من جملة أمته الأنبياء والمرسلين، إذ أخذ عليهم الميثاق بالإيمان به وبنصرته، وقال اشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ﷺ وعليهم وعلى آلهم وصحبهم أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فهذا مجموع بديع في فضائل النبي الشفيع وعلو قدره الرفيع جمعت فيه كثيراً مما ورد في الكتاب والسنة وكلام أئمة الأمة من أهل الشريعة والحقيقة، في أوصاف سيد الخليقة ﷺ ولم أكثر فيه من معجزاته مع كثرتها إلى غاية لا تُرام، لأني بسطت عليها في غير هذا الكتاب الكلام، وإنما لم أخله منها لما فيها من النفع العام بنشر دلائل نبوته ﷺ، وقد نقلت ما فيه من الفرائد المهمة، والفوائد الجمة، من أكابر العارفين، وأئمة الدين، وسميته **جواهر البحار في فضائل المختار** ﷺ فيا له من مجموع جمع من فضائله ﷺ ما لم يجمعه قبله ديوان، فكان أعظم هدية في هذا الزمان لأهل الإيمان.

جمعت جواهره الحسان من بحار العلم والعرفان مما أخذوه من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والمشاهدات العرفانية، فكل ما قالوه في ذلك هو حق صحيح لاستنادهم فيه إلى القرآن، أو الحديث، أو الكشف الصريح، ولذلك كانوا بعد النبيين، والمرسلين، والملائكة المقربين، أعرف خلق الله بعلو قدر رسول الله، كما أنهم أعرف خلق الله بالله، وبكمالاته التي لا يجوز أن يتصف بها أحد سواه، وحذفت من عباراتهم ما لا دخل له في هذا الباب، ولا يناسب هذا الكتاب.

---

(١) هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، محيي الدين الجيلاني، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصرّفين. ولد عام ٤٧١ هـ. وتوفي عام ٥٦١ هـ.

إما لكونه جارياً على اصطلاح الصوفية، غير مفهوم لأمثالي بالكلية، وإما لكون معانيه المقصودة دقيقة، وظاهرها يخالف الشريعة، وإن كان لا مخالفة في الحقيقة، ووقع ذلك كثيراً في الفتوحات المكية، وأكثر منه في كلام الشيخ عبد الكريم الجيلي[١] في كتابيه: «الإنسان الكامل، والكمالات الإلهية»، وكلامه في الحقائق من أغرب وأعجب ما اطلعت عليه من كلام الصوفية، ويجب أن يجتنب ويعلم أن ظاهره المنكر شرعاً غير مراد، لأن الشيخ رضي الله عنه بشهادة الأكابر كالإمام المناوي والعارف النابلسي، هو من العارفين الأفراد فهنيئاً لكم يا أهل الإيمان، بأبدع مجموع في هذا الشأن، قد اشتمل على كل الحسن وجميع الإحسان.

جمعت فيه من الفضائل النبوية ما يزري بعقود الجمان[٢]، واستخرجت زواهر جواهرها من بحور العلم الزاخرة بالحقائق والعرفان، وهم مع كل ما أتوا به من المعقول والمنقول، والأوصاف التي تبهر العقول.

إنما وصفوه ﷺ بحسب ما وصلت إليه علومهم، وإلا فحقيقة فضله ﷺ لا يدركها إنسان، وحسبك أنه ﷺ حبيب الرحمٰن، ونتيجة جميع الأكوان. فقل في حقه هو عبد الله ورسوله، لا حرج عليك مهما بالغت، فلن تبلغ ما يجب له عليه الصلاة والسلام من الأوصاف الحسان، ويرحم الله الإمام البوصيري حيث يقول:

دع ما ادعّته النصارى في نبيهمُ ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له ... حد فيعرب عنه ناطق بفم

واعلم أنه قد تكررت في عباراتهم آيات وأحاديث، ومعانٍ تواردوا على ذكرها وأبقيتها على حالها في الموضعين أو المواضع، ككون روحه ﷺ هي أم الأرواح، وحقيقته أصل الحقائق، وهو أبو آدم من حيث الروح، وآدم أبوه من حيث الجسم، وهو أول النبيين في البطون، وخاتمهم في الظهور، وهو سلطانهم الأعظم، وهم نوابه فيمن بعثوا إليهم من الأمم، وكلهم صلوات الله عليه وعليهم لو وجدوا في مدته لكانوا من جملة أمته ﷺ، فقد تكررت هذه المعاني وغيرها بعبارات بعضهم مع نفسه ومع غيره، وإنما لم أحذف تلك المكررات لأني لم أستحسن مسخ صور عباراتهم الجميلات في وصف سيد السادات ﷺ، ومن معانيه الشريفة، وأوصافه المنيفة التي كلما تكررت تحلو

---

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط الشيخ عبد القادر الجيلاني، من علماء المتصوفين. ولد عام ٧٦٨ هـ وتوفي عام ٨٣٢ هـ.

(٢) الجُمان: خرز يُبَّض بماء الفضّة.

وتطيب، كما قال الشاعر الماهر الأديب:

أعـد ذكـر نَعمـان لنـا إن ذكـره　　هـو المسـك مـا كـررتـه يتضـوع

وأيضاً لما كانت هذه الجواهر كلها حسانا مستخرجة من أعظم بحور العرفان، وكان منها ما هو متفق الألوان، ومنها ما هو مختلف الألوان، كأنواع اللؤلؤ والمرجان، أوردتها كذلك كاملة ولم أستحسن أن يطرأ عليها من قبلي نقصان، لترد على القارئ بأساليب كثيرة من مصادر متعددة بها زيادة اليقين. على أن كتابي هذا هو في حكم مجموع رسائل جمعت فيه ما قاله كل إمام منهم من كلامه، أو كلام غيره وحده، وبلغت محب النبي ﷺ - من اجتماع متفرقه في محل واحد - قصده وربما أذكر في أثناء كلام بعضهم قليلاً من كلام غيره، وللمناسبة فصار ما أخذته من كل واحد منهم كأنه مؤلَّف مستقل.

فبهذا الاعتبار لا يقال في كلام بعضهم مع بعض تكرار. نعم، يبقى النظر في تكرار كلام بعضهم كسيدي محيي الدين مع كلام نفسه، وهذا إنما ظهر تكراره بجمعي إياه في محل واحد، بعد أن كان متفرقاً في ذلك الكتاب لمعانٍ اقتضتها مناسبات الأبواب، فالاعتراض إنما يرد عليّ لا عليهم، وقد قدمت الجواب.

ولا تستعظم أيها المؤمن ما تراه من المعاني العظيمة مما شاهده أولياء الله من علو منزلة حبيب الله عند الله، فليس ذلك بكثير على فرد العالم، وفخر آدم، وبني آدم سيد عبيد الله وأحبهم إلى الله الذي ليس فوقه في الكمال إلا الله، ومهما كانت فهي لا تخرج عن كونها من جملة مقدورات رب العالمين، وهي في الحقيقة تفصيلات وشروح لمعنى علو قدره المسلَّم عند جميع المؤمنين، وهي مبنية على مكاشفات ومشاهدات، شاهدها أولئك السادات حينما خلصت أرواحهم من شوائب الكدورات، فأدركوا ببصائرهم من الأسرار والأنوار، ما لم تدركه الأبصار، ونحن وإن لم نشاهد من ذلك ما شاهدوه فقد شاركناهم في الإيمان بما آمنوا به، واعتقدنا ما اعتقدوه من أنه ﷺ أفضل خلق الله وأعلاهم منزلة عند الله، وأنه النور الأعظم الساري في جميع الموجودات، والأصل المقدم الذي تفرعت عنه جميع الكائنات، وسيأتي لذلك في كلامهم من الأدلة العقلية، والنقلية ما تطيب به النفوس، ويفوق في ظهوره البدور، والشموس، وكل من نقلت عنهم بدور عرفان مقتبسون من شمس كماله، وبحور إحسان، مستمدون من فضله المحيط وفيض أفضاله، فكل ما وصفوه به ﷺ فهو منه وإليه، وليس لهم بذلك مِنّة عليه.

كالبحر يمطره السحاب وما له　　مـنّ عليـه لأنـه مـن مـائـه

وقد ابتدأت بما نقلته عن الإمام المحدث المحقق أبي الفضل عياض الذي شفى بشفائه

من القلوب الأمراض، وغرس فيها لأهل الإيمان من محاسن حبيب الرحمٰن أحسن رياض، لكونه وحيد هذا الفن، وكتابه نسيج وحده[١]، وله به فضل على كل من جاء من بعده، ثم رتبتهم غالبًا بحسب الزمان، ولم أنظر إلى تفاوتهم في الشهرة بالعلم والعرفان، ولا إلى كثرة أو قلة ما نقلته عنهم من الفوائد الحسان، ولو نظرت إلى ذلك لقدمت الشيخ الأكبر والغوث الدباغ الأشهر على كثير من هؤلاء الأئمة الأعيان، وإن كان كل واحد منهم له الحظ الأوفر من حسن الخدمة لحبيب الرحمٰن، وهذا أول تشنيف أسماع المؤمنين بجواهر هذه البحار العلمية، وتطييب أرواح المحبين لسيد المرسلين بنشر فضائله المحمدية عليه أفضل صلاة وأكمل تحية، فرحم الله من تلقاها من أهل الفضل بالقبول، وكفاني وإياها شر أهل الفضول، وها أنا أسرع بالمقصود فأقول: فمن تلك البحار العظيمة المستمدة من فيض فضله الأعظم ﷺ.

---

(١) نسيج وحده: مثل عربي، يقال: فلان نسيج وحده، أي لا نظير له، وأصله الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيره معه، بل يُنسج وحده. الزمخشري، المستقصى ٣١٩. لسان العرب [مادة: نسج]. لكل مقام مقال، حكم وأمثال، محمد أمين الضناوي، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، ص ١٤٩.

الإمام الكبير الشهير أبو الفضل القاضي عياض[1] رضي الله عنه

ومن جواهره قوله في كتاب الشفاء

[تعظيم الله تعالى لقدر النبي ﷺ قولاً وفعلاً]

القسم الأول: في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي المصطفى ﷺ قولاً وفعلاً لإخفاء على من مارس شيئاً من العلم، أو خص بأدنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر ينا عليه الصلاة والسلام، وتخصيصه إياه بفضائل، ومحاسن، ومناقب لا تنضبط بزمام، وتنويهه من عظيم قدره ﷺ بما تكلّ عنه الألسنة والأقلام. فمنها ما صرح به تعالى في كتابه، ونبه به على جليل نصابه، وأثنى به عليه من أخلاقه وآدابه، وحض العباد على التزامه وتقلد إيجابه، فكان جل جلاله هو الذي تفضل وأولى، ثم طهر وزكى، ثم مدح بذلك وأثنى، ثم أثاب عليه الجزاء الأوفى، فله الفضل بدءاً وعَوْداً، والحمد أولى وأخرى، ومنها ما أبرزه للعيان من خلقه على أتم وجوده الكمال والجلال، وتخصيصه بالمحاسن الجميلة، والأخلاق الحميدة، والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة، وتأييده بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة، والكرامات البينة التي شاهدها من عاصرها ورآها من أدركها وعلمها علم يقين من جاء بعده ﷺ حتى انتهى علم حقيقة ذلك إلينا، وفاضت أنواره علينا.

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أُسري به ملجماً مسرجاً فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا، فما ركبك أحد أكرم على الله منه؟ قال: فارفضّ عرقًا، ثم قال رحمه الله: [في][2] الباب الأول يعني من القسم الأول في ثناء الله عليه ﷺ وإظهار عظيم قدره لديه.

اعلم أن في كتاب الله عز وجل آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى ﷺ وعدّ

---

(١) هو عِيَاض بن موسى بن عِياض بن عمرون، أبو الفضل. عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم. ولد عام ٤٧٦ هـ وتوفي عام ٥٤٤ هـ.

(٢) زيادة اقتضاها المعنى.

محاسنه وتعظيم أمره، وتنويه قدره، اعتمدنا منها ما ظهر معناه، وبان فحواه، وجمعنا ذلك في عشرة فصول، ثم ساقها فصلاً فصلاً مع تفسير ما يلزمه التفسير منها، والاستطراد إلى فوائد أخرى وها أنا أختصرها، وأقتصر على أكثرها فائدة وأولاها بالذكر.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قرأ بعضهم من «أَنْفَسكم» بفتح الفاء، وقراءة الجمهور بالضم.

أعلم الله المؤمنين أنه بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون صدقه وأمانته فلا يتهمونه بالكذب، وأنه لم تكن في العرب قبيلة إلا ولها على رسول الله ﷺ ولادة، أو قرابة، والمعنى على قراءة «أَنْفَسكم» بفتح الفاء كونه ﷺ من أشرفهم، وأرفعهم، وأفضلهم وهذا نهاية المدح، وصفه ﷺ بعد بأوصاف حميدة، وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه ﷺ على هِدَايَتهم، ورشدهم، وإسلامهم، وشدة ما يعنتهم ويضرّ بهم في دنياهم وأخراهم، وعزته عليه، ورأفته، ورحمته بمؤمنيهم.

قال بعضهم: أعطاه تعالى اسمين من أسمائه: رؤوف، رحيم. ومثله في الآية الأخرى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية، وفي الآية الأخرى ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] الآية، وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١] الآية.

روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] قال: «نسباً وصهراً وحسباً ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح»[١].

قال ابن الكلبي: كتبت للنبي ﷺ خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً، ولا شيئاً مما كانت الجاهلية عليه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩]. قال: من نبي إلى نبي حتى أخرجتك نبياً، وقال جعفر بن محمد: «علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا أنهم لا ينالون الصفو من خدمته فأقام بينهم وبينه مخلوقاً من جنسهم في الصورة ألبسه من نعته الرأفة، والرحمة، وأخرجه إلى الخلق سفيراً صادقاً وجعل طاعته طاعته، وموافقته موافقته، فقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] قال أبو بكر بن طاهر: زين

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٥).

تعالى محمداً ﷺ بزينة الرحمة، فكان كونه رحمة، وجميع شمائله وصفاته رحمة، على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته، فهو الناجي في الدارين من كل مكروه، والواصل فيهما إلى كل محبوب.

ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فكانت حياته رحمة ومماته رحمة، كما قال ﷺ: **«حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»**، وكما قال ﷺ: **«إذا أراد الله رحمة بأمة قبض نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً»**[١].

وقال السمرقندي: رحمة للعالمين يعني: الجن والإنس. وقيل: لجميع الخلق للمؤمنين رحمة بالهداية، ورحمة للمنافق بالأمان من القتل، ورحمة للكافر بتأخير العذاب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو ﷺ رحمة للمؤمنين، والكافرين إذ عوفوا مما أصاب غيرهم من الأمم المكذبة.

وحكي أن النبي ﷺ قال لجبريل عليه السلام: **«هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟»**[٢] قال: نعم، كنت أخشى العاقبة فآمنت بثناء الله تعالى علي بقوله عز وجل: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾ [التكوير: ٢٠، ٢١] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النور: ٣٥] الآية.

قال كعب وابن جبير: المراد بالنور الثاني هٰهنا محمد ﷺ، فقوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ [النور: ٣٥] أي نور محمد ﷺ وقد سماه الله تعالى في القرآن في غير هذا الموضع نوراً أو سراجاً، فقال: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ﴾ [المائدة: ١٥] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦] ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلى آخر السورة والمراد بالصدر القلب.

قال ابن عباس: شرحه بالإسلام، وقال سهل: بنور الرسالة، وقال الحسن: ملأه حكماً وعلماً.

قال القاضي عياض رحمه الله ـ بعد ما ذكر ـ: هذا تقرير من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ على عظيم نعمه لديه، وشريف منزلته عنده، وكرامته عليه بأن شرح قلبه للإيمان والهداية، وسعة لوعي العلم، وحمل الحكمة، ورفع عنه ثقل أمور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله، وحط عنه عهدة أعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما

---

(١) رواه ابن عَديّ في الكامل في الضعفاء (٢: ٤٩٦). وفيه: «إذا أراد الله بأمّة خيراً».

(٢) رواه ابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٤٦١).

نزل إليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته، ورفعة ذكره، وقرانه اسمه مع اسمه.

قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وروى أبو سعيد الخدري: أن النبي ﷺ قال: «**أتاني جبريل، فقال: إن ربي وربك يقول: أتدري كيف رفعت لك ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: إذا ذكرتُ ذكرتَ معي**»(١)، ومن ذكره معه تعالى أن قرن طاعته بطاعته، واسمه باسمه، فقال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ﴾ [آل عمران: ١٣٢] و ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحديد: ٧] فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام في حق غيره عليه الصلاة والسلام، وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥] الآية. جمع له الله ﷺ في هذه الآية ضروباً من رتب الأثرة وجملة أوصاف من المدحة فجعله شاهداً على أمته لنفسه بإبلاغهم الرسالة، وهي من خصائصه عليه الصلاة والسلام، ومبشراً لأهل طاعته ونذيراً لأهل معصيته وداعياً إلى توحيده وعبادته وسراجاً منيراً يُهتدى به للحق.

روى البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ. قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً مبشراً ونذيراً، أو حرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً.

وذكر مثله عن عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، وزاد ابن إسحاق فيه: ولا صخب في الأسواق، ولا متزين بالفحش، ولا قوال للخناء أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته، والحق شريعته، والهدى إمامه، والإسلام ملته وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلّم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأسمي به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة، وأجمع به بعد الفرقة، وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء [مُتَشَتّة]، وأمم متفرقة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس.

---

(١) رواه الهيثمي في موارد الظمآن (١٧٧٢)، وفي مجمع الزوائد (٨: ٢٥٤). والطبري في التفسير (٣٠: ١٥١). وابن كثير في التفسير (٨: ٤٥٢).

وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله ﷺ عن صفته في التوراة وهي: «عبدي أحمد المختار مولده بمكة، ومهاجره بالمدينة»[١]، أو قال: «طيبة أمته الحمادون لله في كل حال»[٢]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧] الآيتين.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال السمرقندي: ذكرهم الله تعالى منته أنه جعل رسوله ﷺ رحيماً بالمؤمنين رؤوفاً لين الجانب، ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرقوا من حوله، لكن جعله الله تعالى سمحاً سهلاً طلقاً براً لطيفاً، ومن الآيات التي وردت في خطابه تعالى إياه ﷺ مورد الملاطفة والمبرة قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] قال أبو محمد مكي: قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة أصلحك الله وأعزك الله، وذكر أقوالاً أخرى في ذلك، وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] الآية.

ومما ذكر من خصائصه ﷺ وبر الله تعالى به أن الله تعالى خاطب جميع الأنبياء، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا داود، يا زكريا، يا يحيى، يا عيسى، ولم يخاطبه ﷺ إلا بقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾. وأقسم الله تعالى بعظيم قدره ﷺ فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جلّ جلاله بمدة حياة محمد ﷺ معناه: وحياتك يا محمد وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ

وقال أبو الجوزاء: ما أقسم الله تعالى بحياة أحد غير محمد ﷺ لأنه أكرم البرية عنده تعالى، وقال تعالى: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: ١ ـ ٢].

قال النقاش: لم يقسم الله تعالى لأحد من أنبيائه بالرسالة في كتابه إلا له ﷺ، وقال تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢] تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له ﷺ وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه:

الأول: القسم عما أخبره من حاله ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١ ـ ٢] أي ورب الضحى، وهذا من أعظم درجات المبرة.

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٧٥).

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٧٥).

الثاني: بيان مكانته ﷺ عنده تعالى، وحظوته لديه بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣] أي ما تركك وما أبغضك، وقيل ما أهملك بعد أن اصطفاك.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] قال ابن إسحاق: أي مآلك في مرجعك عند الله تعالى أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا، وقال سهل: أي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما أعطيتك في الدنيا.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة وأنواع السعادة وشتات الأنعام في الدارين، والزيادة.

قال ابن إسحاق: يرضيه ﷺ الله تعالى بالفلج أي الفوز في الدنيا، والثواب في الآخرة، وقيل: يعطيه ﷺ الحوض والشفاعة.

وروي عن بعض آل النبي ﷺ أنه قال: «**ليس آية في القرآن أرجى منها ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار**»(١).

الخامس: ما عده تعالى عليه ﷺ من نعمه وقرره من آلائه قِبَله في بقية السورة من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال له ﷺ فأغناه بما أتاه أو بما جعله في قلبه من القناعة، والغنى، ويتيماً فحدب عليه عمه، وآواه إليه، وإذا لم يمهله ولا ودعه ولا قلاه في حال صغره، وعيلته ويتمه، وقبل معرفته ﷺ به تعالى فكيف بعد اختصاصه واصطفائه له ﷺ.

السادس: أمره تعالى له ﷺ بإظهار نعمته عليه، وشكر ما شرفه به بنشره، وإشادة ذكره بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١] فإن من شكر النعمة التحدث بها، وهذا خاص له، عام لأمته ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١٨] تضمنت هذه الآيات من فضله ﷺ وشرفه ما يقف دونه العد، وأقسم جل اسمه على هداية المصطفى ﷺ وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلا وأنه وحي يوحى أوصله إليه عن الله تعالى جبريل وهو الشديد القوي، ثم أخبر الله تعالى عن فضيلته ﷺ بقصة الإسراء وانتهائه إلى سدرة المنتهى وتصديق بصره فيما رأى، وأنه رأى من آيات ربه الكبرى، وقد نبه تعالى على مثل هذا في أول سورة الإسراء.

---

(١) رواه في مناهل الصفا (٥).

ولما كان ما كاشفه ﷺ من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط العبارات، ولا تستقل بحمل سماع أدناه العقول، عبر عنه تعالى بالإيماء، والكناية الدالة على التعظيم، فقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] وهذا النوع من الكلام يسميه أهل النقل، والبلاغة بالوحي والإشارة وهو عندهم أبلغ أبواب الإيجاز: وقال ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾[النجم: ١٨] [فـ] انحسرت الأفهام عن تفصيل ما أوحي، وتاهت الأحلام في تعيين تلك الآيات الكبرى، واشتملت هذه الآيات على إعلام الله تعالى بتزكية جملته ﷺ وعصمتها عن الآفات في هذا المسرى، فزكى فؤاده، ولسانه، وجوارحه.

زكى قلبه بقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم: ١١]، ولسانه بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣]، وبصره بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التكوير: ١٥ ـ ٢٥] لا أقسم أي أقسم أنه لقول رسول كريم، أي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين أي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع، أي في السماء، أمين على الوحي.

قال علي بن عيسى وغيره: الرسول الكريم هنا محمد ﷺ، فجميع الأوصاف تعد على هذا له، وقال غيره: وهو جبريل، فترجع الأوصاف إليه: ولقد رآه يعني محمدًا ﷺ. قيل: رأى ربه، وقيل: رأى جبريل في صورته ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤] أي بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاية، والتذكير. بحكمه، وبعلمه وهذه لمحمد ﷺ بالاتفاق.

وقال تعالى: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] الآيات أقسم الله تعالى بما أقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى ﷺ مما غمصته[1] الكفرة به، وتكذيبهم له، وآنسه، وبسط أمله بقوله محسناً خطابه ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢] هذه نهاية المبرة في المخاطبة وأعلى درجات الآداب في المحاورة، ثم أعلمه بما له ﷺ عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا يأخذه عد ولا يمتن به عليه، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] ثم أثنى عليه ﷺ بما منحه من هباته وهداه، إليه وأكد ذلك تتميماً للتمجيد بحرفي التأكيد فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. قيل: خلقه ﷺ القرآن، وقيل: الإسلام، وقيل: الطبع الكريم، وقيل: ليس لك همة إلا الله تعالى.

قال الواسطي: أثنى عليه سبحانه وتعالى بحسن قبوله ﷺ بما أسداه إليه من نعمه،

---

(١) غمص: حَقّر واستصغر لسان العرب [مادة: غمص].

وفضله بذلك على غيره لأنه جبله على ذلك الخلق، فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد الحميد الذي يسر للخير وهدى إليه، ثم أثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه ما أغمر نواله وأوسع أفضاله، ثم سلاه تعالى عن قولهم بعد هذا بما وعده به من عقباه، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم: ٥] الثلاث الآيات، ثم عطف بعد مدحه ﷺ على ذم عدوه وذكر سوء خلقه، وعد معايبه متولياً ذلك بفضله ومنتصراً لنبيّه فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ٨ ـ ١٥] ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه، وخاتمة بواره بقوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [القلم: ١٦] فكانت نصرة الله تعالى له ﷺ أتم من نصرته لنفسه، ورده تعالى على عدوه ﷺ أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده ﷺ.

ومن الآيات ما ورد مورد الشفقة والإكرام له ﷺ قال الله تعالى: ﴿طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١ ـ ٢] نزلت[1] الآية فيما كان النبي ﷺ يتكلفه من السهر، والتعب، وقيام الليل، ثم ذكر رحمه الله تعالى بسنده إلى أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل، ورفع الأخرى، فأنزل الله تعالى طه[2] يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، ولا خفاء بما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة، وإن جعلنا طه من أسمائه ﷺ كما قيل، وجعلت قسماً لحق الفضل بما قبله، ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] الباخع: القاتل.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٧] إلى آخر السورة وقوله: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الرعد: ٣٢] الآية.

قال مكي: سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه ما يلقى من المشركين وأعلمه أن من

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان أول ما أنزل عليه الوحي يقوم على صدور قدميه إذا صلى، فأنزل الله ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.
وأخرج عبد الله بن حميد في تفسيره عن الربيع بن أنس قال: كان النبي ﷺ يراوح بين قدميه ليقوم على كلّ رجل حتى نزلت: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.
وأخرج ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربّه، فأنزل الله: ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾.
راجع سبب نزول هذه الآية: تفسير الجلالين مع أسباب النزول، إعداد وتقديم محمد أمين الضناوي، دار الشرق الأوسط، بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧، ج ٢ ص ٢٠٥

(٢) لم يرد في تفسير الجلالين أيّ معنى لهذه اللفظة، بل اكتفى بالقول: «﴿طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك».

تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله، ومثل هذه التسلية قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [فاطر: ٤] من هذا قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢] عزاه الله تعالى بما أخبره به عن الأمم السالفة، ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم به، وسلاه تعالى بذلك عن محنته ﷺ بمثلهم من كفار مكة، وأنه ليس أول من لقي ذلك، ثم طيب نفسه، وأبان عذره ﷺ بقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ [الذاريات: ٥٤] أي أعرض عنهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذرايات: ٥٤] أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت

ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [طور: ٤٨] أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في أي كثير من هذا المعنى، ومما أخبر الله تعالى به في كتابه العزيز من عظم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ [آل عمران: ٨١] إلى قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

قال أبو الحسن القابسي: اختص الله تعالى محمداً ﷺ بفضل لم يؤته غيره، وهو ما ذكره في هذه الآية.

قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبياً إلا ذكر له محمداً ﷺ، ونعته وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به.

وقيل: أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم، أن يبينوه لمن بعدهم، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ٨١] الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد ﷺ.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به، ولينصرنه، ويأخذ العهد بذلك على قومه.

ونحوه عن السدي، وقتادة في آي تضمنت فضله ﷺ من غير وجه واحد. وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾[1] [النساء: ١٦٣] إلى قوله: ﴿وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١].

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي ﷺ، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء، وذكرك في أولهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية. بأبي

(١) وردت في الأصل ﴿إنّا أوحينا إلى نوح﴾.

أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون ﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٦].

قال قتادة: إن النبي ﷺ قال: «**كنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث**»[١] فلذلك وقع ذكره ﷺ مقدماً هنا قبل نوح وغيره.

قال السمرقندي: في هذا تفضيل نبينا ﷺ لتخصيصه بالذكر قبلهم، وهو آخرهم. والمعنى: أخذ الله عليهم الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر[٢]، وقال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية.

قال أهل التفسير أراد الله تعالى بقوله ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[٣] [الزخرف: ٣٢] محمداً ﷺ لأنه بعث للأحمر والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات، وليس أحد من الأنبياء أعطي فضيلة، أو كرامة إلا وقد أعطي محمد ﷺ مثلها.

قال بعضهم ومن فضله ﷺ أن الله تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] أي ما كنت بمكة. أي مدة وجوده ﷺ فيها قبل الهجرة، فلما خرج ﷺ منها وبقي فيها من بقي من المؤمنين نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] وهذا من أبين ما يظهر مكانته ﷺ، ونحو منه قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال ﷺ: «**أنا أمان لأصحابي**»[٤] قيل: من البدع، وقيل: من الاختلاف والفتن.

وقال بعضهم: الرسول ﷺ هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية، فهو باقٍ، فإذا أميتت سنته، فانتظروا البلاء والفتن، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] أبان الله تعالى فضل نبيه ﷺ بصلاته عليه، ثم بصلاة ملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه ﷺ.

وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تؤول قوله ﷺ: «**وجعلت قرة عيني في**

---

(١) رواه القاضي عِياض في الشفا (١: ٤٦٦). ومناهل الصفا (٥: ٣٦).
(٢) الذرّ: صغار النمل.
(٣) وردت في الأصل ﴿ورفعنا بعضهم درجات﴾.
(٤) رواه القاضي عِياض في الشفا (١: ١١٩). ومناهل الصفا (٦).

الصلاة»[1] على هذا أي في صلاة الله علي وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة، والصلاة من الملائكة، ومن آله دعاء، ومن الله تعالى رحمة، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ [التحريم: ٤] الآية. مولاه أي وليه، وجبريل، وصالح المؤمنين.

قيل: الأنبياء، وقيل: الملائكة، وقيل: أبو بكر، وعمر، وعلي رضي الله عنهم، وقيل: المؤمنون على ظاهره.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] إلى قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] تضمنت هذه الآيات من فضله ﷺ والثناء عليه وكريم منزلته عند الله تعالى ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له ﷺ من القضاء البين بظهوره، وغلبته على عدوه، وعلو كلمته وشريعته، وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون.

قال بعضهم: أراد الله تعالى غفران ما وقع وما لم يقع، أي أنك مغفور لك. وقال مكي: جعل الله المنة سبباً للمغفرة، وكلٌ من عنده لا إله غيره منة بعد منة، وفضلاً بعد فضل، ثم قال تعالى: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢].

قيل بخضوع من تكبر لك. وقيل: بفتح مكة، والطائف، وقيل: برفع ذكرك في الدنيا ونصرك والمغفرة لك، ثم قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨] الآية فعدد الله تعالى محاسنه ﷺ، وخصائصه ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] أي تجلونه وتعظمونه، وقال بعضهم: تعززوه بزأين من العز. والأكثر والأظهر أن هذا في حقه ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ [الفتح: ٩] فهذا راجع إلى الله تعالى.

قال ابن عطاء: جمع للنبي ﷺ في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين، وهو من أعلام الإجابة والمغفرة، وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة، وهي من أعلام الاختصاص والهداية، وهي من أعلام الولاية، فالمغفرة تنزيه من العيوب، وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة، والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة.

وقال جعفر بن محمد: من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه، وأقسم بحياته، ونسخ به شرائع غيره، وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر، وما طغى، وبعثه إلى الأحمر والأسود، وأحل له ولأمته الغنائم، وجعله شفيعاً مشفعاً، وسيد ولد آدم، وقرن ذكره بذكره، ورضاه برضاه، وجعله أحد ركني التوحيد، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) رواه القاضي عِياض في الشفا (١: ١٢٠).

يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠] ببيعتهم إياك ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] يريد عند البيعة قيل: قوة الله، وقيل ثوابه، وقيل: منته، وقيل: عقده، وهذه استعارة وتجنيس في الكلام وتأكيد لعقد بيعتهم إياه، وعظيم شأن المُبايَع ﷺ.

وقد يكون من هذا قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وإن كان الأول في باب المجاز، وهذا في باب الحقيقة، لأن القاتل والرامي في الحقيقة هو الله تعالى، وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومشيئته، ولأنه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه، ومما أظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته ﷺ ومكانته عنده تعالى وما خصه به من ذلك ما نصه الله تعالى في قصة الإسراء [و] في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ﷺ ما شاهد من العجائب، ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] وما دفع الله عنه به في هذه القصة من أذاهم بعد تخريجهم لهلكه ﷺ وخلوصهم نجياً في أمره والأخذ على أبصارهم عند خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار، وما ظهر في ذلك من الآيات، ونزول السكينة عليه ﷺ، وقصة سراقة بن مالك حسبما تذكره أهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة.

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١ ـ ٣] علمه الله تعالى بما أعطاه، والكوثر نهر في الجنة، وفيه أقوال أخرى، ثم أجاب عنه عدوه ورد عليه قوله، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي عدوك ومبغضك، والأبتر الحقير الذليل والمنفرد الوحيد، أو الذي لا خير فيه، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

قيل: السبع المثاني السور الطوال الأول، والقرآن العظيم أم القرآن، وقيل: السبع المثاني أم القرآن، والقرآن العظيم سائره.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] فهذه من خصائصه ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] فخصهم بقومهم وبعث محمداً ﷺ إلى الخلق كافة، كما قال ﷺ: «بعثت إلى الأحمر

والأسود»[1]، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

قال أهل التفسير: أولى بالمؤمنين، أي ما أنفذه فيهم من أمر فهو ماضٍ عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده.

وقيل: اتباع أمره أولى من اتباع رأي النفس، وأزواجه أمهاتهم، أي هن في الحرمة كالأمهات حرم نكاحهنَّ عليهم بعده تكرمة له وخصوصية[2]، ولأنهن له أزواج في الآخرة، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

قيل: فضله العظيم بالنبوة، وقيل: بما سبق له ﷺ في الأزل، وأشار الواسطي إلى أنها إشارة إلى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى عليه الصلاة والسلام.

ومن جواهر [القاضي عِياض أيضاً]

[تكميل الله تعالى له المحاسن خَلقاً وخُلقاً ﷺ]

قوله في الباب الثاني، الذي بيّن فيه تكميل الله له ﷺ المحاسن خَلقاً وخُلقاً وقرانه تعالى له جميع الفضائل الدينية والدنيوية نسقاً:

اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم، الباحث عن تفاصيل جمل قدره العظيم، إن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان:

ضروري دنيوي: اقتضته الجبلة، وضرورة الحياة الدنيا.

ومكتسب ديني: وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله سبحانه زلفى.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٠٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٢: ٤٣٣). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٥٩). وابن كثير في التفسير (٢: ١١٢). والطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٤١٣). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٢٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٠٤). وابن حجر في فتح الباري (١: ٤٣٩).

(٢) راجع في سبب حرمة نكاح نساء النبي ﷺ من بعده: تفسير الجلالين مع أسباب النزول، إعداد وتنسيق محمد أمين الضناوي، دار الشرق الأوسط، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٧ ج ٣ ص ٣٧. ومما ورد فيه: «إن سبب نزول آية التحريم هذه، وهي ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ [الأحزاب: ٣٥].
أخرج ابن سعد عن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال: نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله ﷺ تزوّجت عائشة.

ثم هي على فنّين أيضاً: ما يتخلص لأحد الوصفين. ومنها: ما يتمازج ويتداخل.

فأما الضروري المحض فما ليس للمرء اختيار، ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته ﷺ من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وقوة حواسه، وأعضائه، واعتدال حركاته، وشرف نسبه، وعزة قومه، وكرم أرضه. ويلحق بما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه، ونومه، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وماله، وجاهه. وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها التقوى، ومعونة البدن على سلوك طريقها، وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة.

وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية، والآداب الشرعية من الدين، والعلم، والحلم، [والصبر][(١)]، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفة، والجود، والشجاعة، والحياة، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الأدب، والمعاشرة، وأخواتها. وهي التي جماعها حسن الخُلق.

وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة، وأصل الجبلة لبعض الناس، وبعضهم لا تكون فيه، [فيكتسبها][(٢)]، ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة شعبة، وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها وجه الله تعالى، والدار الآخرة، ولكنها كلها محاسن، وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة، وإذا كانت خصال الكمال والجلال هي ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت له في كل عصر، إما من نسب، أو جمال، أو قوة، أو علم، أو حلم، أو شجاعة، أو سماحة حتى يعظم قدرهُ وتضرب باسمه الأمثال، ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة، وهو منذ عصور خوال «رمم بوال»، فما ظنك بعظيم قدر قد اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال، ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال. من فضيلة النبوة، والرسالة، والخلة، والمحبة، والاصطفاء، والإسراء، والرؤية، والقرب، والدنو، والوحي، والشفاعة، والوسيلة، والدرجة الرفيعة، والمقام المحمود، والبراق، والمعراج، والبعث إلى الأحمر والأسود، والصلاة بالأنبياء، والشهادة بين الأنبياء، والأمم وسيادة ولد آدم، ولواء الحمد، والبشارة، والنذارة، والمكانة عند ذي العرش، والطاعة ثَمَّ، والأمانة، والهداية، ورحمة العالمين، وإعطاء الرضا، والسؤال، والكوثر، وسماع القول، وإتمام النعمة، والعفو عما

(١) وردت في الأصل: «والبصر» ولعل هذا خطأ لأن البصر ضروري محّض وليس مكتسب ديني. وعلى الأرجح أن هذا الخطأ تحريف.

(٢) وردت في الأصل: «فيكتبها» ولعل خطأ. وعلى الأرجح أن هذا الخطأ تحريف.

تقدم وما تأخر، وشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وعزة النصر، ونزول السكينة، والتأييد بالملائكة، وإيتاء الكتاب، والحكمة، والسبع المثاني، والقرآن العظيم، وتزكية الأمة، والدعاء إلى الله تعالى، وصلاة الله والملائكة، والحكم بين الناس بما أراه الله، ووضع الإصر[1] والأغلال عنهم، والقسم باسمه وإجابة دعوته، وتكليم الجمادات العجم، وإحياء الموتى، وإسماع الصم، ونبع الماء من بين الأصابع، وتكثير القليل من الطعام، وانشقاق القمر، ورد الشمس، وقلب الأعيان، والنصر بالرعب، والاطلاع على الغيب، وتظليل الغمام، وتسبيح الحصى، وإبراء الآلام، والعصمة من الناس، إلى ما لا يحويه محتفل، ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك، ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد الله تعالى له في الدار الآخرة من منازل الكرامة، ودرجات القدس، ومراتب السعادة، والحسنى، والزيادة التي تقف دونها العقول، ويحار دون أدانيها الوهم.

فإن قلت أكرمك الله: لا خفاء على القطع بالجملة أنه ﷺ أعلى الناس قدراً، وأعظمهم محلاً، وأكرمهم محاسن وفضلاً، وقد ذهبت في تفاصيل الخصال مذهباً جميلاً، شوقني أن أقف عليها من أوصافه ﷺ تفصيلاً.

فاعلم نوّر الله قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك، أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي هي مكتسبة، وفي جبلته الخلقة وجدته ﷺ حائزاً لجميعها محيطاً بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار بذلك، بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع.

أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه ﷺ في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وكثير من الصحابة رضي الله عنهم من أنه ﷺ كان أزهر اللون، أدعج، أنجل، أشكل، أهدب الأشفار، أبلج، أزج، أقنى، أفلج، مدور الوجه، واسع الجبين، كث اللحية تملأ صدره سواءَ البطن والصدر، واسع الصدر، عظيم المنكبين، ضخم العظام، عَبِل العضدين والذراعين والأسافل، رحب الكفين والقدمين، سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة، ربعة القد، ليس بالطويل البائن، ولا القصير المتردد، ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله، وكان ﷺ رجْل الشعر.

إذا افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق، وعن مثل حب الغمام. إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه. أحسن الناس عنقاً ليس بمطهم، ولا مكلثم، متماسك البدن، ضرب اللحم.

---

(١) الإصر: العهد الثقيل، وفي التنزيل: ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ [لسان العرب [مادة: أصر].

قال البراء رضي الله عنه: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراءَ أحسن من رسول الله ﷺ، وقال أبو هريرة: ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ، كأن الشمس تجري في وجهه، وإذا ضحك يتلألأ في الجدر.

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: وقال له رجل: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ فقال: لا، بل مثل الشمس، والقمر، وكان مستديراً.

وقالت أم معبد في بعض ما وصفته به ﷺ: أجمل الناس من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب.

وفي حديث ابن أبي هالة رضي الله عنه: يتلألأ وجهه ﷺ تلألؤ القمر ليلة البدر، وقال علي رضي الله عنه في آخر وصفه له ﷺ: من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه.

يقول ناعته[١]: لم أر قبله، ولا بعده مثله ﷺ. وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه، ونزاهته عن الأقذار، وعورات الجسد، فكان ﷺ قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافة الشرع، وخصال الفطرة العشر.

قال ﷺ: «بني الدين على النظافة»[٢]. روي عن أنس رضي الله عنه قال: ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً، ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه: أنه ﷺ مسح خده، قال: فوجدت ليده برداً وريحاً، كأنما أخرجها من جونة عطار.

قال غيره: مسها بطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان بريحها.

وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه: لم يكن النبي ﷺ يمر في طريق فيتبعه أحد إلاّ عرف أنه سلكه من طيبه.

وذكر إسحاق بن راهويه: أن تلك كانت رائحته بلا طيب ﷺ. وذكر عدة أحاديث أخرى في طيب عرقه ﷺ، وفضلاته، ونقل عن جماعة من أصحاب الشافعي، ومالك طهارة الحدثين منه ﷺ، ثم ذكر حديث علي رضي الله عنه قال: غسّلت النبي ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من

---

(١) ناعته: واصفه. لسان العرب [مادة: نعت].

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٣٠٣). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ١٢٤).

الميت فلم أجد شيئًا، فقلت: طبت حياً وميتاً، وسطعت منه ﷺ ريح لم يجدوا مثلها قط، ومثله قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبّل النبي ﷺ بعد موته.

وشرب بعض الصحابة رضي الله عنهم دمه، وبعضهم بوله ﷺ، ولم يأمر واحداً منهم بغسل فمه ولا نهاه عن عوده، وولد ﷺ مختوناً مقطوع السرة وروي عن أمه آمنة أنها قالت: ولدته نظيفاً ما به قذر.

وأما وفور عقله ﷺ، وذكاء لبّه، وقوة حواسه، وفصاحة لسانه، واعتدال حركاته، وحسن شمائله ﷺ فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم، ومن تأمل تدبيره أمر بواطن الخلق، وظواهرهم، وسياسته للعامة والخاصة مع عجيب شمائله، وبديع سيره فضلاً عما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق، ولا ممارسة تقدمت، ولا مطالعة للكتب منه، لم يمترِ[1] في رجحان عقله ﷺ وثقوب فهمه لأول بديهة، وهذا ما لا يحتاج إلى تقريره لتحققه.

وقد قال وهب بن منبه: قرأت في أحد وسبعين كتاباً، فوجدت في جميعها أن النبي ﷺ أرجح الناس عقلاً، وأفضلهم رأياً.

وفي رواية أخرى: فوجدت في جميعها أن الله تعالى لم يعطِ جميع الناس من بَدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة رمل من بين رمال الدنيا.

قال مجاهد: كان ﷺ يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، وكان ﷺ من أقوى الناس، وقد صرع ركانة أشد أهل وقته.

وقال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيه، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث.

وفي صفته ﷺ أن ضحكه كان تبسماً. إذا التفت التفت معاً، وإذا مشى تقلعاً كأنما ينحط من صبب

وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول فقد كان ﷺ من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، وفصاحة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب،

---

(١) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٥٩). والعجلوني في كشف الخفاء (١: ٣٤١).

فكان ﷺ يخاطب كل أمة منهم بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها.

وأما كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة ﷺ فقد ألّف الناس فيها الدواوين، وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، وذكر جملة من حكمه وجوامع كلمه ﷺ، ثم قال إلى غير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته، ومحاضراته، وخطبه، وأدعيته، ومخاطباته، وعهوده ﷺ مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقاً لا يقدر قدره، وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك؟ فقال: **«وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين»**(١)

قال مرة أخرى: **«بيْدَ أني من قريش ونشأت في بني سعد»**(٢) فجمع له بذلك ﷺ عارضة البادية، وجزالتها، ونصاصة ألفاظ الحاضرة، ورونق كلامها إلى التأييد الإلٰهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشر، وقالت أم معبد رضي الله عنها في وصفها له ﷺ: حلو المنطق، فصل، لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن، وكان جهير الصوت حسن النغمة ﷺ.

وأما شرف نسبه ﷺ، وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه ﷺ نخبة بني هاشم، نخبة قريش وصميمها، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قِبَل أبيه وأمه. وهو ﷺ من أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه»**(٣).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني من خيرهم قرناً، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً»**(٤).

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله اصطفى من ولد**

---

(١) يمترّ: ينقطع، يبتّ.

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٧٨). ومناهل الصفا (١٢).

(٣) رواه في مناهل الصفا (١٢).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٢٩). وأحمد في المسند (٢: ١٣٧٣). ومناهل الصفا (١٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٣٩). والسيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤)، وفي الحاوي للفتاوي (٢: ٣٦٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٠٥). والألباني في السلسلة الصحيحة (٧٠٩). وابن كثير في التفسير (٣: ٣٢٥). والبغوي في شرح السنة (١٣: ١٩٥).

إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[١]. قال الترمذي وهذا حديث صحيح.

وروى الطبراني عن ابن عمر أنه ﷺ قال: **«إن الله تعالى اختار خلقه، واختار منهم بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختار منهم قريشاً، ثم اختار قريشاً فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خِياراً من خِيار. ألا من أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»**[٢].

وعن ابن عباس: أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور، وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، قال رسول الله ﷺ: **«فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»**[٣].

وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه فعلى ثلاثة ضروب: ضرب الفضل في قلته، وضرب الفضل في كثرته، وضرب تختلف الأحوال فيه.

[الضرب الأوّل]

فأما التمدح والكمال بقلته عادة وشريعة كالغذاء والنوم، فقد كان النبي ﷺ قد أخذ من ذلك بالأقل هذا ما يدفع من سيرته، وهو الذي أمر به وحض عليه ﷺ، وقد ذكر القاضي عياض في ذلك عدة أحاديث، ثم قال:

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٨٩). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٨١).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٦٠٥). وأحمد في المسند (٤: ١٠٧). والسيوطي في جمع الجوامع (٤٦٨٢). والألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٣). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٢٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٨٤). ومناهل الصفا (١٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٨٩). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ١٠٢). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٣٦٨). والسيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٢٥). وفي البداية والنهاية (٢: ٢٥٦). ابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٢). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٧٨).

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٨٢). ومناهل الصفا (١٣).

[الضرب الثاني]

ما يتفق التمدح بكثرته، والفخر بوفوره كالنكاح والجاه، لأن النكاح دليل الكمال وصحة الذكورية، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة، والتمادح به سيرة ماضية.

وكان ﷺ ممن أقدر على القوة في هذا وأعطي الكثير منه، ولهذا أبيح له من عدد الحرائر ما لم يبح لغيره.

وقد روينا عن أنس رضي الله عنه: أنه ﷺ كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهنَّ إحدى عشرة.

قال أنس رضي الله عنه: أعطي قوة ثلاثين. خرّجه النسائي، وورد عن غيره: قوة أربعين رجلاً. وقالت سلمى مولاته: طاف النبي ﷺ ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة منهنَّ قبل أن يأتي الأخرى، وقال: **«هذا أطيب وأطهر»**[(١)].

وفي حديث أنس عنه ﷺ أنه قال: **«فضلت على الناس بأربع: بالسخاء، والشجاعة، وكثرة الجماع، وقوة البطش»**[(٢)].

وأما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه، عظمته في القلوب، وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، لكن آفاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الآخرة، فلذلك ذمه من ذمه، ومدح ضده.

وورد في الشرع مدح الخمول، وذم العلو في الأرض، وكان النبي ﷺ قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها، وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه ويقصدون أذاه في نفسه خفية حتى إذا واجههم أعظموا أمره وقضوا حاجته وأخباره في ذلك معروفة.

وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته ﷺ من لم يره كما روي عن قيلة أنها لما رأته أرعدت من الفرق، فقال: **«يا مسكينة عليكِ السكينة»**[(٣)].

وفي حديث ابن مسعود أن رجلاً قام بين يديه ﷺ، فأرعد فقال له: **«هون عليك فإني لست بملك»**[(٤)] الحديث.

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٥).
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨: ١٢٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٧٤١٣).
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٥٨).
(٤) رواه ابن ماجه في السنن (٣٣١٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٦: ٢٧٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٤٢). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٧٦). =

وأما عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة وإنافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية، هو في الآخرة سيد ولد آدم ﷺ.

[الضرب الثالث]

فهو ما تختلف فيه الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لأجله ككثرة المال فصاحبه إن صرفه في مهماته ومهمات من آمله اكتسب به الثناء الحسن والمنزلة في القلوب، وكان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا، وإن صرفه في وجوه البر وسبيل الخير، وقصد بذلك الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال، ومتى كان صاحبه ممسكاً أوقعه في رذيلة البخل ومذمة النذالة، وانظر سيرة نبينا ﷺ وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض، ومفاتيح البلاد وأحلت له الغنائم، ولم تحل لنبي قبله، وفتح عليه في حياته ﷺ بلاد الحجاز، واليمن، وجميع جزيرة العرب، وما دانى ذلك من الشام، والعراق، وجلب إليه من أخماسها، وجزيتها، وصدقاتها ما لا يجبى للملوك إلا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهماً، بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوّى به المسلمين.

وقال: «ما يسرني أن لي أُحداً ذهباً يبيت عندي منه دينار إلا ديناراً أرصده لديني»[1]، وأتته دنانير مرة، فقسمها، وبقيت منها بقية فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها، وقال: «الآن استرحت». ومات ﷺ ودرعه مرهونه في نفقة عياله، واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه وزهد فيما سواه، فكان ﷺ يلبس ما وجده، فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن، والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقبية الديباج المخوّصة[2] بالذهب، ويرفع لمن لم يحضره إذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة، وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب، كونه لبس مثله وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه.

ومن ملك الأرض وجبي إليه ما فيها، فترك ذلك زهداً وتنزهاً، فهو حائز لفضيلة المالية، ومالك للفخر بهذه الخصلة ومعرق في المدح بإضرابه عنها، وزهده في فانيها وبذلها في مظانها.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ : ٣٢٦). وفيه: «ما يسرّني أنّ أُحداً لي ذهب».

(٢) المخوّصة: فيها أشكال كورق النخل، فهي مزركشة. لسان العرب [مادة: خوص].

وأما الخصال المكتسبة من الأخلاق الحميدة والآداب الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلاً عما فوقها، وأثنى الشرع على جميعها، وأمر بها ووعد بالسعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بأنه من أجزاء النبوة، وهي المسماة بحسن الخلق، وهو الاعتدال في قوى النفس وأوصافها والتوسط فيها دون الميل إلى منحرف أطرافها، فجميعها قد كانت خُلق نبينا ﷺ على الانتهاء في كمالها، والاعتدال في غايتها، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قالت عائشة رضي الله عنها: وكان خُلقه ﷺ القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه، وقال ﷺ: «[إنّما][١] **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[٢].

وقال أنس رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلقاً، وكان ﷺ فيما ذكره المحققون مجبولاً عليها في أصل خُلقته وأصل فطرته لم تحصل له باكتساب، ولا برياضة إلا بجود إلهي وخصوصية ربانية، وهكذا سائر الأنبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم إلى مبعثهم تحقق ذلك كما عرف من حال عيسى، وموسى، ويحيى، وسليمان، وغيرهم عليهم السلام.

وقد حكى أهل التفسير أن آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ أخبرت أنه ﷺ ولد حين ولد باسطاً يديه إلى الأرض رافعاً رأسه إلى السماء. وقال ﷺ: «**لما نشأت بغضت إليَّ الأوثان وبغض إليَّ الشعر، ولم أهمّ بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما. ثم لم أعد**»[٣] وقد همّ فيهما باستماع غنائهم وحضور لهوهم، فلم يتم له ذلك ﷺ.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[وصف عقله ﷺ]

قوله والأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة، ولكنا نذكر أصولها ونشير، إلى جميعها، ونحقق وصفه ﷺ بها إن شاء الله تعالى.

أما أصل فروعها وعنصر ينابيعها، ونقطة دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم،

---

(١) زيادة من وضعنا لضبط نص الحديث في الأصل لأنّه لم يرد عند أحد إلاّ بهذا اللفظ.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠: ١٩٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ١٧١). وابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٤١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٥٢١٧). والعجلوني في كشف الخفاء (١: ٢٤٤). والألباني في السلسلة الصحيحة (٤٥). والشهاب في المسند (١١٦٥).

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٦٣). والقرطبي في التفسير (١٦: ٥٦).

والمعرفة، ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي، وجودة الفطنة، والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحسن السياسة، والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنب الرذائل.

وقد أشرنا إلى مكانه منه ﷺ، وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه، وجلالة محله من العقل، ومما تفرع عنه متحققة عند من تتبع مجاري أحواله واضطراد سيره، وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحِكَم حديثه، وعلمه بما في التوراة، والإنجيل، والكتب المنزلة، وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية، وأيامها، وضرب الأمثال وسياسات الأنام، وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة، والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه ﷺ فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة، والطب، والحساب، والفرائض، والنسب وغير ذلك مما هو مبسوط في معجزاته ﷺ دون تعليم، ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم، ولا الجلوس إلى علمائهم، بل نبي أمّيّ لم يعرف شيئاً من ذلك حتى شرح الله صدره، وأبان أمره وعلّمه، وأقرأه.

يُعلَم ذلك ضرورة بالمطالعة، والبحث عن حاله ﷺ، وبالبرهان القاطع على نبوته نظراً، فلا نطول سرد الأقاصيص، وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ، وبحسب عقله كانت معارفه عليه ﷺ إلى سائر ما أطلعه الله عليه من علم ما يكون، وما كان، وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

حارت العقول في تقدير فضله عليه، وخرست الألسن دون وصف يحيط بذلك أو ينتهي إليه ﷺ وزاده زلفى لديه.

[وصف حلمه واحتماله وعفوه وصبره ﷺ]

وأما الحلم والاحتمال والعفو والقدرة والصبر على ما يكره فهذا كله مما أدب الله تعالى عليه نبيه ﷺ فقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

روي أن النبي ﷺ لما نزلت هذه الآية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها. فقال: حتى أسأل العالم، ثم ذهب فأتاه فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك.

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧] الآية، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ

﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور: ٢٢] الآية، وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣] ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله ﷺ وإن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو ﷺ لا يزيد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً.

روى الإمام مالك عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خير رسول الله ﷺ في أمرين قط إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها.

وروي أن النبي ﷺ لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال ﷺ: **«إني لم أبعث لعاناً، ولكن بعثت داعياً، ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»**[1].

قال القاضي عياض رحمه الله فانظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان، وحسن الخُلق، وكرم النفس وغاية الصبر، والحلم إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا، ثم أشفق عليهم ورحمهم، ودعا، وشفع لهم فقال: **«اللهم اغفر واهد»**[2] ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله: **«لقومي»**[3]، ثم اعتذر عنهم بجهلهم: **«فإنهم لا يعلمون»**[4].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٠٧). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ١٨٩). والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨١٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢١). ومناهل الصفا (١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٣٤٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢١٨).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٠٧). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ١٨٩). والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨١٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢١). ومناهل الصفا (١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٣٤٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢١٨).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٠٧). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ١٨٩). والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨١٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢١). ومناهل الصفا (١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٣٤٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢١٨).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٠٧). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨٠). والطبراني في المعجم الكبير =

ولما قال له الرجل: اعدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى. لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ﷺ: «**ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل**»[١] ونهى من أراد من أصحابه قتله. ولما تصدى له ﷺ غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله ﷺ منتبذ تحت شجرة وحده وهو قائل في وقت القيلولة، والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا وهو قائم والسيف سلطاً في يده، فقال الرجل: من يمنعك مني؟ فقال ﷺ: «**الله**»[٢] فسقط السيف من يده، فأخذه النبي ﷺ، وقال: «**من يمنعك مني**»[٣]، فقال: كن خير آخذ. فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه، فقال: جئتكم من عند خير الناس.

ومن عظيم خبره ﷺ في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من الرواية، وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره ﷺ وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره، ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته، وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أُبيّ وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولاً، وفعلاً، بل قال لمن أشار بقتل بعضهم لا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه.

وعن أنس رضي الله عنه: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه الشريف ﷺ، ثم قال الأعرابي: يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبي ﷺ، ثم قال: «**المال مال الله وأنا عبده**»[٤] ثم قال: «**ويقاد منك يا**

= (١٩: ١٨٩). والبخاري في الأدب المفرد (٣٢١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٤٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨١٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢١). ومناهل الصفا (١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٣٤٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧٢١٨).

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢٣).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٦٥). والحاكم في المستدرك (٣: ٣٩). والبيهقي في دلائل النبوة (٣: ١٦٨). وابن حجر في تغليق التعليق (١١٥٠)، وفي فتح الباري (٧: ٤٢٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٠٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ٢٤). والبغوي في شرح السنة (٤: ٢٨٧). ومناهل الصفا (١٧).

(٣) ٤رواه أحمد في المسند (٣: ٣٦٥). والحاكم في المستدرك (٣: ٣٩). والبيهقي في دلائل النبوة (٣: ١٦٨). وابن حجر في تغلين التعليق (١١٥٠)، وفي فتح الباري (٧: ٤٢٦). والنبريزي في مشكاة المصابيح (٥٣٠٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ٢٤). والبغوي في شرح السنة (٤: ٢٨٧). ومناهل الصفا (١٧).

(٤) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٤).

أعرابي ما فعلت بي»[1] قال: لا، قال: «**لِمَ**»[2] قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة. فضحك النبي ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير، وعلى الآخر تمر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادماً، ولا امرأة وجيء إليه ﷺ برجل، فقيل له: هذا أراد أن يقتلك، فقال له النبي ﷺ: «**لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم تسلط عليّ**»[3].

وجاءه زيد بن سعنة قبل إسلامه يتقاضاه ديناً عليه فجبذ ثوبه عن منكبه الشريف وأخذ بمجامع ثيابه ﷺ وأغلظ له، ثم قال: إنكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر، وشدد له في القول والنبي ﷺ يتبسم، فقال رسول الله ﷺ: «**أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي**»[4]، ثم قال ﷺ: «**لقد بقي من أجله ثلاث**»[5]، وأمر عمر يقضيه ماله، ويزيده عشرين صاعاً لما روعه، فكان ذلك سبب إسلامه، وذلك أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما. يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. فاختبره بهذا فوجده كما وصف ﷺ.

والحديث عن حلمه ﷺ وصبره وعفوه عند المقدرة أكثر من أن نأتي عليه، وحسبك ما في الصحيح والمصنفات الثابتة مما بلغ متواتراً مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش، وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم وإبادة خضرائهم، فما زاد على أن عفا، وصفح، وقال: «**ما تقولون إني فاعل بكم**»[6] قالوا: خيراً. أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[7].

وقال أنس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلاً من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله ﷺ فأخذوا فأعتقهم رسول الله فأنزل الله تعالى: ﴿**وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم**﴾ [الفتح: ٢٤] الآية.

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٤).
(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٤).
(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١ : ٢٢٦). ومناهل الصفا (١٧).
(٤) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١ : ٢٢٦). ومناهل الصفا (١٧).
(٥) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١ : ٢٢٦). ومناهل الصفا (١٧).
(٦) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩ : ١١٨).
(٧) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩ : ١١٨).

وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن جلب إليه الأحزاب، وقتل عمه وأصحابه ومَثَّلَ بهم، فعفا عنه ولاطفه في القول وقال: «ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إلٰه إلا الله»[1] فقال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك وأكرمك. وكان رسول الله ﷺ أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً ﷺ.

[وصف جوده ﷺ]

وأما الجود، والكرم، والسخاء، والسماحة، فكان ﷺ لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة، ولا يُبارَى، بهذا وصفه كل من عرفه.

روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: ما سئل النبي ﷺ عن شيء فقال لا.

وقال ابن عباس: كان ﷺ أجود الناس بالخير وأجود ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة.

وعن أنس رضي الله عنه: أن رجلاً سأله ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى بلده، وقال أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة.

وأعطى ﷺ غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة، ثم مائة، ثم مائة، وهذه كانت حاله ﷺ قبل أن يبعث.

وقد قال له ورقة بن نوفل: إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم. وردَّ على هوازن سباياها، وكانوا ستة آلاف.

وأعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله. وحمل إليه ﷺ تسعون ألف درهم فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها، وجاءه رجل فسأله، فقال: «ما عندي شيء، ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه»[2] فقال له عمر: يا رسول الله

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ١٦٦). والطبراني في المعجم الكبير (٧٢٦٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢٩). وأبو نعيم في دلائل النبوة (٥: ٣٤). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٤٠١). وابن كثير في البداية والنهاية (٤: ٢٩٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٣٦). ومناهل الصفا (١٨). وشرح معاني الآثار (١٣: ٣٢١).

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٣٣). والترمذي في الشمائل (١٧٩). وفيه: «فإذا جاءني شيء قضيته».

أنفق ولا تخف من ذي العرش إقلالاً، فتبسم النبي ﷺ وعُرِفَ البِشْرُ في وجهه، وقال: «بهذا أمرت»[1] ذكره الترمذي.

وذكر عن معوذ بن عفراء رضي الله عنهما: أنه أتى النبي ﷺ بطبق من رطب، وقليل من القثاء الصغيرة، فأعطاه ملء كفه حلياً وذهباً.

وقال أنس رضي الله عنه: كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أتى رجل النبي ﷺ يسأله فاستسلف له رسول الله ﷺ نصف وسق.

فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقاً وقال: نصفه قضاء، ونصفه نائل. والأخبار بجوده وكرمه ﷺ كثيرة.

[وصف شجاعته ﷺ]

وأما الشجاعة، والنجدة، فكان النبي ﷺ منها بالمكان الذي لا يُجهل. قد حضر المواقف الصعبة، وفر الكُماة والأبطال عنه غير مرة، وهو ﷺ ثابت لا يبرح، ومقبل لا يُدبر، ولا يتزحزح، وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة، سواه ﷺ.

روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه: وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، لكن رسول الله ﷺ لم يفر، ثم قال: لقد رأيته ﷺ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجامها، والنبي ﷺ يقول: «أنا النبي لا كذب»[2] وزاد غيره «أنا ابن عبد المطلب»[3]، فما رؤي يومئذ أحد كان أشد منه ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ٢٣٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ١٦٧). وأحمد في المسند (٥: ٢٧٤).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٣٧). ومسلم في الصحيح (الجهاد: ٧٨). وأبو داود في السنن (٤٨٧). والترمذي في السنن (١٦٨٨). وابن الجارود في المنتقى (١٠٦٦). وأحمد في المسند (١: ٢٦٤). والدارمي في السنن (١: ١٦٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ١٥٥). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٢٨٩). والبخاري في التاريخ الصغير (١: ٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧: ١٣٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٢٠٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٩٥). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٢٨). والبغوي في شرح السنة (١٢: ٣٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٤١). والطبراني في المعجم الكبير (٦: ٤٣).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٣٧). ومسلم في الصحيح (الجهاد: ٧٨). وأبو داود في السنن (٤٨٧). والترمذي في السنن (١٦٨٨). وابن الجارود في المنتقى (١٠٦٦). وأحمد في المسند (١: ٢٦٤). والدارمي في السنن (١: ١٦٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ١٥٥) وابن عساكر في =

وعن العباس رضي الله عنه قال: لما التقى المسلمون والكفار ـ يعني يوم حنين ـ ولّى المسلمون مُدبرين، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته نحو الكفار، وأنا آخذ بلجامها أكفها إرداة أن لا تسرع، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابها، ثم نادى: «يا للمسلمين»[١].

وكان رسول الله ﷺ إذا غضب ـ ولا يغضب إلا لله ـ لم يقم لغضبه شيء. قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما رأيت أشجع ولا أنجد، ولا أجود، ولا أرضى من رسول الله ﷺ، وقال علي رضي الله عنه: إنا كنا إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ. فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ﷺ، ولقد رأيتني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً. وقيل: كان الشجاع هو الذي يقرب منه ﷺ إذا دنا العدو لقربه منه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأشجع الناس، وأجود الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قِبَل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه، وهو يقول: «لن تُراعوا»[٢].

وقال عمران بن حصين رضي الله عنهما: ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب. ولما رآه أُبَيّ بن خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا؟ وقد كان يقول للنبي ﷺ حين افتدي يوم بدر: عندي فرس أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها، فقال النبي ﷺ: «أنا أقتلك إن شاء الله تعالى»[٣] فلما رآه يوم أحد شد أُبَيّ على فرسه على

= تهذيب تاريخ دمشق (١: ٢٨٩). والبخاري في التاريخ الصغير (١: ٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧: ١٣٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٢٠٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٩٥). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٢٨). والبغوي في شرح السنة (١٢: ٣٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٤١). والطبراني في المعجم الكبير (٦: ٤٣).

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٣٧). ومسلم في الصحيح (الجهاد: ٧٨). وأبو داود في السنن (٤٨٧). والترمذي في السنن (١٦٨٨). وابن الجارود في المنتقى (١٠٦٦). وأحمد في المسند (١: ٢٦٤). والدارمي في السنن (١: ١٦٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ١٥٥). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٢٨٩). والبخاري في التاريخ الصغير (١: ٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧: ١٣٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٢٠٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٩٥). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٢٨). والبغوي في شرح السنة (١٢: ٣٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٤١). والطبراني في المعجم الكبير (٦: ٤٣).

(٢) رواه ابن الجارود في المنتقى (٦: ١٥٣). وابن حجر في البداية والنهاية (٦: ١٨٥).

(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٧) ١٨٣. والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٣٩).

رسول الله ﷺ فاعترضه رجال من المسلمين، فقال النبي ﷺ: «هكذا»[١] أي خلوا طريقه، وتناول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً، وقيل: بل كسر ضلعاً من أضلاعه، فرجع إلى قريش يقول: قتلني محمد. وهم يقولون: لا بأس بك، فقال: لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم، أليس قد قال: أنا أقتلك، والله لو بصق علي لقتلني، فمات «بسَرِف»[٢] في قفولهم إلى مكة.

[وصف حيائه ﷺ]

وأما الحياء والإغضاء فكان النبي ﷺ أشد الناس حياءً وأكثرهم عن العورات إغضاءً. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئاً عرفناه في وجهه.

وكان ﷺ لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا وكذا، ولكن يقول ﷺ: «ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا»[٣] ينهى عنه ولا يسمي فاعله.

وروى أنس: أنه دخل عليه ﷺ رجل به أثر صفرة، فلم يقل له شيئاً، وكان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكره، فلما خرج قال: «لو قلتم له يغسل هذا»[٤].

وقالت عائشة رضي الله عنها في الصحيح: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، ولا سخاباً بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة.

وروي عنه ﷺ: أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد، وأنه كان يكنّي عما اضطره الكلام إليه مما يكره. وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت فرج رسول الله ﷺ قط.

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٣٦٠). وعبد الرزوف في المصنف (١٩٩٨٥). وابن حجر في المطالب العلية (١٣٩٥).

(٢) سرِف: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وهو موضع على ستة أميال من مكة [معجم البلدان، ج ٣/ ص ٢٣٩].

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٤٢).

(٤) رواه في مناهل الصفا (١٩). وفيه: «هذه الصفرة».

[وصف حُسن عشرته وأدبه وخُلقه ﷺ]

وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه ﷺ مع أصناف الخَلْق فحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة.

قال علي رضي الله عنه في وصفه ﷺ: كان أوسع الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة.

روى أبو داود عن قيس بن سعد رضي الله عنهما قال: زارنا رسول الله ﷺ، وذكر قصة في آخرها، فلما أراد الانصراف قرب له سعد حماراً وطأ عليه بقطيفة، فركب رسول الله ﷺ، ثم قال سعد: «يا قيس اصحب رسول الله ﷺ» قال قيس: فقال لي رسول الله ﷺ: «اركب»[1] فأبيت، فقال: «إما أن تركب، وإما أن تنصرف»[2] فانصرفت.

وكان ﷺ يؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره، ولا خُلقه، ويتفقد أصحابه، ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه. من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها، أو بميسور من القول، وقد وَسِع الناس بسطه وخُلقه، فصار لهم أباً وصاروا عنده في الحق سواء.

بهذا وصفه ابن أبي هالة، وكان دائم البِشْر سهل الخُلق لين الجانب، ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا سخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه راجيه، وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] الآية. وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦] الآية، وكان يجيب من دعاه، ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً، ويكافئ عليها.

قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أفٍّ قط، ولا قال لشيء صنعته: لِمَ صنعته؟ ولا لشيء تركته: لِمَ تركته؟.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان أحد أحسن خُلقاً من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا أهل بيته إلا قال: «لبيك»[3].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٤٢١).

(٢) رواه أبو داود في السنن (٣: ٤٢١). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٨٩). والطبراني في المعجم الكبير (١: ٢٤٥). وابن كثير في التفسير (٦: ٣٤٧).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٤٤). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٥٧). وابن القيسراني =

وقال جرير بن عبد الله: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم. وكان ﷺ يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره، ويجيب دعوة الحر، والعبد، والأمَة والمسكين، ويعود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

قال أنس ما التقم أحد أُذن النبي ﷺ فنحى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر.

وكان ﷺ يبدأ من لَقِيَه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُرَ قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيّق بهما على أحد.

يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويكني أصحابه، ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام، ويروي بانتهاء أو قيام.

روي أنه كان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته، وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وكان أكثر الناس تبسماً، وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن، أو يعظ أو يخطب.

قال عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ، وعن أنس كان خدم المدينة يأتون النبي ﷺ إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء، فما يأتونه بآنية إلا غمس يده فيها، وربما كان ذلك في الغداة الباردة يريدون التبرك.

[وصف شفقته ورحمته بكل الخلق ﷺ]

وأما الشفقة والرحمة بجميع الخَلْق فقد قال تعالى فيه ﷺ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال بعضهم: من فضله ﷺ أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه، فقال تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومن شفقته ﷺ على أمته أنه لما كذبه قومه أتاه جبريل عليه السلام، فقال له: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك

= في تذكرة الموضوعات (٩٣٣).

الجبال وسلم عليه وقال: مرني بما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ـ وهما جبلا مكة ـ قال النبي ﷺ: **«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً»**(١).

وروى ابن المنكدر: أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: **إن الله تعالى أمر السماء، والأرض، والجبال أن تطيعك**، فقال ﷺ: **«أؤخر عن أمتي لعل الله أن يتوب عليهم»**.

وقالت عائشة رضي الله عنها ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها ركبت بعيراً وفيه صعوبة فجعلت تردده، فقال لها عليه الصلاة والسلام: **«عليك بالرفق»**(٢).

[وصف خُلقه في الوفاء وحُسن العهد وصلة الرحم ﷺ]

وأما خُلقه ﷺ في الوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم فقد روى أبو داود عن عبد الله بن أبي الحمساء رضي الله عنه قال: بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها مكانه، فنسيت، ثم ذكرت بعد ثلاث، فجئت فإذا هو في مكانه، فقال: **«يا فتى لقد شققت عليّ أنا هٰهنا منذ ثلاث أنتظرك»**(٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا أُتي بهدية، قال: **«اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة»**(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما كنت

---

(١) رواه البغوي في شرح السنة (١٣: ٢١٤). وابن كثير في التفسير (٣: ٢٥٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٤٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٥٥).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٨: ١٥). ومسلم في الصحيح (البر والصلة ٧٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٦٢).

(٣) رواه أبو داود في السنن (٤٩٩٦). والبيهقي في السنن الكبرى (١٠: ١٩٨). والطبراني في المعجم الكبير (٣: ٢٢٤). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٧: ٤١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٠٦). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٥٧). والخرائطي في مكارم الأخلاق (٣٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٦٨٧٩). وابن كثير في التفسير (٥: ٢٣٤). والقرطبي في التفسير (١١: ١١٥). وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢: ٢٣٩).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٤: ١٧٥). وعبد الرزاق في المصنف (١٥٣٥٨). والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٢). بمعناه.

أسمعه يذكرها، وإن كان يذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها، واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها. ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها، فلما خرجت قال: «**إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان**»(١).

ووصفه ﷺ بعضهم، فقال: كان يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، وقد صلى ﷺ بإمامة بنت بنته زينب فحملها على عاتقه، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها.

وعن أبي قتادة قال: وفد وفد للنجاشي فقام النبي ﷺ يخدمهم، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال ﷺ: «**إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، وإني أحب أن أكافئهم**»(٢).

ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط رداءه، وقال لها: «**إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك**»، فاختارت قومها فمتعها.

وقال أبو الطفيل رأيت النبي ﷺ وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه، فجلست عليه، فقلت: من هذه؟ فقالوا: أمه التي أرضعته.

وعن عمرو بن السائب: أن رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً، فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه، ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه.

وكان ﷺ يبعث إلى ثويبة ـ مولاة أبي لهب مرضعته ـ بِصِلَة وكسوة، فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها، فقيل لا أحد.

وفي حديث خديجة رضي الله عنها أنها قالت له ﷺ: أبشر فَوَالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. وقد وصفه بمثل ما وصفته به خديجة رضي الله عنها ورقة بن نوفل.

[وصف تواضعه ﷺ]

وأما تواضعه عليه الصلاة والسلام على علو منصبه ورفعة رتبته، فكان أشد الناس تواضعاً وحسبك أنه خُيِّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، فقال له

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٢٣٥). والشجري في الأمالي (٢: ١٥٢).

(٢) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢: ١١٨). والسيوطي في دلائل النبوة(٢: ٣٠٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٢).

إسرافيل عليه السلام عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له إنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع.

روى أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصى فقمنا إليه، فقال: **«لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا»**(١)، وقال ﷺ: **«إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد»**(٢).

وكان ﷺ يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس.

وفي حديث عمر رضي الله عنه: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله»**(٣).

وعن أنس رضي الله عنه: أن امرأة كانت في عقلها شيء جاءته، فقالت: إن لي إليك حاجة، قال: **«اجلسي يا أم فلان في أي طريق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك»**(٤) قال: فجلست فجلس النبي ﷺ إليها حتى فرغت من حاجتها.

وقال أنس: كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويجيب دعوة العبد؛ وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف، وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة(٥) السنخة(٦) فيجيب.

قال: وحج ﷺ على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم، فقال: «اللهم

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٥٢٣٠). وأحمد في المسند (٥: ٢٥٣). وابن أبي شيبة في المصنف (٨: ٣٩٨). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤٣١). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٧٠٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٥٤٧٤). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٤٢١). والألباني في السلسلة الضعيفة (٤٣٦). وابن حجر في فتح الباري (١١: ٤٩). وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٤٢٧).

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢١٤). وأحمد في الزهد (٥). وابن المبارك في الزهد (٥٥٣). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٨٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٠٧٠٨). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٤). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥: ١٩٧١).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٠٤). ومسلم في الصحيح (القدر: ٧). وعبد الرزاق في المصنف (١٩٧٥٨). والبغوي في شرح السنة (٢٤٦). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٤٩).

(٤) رواه البغوي في شرح السنة (٧: ١٣٠). بمعناه.

(٥) الإهالة: للشحم أو ما أُذيب منه، أو الزيت وكل ما ائتُدِم به. [القاموس المحيط، مادة: أهل].

(٦) السنخة: الدهن ذو الرائحة النتنة [القاموس المحيط، مادة: سنخ].

اجعله حجاً لا رياء فيه، ولا سمعة»[١] هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة.

ولما فتحت عليه ﷺ ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعاً لله تعالى.

ومن تواضعه ﷺ قوله: **«لا تفضلوني على يونس بن متى، ولا تفضلوا بين الأنبياء، ولا تخيروني على موسى، ونحن أحق بالشك من إبراهيم، ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت الداعي»**[٢].

وقال للذي قال له يا خير البرية: **«ذاك إبراهيم»**[٣] كل ذلك من تواضعه ﷺ وإلا فقد ثبت أنه أفضل منهم أجمعين.

وعن عائشة رضي الله عنها، والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضوان الله عليهم في صفته ﷺ وبعضهم يزيد على بعض: كان ﷺ في بيته في مهنة أهله، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويرفع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه، ويقم البيت، ويعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم، ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق.

وعن أنس رضي الله عنه: أن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ يد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت حتى يقضيها حاجتها.

ودخل عليه ﷺ رجل فأصابته من هيبته رعدة فقال له: **«هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد»**[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دخلت السوق مع النبي ﷺ فاشترى سراويل، وقال للوازن: **«زن وأرجح»**[٥]، وذكر القصة.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ٢٢١). والترمذي في الشمائل (١٧٤).

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٦٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ١٠٥).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ١٥٠). وأبو داود في السنن (٤٦٧٢). وأحمد في المسند (٣: ١٧٨). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٥١٨). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٥٣٣). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١١٦). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٦٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٥٧٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٨٩٦). والقرطبي في التفسير (١٠: ٤٩).

(٤) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٤). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ١١١).

(٥) رواه أبو داود في السنن (٣٣٣٦). والترمذي في السنن (١٣٠٥). وابن ماجه في السنن (٢٢٢٠). =

قال فوثب إلى يد رسول الله ﷺ يقبلها، فجذب يده وقال: «**هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم، ثم أخذ السراويل**»[١] فذهبت لأحمله، فقال ﷺ صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله.

[وصف عدله وأمانته وعفته وصدق لهجته ﷺ]

وأما عدله ﷺ، وأمانته، وعفته، وصدق لهجته، فكان ﷺ أأمن الناس وأصدقهم لهجة منذ كان. اعترفَ له بذلك محادوه وعِداه. وكان ﷺ يسمى قبل نبوته: الأمين، قال أبو إسحاق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة، وقال تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]. [أجمع][٢] أكثر المفسرين على أنه محمد ﷺ.

ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي ﷺ داخل وذلك قبل نبوته، فقالوا: هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به. وعن الربيع بن خيثم قال: كان يتحاكم إلى رسول الله ﷺ في الجاهلية قبل الإسلام، وقال ﷺ: «**والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض**»[٣].

وروى الترمذي عن علي رضي الله عنه: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الأنعام: ٣٣] الآية. وروى غيره: لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب. وقيل: إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر، فقال له: أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فخبّرني عن محمد صادق أم كاذب؟ فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب محمد قط. وسأل هرقل عنه ﷺ أبا سفيان فقال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال. قال: لا. وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر، لا والله ما هو بساحر. وفي

= وأحمد في المسند (٤: ٣٥٢). والدارمي في السنن (٢: ٢٦٠). والحاكم في المستدرك (٢: ٣٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩٢٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٩٩٦٠). والبخاري في التاريخ الكبير (٤: ١٤٢). وابن الجارود في المنتقى (٥٥٩). والسيوطي في الحاوي في الفتاوي (١: ٥٧٠). وابن أبي شيبة في المصنف (٦: ٥٨٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٤٩٠).

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٦٧).

(٢) زيادة من المحقق لسلامة المعنى.

(٣) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (١٥٧٥٥). وعبد الرزاق في المصنف (١٤٠٩١).

الحديث عنه ﷺ ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها. وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه ﷺ: أصدق الناس لهجة. وقال في الصحيح: «**ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت، وخسرت إن لم أعدل**»[١]. وقالت عائشة رضي الله عنها: ما خير رسول الله ﷺ في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه. وقال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه، فقال يصح يوم الريح للنوم، ويوم الغيم للصيد، ويوم المطر للشرب واللهو، ويوم الشمس للحوائج. قال ابن خالويه: ما كان أعرفهم بسياسة دنياهم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧] لكن نبينا ﷺ جزأ نهاره ثلاثة أجزاء لله تعالى، وجزأ لأهله، وجزأ لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول: «**أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي، فإنه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله تعالى يوم الفزع الأكبر**»[٢].

وعن الحسن كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحداً بقرف أحد، ولا يصدق أحداً على أحد، وذكر أبو جعفر الطبري عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته، قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم، فجلست أنظر فضرب على أذني، فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت ولم أقضِ شيئاً، ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك، ثم لم أهم بعد ذلك بسوء**»[٣].

[وصف وقاره ومروأته وحسن هديه ﷺ]

وأما وقاره ﷺ، وصمته، وتؤدته، ومروأته، وحسن هديه [فـ]ـيروي[٤] أبو داود عن خارجة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه.

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٢٣).

(٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٠). وفي مناهل الصفا (٢٣). والآجري في الشريعة (٤٧٣).

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٢٦). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٧٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٣٤٨). والطبري في تاريخ الأمم والملوك (٢: ٢٧٩).

(٤) أمّا حرف تفضيل يليها اسم أو حرف جرّ أو أداة شرط، وتستعمل مكررة ويربط جوابها بالفاء.

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: كان ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه، وكذلك كان أكثر جلوسه ﷺ محتبياً. وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه ﷺ تربع وربما جلس القرفصاء.

وكان ﷺ كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسماً، وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير. وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به ﷺ. مجلسه مجلس حلم، وحياء، وخير، وأمانة لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير[1]. وفي صفته ﷺ يخطو تكفياً، ويمشي هوناً كأنما ينحط من صبب.

وفي الحديث الآخر: إذا مشى مشى مجتمعاً يعرف في مشيته أنه غير غرض ولا وكل. الغرض: الضجر، والوكل: الكسلان.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن أحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كأن في كلام رسول الله ﷺ ترتيل أو ترسيل.

وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه كان سكوته ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لوعدّه العادّ لأحصاه. وكان ﷺ يحب الطِّيب، والرائحة الحسنة، ويستعملها كثيراً، ويحض عليها، ويقول: «**حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[2].

ومن مروأته نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل مما يلي، والأمر بالسواك

---

(١) يُضرب في الرزانة والحلم والركانة وقلّة الطيش والعجلة، حتى كأن على رؤوسهم الطير بخاف أصحابها طيرانها، فهم سكون لا يتحرّكون راجع: الميداني، مجمع الأمثال ج ٢/ ص ٧٥. الزمخشري المستقصى ٢٦١. لكل مقام مقال، حكم وأمثال، محمد أمين الضناوي، دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ١٦٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٢). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٩٤). وابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ١١٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٨٩١٣). والكحال في الطب النبوي (٢٠). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ١٠). والكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٢٧). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢٦١). وابن كثير في التفسير (٥: ٤٥٦). والقرطبي في التفسير (٢: ١٤). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٤٠٥). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٧٦). والفتني في تذكرة الموضوعات (١٢٤). والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأخبار (٧١).

وإنقاء البراجم والرواجب، واستعمال خصال الفطرة. البراجم والرواجب: مفاصل الأصابع من ظاهر الكف، وباطنها، والفطرة: الخلقة، وخصالها عشرة منها: قص الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة.

[وصف زهده ﷺ]

وأما زهده ﷺ في الدنيا فحسبك من تقلله منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها، وترادفت عليه فتوحها إلى أن توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله، وهو يدعو ويقول: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**»[١].

روى ابن أبي شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله.

وفي رواية أخرى: من خبز شعير يومين متواليين، ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر ببال.

وفي رواية أخرى: ما شبع آل رسول الله ﷺ من خبز برّ حتى لقي الله تعالى، وقالت عائشة رضي الله عنها: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً.

وفي حديث عمرو بن الحارث: ما ترك ﷺ إلا سلاحه وبغلته وأرضاً جعلها صدقة. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد مات ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد ألا شطر شعير في رف لي، وقال لي ﷺ: «**إني عرض عليّ أن تجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب أجوع يوماً، وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه فاتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك**»[٢].

وفي حديث آخر: أن جبريل عليه السلام نزل عليه ﷺ فقال له: إن الله تعالى يقرؤك السلام، ويقول لك: أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهباً وتكون معك حيثما كنت؟ فأطرق ساعة، ثم قال ﷺ: «**يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له**»[٣] فقال له جبريل عليه السلام: ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٤٤٦). وابن أبي شيبة في المصنف (١٣: ٢٤). وابن ماجه في السنن (٤١٣٩). وابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٥٨). وابن حجر في فتح الباري (١١: ١٦٠). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٢٥٢).

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٧٩). وفيه: «يجعل».

(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٢٧٥). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٨٠).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً إن هو إلا التمر والماء.

وعن عبد الرحمٰن بن محمد قال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير. وعن عائشة، وأبي أمامة، وابن عباس نحوه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء.

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما أكل رسول الله ﷺ على خوان، ولا في سكرجة، ولا خبز له مرقق، ولا رأى شاة سميطاً قط.

وعن عائشة رضي الله عنها: إنما كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه أدماً حشوه ليف.

وعن حفصة رضي الله عنها قالت كان فراش رسول الله ﷺ في بيته مسحاً نثنيه ثنيتين فينام عليه، فثنيناه ليلة لأربع فلما أصبح قال: «ما فرشتم لي الليلة» فذكرنا له ذلك، فقال: «ردوه لحاله، فإن وطأته منعتني الليلة صلاتي»[١].

وكان ﷺ ينام أحياناً على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه. وعن عائشة رضي الله عنه قالت: لم يمتلئ جوف النبي ﷺ شبعاً قط، ولم يبث شكوى إلى أحد، وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى، وأن كان ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه ذلك صيام يومه ولو شاء سأل ربه فآتاه جميع كنوز الأرض، وثمارها، ورغد عيشها، ولقد كنت أبكي رحمة مما أرى به، وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع، وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك، فيقول: «يا عائشة ما لي وللدنيا إخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا، فمضوا على حالهم، فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدني أستحي إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غداً وما من شيء، هو أحب إلي من اللحوق بإخواني وأخلائي»[٢] قالت: فما أقام بعد إلا شهراً حتى توفي ﷺ.

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٦٢). والترمذي في الشمائل (١٧١). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٨٢).

(٢) رواه في أخلاق النبوة (٢٨٦).

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[وصف خوفه من ربّه وشدّة عبادته له ﷺ]

قوله: وأما خوفه ﷺ ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه ﷺ بربه عز وجل، ولذلك قال فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو تعلمون ما أعلم لضحكتهم قليلاً، ولبكيتم كثيراً»**(١).

زاد الترمذي عن أبي ذر أنة ﷺ قال: **«أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطّت(٢) السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى»**(٣).

وفي حديث المغيرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله ﷺ حتى انتفخت قدماه، فقيل له: أتكلف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر. قال: **«أفلا أكون عبداً شكوراً»**(٤).

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٢: ٤٣). ومسلم في الصحيح (الفضائل: ٣٧). والترمذي في السنن (٢٣١٢). وأحمد في المسند (٢: ٣١٢). وابن ماجه في السنن (٤١٩٠). والدارمي في السنن (٢: ٣٠٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٣: ٣٣٨). والحاكم في المستدرك (٣: ٦٣٥). والطبراني في المعجم الكبير (٧: ٢٩٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ٢٣٠)، وفي موارد الظمآن (١٨٧١). وابن حجر في تغليق التعليق (١٢٣٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٦٦). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٥٢٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣: ٢٦٥). والبغوي في شرح السنة (٣: ١٢٩). وابن حجر في المطالب العلية (٣٣٠٥). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٢٦٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (٢: ٣٩٢).

(٢) أطّت: أنّت تعباً أو حنيناً [لسان العرب، مادة: أطط].

(٣) رواه أحمد في المسند (٥: ١٧٣).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٢: ٦٣). ومسلم في الصحيح (صفات المنافقين ٧٩). والترمذي في السنن (٤١٢). وابن ماجه في السنن (١٤١٩). وأحمد في المسند (٤: ٢٥١). والبيهقي في السنن الكبرى (٢: ٤٩٧). والطبراني في المعجم الكبير (١: ٧١). وابن خزيمة في الصحيح (١١٨٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٢٧١). وابن حجر في المطالب العلية (٥٢٩). والمنذري في الترغيب والترهيب (١: ٢٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧: ٢٥٠). والبغوي في شرح السنة (٤: ١٧٤). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٥٨٤). والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٢٢٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ١٨٥). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٧٨). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٦٥). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٨٥٨٠). وابن عبد البر في التمهيد (٦: ٢٢٤). وابن أبي شيبة في المصنف (١٣: ٢٣٢).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان عمل رسول الله ﷺ ديمة وأيكم يطيق ما كان يطيق، وقالت: كان يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم.

وعن أنس مثله. وقال: كنت لا تشاء أن تراه ﷺ من الليل مصلياً إلا رأيته مصلياً، ولا نائماً إلا رأيته نائماً.

وقال عوف بن مالك رضي الله عنه: كنت مع رسول الله ﷺ ليلة، فاستاك، ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة إلا وقف، فسأل، ولا مر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول: «سبحان الله ذي الجبروت والملكوت والعظمة»[1]، ثم سجد وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك، وعن حذيفة مثله، وقال: سجد نحواً من قيامه، وجلس بين السجدتين نحواً منه، وقام حتى قرأ البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قام عليه ﷺ بآية من القرآن ليلة. وعن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.

وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه: كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة. قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[2].

وروي «سبعين مرة»[3]. ثم قال في الشفاء: اعلم وفقنا الله وإياك أن صفات جميع الأنبياء، والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخَلق، وحسن الصورة، وشرف النسب، وحسن الخلق، وجميع المحاسن هي هذه الصفة لأنها صفات الكمال، والتمام البشري، والفضل الجميع لهم صلوات الله عليهم، إذ رتّبهم أشرف الرتب، ودرجاتهم أرفع الدرجات، ولكن فضل الله بعضهم على بعض.

قال الله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، ثم ذكر أحاديث كثيرة تتعلق ببعض الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لم أرَ ضرورة لنقلها.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ١٠٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ٣٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٥٢). والطبراني في المعجم الكبير (١: ٢٧٩). وابن حجر في فتح الباري (١١: ١٠١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٧٥). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٨٨).

(٣) رواه أبو داود في السنن (الدعاء، ب ٤). والترمذي في السنن (٣٢٥٩). والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ٢٠٨). والبغوي في شرح السنة (٦: ١٨٠). وابن حجر في فتح الباري (١١: ١٠١). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٤٤).

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر حديث الحسن في حلية النبي وشمائله وأوصافه الشريفة ﷺ]

قوله: قد أتينا أكرمك الله من ذكر الأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة، وخصال الكمال العديدة، وأريناك صحتها له ﷺ وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع، والأمر أوسع. فمجال هذا الباب في حقه ﷺ ممتد ينقطع دون إنفاده الأدلاء، وبحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء، ولكنا أتينا فيه بالمعروف مما أكثره في الصحيح والمشهور من المصنفات، واقتصرنا في ذلك بقل من كل، وغيض من فيض، ورأينا أن نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن أبي هالة لجمعه من شمائله وأوصافه ﷺ وإدماجه جملة كافية من سيره وفضائله ﷺ.

روى الترمذي وغيره عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ ـ وكان وصافاً ـ وأنا أرجو أن يصف لي منه شيئاً أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه فيحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، أدعج الخدين، ضليع الفم أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخَلق بادناً، متماسكاً سواء البطن والصدر، مشيح الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن ما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سبط العصب، خصمان الأخصمين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال، زال تعلقاً، ويخطو تكفؤاً، ويمشي هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف (نظره) إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، جل نظْره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام.

قال الحسن: قلت له: صف لي منطقه. قال: كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليس له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه، ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئاً.

لم يكن يذم ذواقاً، ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها، وإذا تعجب قلبها، وإذا تحدث

اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غض طرفه جُلّ ضحكه التبسم ويفترعن مثل حب الغمام.

قال الحسن فكتمتها عن الحسين بن علي زماناً، ثم حدثته فوجدته قد سبقني فسأل أباه عن دخول رسول الله ﷺ، ومخرجه، وملبسه، وشكله فلم يدع منه شيئاً.

قال الحسين سألت أبي رضي الله عنه عن دخول رسول الله ﷺ، فقال: كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فكان إذا أوى إلى منزلة جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء جزأ لله تعالى، وجزأ لأهله، وجزأ لنفسه، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس، فيرد ذلك على العامة بالخاصة، ولا يدخر عنهم شيئاً.

فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه، وقسمته على قدر فضلهم في الدين منهم: ذو الحاجة، ومنهم: ذو الحاجتين، ومنهم: ذو الحوائج، فيتشاغل بهم، ويشغلهم فيما أصلحهم، والأمة من مسألته عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول: «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب، وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك، ولا يقبل من أحد غيره**»[1].

وقال: في حديث سفيان بن وكيع: «**يدخلون رواداً لا يتفرقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة**» يعني فقهاء.

قلت: فأخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا فيما يعنيه، ويؤلفهم، ولا يفرقهم، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم، ويحذر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس، ويحسن الحسن ويصوبه، ويقبح القبيح ويوهنه، معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا، لكل حال عنده عتاد، لا يقصر عن الحق، ولا يجاوز إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة وموازرة.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ٢٦). ومسلم في الصحيح (الحج ب ٨٢). والترمذي في السنن (١٨٠٩). والنسائي في السنن (الحج ب ١١٠). وابن ماجه في السنن (٢٣٣). وأحمد في المسند (٥: ٤٥). والدارمي في السنن (٢: ٦٨). والبيهقي في السنن الكبرى (٦: ٩٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ٢٥٣). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٠٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٥١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٦٩). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٣٤٠).

فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه؟ فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، ولا يوطن الأماكن، وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس، ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه.

من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه. من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول. قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى.

وفي الرواية الأخرى: وصاروا عنده في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم، وحياء، وصبر، وأمانة لا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم، ولا تنثى فلتاته، وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير، ويرحمون الصغير ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب.

فسألته عن سيرته ﷺ في جلسائه، فقال: كان ﷺ دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخّاب، ولا فحّاش، ولا عيّاب، ولا مزّاح، يتغافل عما لا يشتهي، ولا يؤيس منه.

قد ترك نفسه من ثلاث: الرياء، والإكثار، وما لا يعنيه، وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يعيره، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه. إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، لا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون منه، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق، ويقول: «**إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فأرفدوه**»[1] ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام.

وزاد بعض الرواة: قلت: كيف كان سكوته ﷺ؟ قال: كان سكوته على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.

فأما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس. وأما تفكره ففيما يفنى ويبقى، وجمع له الحلم ﷺ في الصبر، فكان لا يغضبه شيء يستفزه. وجمع له في الحذر أربع: أخذه

---

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٣٢).

بالحسن ليُقتدى به، وتركه القبيح ليُنتهى عنه، واجتهاد الرأي بما أصلح أمته، والقيام لهم بما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة ﷺ ورضي عن أصحابه أجمعين.

فائدة: في تفسير الألفاظ الغريبة في الحديث السابق قال القاضي عِياض:

«المشذب»: البائن الطول في نحافه، وهو مثل قوله في الحديث الآخر: ليس بالطويل الممغط.

«الشعر الرجل»: الذي كان مشط فتكسر قليلاً، ليس بسبط، ولا جعد.

«العقيقة»: شعر الرأس. أراد إن انفرقت من ذات نفسها فرقها، وإلا تركها معقوصة، ويروى عقيصته.

«أزهر اللون»: نيّره، وقيل: أزهر: حسن، ومنه زهرة الحياة الدنيا: أي زينتها، وهذا كما قال في الحديث الآخر: ليس بالأبيض الأمهق، ولا بالآدم. الأمهق: الناصع البياض. والآدم: الأسمر اللون. ومثله في الحديث الآخر: أبيض مشرب: أي فيه حمرة.

«الحاجب الأزج»: المقوس الطويل الوافر الشعر.

«والأقنى»: السائل الأنف المرتفع وسطه.

«والأشم»: الطويل قصبة الأنف.

«والقرن»: اتصال شعر الحاجبين، وضده البلج، ووقع في حديث أم معبد وصفه بالقرن.

«والأدعج»: الشديد سواد الحدقة، وفي الحديث الآخر: أشكل العين، وهي التي في بياضها حمرة.

«والضليع»: الواسع.

«والشنب»: رونق الأسنان، وماؤها. وقيل: رقتها، وتحزيز فيها، كما يوجد في أسنان الشباب.

«والفلج»: فرق بين الثنايا.

«ودقيق المسربة»: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة.

«وبادن»: ذو لحم.

«ومتماسك»: معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالمطهم، ولا بالمكلثم: أي ليس بمسترخي اللحم، والمكلثم: القصير الذقن.

«وسواء البطن والصدر»: أي مستويهما.

«ومشيح»: إن صحت هذه اللفظة فتكون من الإقبال، وهو أحد معاني أشاح: أي أنه ﷺ كان بادي الصدر، ولم يكن في صدره قعس، وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل: سواء البطن والصدر: أي ليس بمتقاعس الصدر، ولا مفاض البطن: أي ضخمه، ولعل اللفظة مسيح بالسين، وفتح الميم بمعنى: عريض، كما وقع في الرواية الأخرى. والكراديس رؤوس العظام وهي مثل قوله في الحديث الآخر: جليل المشاش والكتد. المشاش: رؤوس المناكب، والكتد: مجتمع الكتفين.

«وشثن الكفين والقدمين»: لحميهما.

«والزندان»: عظما الذراعين.

«وسائل الأطراف»: أي طويل الأصابع.

«ورحب الراحة»: أي واسعها، وقيل: كني به عن سعة العطاء والجود.

«وخمصان الأخمصين»: أي متجافي أخمص القدم، وهو الموضع الذي تناله الأرض من وسط القدم.

«ومسيح القدمين»: أي أملسهما، ولهذا قال: ينبو عنهما الماء، وفي حديث أبي هريرة خلاف هذا قال فيه: إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس به أخمص، وهذا يوافق معنى قوله: مسيح القدمين، وبه قالوا: سمي المسيح(١) ابن مريم: أي لم يكن له أخمص، وقيل مسيح القدمين: لا لحم عليهما، وهذا أيضاً يخالف قوله شثن القدمين.

«والتقلع»: رفع الرجل بقوة.

«والتكفؤ»: الميل إلى سنن المشي وقصده.

«والهون»: الرفق والوقار.

«الذريع»: الواسع الخطو أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة، ويمد خطوه بخلاف مشية المختال، ويقصد سمته، وكل ذلك برفق وتثبيت دون عجلة كما قال: كأنما يخطّ من صبب وقوله يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه: أي لسعة فمه، والعرب تتمادح بهذا، وتذم بصغر الفم.

«وأشاح»: مال وانقبض.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة: مَسَحَ.

«وحب الغمام»: البَرَد، وقوله: فيردد ذلك بالخاصة على العامة: أي جعل ﷺ من جزء نفسه ما يوصل الخاصة إليه فتوصل عنه للعامة، وقيل: ويجعل منه للخاصة، ثم يبدلها في جزء آخر بالعامة.

«ويدخلون رواداً»: أي محتاجين إليه وطالبين لما عنده ﷺ.

«ولا ينصرفون إلا عن ذواق»: قيل: عن علم يتعلمونه، ويشبه أن يكون على ظاهره أي في الغالب والأكثر.

«والعتاد»: العدة والشيء الحاضر المعد.

«والموازرة»: المعاونة.

وقوله «لا يوطن الأماكن»: أي لا يتخذ لمصلاه موضعاً معلوماً، وقد ورد نهيه هذا مفسراً في غير هذا الحديث.

«وصابره»: أي حبس نفسه على ما يريد صاحبه.

«ولا تؤبن فيه الحرم»: أي لا يذكرن بسوء.

«ولا تنثى فلتاته»: أي يتحدث بها: أي لم يكن فيه فلتة، وإن كانت من أحد سترت.

«ويرفدون»: يعينون.

«والصخاب»: الكثير الصياح.

وقوله: «ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ». قيل: من مقتصد في ثنائه ومدحه. وقيل: إلا من مسلم، وقيل: إلا من مكافئ على يد سبقت من النبي ﷺ له.

«ويستفزه»: يستخفه.

وفي حديث آخر في وصفه. «منهوس العقب»: أي قليل لحمها.

«وأهدب الأشفار»: أي طويل شعرها انتهى.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[عظيم قدره عند ربه ﷺ]

قوله في الباب الثالث من الشفاء الذي ذكر فيه: ما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره ﷺ عند ربه وعلو منزلته وما خصه به في الدارين من كرامته ﷺ لا خلاف أنه ﷺ

أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله عز وجل، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى.

واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً، وقد اقتصرنا منها على صحيحها، ومنتشرها فمما ورد من ذكر مكانته عند ربه، والاصطفاء، ورفعة الذكر، والتفضيل، وسيادة ولد آدم، وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب ما رواه بسنده لابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله قسم الخلق قسمين، فجعلني من خيرهم قسماً فذلك قوله عز وجل: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] و﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة: ٤١] أنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني من خيرها ثلثاً، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠] فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة، وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات: ١٣] الآية، فأنا أتقى ولد آدم، وأكرمهم على الله، ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني من خيرها بيتاً، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] الآية»**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: **«وآدم بين الروح والجسد»**[2].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: **«إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»**[3].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٥١). والسيوطي في جمع الجوامع (٤٩٢٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٥٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٢٥). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٣٦٩)، وفي الدر المنثور (٥: ١٩٩)، وفي دلائل النبوة (١: ١٣٣). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٥٧). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢١٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٩). وابن أبي شيبة في المصنف (١٤: ٢٩٢). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩١٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ٤٥٣). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٢٦٠). والبخاري في التاريخ الصغير (٧: ٣٧٤). والفتني في تذكرة للموضوعات (٨٦). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٧٢).

(٣) رواه الترمذي في السنن (٣٦٠٥). وأحمد في المسند (٤: ١٠٧). والسيوطي في جمع الجوامع (٤٦٨٢). والألباني في السلسلة الضعيفة (١٦٣). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٢٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٨٤). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٨٩). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ١٠٢). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٣٦٨)، وفي الدر =

ومن حديث أنس رضي الله عنه: «**أنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر**»[١]. وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «**أنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها عنه ﷺ: «**أتاني جبريل، فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أر رجلاً أفضل من محمد ﷺ، ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم**»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به فاستصعب عليه، فقال له جبريل: أبمحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه؟ فارفض عرقاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «**لما خلق الله آدم أهبطني إلى الأرض في صلبه، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبويّ لم يلتقيا على سفاح قط**»[٤].

وإلى هذا أشار العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ فقال فيه:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر ... ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد تخترق

وروى عنه ﷺ ابن عمر وعدة من الصحابة أنه قال: «**أعطيت خمساً ـ وفي بعضها ستاً ـ لم يعطهن نبي قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة، فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي، وبعثت إلى**

= المنثور (٣: ٢٩٤). وابن كثير في التفسير (٣: ٣٢٥)، وفي البداية والنهاية (٢: ٢٥٦). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٢). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٧٨).

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ١١٩). والبغوي في شرح السنة (٤: ١٧٨). والقرطبي في التفسير (٣: ٢٦٣). وابن كثير في التفسير (٧: ١٢). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٩٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء (١: ١٣).

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٧). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٥٣٠). وابن كثير في التفسير (٢: ٣٧٥).

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢١٧).

(٤) رواه الترمذي في السنن (٣٣٦٨).

الناس كافة، وأعطيت الشفاعة»[١] ـ وفي رواية ـ **«بعثت إلى الأحمر والأسود»**[٢].

وفي حديث أبي هريرة: **«نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم، بينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي، وختم بي النبيون»**[٣].

وعن عقبة بن عامر أنه ﷺ قال: **«إني فرط لكم على الحوض وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن. وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها»**[٤].

وعن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: **«أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم، وخواتمه، وعلمت خزنة النار وحملة العرش»**[٥].

وعن ابن وهب أنه ﷺ قال: **«قال الله تعالى سل: يا محمد، فقلت: يا رب سأل؟ اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليماً، واصطفيت نوحاً، وأعطيت سليمان ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فقال الله تعالى: ما أعطيتك خير من ذلك، أعطيتك الكوثر، وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جو السماء، وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمتك مصاحفها، وخبأت لك شفاعتك، ولم أخبّها لنبي غيرك»**[٦].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ٣). والنسائي في السنن (النحل ب ٤٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٤). والدارمي في السنن (٢٢٤). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٢١٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٥٩). والساعاتي في بدائع المنن (١٢٢). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣١٦). وابن حجر في فتح الباري (١: ٤٣٦). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٢٣٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٥٨). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٣٣). وابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٢٩١).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤: ١١٦). وابن عبد البر في التمهيد (٥: ٢١٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ٦٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٢٧). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ١٥٤). والهيثمي في موارد الظمآن (٢٠٠). والقرطبي في التفسير (١: ٤٩). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٣٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٩٤). وابن كثير في التفسير (٦: ١٠٠).

(٣) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٤٨).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (١٧٩٥). والنسائي في السنن (٤: ٦٢). وابن حجر في فتح الباري (٧: ٣٧٧).

(٥) رواه أحمد في المسند (٢: ١٧٢). والألباني في إرواء الغليل (٨: ١٢٨). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ١٤٩). والألباني في السلسلة الصحيحة (٣: ٤٦٠).

(٦) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٣٢). وفي مناهل الصفا (٢٩).

وفي حديث آخر رواه حذيفة: «بشرني - يعني ربه - أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، وأعطاني أن لا تجوع أمتي، ولا تغلب، وأعطاني النصر، والعزة، والرعب يسعى بين يدي أمتي شهراً، وطيب لي ولأمتي الغنائم وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ: «ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[2] معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين، ولم يشاهدها إلا الحاضر لها، ومعجزة القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عياناً لا خبراً إلى يوم القيامة.

وعن علي رضي الله عنه: كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم ﷺ أربعة عشر نجيباً منهم: أبو بكر، وعمر، وابن مسعود، وعمار.

وعن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله، وخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، ودعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى ابن مريم»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تعالى فضل محمداً ﷺ على أهل السمٰوات وعلى الأنبياء صلوات الله عليهم.

قالوا: فما فضله على أهل السماء؟ قال: إنّ الله تعالى قال لأهل السمٰوات: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ﴾ [الأنبياء:٢٩] الآية. وقال لمحمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] الآية.

قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم:٤] الآية. وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨].

وعن خالد بن معدان: أن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٣٢).

(٢) رواه البغوي في شرح السنة (٦: ٩٩). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٣٣). وابن كثير في التفسير (١: ٨٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤: ١٢٧). والطبراني في المعجم الكبير (١٨: ٢٥٢). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٨٠). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦).

نفسك، فقال: «نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم»[١] - يعني قوله: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩] «وبشرى عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام، واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي إذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوأة ثلجاً فأخذاني فشقا بطني من نحري إلى مراق بطني، ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء، ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه، ثم تناول أحدهما شيئاً فإذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر دونه، فختم به قلبي، ثم أعاده مكانه، ثم أمرّ الآخر يده على مفرق صدري فالتأم»[٢].

وفي رواية قال: «قلب وكيع» أي شديد فيه عينان تبصران وأذنان تسمعان، «ثم قال لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم، ثم قال: دعه عنك فلو وزنته بأمته لوزنها»[٣].

وقال ﷺ في الحديث الآخر: «ثم ضموني إلى صدورهم. وقبلوا رأسي، وما بين عيني، ثم قالوا لي: يا حبيب لِمَ تُرع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك» وفي بقية هذا الحديث من قولهم: «ما أكرمك على الله. إن الله معك وملائكته»[٤].

---

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في تاريخ الأمم والملوك (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٧٥).

(٢) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في تاريخ الأمم والملوك (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٧٥).

(٣) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في تاريخ الأمم والملوك (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٧٥).

(٤) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في تاريخ الأمم والملوك (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر =

وقال في حديث أبي ذر: «فما هو إلا أن ولّيا عني فكأنما أرى الأمر ـ أي النبوة والرسالة ـ معاينة»(١).

وحكى أبو محمد المكي وأبو الليث: أن آدم عليه السلام عند معصيته قال: اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي، فقال له الله تعالى: من أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك، فتاب الله عليه، وغفر له، وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة: ٣٧].

وفي رواية الآجري: فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم قدراً عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه وعزتي وجلالي إنه لآخر النبيين من ذريتك، ولولاه ما خلقتك. قال: وكان آدم يكنى بأبي محمد، وقيل: بأبي البشر.

وروي عن سريج بن يونس أنه قال: إن لله تعالى ملائكه سياحين عيادتها على كل دار فيها اسم أحمد أو محمد.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: على باب الجنة مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها، وذكر أنه وجد على الحجارة القديمة مكتوباً محمد تقي مصلح وسيد أمين.

وذكر السمنطاري أنه شاهد في بعض بلاد خراسان مولوداً ولد على أحد جنبيه مكتوب لا إله إلا الله وعلى الآخر محمد رسول الله، وذكر الأخباريون أن ببلاد الهند ورداً أحمر مكتوب عليه بالأبيض: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وروي عن جعفر بن محمد عن أبيه إذ كان يوم القيامة نادى منادٍ ألا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه ﷺ.

= المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٧٥).

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في تاريخ الأمم والملوك (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦). وابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (١٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٧٥).

وروى ابن القاسم في سماعه، وابن وهب في جامعه عن مالك قال: سمعت أهل مكة يقولون: ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما، ورزقوا، ورزق جيرانهم. وعنه ﷺ أنه قال: «ما ضر أحدكم أن يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة»[١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن الله تعالى نظر إلى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد ﷺ فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته.

وحكى النقاش: أن النبي ﷺ لما نزلت ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية، قام ﷺ خطيباً فقال: «يا معشر أهل الإيمان إن الله فضلني عليكم تفضيلاً، وفضل نسائي على نسائكم تفضيلاً» ﷺ تسليماً كثيراً.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[قصة الإسراء والمعراج به ﷺ]

قوله: ومن خصائصه ﷺ الإسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبّه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الأخبار قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء:١]، وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١] إلى قوله: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم:١٨]، ولا خلاف بين المسلمين في صحة الإسراء به ﷺ إذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد ﷺ فيه أحاديث كثيرة منتشرة.

روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار، ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ـ قال ﷺ ـ فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: اخترت الفطرة، ثم صعد بنا إلى السماء فاستفتح جبريل، فقيل من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: أَوَقَد بعث إليه، ففتح لنا

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥: ٣٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٥٢٠٥). ومناهل الصفا (٣١).

فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فذكر مثل الأول ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، وذكر مثله، فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة، فذكر مثله، فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة، فذكر مثله فإذا أنا بموسى، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فذكر مثله، فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذ ثمرها كالقلال. قال ﷺ فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشي تغيرت مما غشيها، فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ فقلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل فخبرتهم، فرجعت إلى ربي. فقلت: ربِّ خفف عن أمتي. فحط عني خمساً. فرجعت إلى موسى فقلت: حط عني خمساً. قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تعالى، وبين موسى، حتى قال تعالى: يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومَنْ هَمَّ بحسنة، فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة». قال: «فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف»، فقال رسول الله ﷺ: «قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه»[١].

وفي حديث الزهري قول كل نبي له ﷺ: «مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح، إلا آدم، وإبراهيم، فقالا له: والابن الصالح»[٢].

وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما، «ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»[٣].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الإيمان: ٢٥٩). وأحمد في المسند (٣: ١٤٨). والحاكم في المستدرك (٤: ٦٠٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٦٣)، وابن المنثور (٤: ١٣٦). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٨٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٤١).

(٢) رواه علي الغفار في مختصر العلو (٨٨).

(٣) رواه ابن حجر في فتح الباري (١: ٤٥٩).

وعن أنس رضي الله عنه: «ثم انطلق بي حتى أتيت سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، فلما جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك، قال: ربِّ هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي»(١). ومراده بالغلام: الشاب.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فحانت الصلاة فأممتهم، فقال قائل منهم: يا محمد هذا مالك خازن النار، فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام»(٢).

وفي حديث أبي هريرة: ثم سار حتى أتى بيت المقدس، فنزل فربط فرسه أي ـ البراق ـ إلى صخرة فصلى مع الملائكة، فلما قضيت الصلاة قالوا: يا جبريل من هذا معك؟ فقال: هذا محمد رسول الله خاتم النبيين. قالوا: وقد أرسل إليه. قال: نعم. قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ، ونعم الخليفة، ثم لقوا أرواح الأنبياء، فأثنوا على ربهم، وذكر كلام كل واحد منهم، وهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، وداود، وسليمان عليهم الصلاة والسلام، ثم ذكر كلام النبي ﷺ، فقال: وإن محمداً ﷺ أثنى على ربه، فقال: «كلكم أثنى على ربه، وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيراً ونذيراً وأنزل عليّ الفرقان فيه تبيان لكل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمتي أمة وسطًا، وجعل أمتي هم الأولون، وهم الآخرون، وشرح لي صدري ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحاً، وخاتماً».

فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد، ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا، ومن سماء إلى سماء نحو ما تقدم، ثم بعد أن ذكر صعوده إلى سدرة المنتهى ووصفها قال: فقال تبارك وتعالى له ﷺ: «سل»، قال: «إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وألنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً، وسخرت له الجن والإنس والشياطين، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلّمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه، والأبرص، وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيل»(٣)، وقال له ربه تعالى: قداتخذتك حبيباً، فهو

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣: ٦٣٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٤٣). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٨٣).

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٥٠). والسيوطي في دلائل النبوة(٢: ٣٨٧).

(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١: ٦٩). وابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٣٢٢). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٥١).

مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمٰن، وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلت أمتك هم الأولون، وهم الآخرون، وجعلت أمتك لا يجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقاً، وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني - وهي الفاتحة على الصحيح - ولم أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، ولم أعطها نبياً قبلك، وجعلتك فاتحاً، وخاتماً.

وفي الرواية الأخرى قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس، وأعطي خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من أمته المقحمات: أي السيآت المهلكات.

وفي حديث شريك: ثم علي به ﷺ فوق ذلك أي فوق السماء السابعة، والسدرة بما لا يعلمه إلا الله تعالى.

وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أراد الله تعالى أن يعلّم الأذان، جاء جبريل بدابة يقال لها: البراق، فذهب ﷺ يركبها فاستصبعت عليه، فقال لها جبريل عليه السلام: اسكني فوالله ما ركبك عبد أكرم على الله من محمد ﷺ، فركبها حتى أتى بها إلى الحجاب الذي يلي الرحمٰن وَبَيْنا هو كذلك إذ خرج ملك من الحجاب، فقال رسول الله ﷺ: «يا جبريل من هذا؟»[1] قال: والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً، وإن هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه، فقال الملك: الله أكبر الله أكبر، فقيل له من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر، ثم قال الملك: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، فقيل من وراء الحجاب: صدق عبدي أنا الله لا إلٰه إلا أنا، وذكر مثل هذا في بقية الأذان. إلا أنه لم يذكر جواباً عن قوله: حي على الصلاة حي على الفلاح، وقال: ثم أخذ الملك بيد محمد فقدمه أمام أهل السماء فيهم آدم، ونوح.

وقال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه: أكمل الله تعالى لمحمد ﷺ الشرف على أهل السمٰوات والأرض.

قال القاضي عِياض: ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق، فهم المحجوبون، والبارئ جل اسمه منزه عما يحجبه، إذ الحُجُب إنما تحيط بقدر محسوس، ولكن حجبه على أبصار خلقه، وبصائرهم، وإدراكاتهم بما شاء، وكيف

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٥٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٤٥٤). والزيلعي في نصب الراية (١: ٢٦٠).

شاء، ومتى شاء كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] فقوله في هذا الحديث: الحجاب. يجب أن يقال: إنه حجاب حُجِب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه، وعظمته، وعجائب ملكوته، وجبروته تعالى.

وأما قوله الذي يلي الرحمٰن أي يلي عرش الرحمٰن، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] يعني أهلها، وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أن الإسراء به ﷺ، إسراء بالجسد، وفي اليقظة، وهذا هو الحق وذكر أدلة ذلك والقائلين به.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر الخلاف في رؤيته لربّه، والأشهر أنها بعين رأسه ﷺ]

ذكره الخلاف في رؤيته ﷺ لربه عز وجل هل هي بعين رأسه، أو بعين قلبه؟ ورجح جوازها واستدل لذلك بأدلّة كثيرة، ونقل عن ابن عباس في ذلك قولين، وقدم منهما رؤيته بعينه. قال: وهو الأشهر عنه.

روي ذلك عنه من طرق متعددة، وقال رضي الله عنه، وهو ما رواه عنه الحاكم، والنسائي، والطبراني: إن الله اختص موسى بالكلام، وإبراهيم بالخلّة، ومحمداً بالرؤية، وحجته قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١١-١٣]، فالضمير على قولِهِ رضي الله عنه راجع إلى الله تعالى، ثم قال في الشفاء، وحكى عبد الرزاق: أن الحسن البصري كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه، وحكاه أبو عمر المقري عن عكرمة.

وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود، وحكى ابن إسحاق: أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم.

وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل، أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه، رآه، حتى انقطع نفسه يعني نفس أحمد، وهو يكرر لفظ رآه، قال ملا علي القاري في شرحه: والراجح كما قال النووي عند أكثر العلماء: إنه ﷺ رأى ربه بعني رأسه ليلة الإسراء وإثبات هذا ليس إلا بالسماع منه ﷺ، وهو مما لا يشك فيه، وإنكار عائشة وقوعها أي الرؤية لم يكن لحديث روته، ولو كان لحديث ذكرته، بل احتجت بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قلنا المراد بالإدراك الإحاطة إذ ذاته تعالى لا تحاط، ولا يلزم من نفي الإحاطة نفي الرؤية بدونها، ثم ذكر في الشفاء في ذلك أبحاثاً شريفة، وفوائد جمّة.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[في ذكره تفضيله ﷺ في القيامة]

ما ذكره من تفضيله ﷺ في القيامة وتخصيصه بالكرامة وروى بسنده إلى الترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذ وفدوا وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر»(١).

وفي رواية: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر ويطوف علي ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون»(٢).

وعن أبي هريرة من رواية الترمذي وصححه: «وأكسي حلة من حلل الجنة، ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من رواية الترمذي وحسنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ ـ آدم فمن سواه ـ إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر»(٤).

وعن أبي هريرة من رواية مسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»(٥).

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٨). وابن كثير في التفسير (٧: ١٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٥١٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٦٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٦). والسيوطي في دلائل النبوة (٥: ٤٨٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٧٨).

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ١١٩).

(٣) رواه الترمذي في السنن (٣٦١١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٦).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ٣). والترمذي في السنن (٣١٤٨). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٠٤). والقرطبي في التفسير (٣: ٢٦٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ١٥٧). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٤٤٢). والهيثمي في موارد الظمآن (٢١٢٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٢٢٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٨١). وأبو نعيم في حلية الأولياء (١: ١٣). وابن حجر في الشاف الكاف في تخريج الكشاف (٩٠). وابن كثير في التفسير (١: ١٧١).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ٣). والترمذي في السنن (٣١٤٨). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤١). =

وعن ابن عباس من رواية الترمذي: «**أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فأدخلها، فيدخلها معي فقراء المؤمنين، ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر**»[(١)].

وعن أنس من رواية مسلم: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الناس تبعاً**»[(٢)].

وعن أنس من رواية البخاري ومسلم قال النبي ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وتدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين**»[(٣)] وذكر حديث الشفاعة.

وعن أبي هريرة أنه ﷺ قال: «**أطمع أن أكون أكثر الأنبياء أجراً يوم القيامة**»[(٤)]. وفي حديث آخر: «**أما ترضون أن يكون إبراهيم، وعيسى فيكم يوم القيامة**»[(٥)]، ثم قال ﷺ: «**إنهما في أمتي يوم القيامة، وأما إبراهيم فيقول: أنت دعوتي، وذريتي، وأما عيسى فالأنبياء أخوة بنو علات وأمهاتهم شتى، وأنا عيسى أخي ليس بيني وبينه نبي وأنا أولى الناس به**»[(٦)].

وقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[(٧)]. هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة، ولكن

= والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٠٤). والقرطبي في التفسير (٣: ٢٦٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ١٥٧). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٤٤٢). والهيثمي في موارد الظمآن (٢١٢٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٢٢٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٨١). وأبو نعيم في حلية الأولياء (١: ١٣). وابن حجر في الشاف الكاف في تخريج الكشاف (٩٠). وابن كثير في التفسير (١: ١٧١).

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٦). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٠). وابن كثير في التفسير (٢: ٣٧٥). ومناهل الصفا (٣٣).

(٢) رواه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤: ٩٨). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٣٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٦٧). ومناهل الصفا (٣٣).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (١٨٤). بمعناه.

(٤) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٠). وفي مناهل الصفا (٣٣).

(٥) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠١). ومناهل الصفا (٣٣).

(٦) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠١). ومناهل الصفا (٣٣).

(٧) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٢٧). والترمذي في السنن (٢٤٣٤). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥). وابن كثير في التفسير (٥: ٤٣). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٠). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٣٩٥). والبخاري في التاريخ الكبير (٧: ٤٠٠). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣: ٣٧٣). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٥١١). والبغوي في شرح السنة (١٥: ١٥٣). والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ٣٧٧). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٤٤٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٢). والسيوطي في دلائل النبوة(٥: ٤٧٧).

أشار ﷺ لانفراده ﷺ فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره إذا لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، والسيد هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم، فكان حينئذ سيداً منفرداً من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك، ولا ادعاه كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، والملك له تعالى في الدنيا والآخرة، ولكن في الآخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا، ولذلك يلجأ إلى محمد ﷺ جميع الناس في الشفاعة، فكان سيدهم في الأخرى دون دعوى.

وعن أنس من رواية مسلم قال: قال رسول الله ﷺ: **«آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح، فيقول: الخازن من أنت فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»**[١].

وعن عبد الله بن عمر، وكما في الصحيحين قال: قال رسول الله ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه[٢] كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً»**[٣]، وذكر أحاديث أخرى في الحوض.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر تفضيله بالمحبة والخِلّة ﷺ]

قوله: وأما تفضيله ﷺ بالمحبة والخلة فقد جاءت بذلك الآثار الصحيحة، واختص ﷺ على ألسنة المسلمين بحبيب الله.

روى البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: **«لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر»**[٤]، وفي حديث آخر رواه مسلم: **«وأن صاحبكم خليل الله»**[٥].

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٣٣). وأحمد في المسند (٣: ١٣٦). والبغوي في شرح السنة (١٥: ١٦٧). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٥٢١). وابن كثير في التفسير (٧: ١١٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤٣). والألباني في السلسلة الصحيحة (٧٧٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٩٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٢).

(٢) الكيزان: الكوز من الأواني، معروف، وهو مشتقّ من ذلك والجمع أكواز، وكيزان، وكِوَزَة. حكاها سيبويه. وقال أبو حنيفة: الكوز فارسي. [لسان العرب، مادة: كوز].

(٣) رواه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة: ٢٧). وابن عبد البر في التمهيد (٢: ٣٠٧). وابن أبي عاصم في السنة (٢: ٣٣٧).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٥: ٤). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٥٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤١٢). وابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٢٩). وابن الجوزي في تذكرة الموضوعات (١: ٣٦٧).

(٥) رواه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة: ٦). والطبراني في المعجم الكبير (١: ١٣٠). والزبيدي =

وروى الترمذي وغيره من طريق عبد الله بن مسعود: «وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً»[١].

وعن ابن عباس كما رواه الدارمي، والترمذي عنه قال: جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه، فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً، إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى، كلمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، قال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم ﷺ فسلم وقال: «قد سمعت كلامكم وعجبكم. إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك، وموسى نَجِيّ الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله، ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها معي فقراء، ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر»[٢].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه من حديث الإسراء في قول الله تعالى لنبيه ﷺ: «إني اتخذتك خليلاً»، فهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمٰن.

قال ملا علي القاري: هنا وقفت على نسخة قديمة أي من الشفاء كان اللفظ فيها: «إني اتخذتك حبيباً»، ثم قال في الشفاء واختلف العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة، أو درجة المحبة، وأكثرهم جعل المحبة أرفع من الخلة لأن درجة الحبيب نبينا ﷺ أرفع من درجة الخليل إبراهيم عليه السلام.

وقد نقل الإمام أبو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاماً في الفرق بين المحبة والخلة يطول. جملة إشاراته ترجع إلى تفضيل مقام المحبة على الخلة، ونحن نذكر منه طرفاً يهدي إلى ما بعده.

فمن ذلك قوله الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ

= في إتحاف السادة المتقين (٦: ٣٤٢). دون لفظ: «وأن».

(١) رواه مسلم في الصحيح (فضائل الصحابة: ٤). وأحمد في المسند (١: ٤٦٣). والطبراني في المعجم الكبير (١٠: ١٢٩). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٢٥٠).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٦١٦). والدارمي في السنن (١: ١٢٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٦٢). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٣٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٧٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٨). وابن كثير في التفسير (٢: ٣٧٥)، وفي البداية والنهاية (١: ١٦٩).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام:٧٥]، والحبيب يصل إليه به من قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ [النجم:٩].

وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي﴾ [الشعراء:٨٢]، والحبيب هو الذي مغفرته في حد اليقين في قوله تعالى: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] الآية.

والخليل قال: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٧]، والحبيب قيل له: ﴿يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ [التحريم:٨] فابتدئ بالبشارة قبل السؤال، والخليل قال في المحنة: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة:١٢٩]، والحبيب، قيل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤]، والخليل قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ﴾ [الشعراء:٨٤]، والحبيب قيل له: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح:٤] أعطي بلا سؤال، والخليل قال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، والحبيب قيل له: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود]

ما ذكره من تفضيله ﷺ بالشفاعة والمقام المحمود، وقال: قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩].

روى البخاري عن عمر رضي الله عنهما أنه قال: إن الناس يصيرون جثى. كل أمة تتبع نبيها. يقولون: يا فلان اشفع لنا، يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

وروى أحمد عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سئل عن المقام المحمود، فقال: «هي الشفاعة»(١).

وروى أحمد عن كعب بن مالك عنه ﷺ: «يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة خضراء، ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود»(٢).

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٣١٣٧).
(٢) رواه أبو داود في السنن (بعث ٢٧). والطحاوي في مشكل الآثار (١: ٤٤٩). والقاضي عِياض في =

وذكر روايات أخرى في ذلك منها رواية أحمد عن ابن مسعود: أن المقام المحمود هو قيامه ﷺ عن يمين العرش مقاماً لا يقومه غيره، يغبطه فيه الأولون والآخرون، ثم قال: وعن أبي موسى في رواية ابن ماجه عنه ﷺ أنه قال: **«خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين، ولكنها للمذنبين الخطائين»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي والحاكم وصححه قلت: يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة؟ فقال: **«شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً يصدق لسانه قلبه»**(٢).

وعن أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها كما رواه البيهقي والحاكم أنه ﷺ قال: **«أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم، فسألت الله أن يؤتيني شفاعة فيهم ففعل»**(٣).

وقال حذيفة كما رواه البيهقي والنسائي: يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر عراة كما خلقوا سكوتاً لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه فينادي محمداً ﷺ فيقول: **«لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهتدي من هديت، وعبدك بين يديك، ولك وإليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت»**(٤).

قال حذيفة: فذلك المقام المحمود الذي ذكره الله، وذكر روايات أخرى، ثم قال: وعلى أن المقام المحمود مقامه ﷺ للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين، ثم ذكر حديث الشفاعة بطوله.

ثم ذكر من رواية حذيفة قال: فيأتون محمداً فيشفع فيضرب الصراط فيمرون أولهم

= كتاب الشفا (١: ٤١٩). ومناهل الصفا (٣٤).

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٧٥). والطبراني في المعجم الكبير (١٨: ٦٣). وابن أبي عاصم في السنة (٢: ٣٦٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ٣٠٧). والهيثمي في موارد الظمآن (٢٥٩٤). والطبراني في المعجم الكبير (٢: ٩). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٤٣٧). ومناهل الصفا (٣٥).

(٣) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٩٠٦٠). والحاكم في المستدرك (١: ٦٨). وابن أبي عاصم في المصنف (١: ٩٦).

(٤) رواه الشافعي في المسند (١٢٢).

كالبرق، ثم كالريح، والطير، وشد الرجال، ونبيكم على الصراط يقول: **«اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس»**[١] وفي رواية أبي هريرة فأكون: **«أول من يجيز»**[٢].

وعن ابن عباس كما رواه الشيخان عنه ﷺ أنه قال: **«يوضع للأنبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً، فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم، فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي، ولا أزال أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد أمر بهم إلى النار حتى إن خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من نقمة»**[٣].

ومن رواية أنس ورواه أحمد عن بريدة أن رسول الله ﷺ قال: **«لأشفعن يوم القيامة لأكثر مما في الأرض من حجر وشجر»**[٤].

وذكر في الشفاء أحاديث أخرى في معنى الشفاعة، والمقام المحمود، ثم قال: فقد اجتمع من اختلاف ألفاظ هذه الآثار أن شفاعته ﷺ مقامه المحمود من أول الشفاعات إلى آخرها من حين يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر، ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه.

وذلك قبل الحساب، فيشفع حينئذٍ لإراحة الناس من الموقف، ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس، فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من أمته إلى الجنة، ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الأحاديث الصحيحة، ثم فيمن قال لا إله إلا الله، وليس هذا لسواه ﷺ.

وفي الحديث المنتشر الصحيح: **«لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»**[٥] ودعوته هذه مخصوصة بالأمة مضمونة الإجابة جزاه الله أحسن ما جزى نبياً عن أمته و ﷺ تسليماً كثيراً.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٩٣). وأبو داود في المراسيل (١٣٠). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٢٩٣). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤: ١٣٦٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٩٣). وأبو داود في المراسيل (١٣٠). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٢٩٣). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤: ١٣٦٢).

(٣) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٤٤٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٩١١٧). وفيه: «منابر من ذهب».

(٤) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢: ٣٧٩). ومناهل الصفا (٣٥).

(٥) رواه البخاري في الصحيح (٨: ٨٢). ومالك في الموطأ (٢١٢).

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والكوثر والفضيلة]

ما ذكره من تفضيله ﷺ في الجنة بالوسيلة والكوثر والفضيلة، روى بسنده حديث أبي داود عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلوا علي فأنه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشراً، ثم اسألوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»(١).

وفي حديث آخر رواه الترمذي عن أبي هريرة: الوسيلة أعلى درجة في الجنة. وعن أنس كما في البخاري قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ. قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله تعالى. قال: ثم ضرب بيده إلى طينه فاستخرج مسكاً»(٢).

وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله مع زيادة قوله ﷺ: «ومجراه على الدر والياقوت، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج»(٣).

وفي رواية عن النبي ﷺ: «فإذا هو يجري أي على وجه الأرض ولم يشق شقاً عليه حوض ترد عليه أمتي»(٤)، ثم ذكر رحمه الله تعالى روايات أخرى في حوضه، وكوثره ﷺ يراجعها من شاءها.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الصلاة: ١١). وأبو داود في السنن (٥٢٣). والترمذي في السنن (٣٦١٣). والنسائي في السنن (٢: ٢٥). وابن خزيمة في الصحيح (٤١٨). والبغوي في شرح السنة (٢: ٢٨٤). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٦٥٧). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ٣١٢). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٤١٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٠٩٩٨). وابن تيمية في الكلم الطيب (٧٠). وابن سني في عمل اليوم والليلة (٨٨). وابن حجر في تلخيص الحبير (١: ٢١١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٦١). وابن كثير في التفسير (٤: ١١٦). وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث (٥٠٣). والألباني في إرواء الغليل (١: ٢٢٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣: ٢٠٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٨). وابن حجر في فتح الباري (٧: ٢١٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٦٦). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٣٥). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٥١٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٩١٣٣). ومناهل الصفا (٣٩).

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٣٥).

(٤) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٣٩). وفيه: «حوضي».

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر أسمائه الشريفة وما تضمنية من فضيلته ﷺ]

ما ذكره من أسمائه ﷺ وما تضمنته من فضيلته وروى بسنده ومن رواية مالك إلى جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[1].

وقد سماه الله في كتابه محمداً أو أحمد فمن خصائصه تعالى له ﷺ أنْ ضَمَّنَ أسماءه ثناءه، فطوى أثناء ذكره عظيم شكره.

فأما اسمه أحمد فَأَفْعَل مبالغة من صفة الحمد، ومحمد مَفْعَل مبالغة من كثرة الحمد، فهو ﷺ أجل من حَمِدَ، وأفضل من حُمِد، وأكثر الناس حمداً، فهو أحمد المحمودين، وأحمد الحامدين، ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له ﷺ كمال الحمد، ويشتهر في تلك العرصات[2] بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده.

يحمده فيه الأولون والآخرون بشفاعته لهم، ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال عليه ﷺ ما لم يعط غيره، وسمى أمته في كتب أنبيائه بالحمادين، فحقيق أن يسمى ﷺ محمداً وأحمد، ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته فن آخر، ، وهو أن الله جل اسمه حمى أن يسمى بهما أحد قبل زمانه.

أما أحمد الذي أتى في الكتب وبشرت به الأنبياء فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمى به أحد غيره، ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب أو شك، وكذلك محمد أيضاً لم يسم به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاده أن نبياً يبعث اسمه محمد، فسمى قوم أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم حمى الله تعالى كل من تسمى به أن يدعي النبوة، أو يدعيها أحد له، أو يظهر عليه سبب يشكك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان أي العلامتان الدالتان على الحمدية والأحمدية له ﷺ، ولم ينازع فيها.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٢٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٦٥). والسيوطي في دلائل النبوة(١: ١٥٤). وابن عبد البر في التمهيد (٩: ١٥١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٢٠٢). وابن عبد البر في تجريد التمهيد (٤٤٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٤٨). وابن كثير في التفسير (٥: ٨٣٢). والقرطبي في التفسير (٧: ٣٢٦). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٢٧٤).

(٢) العرصات: جمع عرصة وهي الساحة. [لسان العرب، مادة: عرص].

وأما قوله: **وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر** ففسر في الحديث ويكون محو الكفر، إمّا من مكة وبلاد العرب [أ]و ما زُوِيَ له من الأرض ووُعد أنه يبلغه ملك امتداداً، يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة كما قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] .

قال ومعنى قوله: لي خمسة أسماء. قيل: إنها موجودة بالكتب المتقدمة، وعند أولي العلم من الأمم السالفة، وقد روي عنه ﷺ عشرة أسماء، وذكر منها طه ويس.

وفي حديث آخر «**لي عشرة أسماء**»[١] الخمسة في الحديث الأول. قال: «**وأنا رسول الرحمة، ورسول الراحة، ورسول الملاحم، وأنا المقفى قفيت النبيين، وأنا قيم، والقيم الجامع الكامل**»[٢].

وقد وقع في كتب الأنبياء قال داود عليه السلام: اللهم ابعث لنا محمداً مقيم السنة بعد الفترة. فقد يكون القيم بمعناه.

وفي حديث آخر زيادة «**المدثر والمزمل وعبد الله**»[٣]. وفي حديث آخر زيادة «**خاتم**»[٤]، وفي حديث آخر زيادة «**نبي التوبة، ونبي الملحمة، ونبي الرحمة، ونبي الراحة وكل صحيح إن شاء الله تعالى**»[٥] ومعنى المقفى معنى العاقب، وأما نبي الرحمة، والتوبة، والمرحمة، والراحة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] كما وصفه بأنه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى صراط مستقيم، وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

وقد قال في صفة أمته أمة مرحومة، وقال فيهم: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] أي يرحم بعضهم بعضاً، فبعثه ربه رحمة لأمته ورحمة للعالمين، ورحيماً لهم ومترحماً ومستغفراً لهم، ووصف أمته بالرحمة وأمرها بالتراحم، وأثنى عليها فقال: «**إن الله يحب من عباده الرحماء**»[٦].

وقال: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في**

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦٣). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٤٨). ومناهل الصفا (٤: ٣٦).
(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١). ومناهل الصفا (٣٦).
(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١). ومناهل الصفا (٣٦).
(٤) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١). ومناهل الصفا (٣٦).
(٥) رواه البغوي في شرح السنة (١٣: ٢١٣). والترمذي في الشمائل (١٩٧).
(٦) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٥٢). ومناهل الصفا (٣٦).

السماء»[١]. وأما رواية: «نبي الملحمة»[٢] فإشارة إلى ما بعث به ﷺ من القتال والسيف، وهي صحيحة.

وروى الحربي في حديثه ﷺ أنه قال: «أتاني ملك فقال: أنت قُثَم»[٣] أي مجمع، قال: والقثوم: الجامع للخير، وهذا اسم هو في أهل بيته ﷺ معلوم.

وقد جاءت من ألقابه ﷺ وسماته في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور، والسراج المنير، والمنذر، والنذير، والمبشر، والبشير، والشاهد، والشهيد، والحق المبين، وخاتم النبيين، والرؤوف الرحيم، والأمين، وقدم الصدق، ورحمة للعالمين، ونعمة الله، والعروة الوثقى، والصراط المستقيم، والنجم الثاقب، والكريم، والنبي الأمي، وداعي الله في أوصاف كثيرة، وسمات جليلة، وجرى منها في كتب الله المتقدّمة، وكتب أنبيائه وأحاديث رسوله، وإطلاق الأمة جملة شافية كتسميته ﷺ بالمصطفى، والمجتبى، وأبي القاسم، والحبيب، ورسول رب العالمين، والشفيع المشفع، والمتقي، والمصلح، والطاهر، والمهيمن، والصادق، والمصدوق، والهادي، وسيد ولد آدم، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين يوم القيامة، وخليل الرحمٰن، وصاحب الحوض المورود، والشفاعة، والمقام المحمود، وصاحب الوسيلة والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وصاحب التاج، والمعراج، واللواء، والقضيب، وراكب البراق والناقة والنجيب، وصاحب الحجة والسلطان، والخاتم، والعلامة، والبرهان، وصاحب الهراوة والنعلين.

ومن أسمائه ﷺ في الكتب المتقدّمة المتوكل، والمختار، ومقيم السنة، والمقدس،

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٤٩٤١). والترمذي في السنن (١٩٢٤). وأحمد في المسند (٢: ١٦٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ٤١). والحاكم في المستدرك (٤: ١٥٩). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٢٠٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٦٩). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٦٥). وابن حجر في فتح الباري (١٣: ٣٥٩). وابن أبي شيبة في المصنف (٨: ٣٣٨). والبخاري في الصحيح (٩: ٦٤). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣: ٢٦٠). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٥٢٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٥٩٦٩).

(٢) رواه أبو داود في السنن (٤٩٤١). والترمذي في السنن (١٩٢٤). وأحمد في المسند (٢: ١٦٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ٤١). والحاكم في المستدرك (٤: ١٥٩). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٢٠٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٤٩٦٩). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٦٥). وابن حجر في فتح الباري (١٣: ٣٥٩). وابن أبي شيبة في المصنف (٨: ٣٣٨). والبخاري في الصحيح (٩: ٦٤). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣: ٢٦٠). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٥٢٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (٥٩٦٩).

(٣) رواه في مناهل الصفا (٣٦).

وروح القدس، وروح الحق، وهو معنى البارقليط في الإنجيل، وقال ثعلب: البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل.

ومن أسمائه ﷺ في الكتب السالفة: ماذ ماذ ومعناه: طيب طيب. وحمطايا، والخاتم، والحاتم حكاه كعب الأحبار، وقال ثعلب: الخاتم الذي ختم الله به الأنبياء، والحاتم أحسن الأنبياء خَلْقاً وخُلُقاً، ويسمى بالسريانية: مشفح والمنحمنا.

واسمه أيضاً في التوراة: أحيدروي، ذلك عن ابن سيرين، وصاحب القضيب أي السيف، وقع ذلك مفسراً في الإنجيل. قال: معه قضيب من حديد يقاتل به وأمته كذلك، وقد يحمل على أنه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه ﷺ.

وأما الهراوة التي وصف بها ﷺ فهي في اللغة: العصا، وأراها والله أعلم المذكورة في حديث الحوض: «أذود الناس عنه بعصاي»[1] لأهل اليمن.

وأما التاج، فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذٍ إلا للعرب. «العمائم تيجان العرب»[2].

قال رحمه الله تعالى: وأوصافه وألقابه وسماته ﷺ في الكتب كثيرة، وفيما ذكرناه منها مقنع إن شاء الله تعالى. وكانت كنيته ﷺ المشهورة: أبا القاسم.

روي عن أنس رضي الله عنه أنه لما ولد له ﷺ إبراهيم، جاءه جبريل عليه السلام، فقال له: السلام عليك يا أبا إبراهيم.

يقول الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه قد أبلغت بالتتبع أسماء النبي ﷺ إلى ثمانية ونيف وعشرين اسماً، ونظمتها في مزدوجة سميتها: **أحسن الوسائل في أسماء النبي الكامل ﷺ**، وأفردتها منثورة مرتبة على الحروف مع شرح قليل ما يلزمه الشرح منها، وذِكْر فوائد مهمة تتعلق بها في كتاب مستقل سميته: **الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسماء**، وقد طبع مع المنظومة وانتشر ولا حاجة لذكره هنا، لكني أذكر منها ما خلعه الله تعالى من فضله على نبيه ﷺ من أسمائه الحسنى، وقد بَلَغت بحسب اطلاعي واحداً وثمانين اسماً ذكرتها في الفائدة الرابعة من مقدمة كتابي الأسمى المذكور.

فقلت: قال في المواهب: وقد جاءت من ألقابه ﷺ وسماته في القرآن عدة كثيرة

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ٣٦٦). بمعناه.

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢٥٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤١١٣٢). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩٤). والفتني في تذكرة الموضوعات (١٥٥). والشوكاني في الفوائد المجموعة (١٨٧).

وتعرض جماعة لتعدادها وبلغوا بها عدداً مخصوصاً، فمنهم من بلغ تسعة وتسعين موافقاً لعدد أسماء الله الحسنى الواردة في الحديث.

قال القاضي عِياض: وقد خصه الله تعالى بأن سماه من أسمائه الحسنى بنحو ثلاثين اسماً.

قال الزرقاني: وزادوا على ما ذكره أزيد من ضعفه، وقد قال المصنف ـ يعني القسطلاني ـ في المقصد السادس أي من المواهب: إن الله تعالى سماه من أسمائه الحسنى بنحو سبعين كما بينت ذلك في أسمائه. انتهى.

قال الزرقاني بعده، وسترى بيان ذلك قريباً، ثم بينه مفرقاً مع أسمائه ﷺ بحسب الحروف وقد جمعتها منه فبلغت سبعة وسبعين اسماً، ثم خطر لي أن أجمعها من الروايات الثلاث الواردة عن أبي هريرة رضي الله عنه في عدد أسماء الله الحسنى.

وما روي عن جعفر الصادق في عددها، وقد ذكرت جميع هذه الروايات في كتابي: **الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى**، فرأيت أن أسماء النبي ﷺ التي جمعتها في هذا الكتاب على الحروف يوجد منها واحد وثمانون اسماً من أسمائه تعالى المذكورة في روايات أبي هريرة. الثلاث وما روي عن جعفر الصادق وهي هذه:

الأول، الآخر، الأحد، الأكرم، البصير، الباطن، البر، البديع، البرهان، الجبار، الجليل، الجامع، الحكم، الحليم، الحفيظ، الحكيم، الحق، الحميد، الحي، الحافظ، الخافض، الخبير، ذو الفضل، ذو القوة، الرافع، الرقيب، الرؤوف، الرشيد، الرحيم، السلام، السميع، السريع، الشاكر، الشكور، الشديد، الشهيد، الصادق، الصبور، الظاهر، العزيز، العليم، العدل، العظيم، العلي، العفو، العالم، الغفور، الغني، الفتاح، الفرد، القوي، القريب، القائم، الكريم، الكافي، الكفيل، الملك، المؤمن، المهيمن، المجيب، المجيد، المتين، المحيي، الماجد، المقدم، المقسط، المغني، المبين، المنيب، المليك، المعطي، المنير، النور، الهادي، الوهاب، الواسع، الوكيل، الولي، الواجد، الوالي، الوافي.

فائدة: قال القاضي أبو الفضل عِياض رحمه الله تعالى بعد أن ذكرها ما خلعه الله على نبيه سيدنا محمد ﷺ من أسمائه الحسنى وهٰهنا أذكر نكتة أذيّل بها هذا الفصل، وأختم بها هذا القسم، وأزيح الإشكال بها فيما تقدم أي من متشابه الحديث، وغيره عن كل ضعيف الوهم، سقيم الفهم تخلصه، من مهاوى التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه، وهو أن يعتقد أن الله جل اسمه في عظمته، وكبريائه وملكوته، وحسنى أسمائه وعلا صفاته، لا يشبه شيئاً من

مخلوقاته، ولا يشبهه شيء، وإن جاء مما أطلقه الشرع على الخالق، وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق، فكما أن ذاته تعالى لا تشبه الذوات، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفك عن الأعراض والأغراض، وهو منزه عن ذلك، بل لم يزل بصفاته، وأسمائه وكفى في هذا قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات، ولا معطلة عن الصفات.

وزاد هذه النكتة الواسطي بياناً، وبرهاناً وهو مقصودنا فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثة، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة، وهذا كله مذهب أهل الحق، والسنة والجماعة رضي الله عنهم.

وقد فسر الإمام أبو القاسم القشيري، قوله هذا ليزيده بياناً فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد، وكيف تشبه ذاته تعالى ذات المحدثات، وهي بوجودها مستغنية، وكيف يشبه فعله تعالى فعل الخلق، وهو لغير جانب أنس، أو دفع نقص حصل، ولا لخواطر وأغراض وجدولاً بمباشرة، ومعالجة ظهر وفعل الخلق، لا يخرج عن هذه الوجوه.

وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه بأوهامكم، وأدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم.

وقال الإمام أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره، فهو مشبه ومن اطمأن إلى النفي المحض، فهو معطل، وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته، فهو موحد.

وما أحسن قول ذي النون المصري: حقيقة التوحيد، أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج، وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه، وما تصور في وهمك فالله بخلافه.

وهذا الكلام عجيب نفيس محقق والفصل الأخير هو تفسير: لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[الشورى:١١] تفسير لقوله تعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[الأنبياء: ٢٣] تفسير لقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ثبتنا الله تعالى وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه، وجنبنا طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه، بمنه وفضله ورحمته.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[الاستدلال بكثرة معجزاته وأوصافه الجميلة على صحة نبوته ﷺ]

قوله في أول الباب الرابع من القسم الأول من الشفاء، الذي عقده لبيان معجزاته، وخصائصه وكرامته ﷺ، نيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته، ومشاهير آياته، لندل على عظيم قدره عند ربه، وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد، وأكثره مما بلغ أو كاد، وأضفنا إليها بعض ما وقع من مشاهير، كتب الأئمة، وإذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه، من جميل وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله، وحلمه، وجملة كماله وجميع خصاله، وشاهد حاله، وصواب مقاله لم يمار في صحة نبوته، وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه، والإيمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما بأسانيدهم، أن عبد الله بن سلام قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، جئته لأنظر إليه فلما استبنت وجهه عرفت، إن وجهه ليس بوجه كذاب.

وعن أبي رمثة التميمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ ومعي ابن لي، فأريته فلما رأيته قلت هذا نبي الله ﷺ.

روى مسلم وغيره أن ضماداً لما وفد عليه فقال له النبي ﷺ: **«إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»**[1] قال له: أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فلقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك.

وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق، فأخبر أنه رأى النبي ﷺ بالمدينة فقال ﷺ: **«هل معكم شيء تبيعونه»** قلنا: هذا البعير قال: **«بكم»**، قلنا: بكذا وكذا وسقاً من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة، فقلنا: بعنا من رجل، لا ندري من هو ومعنا ظعينة، فقالت: أنا ضامنة لثمن البعير، رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر، لا يخيس بكم، فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا.

وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه أن رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام، قال

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٥٩٣). والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٨٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٣٦١٩). وابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٠٢). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٨٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٦٠).

الجلندي: والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير، إلا كان أول آخذيه، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي.

وقال نفطويه في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥]. هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه ﷺ، يقول تعالى يكاد منظره يدل على نبوته، وإن لم يتل قرآناً كما قال ابن رواحة رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[وصف معجزاته بالإجمال ﷺ وأعظمها القرآن]

أنه ساق رحمه الله تعالى معجزاته ﷺ أحسن سياق، وذكرها وابتدأ ببيان إعجاز القرآن، وأتى من وجوه إعجازه الكثيرة على ما يتيقن، كل منصف اطلع أنه كلام الله حقاً ليس في استطاعة أحد من خلق الله تعالى الإتيان بمثل أقصر سورة منه، وذكر بعده من أنواع معجزاته ﷺ انشقاق القمر، وحبس الشمس، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وتفجر الماء ببركته، وانبعاثه بمسه، ودعوته، وتكثير الطعام ببركته ودعائه، وكلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته، وقصة حنين الجذع، وما وقع من سائر الجمادات وأنواع الحيوانات من المعجزات، وإحياء الموتى، وإبراء المرضى، وذوي العاهات، وإجابة دعائه ﷺ - وهذا باب واسع جداً - وكراماته، وبركاته، وانقلاب الأعيان فيما لمسه أو باشره، وما أُطلع عليه من الغيوب فيما كان وما يكون، والأحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره، ولا ينزف غمره، وهذه المعجزة من جملة معجزاته ﷺ المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حتى إنْ كان بعضهم ليقول لصاحبه: اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء.

ومع ذكر أشراط الساعة، وآيات حلولها، والنشر، والحشر، وعرصات القيامة، ويحسب هذا الفصل أن يكون ديواناً مفرداً يشتمل على أجزاء وحده، وفي عصمة الله تعالى له ﷺ من الناس، وكفايته من أذاهم، وذكر من كل هذه الأنواع معجزات كثيرة إلى أن قال: ومن معجزاته ﷺ الباهرة ما جمعه الله له من المعارف، والعلوم، وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا، والدين، ومعرفته بأمور شرائعه، وقوانين دينه، وسياسة عباده، ومصالح أمته، وما كان في الأمم قبله وقصص الأنبياء، والرسل، والجبابرة، والقرون الماضية من لدن

آدم عليه السلام إلى زمنه، وحفظ شرائعهم، وكتبهم ووعي سيرهم، وسرد أنبائهم، وأيام الله فيهم، وصفات أعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم وأعمارهم، وحكم حكمائهم ومحاجة كل أمة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من أهل الكتابين لما في كتبهم، وإعلامهم بأسرارها ومخبآت علومهم وأخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه إلى الاحتواء على لغة العرب وغريب ألفاظ فرقها، والإحاطة بضروب فصاحتها والحفظ لأيامها، وأمثالها، وحكمها، ومعاني أشعارها، والتخصيص بجوامع كلمها إلى المعرفة بضرب الأمثال الصحيحة، والحكم البينة بتقريب التفهيم للغامض، والتبيين للمشكل إلى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه، ولا تخاذل فيما أنزل علينا مع اشتمال شريعته ﷺ على محاسن الأخلاق ومحامد الآداب، وكل شيء مستحسن مفصل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئاً إلا من جهة الخذلان، بل كل جاحد له وكافر ـ من الجاهلية ـ به ﷺ إذا سمع ما يدعو إليه صوبه واستحسنه دون طلب إقامة برهان عليه، ثم ما أحل لهم من الطيبات، وحرم عليهم من الخبائث، وصان به أنفسهم وأعراضهم وأموالهم من المعاقبات والحدود عاجلاً، والتخويف بالنار آجلاً مما لا يعلم، ولا يقوم به ولا ببعضه إلا من مارس الدرس والعكوف على الكتب مع الاحتواء على ضروب العلم، وفنون المعارف كالطب، والعبارة أي تعبير الرؤيا، والفرائض، والحساب، والنسب، وغير ذلك من العلوم مما اتخذ أهل هذه المعارف كلامه ﷺ فيها قدوة وأصولاً في علمهم، ثم ذكر رحمه الله تعالى جملة أحاديث تتعلق بالفنون التي ذكرها وأتبعها بأنبائه وآياته ﷺ مع الملائكة والجن، ثم أتبع ذلك بدلائل نبوته وعلامات رسالته وما ترادفت به الأخبار عن الرهبان والأحبار، وعلماء أهل الكتاب، من صفته، وصفة أمته، واسمه، وعلاماته، وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وجد في ذلك من أشعار الموحدين المتقدمين، ومما أخبر به الكهان، وسمع من هواتف الجن، ومن ذبائح النصب أي الأصناف وأجواف الصور وما وجد من اسم النبي ﷺ والشهادة له بالرسالة مكتوباً في الحجارة والقبور بالخط القديم ما أكثره مشهور ومعلوم عند من اطلع على سيرته الشريفة ﷺ، وذكرت منه في حجة الله على العالمين شيئاً كثيراً.

ومن جواهر القاضي عِياض أيضاً

[ذكر ما ظهر عند ولادته ﷺ من الآيات وخوارق العادات]

قوله: ومن ذلك ما ظهر من الآيات وخوارق العادات عند مولده ﷺ. وما حكته أمه ومن حضره من العجائب. وكونه رافعاً رأسه عندما وضعته شاخصاً ببصره إلى السماء، وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته حتى رؤيت منه قصور بُصرى، كما رواه الإمام

أحمد، والبيهقي عن العرباض، وأبي أمامة. وما رأته إذ ذاك أم عثمان بن أبي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر إلاَّ النور.

وقول الشفاء: أم عبد الرحمٰن بن عوف، وهي قابلته لما سقط ﷺ على يدي واستهل سمعت قائلاً يقول: رحمك الله وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت إلى قصور الروم، وما تعرفت به مرضعته حليمة السعدية وزوجها من بركته ودرور لبنها له، ولبن شارفها، أي ناقتها المسنة، وخصب غنمها وسرعة شبابه، وحسن نشأته.

وما جرى من العجائب ليلة مولده ﷺ كما رواه البيهقي وغيره من ارتجاج إيوان كسرى، وسقوط شرفاته، وغيض بحيرة طبرية، وخمود نار فارس، وكان لها ألف عام لم تخمد، وأنه ﷺ كان إذا أكل مع عمه أبي طالب وآله وهو صغير شبعوا وإذا غاب فأكلوا في غيبته لم يشبعوا، وكان سائر ولد أبي طالب يصبحون شعثاً، ويصبح ﷺ صقيلاً دهيناً كحيلاً.

قالت أم أيمن (حاضنته): ما رأيته ﷺ اشتكى جوعاً ولا عطشاً صغيراً ولا كبيراً. ومن ذلك حراسة السماء بالشهب، وقطع رصد الشياطين، ومنعهم استراق السمع وما نشأ عليه من بغض الأصنام، والعفة عن أمور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك، وحماه حتى ستره في الخبر المشهور، عند بناء الكعبة، كما رواه البخاري، ومسلم عن جابر إذ أخذ ﷺ إزاره، ليجعله على عاتقه ليحمل، عليه الحجارة وتعرى فسقط على الأرض، حتى رُد عليه، فقال له عمه العباس، ما بالك قال: «إني نُهيت عن التعري»[١].

ومن ذلك إظلال الله تعالى له، بالغمام في سفره كما رواه الترمذي، وغيره، في رواية أن خديجة رضي الله عنها ونسائها رأينه ﷺ لما قدم ـ أي من الشام ـ وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة غلامها فأخبرها أنه رأى ذلك، منذ خرج معه في سفره.

وقد روي أن حليمة رأت غمامة تظله، وهو عندها، وروي ذلك عن أخيه من الرضاعة.

ومن ذلك أنه نزل في بعض أسفار قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فأعشب ما حولها، وأينعت هي فأشرقت وتدلت عليه أغصانها، بمحضر من رآه وميل فيء الشجرة إليه، في الخبر الآخر حتى أظلته.

وما ذكر من أنه ﷺ كان لا ظل لشخصه، في شمس، ولا قمر لأنه كان نوراً، وأن الذباب كان لا يقع على جسده، ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة إليه، حتى أوحي إليه أي

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١ : ٧٣١).

بنزول القرآن عليه، كما في الصحيحين، ثم إعلامه بموته ودنو أجله، كما في الصحيحين أيضاً، وأن قبره بالمدينة وفي بيته، وأن بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وتخيير الله تعالى له ﷺ عند موته، أي بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة، وقال: «اللهم الرفيق الأعلى»[1]، وهي آخر كلمة تكلم بها ﷺ.

وما اشتمل عليه حديث الوفاة، كما رواه الشافعي في سننه من كراماته، وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده، واستئذان ملك الموت عليه، ولم يستأذن على غيره قبله، وندائهم الذي سمعوه أن لا تنزعوا القميص عنه، عند غسله ولو يروا قائل ذلك

وما روي عن تعزية الخضر والملائكة أهل بيته، عند موته ﷺ إذ سمعوا قائلاً، لا يرون شخصه السلام عليكم أهل البيت، ورحمة الله وبركاته، إن في الله خلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا وإياه فأرجوا فإن المصاب من حرم الثواب، رواه البيهقي في دلائل النبوة، ورواه الشافعي والطحاوي أيضاً، إلى ما ظهر على أهل بيته وأصحابه من كراماته، وبركاته في حياته ﷺ وبعد مماته، كاستقساء عمر بعمه العباس رضي الله عنهما.

ومن جواهر القاضي عياض أيضاً

[ذكر ترجيح معجزاته ﷺ على الرسل بكثرتها وعظمتها]

قوله ومعجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا مثلها، أو ما هو أبلغ منها وقد نبه الناس على ذلك، وأما كونها كثيرة فهذا القرآن، وكله معجز وأقل ما يقع الإعجاز فيه سورة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وإذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف، وعدد كلمات ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[الكوثر: ١] عشر كلمات، فيجزأ القرآن على نسبة عددها،

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٦: ١٨). ومسلم في الصحيح (١٨٩٤). وأحمد في المسند (٦: ٨٩). والقرطبي في التفسير (٥: ٢٧١). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ١٥٨). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٢١٠). والبغوي في شرح السنة (١٤: ٤٦). ومالك في الموطأ (٢٣٩). وابن حجر في فتح الباري (٨: ١٥٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٤٠). والسيوطي في دلائل النبوة (٧: ٢٠٨). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ٢٧).

أزيد من سبعة آلاف جزء، كل واحد منها معجز في نفسه، ثم إعجازه بطريق بلاغته وطريق نظمه، فتضاعف العدد، ثم فيه وجوه [إعجاز][١] أُخَر من الأخبار، بعلوم الغيب فتضاعف العدد كرة، ثم وجوه الإعجاز الآخر توجب التضعيف، هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته، ولا يحوي الحصر براهينه، ثم الأحاديث الواردة، والأخبار الصادرة في هذه الأبواب، تبلغ نحواً من هذا التضعيف.

الوجه الثاني: وضوح معجزاته ﷺ، فإن معجزات الرسل كانت بقدر همم أهل زمانهم، وبحسب الفن الذي قد سما فيه قرنه، فلما كان زمن موسى عليه السلام، غاية علم أهله السحر، بعث إليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه، فجاءهم منها ما خرق عادتهم، ولم يكن في قدرتهم، وأبطل سحرهم.

وكذلك زمن عيسى عليه السلام أغيا[٢] ما كان الطب، وأوفر ما كان أهله فجاءهم أمر لا يقدرون عليه، وأتاهم ما لا يحتسبوه من إحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص، دون معالجة ولا طب.

وهكذا سائر معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ، وجملة معارف العرب وعلومها أربعة: البلاغة، والشعر، والخبر، والكهانة، فأنزل القرآن الخارق لهذه الأربعة فصول، من الفصاحة والإيجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم، ومن النظم الغريب والأسلوب العجيب، الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه، ولا علموا في أساليب الأوزان منهجه، ومن الإيجاز الكوائن، والحوادث، والأسرار، والمخبآت، فتوجد على ما كانت، ويعترف المخبر عنهما بصحة، ذلك وصدقه، وإن كان أعدى العدو، فأبطل الكهانة التي تصدق مرة، وتكذب عشراً، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب، ورصد النجوم، وجاء من الأخبار عن القرون السابقة وأنباء الأنبياء، والأمم البائدة والحوادث الماضية، ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه، ثم بقيت هذه المعجزة ثابتة إلى يوم القيامة، بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك، على من نظر فيه، وتأمل وجوه إعجازه إلى ما أخبر به، من الغيوب على هذا السبيل، فلا يمر عصر ولا زمن إلا ويظهر فيه صدقه ﷺ على ما أخبر، فيتجدد الإيمان ويتظاهر البرهان، وسائر معجزات الرسل انقرضت، بانقراضهم ومعجزة نبينا لا تبيد، ولا تنقطع، وآياته تتجدد، ولا تضمحل، ولهذا قال ﷺ في حديث البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: **«ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله، آمن عليه البشر وإنما**

---

(١) وردت في الأصل «عجاز» ولعلّ هذا تحريف.

(٢) أغيا: بلغ غاية في الأمر والانتشار [لسان العرب، مادة: غيي].

كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1] وهذا معنى الحديث.

وذهب غير واحد من العلماء في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا ﷺ إلى معنى آخر من ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخييل فيه، ولا التحيل عليه، ولا التشبيه، فإن غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة حبالهم، وعصيهم، وشبه هذا بما يخيله الساحر أو يتحيل فيه.

والقرآن كلام الله تعالى ليس للحيلة، ولا للسحر، ولا للتخييل فيه عمل، فكان من هذا الوجه أظهر من غيره من المعجزات، فترك العرب معارضتهم إياه ورضاهم بالبلاء، والجلاء، والسباء، والإذلال، وتغيير الحال، وسلب النفوس والأموال، والتقريع، والتوبيخ، والتعجيز، والتهديد، والوعيد، بين آية للعجز عن الإتيان بمثله، والحمد لله رب العالمين.

ثم ذكر القاضي عِياض رحمه الله ما يجب على الناس من حقوقه، والإيمان به، وطاعته، واتباع سنته، ولزوم محبته ومناصحته، وتعظيم أمره، ووجوب توقيره، وبره، ولزوم حرمته ﷺ بعد موته، وإعظام جميع ما ينسب إليه، وحكم الصلاة، والتسليم عليه ﷺ، وفضل زيارة قبره، وعصمته، وما يجب له ﷺ وما يستحيل في حقه، وما يمتنع، وعقاب من سبه، أو تنقُّصه ﷺ بالقتل ونحوه، وختم ذلك بفصل قال فيه: سب أهل بيته وأزواجه وأصحابه وتنقُّصهم حرام، ملعون فاعله.

والحاصل أنه قد شرح في كتابه الشفاء من فضائله ومعجزاته وأحواله ﷺ ما لا يستغني مسلم عن الاطلاع عليه، والانتفاع به فإنه فريد في هذا الباب، وقد أجمعت الأمة على تلقيه بالقبول وهو أول كتاب ألف من هذه الكتب المختصة بفضل الرسول ﷺ. نعم، المواهب اللدنية لا يفضلها كتاب في هذا الباب، لكن الفضل لمن تقدم والله أعلم.

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٧٩). دون لفظ «الأنبياء».

ومنهم الإمام العارف بالله محمد بن علي الترمـذي الحكيم[1] وهو غير أبي عيسى الترمذي صاحب السنن رضي الله عنهما

ومن جواهر الحكيم الترمذي رضي الله عنه

[تأثير هيبة الرسول ﷺ في حياته ومماته]

قوله في كتابه نوادر الأصول الأصل: السادس والثلاثون والمائة في تأثير هيبة ﷺ في حياته، وتأثير وفاته في القلوب عن أنس رضي الله عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء كل شيء منها، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم كل شيء منها، وما نفضنا الأيدي عن النبي ﷺ، وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا.

كان رسول الله ﷺ نوراً أضاء العالمين قال تعالى: ﴿أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]، فكان يستنير سراجه في العالمين، وإذا مشى في الطريق فاح منه ريح الطيب حتى يوجد عرفه في ممره ﷺ، فيعرف أنه مر بهذا المكان وكان طاهراً طيباً طهره الله تعالى بالحفظ في الأصلاب، والأرحام، وطفلاً، وناشئاً، وكهلاً حتى قدسه بطهر النبوة، وشرفه بالقربة، وطيبه بروحه، وجلله ببهائه فمن فتح الله قلبه بالنور الذي جعله في قلبه، وأبصره وما نحله الله تعالى وزينه كان رؤيته شفاء قلبه ودواء سقمه ولا يخيب برؤيته عن أن يكون شفاء القلب إلا من ختم الله على قلبه، وجعل على سمعه وبصره غشاوة. كما قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

وكانت هيبته ووقاره وجلاله وطهارته سداً بين القلوب والنفوس، فكانت النفوس قد ألقت بأيديها منقادة مستسلمة هيبة له وإجلالاً وحياء منه ﷺ، وكان له طلاوة، وحلاوة، ومهابة، [فأينما][2] حل ببقعة أضاءت تلك البقعة بنوره وطلاوته، وحليت بحلاوته، وتهيأت

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمزي، باحث صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، توفي سنة ٣٢٠ هـ.

(٢) وردت في الأصل منفصلة وهذا خطأ.

شؤونها بمهابته، فلما قبض ﷺ ذهب السراج، وزال الضوء، وفاتت تلك الطلاوة، والحلاوة، والمهابة.

وقوله: وما نفضنا الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا. أخبر عن قلبه وعن قلب أشباهه من القلوب التي لم تغلب عليها الهيبة من الله، وتأخذها هيبة المخلوقين.

وكان ﷺ آية من آيات الله العظمى، فمن عرفه وتمكنت معرفته من هذا الطريق، فإذا فقده أنكر قلبه لأن نفسه كانت في قهر ما أعطي الرسول ﷺ من السلطان، فلما أحست النقص بذهابه وجدت زمامها ساقطة بالأرض كالمخلاة عنها فتحركت وتشوقت لمناها وأصاخت أذناً لمطامعها. ومن غلبت الهيبة من الله تعالى على قلبه وملكته لم ينكر قلبه بقبضه، ولم يتغير شأنه بفقده وهم الصديقون والأولياء رضي الله عنهم، فقد دخل قلوبهم من [جلال][1] الله وعظمته ما بهتهم، فهابوه، ونفوسهم قد صارت كالميتة من الخشوع لله تعالى فتلك هيبة احتشت القلوب منهم من محبة الله تعالى، فغمرت ما كان للمخلوقين فيها من المحبة من غير أن تزول هيبة الرسول ﷺ ومحبته من قلبه.

[فإنه][2] كلما عظمت [هيبة][3] الله تعالى ومحبته في قلب عبده فهو للهيبة من رسول الله ﷺ أشد وحبه في قلبه أعظم وأصفى، ولكن محبته وهيبته غامرة لما سواها، فلا يستبين بمنزلة وادٍ ينصب في بحر، فالوادي ينصب بهيبته، ولكن لا يستبين في جنب البحر وبمنزلة قمر مضيء، فإذا أشرقت الشمس غمر إشراقها ضوء القمر، فالقمر يضيء في مجراه، والشمس بإشراقها غالبة عليه.

كذا حب الله تعالى وهيبته في حب الرسول ﷺ وهيبته اهـ. وهو كلام نفيس ودقيق نفعنا الله به وبمؤلفه.

ومن جواهر الحكيم الترمذي أيضاً

[تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾]

قوله رضي الله عنه: الأصل الخامس والخمسون والمائة في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾ [آل عمران: ٣١]. عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في

---

(١) وردت في الأصل «حلال» ولعل هذا تحريف.

(٢) وردت في الأصل «فإن» أثبتنا الهاء لسلامة المعنى، ولعل هذا تحريف.

(٣) وردت في الأصل «هيبته» وهذا خطأ فلا يستقيم المعنى به

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس.

البر ما افترض الله تعالى على العبد، والتقوى الكف عما نهى الله تعالى عنه، والتواضع أن يضع مشيئته في أمور لمشيئة مولاه، وذلة النفس ترك المنى في عطاياه في الدرجات وفي إقامة هذه الأربع صفو العبودة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم وفد اليمن على رسول الله ﷺ، فقالوا: أبيت اللعن، فقال ﷺ: **«سبحان الله إنما يقال هذا لملك، ولست ملكًا. أنا محمد بن عبد الله»**.

قالوا: إنا لا ندعوك باسمك. قال: **«فأنا أبو القاسم»** قالوا: يا أبا القاسم إنا قد خبأنا لك خبيئاً. فقال: **«سبحان الله إنما يفعل هذا بالكاهن، والكاهن، والمتكهن، والكهانة في النار»** فقال له أحدهم: فمن يشهد لك أنك رسول الله قال فضرب بيده إلى حفنة حصباء فأخذها فقال: **«هذا يشهد أني رسول الله»**. قال: فسبّحن في يده، وقلن نشهد أنك رسول الله، فقالوا: أسمعنا بعض ما أنزل عليك، فقرأ ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات: ١] حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠] وإنه لساكن ما ينبض منه عرق، وإن دموعه لتسبقه إلى لحيته.

قالوا له: إنا نراك تبكي أمن خوف الذي بعثك تبكي؟ قال: **«من خوف الذي بعثني أبكي إنه بعثني على طريق مثل حد السيف إن رغبت عنه هلكت. ثم قرأ ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]»**(١).

ومن جواهر الحكيم الترمذي أيضاً

[قول النبي ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي»]

قوله: الأصل التاسع والثلاثون والمائتان في خصائص النبي الأمي، وفي سر قوله: **«أعطيت خمساً»**(٢) إلى آخره. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٤: ٢٠١).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ٣). والنسائي في السنن (النحل ب ٤٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٤). والدارمي في السنن (٢: ٢٢٤). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٢١٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٥٩). والساعاتي في بدائع المنن (١٢٢). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣١٦). وابن حجر في فتح الباري (١: ٤٣٦). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٢٣٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٥٨). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: =

«أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، ولا فخر، بعثت إلى الأسود والأحمر، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة فذخرتها لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً»(١).

الرسول ﷺ مبعوث إلى الخلق بمنزلة الأمير المؤمّر يعطي الإمارة، والولاية، والرعاية، فهو بمنزلة الراعي يرعى غنمه في مراعي تسمن عليها، ويوردها صفو الماء، ويرتاد لها في الصيف مشتاها، وفي الشتاء مصيفها، ويعد لها لكل ليلة مأوى قبل هجومه، ويفر بها عن مراتع الهلكة، ويجنبها الأرضين الوبيئة، ويحرسها من السباع، ويحوطها عن الشذوذ، ويلحق شذاذها، ويجبر كسيرها، ويداوي مريضها، ويجمع رسلها من الألبان والصوف لرب الغنم، فهذا راع ناصح لمولاه، وأجره موفور عليه يوم الجزاء، ومتوقع من رب الغنم أفضل هدية على قدر ملكه.

فالرسول ﷺ هو راعي الخلق، والخلق غنمه بُعث ليرعاهم، فشرع لكل خارجة في واديها ماذا تباشر، وماذا تجتنب، فأحل من كل خارجة بعضاً، وحرم بعضاً، وأوردهم من المياة أصفاها، وهو العلم الصافي وهيأ لهم المشتى والمصيف، وهو الاستعداد في الحياة وأيام الصحة والقوة قبل الهرم، والمرض قبل الموت، وأعد لهم المأوى، فبين لهم عند حدوث الفتن كالليل المظلم إلى أين يأوون، وبمن يعتصمون، ويعزلهم عن مراتع الهلكة، وهي الشهوات الدنيوية المشوبة بالحرص ويجنبهم الأرض الوبيئة، وهي الأفراح التي تحل بالقلب منها، فيوبأ ويمرض منها القلب، ويحرسهم عن الشذوذ مخافة الذئاب، وهي الشياطين خشية أن توقعهم في المعاصي، ويدعوهم إلى التوبة ويعينهم عليها حتى يجبر كسيرهم ويداوي مريضهم، وهو إن يعظ مفتونهم حتى يخلصهم بالمواعظ من فتن النفوس، ويحمل بهماتهم، وهو إن يتولى رعاية أطفالهم بالتأديب، ويجمع رسلهم وألبانهم، وهو إن يدعو لهم ويستغفر لهم ويسأل الله تعالى قبول أعمالهم، فهذا راعٍ، وهو مع ذلك أمير يؤدّبهم

= ٤٣٣). وابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٢٩١).

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ٣). والنسائي في السنن (النحل ب ٤٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٤). والدارمي في السنن (٢: ٢٢٤). والبيهقي في السنن الكبرى (١ : ٢١٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٥٩). والساعاتي في بدائع المنن (١٢٢). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣١٦). وابن حجر في فتح الباري (١ : ٤٣٦). والسيوطي في الدر المنثور (٥ : ٢٣٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٥٨). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٣٣). وابن كثير في البداية والنهاية (٦ : ٢٩١).

ويحملهم على المكاره، ويسوقهم ويسير بهم بسوط الأدب على مشارع الاستقامة ليوافي بهم الموقف بين يدي الله عز وجل، فقل راعٍ إلا ومعه عصا يهش بها على الغنم ويؤدبها.

وقد ذكر سبحانه عصا موسى عليه السلام في تنزيله، فكل راعٍ مؤنته على قدر غنمه، وكل أمير مؤنته على قدر رعيته.

فالأمير المبعوث إلى كورة محتاج على قدر ولايته إلى آلة الولاية من الخدم، والدواب، والمراكب، والكنوز على قدر ولايته لينفق في إمارته. فمن أمر على مجارستان[1] فهو أقل حظاً من هذه الأشياء التي وصفنا. ومن أمر على خُراسان[2] كانت حاجته إلى ما ذكرنا أكثر.

ومن كان أمير المؤمنين يحتاج إلى كنز عظيم، ومن ملك المشرق والمغرب احتاج إلى خزائن الأموال حتى يضبط بها ذلك الملك، فكذلك كل رسول بعث إلى قوم أعطي من كنز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة، فالمرسل إلى قومه في ناحية من الأرض إنما يُعطى من النبوة والكنوز على قدر ما يقوم به في شأن نبوته ورعاية قومه، والمرسل إلى جميع أهل الأرض كافة أنسها وجنها وهو سيدنا محمد ﷺ أعطي من المعرفة بقدر ما يقوم بها في شأن النبوة إلى جميع أهل الأرض كافة.

فحظنا من قوله ﷺ: **«بعثت إلى الأحمر والأسود»**[3] وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] كحظه من ولاية ملك يملك الدنيا وجواهر شرقها وغربها، وما بينهما.

ومن ملك الأرض كلها ملك جواهرها، ومعادنها. ومن ملك ناحية من الأرض ليس له إلا معدن ناحيته وجوهر ذلك المعدن. فلذلك قال ﷺ: **«اختصر لي الكلام وأوتيت جوامع الكلم»**[4]، ولذلك صار كتابه مهيمناً على الكتب، وصار القرآن الكريم مشتملاً على التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وبقي المفصل نافلة لهذه الأمة خاصة، وأوحي إليه ﷺ بالعربية التي برزت على سائر اللغات بالاتساع وهي لسان أهل الجنة.

---

(١) مجارستان: وهو المكان الكبير والمتسع المساحة.

(٢) خُراسان: بلاد واسعة أوّل حدودها مما يلي العراق، وآخرها مما يلي الهند، تشتمل على أمهات البلاد منها نيسابور، وهراة، ومَرْو. [معجم البلدان ج ٢/ص٤٠١].

(٣) رواه أحمد في المسند (٤: ١١٦). وابن عبد البر في التمهيد (٥:) ٢١٨. والهيثمي في مجمع الزوائد (٦: ٦٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٢٧). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ١٥٤). والهيثمي في موارد الظمآن (٢٠٠). والقرطبي في التفسير (١: ٤٩). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٣٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٩٤). ابن كثير في التفسير (٦: ١٠٠).

(٤) رواه السيوطي في الدر المنثور (٥: ١٤٨). بمعناه.

ولما أُعطي ﷺ الرسالة إلى الكافة أُعطي من الكنوز مقدار الكفاية للجميع وأوتي من الحكمة وجواهرها كلها وأوتي ختم الرسالة، والرعب، فبجواهر الرسالة قوي على علم مختصر الحديث، وجوامع الكلم، وكانت التوراة يحملها سبعون جملاً موقرة، والزبور من بعدها، والإنجيل من بعده فجمع له ﷺ ذلك كله في القرآن الكريم، والفرقان في فاتحة الكتاب، ولذلك سميت أم الكتاب قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[الحجر: ٨٧]، وهي سبع آيات سميت مثاني لأن الله تعالى جمع الكتب كلها في اللوح المحفوظ، ثم أنزل منه على كل رسول ما علم أنه محتاج إليه هو وأمته، واستثنى فاتحة الكتاب من جميع ذلك.

وخزنها لهذه الأمة فجميع علم التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان مستخرج من أم القرآن، والقرآن مستخرج من أمه وسائر الكتب في القرآن، وقال ﷺ: «**أوتيت السبع**» يعني الطوال «**مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المئين مكان الزبور وفضلت بالمفصل**»[1]، فمن عمي قلبه عن الله تعالى، ولم يكن في قلبه نور الهداية لم يبصر آثار النبوة على محمد ﷺ، وإنما يبصر منه شخصه وجثته.

قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨] ومن هداه الله تعالى لنوره فانفتحت عين قلبه بذلك، واستقرت المعرفة في قلبه أبصر به شخص النبوة بارزاً من الحياة، والذكاء، واليقظة، والانقياد، والسرعة، والسبق، والسماحة، والكرم، والسعة، والجود، والحياء، والسكينة، والوقار، والحلم.

ومن الأفعال: السواك، والحجامة، والتعطر، والجماع، ويرى على شخص النبوة شخص الرسالة فائقاً من الجلال، والبهاء، والنزاهة، والحلاوة، والطلاوة، والملاحة، والمهابة، والسلطان، وأصل هذا كله من اليقين والحب، والحياة، وإنما نال المؤمنون من معرفة محمد ﷺ على قدر معرفتهم بالله تعالى وعلمهم به.

فمن صدق محمداً ﷺ في الصحبة كان صِدْق صحبته على قدر معرفته إياه وعلمه به، وعلى حسب ذلك كان يتراءى لبصر عينه في الظاهر ما عددنا من الخلال، فأوفرهم حظاً من نور الله تعالى أوفرهم علماً به ﷺ، وبقدره، وجلاله، وخطير منزلته، وأوفرهم علماً به أسرعهم إجابة لدعوته وأبذلهم نفساً ومالاً.

ألا ترى أن أبا بكر رضي الله عنه لما أفشى إليه رسول الله ﷺ أنه مبعوث صدقه في الحال، ولم يتردد، ولم يضطرب.

---

(١) رواه ابن كثير في التفسير (١: ٥٥). والطبري في التفسير (١: ٣٤). وفيه: «أعطيت السبع».

وقال علي كرم الله وجهه: حتى أسأل أبي. ثم رجع عن الطريق وصدقه ﷺ، وصدقه عمر بعد مدة. وبعدما أسلم تسع وثلاثون نفساً ختم بإسلامه عدد الأربعين بعد دعوة رسول الله ﷺ ليلة أسلم من الغد: «**اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام**»[١] يعني أبا جهل، فجرت الدعوة من عدو الله عمرو إلى محب الله عمر رضي الله عنه، فسعد عمر رضي الله عنه وشقي عمرو.

وقد أكرم الله ورسوله ﷺ وأبرز فضيلته وكرامته بأن جعل لكل نبي وزيراً، وجعل لمحمد ﷺ أربعة من الوزراء، فأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما وزيرا الرسالة، وعثمان وعلي رضي الله عنهما وزيرا النبوة، ثم نحلهم من الحظوظ من عنده، فحظ أبي بكر رضي الله عنه منه العصمة والحلم، وحظ عمر رضي الله عنه الحق والولاية، وحظ عثمان رضي الله عنه النور والحياء، وحظ علي رضي الله عنه الحرمة والخلة، فتفاوتت أعمالهم في صحبتهم الرسول ﷺ أيام الحياة وفي سيرتهم في الأمة بعده على قدر حظوظهم.

فلما أحس رسول الله ﷺ بالارتحال إلى الله تعالى من الدنيا وابتدئ له في وجعه وعجز عن الخروج إلى الصلاة بالأمة أمر أبا بكر رضي الله عنه بالصلاة فاتفقت الأمة على أنه هو الذي ولي الصلاة.

وكان من صنع الله تعالى للأمة أن خفف الله عنه يوم قبض فخرج ﷺ والمسلمون في صلاة الغداة ورجلاه يخطانِ الأرض حتى جلس إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه فصلى ليعلم الجميع أنه رضي بذلك من فعله لئلا يبقى لمعاند أو طاعن مقال أنه لم يأمر بذلك، أو أمر به وهو مغلوب على عقله لشدة علته، فأظهر الله ذلك بما خفف عنه ﷺ حتى خرج وقعد إلى جنبه فصلى من حيث انتهى أبو بكر رضي الله عنه، ثم قال بعد كلام طويل في فضل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وغير ذلك قال ﷺ: «**أنا رحمة مهداة**»[٢] فهو من الله لنا هدية والرسل قبله بعثوا على الأمم حجة وعطية، والهدية ليست كالعطية فمن قبل العطية بورك ومن لم يقبل تأكدت الحجة عليه وعوجل بالعقوبة ورسولنا ﷺ كان عطية، وهدية. فمن قَبِلَ محمداً ﷺ عطية وهدية سعد، ورشد، وصار سابقاً، ومقرباً، ومن قبله عطية ولم يفطن للهدية سعد ولم يصب ثمرة الرشد ونجا بالسعادة، ومن أباه وكفر النعمة وجحدها كان حظه من السعادة النجاة من عقوبات الأمم التي عوجلوا بها في الدنيا فسعدوا بهذا القدر وتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة، والأولون عوجلوا بالعقوبة في الدنيا إلى أن لحقوا بعذاب الآخرة.

---

(١) رواه ابن حجر في المطالب العلية (٤٢٨١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٧٧٦). والسيوطي في جمع الجوامع (٩٧٢٨). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٩١).

(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٩٥). والقرطبي في التفسير (٤: ٦٣).

فمن قبل محمداً ﷺ عطية وهدية اجتباه الله تعالى، ومن قبله ﷺ عطية هداه الله إليه بالإنابة، وذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]. والعطية من الرحمة، والهدية من المحبة فمن رق لعبده ورحمه إذا رآه في بؤس أو ضعف قوّاه وجبره بما يُذهِب ضعفه وبؤسه فهذه عطية من الرحمة، ومن أحب عبده أهدى إليه خلعاً وحملاناً يريد بذلك أن يختصه ويستميل قلبه ولذلك سميت هدية لاستمالة القلب بها.

فالرسل إلى الخلق عطايا من ربنا سبحانه وتعالى رحمهم فبعثهم إليهم ليهديهم ويذهب عنهم بؤس فقر الكفر ويجبر كسيرهم، وربنا عز وجل قد رحمنا فبعث إلينا محمداً ﷺ عطية وهدية فجعل الإيمان والإسلام في العطية وحكمة الإيمان والإسلام في الهدية وذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، إلى أن قال: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] فحكمة الإيمان والإسلام هدية لهذه الأمة بمبعث محمد ﷺ خاصة فضلاً على الأمم، والهدية كنوز المعرفة من خزائن السبحات[1] احتظى بها هذه الأمة حتى صاروا موصوفين في التوراة: صفوة الرحمٰن.

وفي الإنجيل: حكماء علماء، أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣] الآية.

وقال ﷺ: «ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي»[2]، فإنما صير محمداً ﷺ رسولاً لنا ليهدينا إلى أعالي درجات الدنيا عبودة لنكون غداً في أعالي درجات الجنة بالقرب من رسولنا لتقر عينه ﷺ بنا.

قوله ﷺ: «نصرت بالرعب»[3] أصله من فورة سلطان الله تعالى من باب النار، فإذا جعل نصرته بالرعب فقد أعطي جنداً لا يقاومه أحد، ولم يُعط أحد من الرسل ذلك، فكان ﷺ أينما ذكر من مسيرة شهر وقع ذلك الرعب في قلب عدوه فذل بمكانه، وقوله ﷺ: «أحلّت لي الغنائم»[4] كانت الغنائم نجسة لأنها أخذت من العدو، وملك العدو كله نجس.

ألا يرى أن الله تعالى ذكر حلي آل فرعون فقال: ﴿أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه: ٨٧] سميت أوزاراً لنجاستها. و«أحلت لي الغنائم»[5] أي ولهذه الأمة. قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩].

---

(١) السُّبُحات: بضمتين سبحات وجه الله: نوره [القاموس المحيط، مادة: سبح].
(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٤٨٣). بمعناه.
(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٥٩).
(٤) رواه السيوطي في دلائل النبوة(٢: ١٤٩).
(٥) رواه السيوطي في دلائل النبوة(٢: ١٤٩).

ومنهم الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني[١] أحد مشاهير حفّاظ الإسلام ولد سنة ٣٣٠ هـ[٢]، ومات سنة ٤٣٠ هـ رضي الله عنه

ومن جواهره [الحافظ أبو نعيم]

[دلائل النبوة على جعل الله تعالى بعثه ﷺ رحمة للعالمين]

قوله في كتابه دلائل النبوة في الفصل الأول منه: إن الله تعالى جعل بعثته ﷺ للعالمين رحمة، فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] فأمن أعداؤه ﷺ من العذاب مدة حياته ﷺ فيهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣]، فلم يعذبهم مع استعجالهم إياه تحقيقاً لما نعته به ﷺ، فلما ذهب عنهم إلى ربه تعالى أنزل الله ما عذبهم به من قتل وأسر وذلك قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ [الزخرف:٤١].

وروى بسنده إلى أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى بعثني رحمة للعالمين، وهدى للمتقين**»[٣].

وبسنده أيضاً إلى أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ألا تدعو على المشركين. قال: «**إنما بعثت نعمة ولم أبعث عذاباً**»[٤].

---

(١) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم، حافظ، مؤرخ ولد سنة ٣٣٦ هـ، وتوفي سنة ٤٣٠ هـ بأصبهان.

(٢) ورد في الأعلام للزركلي تاريخ ولادته ٣٣٦ هـ.

(٣) رواه أحمد في المسند (٣: ٢٦٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ٦٩). والطبراني في المعجم الكبير (٨: ٢٣٢). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣٦٥٤). والمنذري في الترغيب والترهيب (٥: ٣٦١). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٣٢٣). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨١). وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١: ١٥٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٥). والعقيلي في الضعفاء (٣: ٢٥٥).

(٤) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٥).

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[من فضائله ﷺ إخبار الله عز وجل عن إجلال قدره وتبجيله وتعظيمه ﷺ]

قوله ومن فضائله ﷺ إخبار الله عز وجل عن إجلال قدر نبيه ﷺ، وتبجيله وتعظيمه، وذلك أنه ما خاطبه في كتابه ولا أخبر عنه إلا بالكناية التي هي النبوة والرسالة التي لا أجلّ منها فخراً، ولا أعظم خطراً، وخاطب غيره من الأنبياء وقومهم وأخبر عنهم بأسمائهم، ولم يذكرهم بالكناية التي هي غاية المرتبة إلا أن يكون الرسول ﷺ في جملتهم بمشاركته معهم في الخطاب والخبر.

فأما في حال الانفراد فما ذكرهم إلا بأسمائهم والكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب المجلل، والمدعو العظيم، لأن من بلغ به غاية التعظيم كني عن اسمه إن كان ملكاً قيل له: يا أيها الملك، وإن كان أميراً قيل له: يا أيها الأمير، وإن كان خليفة قيل: يا أيها الخليفة، وإن كان دياناً قيل: أيها الحبر، أيها القس، أيها العالم، أيها الفقيه.

ففضل الله عز وجل نبيه ﷺ وبلغ به غاية الرتبة وأعالي الرفعة، فقال له ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾، [الأنفال: ٦٤] ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [المائدة: ٤١]، ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] في آيات كثيرة وخاطب آدم ومن دونه من النبيين عليهم السلام بأسمائهم وكذلك الإخبار عنهم فقال تعالى: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، وقال في الإخبار عنه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١ - ١٢٢]، و﴿يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ [هود: ٤٨]، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [هود: ٤٢]، و﴿يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ﴾[هود: ٧٦]، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة: ١٢٧]، و﴿يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥]، و﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ﴾ [المائدة: ١١٠]، و﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الصف: ٦] وكذلك غيرهم من الأنبياء ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [هود: ٥٣]، و﴿يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾[1] [الأعراف: ٧٧]، و﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[ص: ٣٤]، و﴿يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ [مريم: ٧]، و﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ﴾[مريم: ١٢].

كل أولئك خوطبوا بأسمائهم وكل موضع ذكر الله تعالى فيه محمداً ﷺ باسمه أضاف إليه ذكر الرسالة، فقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال

---

(١) وردت في الأصل: ﴿يا صالح ائتنا بعذاب الله﴾ وهذا خطأ فهذه الآية غير واردة في القرآن بهذا اللفظ.

تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ [الفتح: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾(١) [محمد: ٢] فسماه ليعلم من جحده أن أمره وكتابه هو الحق، ولأنهم لم يعرفوه إلا بمحمد، ولو لم يسمه لم يعلم اسمه من الكتاب، وكذلك سائر الأنبياء لو لم يسموا في الكتاب ما عرفت أساميهم كتسمية الله له محمداً، وذلك كله زيادة في جلالته ونبالته ونباهته وشرفه لأن اسمه مشتق من اسم الله تعالى قال القائل:

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

ثم جمع في الذكر بين اسم خليله ونبيه فسمى خليله باسمه، وكنى حبيبه بالنبوة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ ﴾ [آل عمران: ٦٨]. فكناه إجلالاً له ورفعة لفضل مرتبته ونباهته عنده، ثم قدمه في الذكر على من تقدمه في البعث فقال: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب: ٧].

وروى بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾ [الأحزاب: ٧] قال: «كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث»(٢).

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم

[من فضائله ﷺ أن الله نهى الناس أن يخاطبوه باسمه]

قوله ومن فضائله ﷺ أن الناس نهاهم الله عز وجل أن يخاطبوا رسول الله ﷺ باسمه، وأخبر عن سائر الأمم أنهم كانوا يخاطبون أنبياءهم ورسلهم بأسمائهم كقولهم: ﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقوله: و﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ [المائدة: ١١٢]، و﴿ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ [هود: ٥٣]، و﴿ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا ﴾ [الأعراف: ٧٧]، وقال: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]، فندبهم الله تعالى إلى تكنيته بالنبوة والرسالة ترفيعاً لمنزلته، وتشريفاً لمرتبته. خصه الله بهذه الفضيلة من بين رسله وأنبيائه.

---

(١) وردت في الأصل: ﴿وهو الحق من ربكم﴾ وهذا خطأ فهذه الآية غير واردة في القرآن بهذا اللفظ.
(٢) رواه القاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٤٦٦).

وروى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور:٦٣]. قال: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم. فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيه ﷺ، قال: فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

وروى بسنده لابن عباس أيضاً: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾[النور:٦٣] . يريد صياحهم من بعيد: يا أبا القاسم، ولكن كما قال الله تعالى في الحجرات: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات:٣].

قال رضي الله عنه: ومن فضائله ﷺ أن الله عز وجل فصل مخاطبته من مخاطبة المتقدمين قبله من الأنبياء تشريفاً له وإجلالاً، وذلك أن غير هذه الأمة من الأمم كانوا يقولون لأنبيائهم: راعِنا سمعك، فنهى الله عز وجل هذه الأمة أن يخاطبوا رسولهم بهذه المخاطبة التي فيها مغمز وضعة، وذمهم أن يسلكوا بنبيهم ﷺ ذلك المسلك، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة:١٠٤].

وروى بسنده عن ابن عباس ﴿ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة:١٠٤] ، وذلك أنه سُبة بلغة اليهود. وقال: ﴿ وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة:١٠٤] يريد اسمعنا، فقال المؤمنون بعدها من سمعتوه يقولها فاضربوا عنقه، فانتهت اليهود بعد ذلك.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[من فضائله ﷺ أن الله تعالى دافع عنه قول أخصامه]

قوله: ومن فضائله ﷺ أن من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام كانوا يدفعون، ويردون عن أنفسهم ما قرفتهم به مكذبوهم من السفه، والضلال، والكذب، وتولى الله عز وجل ذلك عن رسوله ﷺ، فقال تعالى فيما أخبر عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأعراف:٦٠] ، فقال دافعاً عن نفسه ما نسبوه إليه ﴿ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ ﴾ [الأعراف:٦٧]، وقال فرعون لموسى: ﴿ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ [الإسراء:١٠١]، فقال موسى مجيباً له: ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء:١٠٢]، ونزه الله عز وجل نبيه ﷺ عما نسبوه إليه تشريفاً له، وتعظيماً، فقال تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم:٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ﴾ [يس:٦٩]، وقال تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم:٢]، وبرأه الله من كل ما رموه به من السحر، والكهانة، والجنون فقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ [هود:١٧]، وذَبَّ الله عنه استهزائهم بقولهم له ﴿ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ

﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[١] [سبا:٧]، فقال الله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ [سبا:٨].

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[من فضائله ﷺ أن الله أخبر بأنه لا ينطق عن الهوى]

قوله: ومن فضائله ﷺ: إن الله خاطب داود عليه السلام بأن لا تتبع الهوى، فقال تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص:٢٦].

وأخبر الله تعالى عن الرسول الله ﷺ بعد أن أقسم بمساقط النجوم، وطوالعها، ونزول القرآن ومواقعه أنه لا ينطق عن الهوى، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم:٣]، تبرئة له وتنزيهاً عن متابعة الهوى.

وقال رضي الله عنه: ومن فضائله ﷺ: أن كل نبي ذكر الله تعالى حاله، وأنه غفر له ما كان منه نص عليه فقال، تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ [القصص:٣٣]، وقال: ﴿إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾[القصص:١٦]. فنص على ذنبه وسأل ربه المغفرة.

وأخبر عن داود عليه السلام إذ تسور عليه المكان فقال: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص:٢٣] فذكر الظلم والبغي، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[ص:٢٤]، فقال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ [ص: ٢٤ - ٢٥].

ونص تعالى على زللهم وخطاياهم وأخبر عن غفران نبيه ﷺ ولم ينص على شيء من زلله إكراماً له وتشريفاً، فقال: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢]. فهذا غاية الفضل والشرف.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[من فضائله أخذ الله الميثاق على الأنبياء بالإيمان به ونصرته ﷺ]

قوله: ومن فضائله ﷺ: أخذ الله الميثاق على جميع أنبيائه إن جاءهم رسول آمنوا به

---

(١) وردت في الأصل: ﴿هل أدلكم على رجل﴾ وهنا خطأ فهذه الآية غير واردة في القرآن بهذا اللفظ.

ونصروه، فلم يكن ليدرك أحد منهم الرسول إلا وجب عليه الإيمان به والنصرة له لأخذ الميثاق منه فجعلهم كلهم أتباعاً له ويلزمهم الانقياد والطاعة له لو أدركوه.

وروى بسنده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ ومعي كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب، فقال ﷺ: **«والذي نفس محمد بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»**[(١)].

قال: ومن فضائله ﷺ: أن فرض الله طاعته على العالم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء، كما فرض طاعته فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، ، ولم يقل من طاعتي، أو من كتابي، أو بأمري ووحيي، بل فرض أمره ونهيه على الخلق طراً كفرض التنزيل لا يُراد في ذلك، ولا يُحاجّ، ولا يُناظر، ولا يطلب منه بينة كما أخبر عن قوم موسى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[من فضائله أن الله قرن في كتابه اسمه باسمه ﷺ]

قوله: ومن فضائله ﷺ: أن الله تعالى قرن اسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته، ومعصيته وفرائضه، وأحكامه، ووعده، ووعيده.

فقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النور: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء: ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الأنفال: ١٣]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، وقال تعالى: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٥٩]، وقال

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١ : ٨).

تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [التوبة:٥٩]، وقال تعالى: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [التوبة:٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة:٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [التوبة:٩٠]، وقال تعالى: ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]. قرن اسمه باسمه تعظيماً له، وتشريفاً ﷺ.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[أحاديث كثيرة في فضله ﷺ]

أحاديث كثيرة في فضله ﷺ رواها بسنده فمنها عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»(١).

وعن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة»(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء»(٤).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٩). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ١٨٤). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٣٠٧). والآجري في الشريعة (٤٢١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢١١٦). والسيوطي في دلائل النبوة(٢: ١٣٠). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣: ٧٠). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٨).

(٢) رواه ابن تيمية في أحاديث القصاص (٢٩). والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٨: ١٥٩). وأحمد في المسند (٢: ٢٤٩). والدارقطني في السنن (٢: ٣). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٢٩٨). والساعاتي في بدائع المنن (٤٢٨). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٩). وابن حجر في تغليق التعليق (٣٥٦). وفي فتح الباري (١: ٣٤٥). والبغوي في شرح السنة (٤: ٢٠٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٤٧٥). والسيوطي في دلائل النبوة (٥: ٤٧٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٢١٥). والتبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٥٤). وابن المبارك في الزهد (٢: ١١٤). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ١٣٤). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٢: ١٦٠). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٣٢٢).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١٩٠). والألباني في إرواء الغليل (٦: ٣٣٠). والهيثمي في =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يلتق أبواي في سفاح لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة صافياً مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»(١).

وعن العباس رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم وأنسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة نبتت في ربوة من الأرض، قال: فغضب رسول الله ﷺ، وقال: «إن الله عز وجل حين خلق الخلق جعلني من خير خلقه، ثم حين خلق القبائل جعلني من خير قبيلتهم، وحين خلق الأنفس جعلني من خير أنفسهم، ثم حين خلق البيوت جعلني من خير بيوتهم فأنا خيرهم أباً وخيرهم نفساً»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩] ما زال النبي ﷺ يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق فاختار منهم بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا من خِيار إلى خِيار، فمن أحب العرب فبحبي أَحَبَّهُم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم»(٣).

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي لا نبي بعده»(٤).

= مجمع الزوائد (٨: ٢١٤). والسيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤). وابن حجر في المطالب العلية (٢٥٧). والآجري في الشريعة (٤٢٨). والزيلعي في نصب الراية (٣: ٢١٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٦٨). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٥٦). والسهمي في تاريخ جرجان (٣٦١).

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٤٩).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٥٤٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٠٣٩٧). والسيوطي في جمع الجوامع (٤٨٠٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢١٧). والسيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢٩).

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور (٣: ٢٩٤)، وفي الحاوي للفتاوي (٢: ٣٦٩).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤: ٨٠). وعبد الرزاق في المصنف (١٩٦٥٧). والطبراني في المعجم الكبير (٢: ١٢٢). وابن كثير في التفسير (٦: ٤٢٥). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٢). والترمذي في الشمائل (١٩٦). والبغوي في شرح السنة (٥: ٢٦٥). والبخاري في التاريخ الصغير (١: ١٠). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٥٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦٣). والآجري =

وعن أبي الطفيل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لي عند ربي عشرة أسماء»[1] قال: «حفظت منها ثمانية محمد، وأحمد، وأبو القاسم، والفاتح، والعاقب، والحاشر، والماحي» وذكر أبو جعفر: «طه ويس».

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[فضيلة إقسام الله بحياته ﷺ]

ما ذكره ومن فضيلة إقسام الله بحياته ﷺ، روى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما خلق الله وما ذرأ نفساً أكرم على الله من محمد ﷺ، وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وعن ابن عباس أيضاً قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. قال: وحياتك يا محمد.

قال أبي نعيم: والمعنى في هذا القسم أن المتعارف بين العقلاء أن الأقسام لا تقع إلا على المعظمين، والمبجلين، والمكرمين فتبين بهذا جلالة الرسول وتعظيم أمره، وما شرع الله عز وجل على لسانه من الشرائع، وتنبيهه عباده على وحدانيته ودعائه للإيمان به، وعرفت جلالة نبوته ورسالته بالقَسَم الواقع على حياته إذ هو أعز البرية وأكرم الخليقة ﷺ.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[أحاديث شفاعته ﷺ]

الأحاديث الآتية في الشفاعة، وغيرها، وكلها رواها بسنده، عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأنا أول من تنشق عنه الأرض وأول شافع. لواء الحمد معي وتحته آدم، ومن دونه، ومن بعده من المؤمنين»[2].

= في الشريعة (٤٦٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢١٦٥). والسيوطي في دلائل النبوة(١: ١٥٢). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٥٧).

(١) رواه العراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣٨٣). والآجري في الشريعة (٤٦٣). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٢٧٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢١٦٩). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٢).

(٢) رواه أبو داود في السنن (٤٦٧٣). وأحمد في المسند (٢: ٥٤٠). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ٥٧). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣).

وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «أنا أولهم خروجًا إذا بعثوا، وقائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أبلسوا لواء الكرامة ومفاتيح الجنة، ولواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف علي ألف خادم كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ منثور»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أرسلت إلى الجن والأنس وإلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم دون الأنبياء، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً، ونصرت بالرعب أمامي شهراً، وأعطيت خواتيم سورة البقرة، وكانت من كنوز الجنة، وخصصت بها دون الأنبياء، وأعطيت المثاني مكان التوراة، والمثين مكان الإنجيل، والحواميم مكان الزبور، وفضلت بالمفصل، وأنا سيد ولد آدم في الدنيا وفي الآخرة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمتي ولا فخر، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر وآدم وجميع الأنبياء من ولد آدم تحته، وإليّ مفاتيح الجنة يوم القيامة، ولا فخر، وبي تفتح الشفاعة يوم القيامة، ولا فخر، وأنا سائق الخلق إلى الجنة يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أمامهم وأمتي بالإثر»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم يأتي أهل البقيع، فيحشرون معي، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين الحرمين»(٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا أول من يدخل الجنة، ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع، ولا فخر، وأنا بيدي لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأول شخص يدخل عليّ الجنة فاطمة بنت محمد ﷺ، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل»(٤).

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق»(٥).

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣).

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣).

(٣) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣). وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢: ٤٣٢).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣: ١٤٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٨). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩١). والهيثمي في مجمع الزوائد (٧: ٣٤٩). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣).

(٥) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٦٤). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٢٦٥).

وعن أم كرز رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا، وسائقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا أبلسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً من الرب تعالى إذا اجتمعوا، أقول فأتكلم فيصدقني وأشفع فيشفعني وأسأل فيعطيني»[١].

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «فضلت على النبيين بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض، وأرسلت إلى الناس كافة، وأحلت لي الغنائم، وختم بي النبيون»[٢].

ومن جوامع الكلم أن الله عز وجل جمع له ﷺ الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[كلامه على دعاء موسى عليه السلام أن يكون من أمة محمد ﷺ]

قوله: حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جبارة بن المغلس قال: حدثنا الربيع بن النعمان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة، فقال يا رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون السابقون فاجعلها أمتي قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون المستجاب لهم فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها ظاهراً فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يأكلون الفيء فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة يجعلون الصدقة في بطونهم ويؤجرون عليها فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة، فلم يعملها كتب له حسنة واحدة، فإن عملها كتب له عشر حسنات فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب أني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة ولم يعملها لم تكتب، وإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب أجد في الألواح أمة يؤتون العلم

---

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤).

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤).

الأول، والعلم الآخر، فيقتلون قرون الضلالة المسيح الدجال، فاجعلها أمتي. قال: تلك أمة أحمد. قال: يا رب فاجعلني من أمة أحمد فأعطي عند ذلك خصلتين، فقال: يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين. قال: قد رضيت يا رب»(١).

قال أبو نعيم: وهذا الحديث من غرائب حديث سهيل لا أعلم أحداً رواه مرفوعاً إلا من هذا الوجه تفرد به الربيع بن النعمان عن سهيل، وفيه لين.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[بعض أخلاقه وصفاته الشريفة ﷺ]

ما ذكره بسنده من الأحاديث في بعض أخلاقه وصفاته ﷺ، فمنها:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان خُلق رسول الله ﷺ القرآن. وعن عائشة رضي الله عنها أيضاً قالت: ما كان أحد أحسن خُلقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهله إلا قال: «لبيك»(٢)، ولذلك أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه وقد قيل له حدثنا عن بعض أخلاق النبي ﷺ، فقال: كنت جاره، فكان إذ أنزل عليه الوحي بعث إلي فآتية، فأكتب الوحي، فكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا أحدثكم عنه ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ من أشد الناس لطفاً، والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد، ولا من أمة، ولا صبي أن يأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه، وما سأله سائل قط إلا أصغى إليه أذنه، فلم ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه، وما تناول أحد بيده ﷺ إلا ناوله إياها، فلم ينزع حتى يكون هو الذي ينزعها منه.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثماً، فإن يكن إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى، فينتقم لله عز وجل.

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٣: ١٢٤). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٤٤). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٥٧). وابن القيسراني في تذكرة الموضوعات (٩٣٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قط ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله عز وجل، وما نيل منه شيء، فانتقم لنفسه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله فينتقم.

وعن أنس قال: خدمت رسول الله ﷺ سنين فما سبني سُبة قط، ولا ضربني ضربة، ولا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه، فعاتبني عليه، فإن عاتبني عليه أحد من أهله قال: «دعوه فلو قدر شيء لكان»[١].

وعن أنس أن امرأة كانت في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله إن لي إليك حاجة، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم فلان خذي في أي طرق شئت قومي فيه حتى أقوم معك»[٢] فخلا معها رسول الله ﷺ يناجيها حتى قضت حاجتها.

وعن أنس قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت به حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك وأمر له بعطاء.

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[فضل القرآن وعجز الخلق عن معارضته وهو أعظم معجزاته ﷺ]

قوله: عندما ذكر أخذ القرآن بالقلوب وكذلك رؤية النبي ﷺ حتى دخل كثير من العقلاء في الإسلام في أول الملاقاة أن الله عز وجل جلت عظمته أيد محمداً ﷺ بما لم يؤيد به أحداً من العالمين وخصه من خصائصه بما يفوق حد كرامات الأنبياء، ومراتب الأولياء، فكانت علامة النبوة على حسب منزلته ومحله عند الله تعالى، فليس من آية ولا علامة أبدع ولا أروع من آيات محمد ﷺ، هو القرآن المبين، والذكر الحكيم، والكتاب العزيز الذي لم يجعل له عوجاً فيما أنزله عليه في أوان وزمان فيه الخلق الكثير، والجم الغفير، أولو الأحلام والنهى والأفهام، والألسن الحداد، والقرائح الجياد، والعقول السداد، أولو الحنكة، والتجاريب، والدهاء، والمكر، فلما سمعوا القرآن قدروا أن في وسعهم معارضته، فقالوا: ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال:٨]، فتحداهم ﷺ بالقرآن أي طلب معارضتهم

(١) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٥٧).
(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٥٧). وأحمد في المسند (٣: ٢٨٥).

له يقرع به أسماعهم مع ما لهم من الفصاحة، واللسان، والبلاغة، والبيان أن يأتوا بسورة يخترعونها بأهون سعي وأدنى كلفة، وأنى لهم ذلك والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، مع دعائه ﷺ إياهم أن يأتوا بسورة من مثله، فلم يقدروا لأن كلام الله المنزل عليه هو كما أخبر الله عز وجل عنه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [الطارق: ١٣ - ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١ - ٢٢].

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[مقابلة فضائله ﷺ بفضائل الأنبياء ومعجزاته بمعجزات الأنبياء]

ما قاله في الفصل الثالث والثلاثين من كتابه المذكور دلائل النبوة في ذكر موازاة الأنبياء عليهم السلام في فضائلهم بفضائله ﷺ ومقابلة ما أوتوا من الآيات بما أوتي ﷺ.

والقول فيما أوتي إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. فإن قيل: فإن إبراهيم عليه السلام خُصّ بالخلة. قلنا: قد اتخذ الله محمداً خليلاً، وحبيباً.

والحبيب ألطف من الخليل. فإن قيل: فإن إبراهيم حجب عن نمرود بحجب ثلاثة. قلنا: قد كان كذلك، وحجب محمد ﷺ عمن أراد قتله بخمسة حجب.

قال الله تعالى في أمره: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]، ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]، ثم قال تعالى: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ [يس: ٨]، فهذه خمسة حجب.

فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام قصم نمرود ببرهان نبوته فبهته، قال الله تعالى: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فمحمد ﷺ أتاه المكذب بالبعث أُبيّ بن خلف بعظم بال يفركه، وقال من يحيي العظام وهي رميم؟ فأنزل الله عز وجل البرهان الساطع فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] الآية فانصرف مبهوتاً ببرهان نبوته.

فإن قيل: إن إبراهيم عليه السلام كسر أصنام قومه غضباً لله. قيل: محمد ﷺ كسر ثلاثمائة وستين صنماً نصبت حول الكعبة بإشارته باليمين فتساقطن.

القول فيما أوتي موسى عليه السلام من العصا الخشب الموات جعلها الله ثعباناً تتلقف ما يأفك سحرة فرعون، ثم تعود إلى معناها وخاصتها.

فإن قيل: فإن موسى عليه السلام جعل الله عصاه ثعباناً. **قلنا:** فقد أوتي محمد ﷺ نظيرها وأعجب منها خوار الجذع اليابس وحنينه، وهذا أبلغ في الأعجوبة، وأيضاً إجابة الأشجار له واجتماعهن لدعوته ﷺ لما دعاهن ورجوعهن إلى أمكنتهن بعد أن أمرهن.

فإن قلت: إن موسى عليه السلام كان في التيه يضرب بعصاه الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً.

قلنا: كان لمحمد ﷺ مثله وأعجب منه، فإن نبع الماء من الحجر مشهور في المعلوم والمتعارف، وأعجب من ذلك نبع الماء من بين اللحم والعظم والدم، وكان يتفجر من بين أصابعه في مخضب ينبع من بين أصابعه الماء، فيشربون ويستقون ماء جارياً عذباً روى العدد الكثير من الناس والخيل والإبل، ووقع ذلك ما في معناه من نبع الماء له ﷺ.

فإن قيل: إن موسى عليه السلام انفلق له البحر فجازه بأصحابه لما ضربه بعصاه. **قلنا:** قد أوتي نظيره بعض أمته من بعده لأنه لم يحوج إلى اجتياز بحر، وهو العلاء بن الحضرمي لما كان بالبحرين واضطر إلى عبور البحر فعبر هو وأصحابه مشياً على الماء، ولم يبل لهم ثوباً.

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أوتي قومه بالعذاب: الجراد، والقنفذ، والضفادع، والدم على ما أخبر الله تعالى به.

قلنا: قد أرسل على قريش في عهد النبي ﷺ الدخان آية بينة ونقمة بالغة. قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠ - ١١]، ودعا على قريش فابتلوا بالسنين، فقال ﷺ: «اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[1].

فإن قيل: إن موسى عليه السلام أنزل عليه وعلى قومه المن والسلوى وظلل عليهم الغمام، وإن المن والسلوى رزق رزقهم الله كفوا السعي فيه والاكتساب.

قلنا: أعطي محمد ﷺ وأمته ما هو أعظم منه مما كان محظوراً على من تقدم من الأنبياء

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ٢٠٣). ومسلم في الصحيح (٤٦٦). والنسائي في السنن (الافتتاح: ١١٣). وأبو داود في السنن (١٢٤٤). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٩). والبيهقي في السنن الكبرى (٢: ١٩٧). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ٢٣٧). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٢٩٠). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٢٩٠). وابن كثير في التفسير (٢: ٩٧). والقرطبي في التفسير (١٠: ١٩٤). والدارقطني في السنن (٢: ٣٨). والطحاوي في مشكل الآثار (١: ٢٣٦). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٧١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢١٩٩٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٤٨٦). والسيوطي في دلائل النبوة (٤: ١٧٦). وابن أبي شيبة في المصنف (٢: ٣١٧).

والأمم، فأحل الله عز وجل له ولأمته الغنائم، ولم تحل لأحد قبله.

وأعطي من جنسه أصحابه حين أصابتهم المجاعة في السرية التي بعثوا فيها، فقذف لهم البحر عن دابة حوت فأكلوا منه، وأتدموا شهراً مع أنه ﷺ كان يشبع النفر الكثير من الطعام اليسير، واللبن القليل حتى صدروا عنه شباعاً ورواء.

وروى بسنده إلى جابر رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب وأميرنا يومئذٍ أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط[1] فسمي ذلك الجيش جيش الخبط.

قال: فألقى لنا البحر ونحن بالساحل دابة تسمى العنبر فأكلنا منه شهراً وأتدمنا به وادّهنا بودكه حتى ثابت أجسامنا.

قال: فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه فنظر أطول رجل وأعظم جمل في الجيش فأمر أن يركب الجمل، وأن يمر تحته ففعل، فمر تحته، فأتينا النبي ﷺ فأخبرناه. فقال: «هل معك منه شيء»[2]. قلنا: نعم، فأتيناه منه فأكل».

فإن قيل: قد أعطي موسى العصا، فكان ثعباناً يتلقف ما صنعت السحرة واستغاث فرعون بموسى رهبة وفرقاً منها.

قلنا: قد كان لمحمد ﷺ أخت هذه الآية بعينها، وهي قصة أبي جهل بن هشام لما عاهد الله لأجلسن له بحجر قدر ما أطيق أحمله فإذا سجد في صلاته رضخت به رأسه، فلما سجد رسول الله ﷺ احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه أقبل مبهوتاً متقعاً لونه مرهوباً قد يبست يداه على حجره وحتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجالات قريش وقالوا: يا أبا الحكم ما جرى لك. قال: قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة، فلما دنوت

---

(١) الخَبَطَ: محركة ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويُوضع بالماء فتوجره الإبل وكلّ ورق مخبوط وما خبطته الدواب وكسرته وعين لجهينة على خمسة أيام من المدينة ومنه سرية الخبط من سراياه ﷺ إلى حي جهينة أو لأنهم جاءوا متى أكلوا الخبط والخبيط [لسان العرب، مادة: خبط].

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٤٩). ومسلم في الصحيح (الحج: ٥٧). والترمذي في السنن (٨٤٨). وأبو داود في السنن (الأطعمة: ٤٧). والنسائي في السنن (الصيد: ٣١). وأحمد في المسند (٣: ٣١٢). ومالك في الموطأ (٥: ١٨٧). والساعاتي في بدائع المنن (٩٨٢). والهيثمي في موارد الظمآن (٩٨٤:). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٦٩٧). وابن حجر في فتح الباري (٩: ٦١٣). وابن عبد البر في التمهيد (٤: ١٢٦). والدارقطني في السنن (٤: ٢٦٦).

منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا، والله ما رأيت مثل هامته، ولا قصرته، ولا أنيابه لفحل قط، فَهَمّ أن يأكلني. فَذُكِرَ [ذلك][1] لرسول الله ﷺ [فـ]قال[2]: «ذاك جبرائيل عليه السلام ولو دنا مني لأخذه»[3].

القول فيما أوتي صالح عليه السلام

فإن قيل: قد أخرج الله عز وجل لصالح ناقة جعلها له على قومه حجة وآية لها شرب يوم، ولقومه شرب يوم معلوم.

قلنا: قد أعطى الله عز وجل محمداً ﷺ على قومه حجة مثل ذلك، كانت ناقة صالح لم تتكلم، ولا ناطقة، ولم تشهد له بالنبوة، ومحمد ﷺ شهد له البعير الناد شاكياً إليه ما همّ به صاحبه من نحره.

القول فيما أوتي داود عليه السلام

فإن قيل: فسخر الله عز وجل لداود الجبال والطيور يسبحن معه، وألاَنَ له الحديد.

قلنا: قد أُعطي محمد ﷺ مثله من جنسه وزيادة، فقد سبح الحصا في يده وفي يد من صدقه رفعة لشأنه وشأن مصدّقيه.

وروى بسنده إلى سويد بن يزيد قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ، فإذا أبو ذر جالس، فاغتنمت خلوته، فجلست إليه فقال أبو ذر: كنت مع رسول الله ﷺ في خلواته، فدخلت ذات يوم المسجد، فإذا هو فيه، فجئت فجلست، فبينا أنا جالس إذ جاء أبو بكر رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «ما جاء بك يا أبا بكر؟»[4]. قال: إلى الله وإلى رسوله، فجلس عن يمين رسول الله ﷺ، ثم جاء عمر فقال: «ما جاء بك عمر؟»[5]. قال: إلى الله وإلى رسوله، فجلس عن شمال رسول الله ﷺ، قال: ثم جاء عثمان، فقال: «ما جاء بك يا عثمان؟»[6].

---

(١) زيادة اقتضاها المعنى.

(٢) زيادة اقتضاها المعنى.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ١٢). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ١٨٤).

(٤) رواه الترمذي في السنن (٣٣٦٩:). والحاكم في المستدرك (٤: ١٣١). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٩٩). والبخاري في الصحيح (٨: ٤٤٣). والترمذي في الشمائل (٦٩).

(٥) رواه الترمذي في السنن (٣٣٦٩)، وفي الشمائل (٦٩).

(٦) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٢٨١).

فقال إلى الله وإلى رسوله. قال: فأخذ رسول الله ﷺ سبع حصيات فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل، ثم وضعهن.

قال: فخرسن، ثم أخذهن فدفعهن في يد أبي بكر. قال: فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسن، ثم أخذهن فدفعهن في يد عمر، فسبحن في يده حتى سمعت حنينهن كحنين النحل. قال: ثم وضعهن فخرسن، وفي رواية أخرى أنهن سبحن في يد عثمان أيضاً رضي الله عنه.

فإن قيل: سخرت له الطير. **قلنا:** فقد سخرت لرسول الله ﷺ مع الطير البهائم العظيمة. الإبل فما دونها، ما هو أعسر وأصعب من الطير. السباع العادية الضارية بتهيبها، وتنقاد إلى طاعته كالبعير الشارد الذي انقاد له، والذئب الذي نطق بنبوته، وبالتصديق بدعوته ورسالته، وكذلك الأسد لما مر به سفينة مولى رسول الله ﷺ وهمهم به ودَلَّه على الطريق.

وروى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فدخل رجل غيضة فأخرج منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترفرف على رسول الله ﷺ، فقال: **«أيكم فجع هذه؟»**. فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضها، فقال: **«رده رحمة لها»**[1].

فإن قيل: فقد لَيَّنَ الله تعالى لداود عليه السلام الحديد حتى سرد منه الدروع رده السوابغ.

قلنا: قد لينت لمحمد ﷺ الحجارة وصم الصخور فعادت له غاراً استتر بها من المشركين. [و][2] يوم أحد مال ﷺ برأسه إلى الجبل ليخفي شخصه عنهم فليّن الله له الجبل حتى أدخل فيه رأسه، وهذا أعجب لأن الحديد تلينه النار، ولم نرَ النار تلين الحجر، وذلك بَعْدُ ظاهرٌ باقٍ يراه الناس.

وكذلك في بعض شعاب مكة حجر من جبل أصمّ أستروح ﷺ في صلاته إليه فلان له الحجر حتى أثر فيه بذراعيه وساعديه، وذلك مشهور يقصده الحجاج ويزورونه. وعادت الصخرة ببيت المقدس ليلة أسري به كهيئة العجين فربط بها دابته البراق.

القول فيما أوتي سليمان عليه السلام

فإن قيل: فإن سليمان عليه السلام قد أعطي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده. **قلنا:** إن

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ١٧٣). والسيوطي في دلائل النبوة(٦: ٣٢).

(٢) زيادة اقتضاها المعنى.

محمداً ﷺ أعطي مفاتيح خزائن الأرض فأباها، وردها اختياراً للتقلل والرضا بالقوت واستصغاراً لها بحذافيرها، وإيثاراً لمرتبته ورفعته عند الله تعالى.

وروى بسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي ربي عز وجل ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً، وأجوع ثلاثاً، وإذا جعت تضرعت إليك، وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[1].

وروى بسنده إلى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة لو شئتُ لسارت معي جبال الذهب. جاءني ملك إن حجزته لتُساوي الكعبة، فقال: إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت عبداً نبياً، وإن شئت نبياً ملكًا، فنظرت إلى جبرئيل فأشار إلي أن ضع نفسك، فقلت: نبياً عبداً»[2].

فإن قيل: فإن سليمان عليه السلام سخرت له الرياح، فسارت به في بلاد الله وكان غدوها شهراً ورواحها شهراً. قلنا: أعطي محمد ﷺ أعظم وأكثر منه لأنه سار في ليلة واحدة من مكة إلى بيت المقدس مسيرة شهر، وعرج به إلى ملكوت السمٰوات مسيرة خمسين ألف سنة في أقل من ثلث ليلة، فدخل السمٰوات سماء سماء، ورأى عجائبها، ووقف على الجنة والنار، وعرض عليه أعمال أمته وصلى بالأنبياء وبملائكة السماء، وخرق الحجب ودلى له الرفرف الأخضر فتدلى، وأوحى إليه رب العالمين ما أوحى، وأعطاه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش، وعهد إليه أن يظهر دينه على الأديان كلها حتى لا يبقى في شرق الأرض وغربها إلا دينه أو يؤدون إليه وإلى أهل دينه الجزية عن صغار، وفرض عليه الصلوات الخمس، ولقي موسى وسأله عن مراجعة ربه في تخفيفه عن أمته هذا كله في ليلة واحدة.

فإن قيل: فإن سليمان عليه السلام كانت تأتيه الجن وإنها كانت تعتاص عليه حتى يصفدها، ويقيدها. قيل: فإن محمداً ﷺ كانت الجن تأتيه راغبة إليه طائعة له معظمة لشأنه ومصدقة له مؤمنة به متبعة لأمره متضرعة له مستجدين منه ومستمنحين زادهم، ومأكلهم

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٢٣٤٧). وأحمد في المسند (٥: ٢٥٤). والطبراني في المعجم الكبير (٨: ٢٤٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤: ٢٦١). وابن المبارك في الزهد (٢: ٥٤). والبغوي في شرح السنة (١٤: ٢٤٦). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ١٥٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٩٠). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (١: ٢٣٩). وابن كثير في التفسير (٥: ١١٨). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ١٣٣).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٢). والبغوي في شرح السنة (٥: ٩٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ١٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٢٨). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٨٣٥).

فجعل كل روثة يصيبونها تعود علفاً لدوابهم، وكل عظم يعود طعاماً لهم، وصرفت لنبوته أشراف الجن وعظماؤهم التسعة الذين وصفهم الله تعالى فقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية، وقوله: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ إلى قوله: ﴿لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ [الجن: ٧]، وأقبلت إليه ﷺ الألوف منهم مبايعين له على الصوم، والصلاة، والنصح للمسلمين، واعتذروا بأنهم قالوا على الله شططاً، فسبحان من سخرها لنبوته ﷺ بعد أن كانت شراراً تزعم أن لله ولداً، فلقد شمل مبعثه من الجن والإنس ما لا يحصى. هذا أفضل مما أعطي سليمان عليه السلام.

وروى بسنده إلى بلال بن الحارث رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فخرج لحاجته، وكان إذا خرج لحاجته أبعد، فأتيته بأداوة من ماء فانطلق، فسمعت عنده خصومة رجال ولغطاً لم أسمع مثلها، فجاء فقال لي: «أمعك ماء» فقلت: نعم. قال: «اصبب»، وأخذ مني فتوضأ، فقلت يا رسول الله سمعت عندك خصومة رجال، ولغطاً ما سمعت أحد من ألسنتهم. قال: «**اختصم عندي الجن المسلمون، والجن المشركون سألوني أن أسكنهم، فأسكنت المسلمين الجلس وأسكنت المشركين الغور**»[(١)].

قال عبد الله بن كثير: قلت لكثير: ما الجلس؟ قال: القرى، والجبال. والغور: ما بين الجبال، والبحار، قال كثير: ما رأينا أحد أصيب بالجلس إلا سلم، ولا أصيب بالغور إلا لم يسلم.

فإن قيل: سليمان عليه السلام له من التمكين والتسليط من اعتصاص عليه من الجن أن يصفدهم ويقيدهم حتى كانوا في تصرفهم له مطيعين لشأنه متبعين.

قلنا: لقد كان لمحمد ﷺ ولطائفة من أصحابه من التمكين والأسر لهم والقبض عليهم مثل التمكين والتنكيل.

وروى بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله تعالى منه فأخذته وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا فتنظروا إليه كلكم أجمعون فذكرت دعوة أخي سليمان رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب، قال: فرده الله خاسئاً**»[(٢)]، ثم ذكر قصصاً

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١: ٢٠٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٥٢٣٢).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (١: ١٢٤). وأحمد في المسند (٢: ٢٩٨). والبغوي في شرح السنة (٣: ٢٦٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٩٨٧). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ٣٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٥٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٢٨٦). =

فيها تستخير الجن لبعض الصحابة رضي الله عنهم، وأحاديث تتعلق بنصرة الملائكة وطاعتهم له ﷺ، ثم قال:

فإن قيل: إن سليمان عليه السلام كان يفهم كلام الطير والنملة مع تسخير الله له كما ذكر. قلنا: قد أعطي محمد ﷺ ذلك، وأكثر منه ما تقدم ذكرنا له من كلام البهائم، والسباع، وحنين الجذع، ورغاء البعير، وكلام الشجر، وتسبيح الحصا، والحجر، ودعائه إياه واستجابته لأمره، وإقرار الذئب بنبوته، وتسخير الطير لطاعته، وكلام الظبية وشكواها إليه، وكلام الضب وإقرار بنبوته.

القول فيما أوتي يوسف عليه السلام

فإن قيل: فإنّ يوسف عليه السلام موصوف بالجمال على جميع الأنبياء والمرسلين، بل على الخلق أجمعين.

قلنا: إن جمال محمد ﷺ الذي وصفه به أصحابه لا غاية وراءه إذ وصفوه بالشمس الطالعة، والقمر ليلة البدر، وأحسن من القمر، ووجهه كأنه مذهبة يستنير كاستنارة القمر، وكان عرقه ﷺ له رائحة كالمسك الإذفر.

وروى بسنده إلى ابن عمار بن ياسر قال: قلت للربيع بنت معوذ بن عفراء صفي لي رسول الله ﷺ، فقالت: يا بني لو رأيته رأيت الشمس الطالعة.

وروى بسنده إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، قال: قلت لهند بن أبي هالة: صف لي رسول الله ﷺ حتى كأني أنظر إليه؟ قال: نعم، كان رسول الله ﷺ حسن الوجه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر.

وروى بسنده إلى كعب بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا سره الأمر استنار وجهه كأنه دارة القمر.

وروى بسنده إلى عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان عرق رسول الله ﷺ في وجهه مثل اللؤلؤ. أطيب من المسك الإذفر، وكان أحسن الناس وجهاً، وأنورهم لوناً لم يصفه واصف. قال: بمعنى صفته إلا شبّه وجهه بالقمر ليلة البدر ﷺ.

= وابن حجر في فتح الباري (١: ٥٥٤). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٠). وابن كثير في البداية والنهاية (١: ٦٤). والسيوطي في دلائل النبوة (٧: ٩٧).

القول فيما أوتي يحيى بن زكريا عليه السلام

فإن قيل: إن يحيى عليه السلام أوتي الحكم صبياً، وكان يبكي من غير ذنب، وكان يواصل الصوم.

قلنا: قد أُعطي محمد ﷺ أفضل من هذا، لأن يحيى عليه السلام لم يكن في عصر الأوثان، والأصنام، والجاهلية ومحمد ﷺ كان في عصر أوثان وجاهلية فأوتي الفهم والحكم صبياً بين عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، فما رغب لهم في صنم قط، ولا شهد معهم عيداً، ولم يسمع منه قط كذب، وكانوا يعدّونه صدوقاً، أميناً، حليماً، رؤوفاً رحيماً.

وكان يواصل الأسبوع صوماً، فيقول: «إني أظل عند ربي فيطعمني ويسقيني»[1]، وكان ﷺ يبكي حتى يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

فإن قيل: فقد أثنى الله على يحيى، فقال: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾[آل عمران: ٣٩]، والحصور الذي لا يأتي النساء.

قلنا: إن يحيى كان نبياً ولم يكن مبعوثًا إلى قومه، وكان منفرداً بمراعاة شأنه، وكان نبينا ﷺ رسولاً إلى كافة الناس ليقودهم ويحوشهم إلى الله عز وجل قولاً، وفعلاً، فأظهر الله تعالى به الأحوال المختلفة، والمقامات العالية المتفاوتة في متصرفاته ليقتدي كل الخلق بأفعاله وأوصافه فاقتدى به الصديقون في جلالتهم، والشهداء في مراتبهم، والصالحون في اختلاف أحوالهم ليأخذ كل من العالي والداني والمتوسط والمكين من فعاله قسطاً وحظاً إذ النكاح من أعظم حظوظ النفس، وأبلغ الشهوات، فأمر بالنكاح وحثّ عليه لما جبل الله عليه النفوس وأباح ذلك لهم ليتحصنوا به من السفاح، فشاركوه ﷺ في ظاهره، وشملهم الاسم معه، وانفرد عن مساواته معهم، فقال ﷺ: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم»[2]. فإن غلب عليه وعلى قلبه ما أفرده الحق به من قوله: «وجعلت قرة عيني في الصلاة»[3].

تلطف ﷺ في مرضاته، فقال لعائشة: «ائذني لي أتعبد في هذه الليلة»، فقالت: إني لأحب قربك وأحب هواك، فقام إلى الصلاة إلى الصباح راكعاً ساجداً، أو باكياً، وربما خرج إلى

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٥٣). وابن حجر في فتح الباري (٤: ٢٠٧).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٧٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ١٠). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٨٢). وابن حجر في فتح الباري (٩: ١١١). وفي تلخيص الحبير (٢: ١١٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤٣٢). والقرطبي في التفسير (٩: ٣٢٧). وابن عدي في الكامل للضعفاء (٦: ٢١٤٧).

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٢٠).

البقيع فتعبد فيها ويزور أهلها، وربما قام ليلة بآية إلى الصباح يتردد فيها كالمناجي ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ [المائدة:١١٨]، فكانت نسبته عن أحكام البشرية ودواعي النفس ممحوة عند انشقاق صدره لما حشوه بالإيمان والحكمة الذي وزن به أمته فرجح بهم. هذا مع ما أنزل الله من السكينة عليه وعلى قلبه ﷺ.

القول فيما أوتي عيسى عليه السلام

كلّ فضيلة أوتي عيسى عليه السلام فقد أوتيها نبينا ﷺ، وأنها لم ينكرها المتدبر مع ما أطلعه الله عليه خصوصاً من الغيوب التي لم يطلع عليها غيره، من الفتن الكائنات التي لم يخبر بها سواه من المرسلين ﷺ.

فإن قيل: إن عيسى عليه السلام خُصّ بأن أرسل الروح الأمين إلى أمه فتمثل لها بشراً سوياً، وقال: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ إلى آخر الآيات ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ [مريم:١٩،٢٩]، فنطق في المهد: قال: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾[مريم: ٣٠] فكان آية للعالمين، ومثلاً في الآخرين، لم يذكر لأحد من الأنبياء شيء مثله، فالقول في ذلك إن رسول الله ﷺ أُعطي ضروباً من هذه الآيات وأمثالها الدالة على مولده، وبُشرت به آمنة وما ظهر لها من الآيات عند وضعها.

وروى بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: فكان من دلالات حمل النبي ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة، وهو أمان الدنيا وسراج أهلها، ولم يبق كاهنة من قريش، ولا من قبيلة من قبائل العرب، إلا حجبت عنها صاحبتها وانتزع علم الكهنة، ولم يكن سرير ملك الدنيا إلا أصبح منكوساً، والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضاً به ﷺ.

وفي كل شهر من شهوره نداء في الأرض، ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً، فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آتٍ حين مَرّ بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام، وقال: يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدته فسميه محمداً، أو اكتمي شأنك.

قال: فكانت تقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل، وعبد المطلب في طوافه.

قالت: فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك، وذلك يوم الإثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء وظننتها لبناً، وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عالٍ، ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن بنات عبد المطلب يحدقن بي، فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه من أين علمن بي هؤلاء؟! اشتد بي الأمر، وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول، فإذا أنا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس.

قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة، وأنا يرشح مني عرق كالجمان أطيب ريحاً من المسك الإذفر، وأنا أقول: يا ليت عبد المطلب قد دخل علي، وعبد المطلب كان عني نائياً.

قالت: فرأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي، مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من اليواقيت تكشف لي عن بصري فأبصرت في ساعتي مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علماً في المشرق، وعلماً في المغرب، وعلماً على ظهر الكعبة، وأخذني المخاض، واشتد بي الأمر جداً فكنت كأني مستندة إلى أركان النساء، وكثرن علي حتى كأن الأيدي معي في البيت، وأنا لا أدري شيئاً، فولدت محمداً ﷺ، فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن وجهي، فسمعت منادياً ينادي يقول طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها، وادخلوه البحار كلها ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به في زمنه، ثم تجلت عنه في أسرع وقت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضاً من اللبن، وتحته حريرة خضراء قد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض، وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر، ومفاتيح الذبح، ومفاتيح النبوة. ثم قال:

فإن قلت: إن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فيكون طيراً بإذن الله تعالى. قلنا: إن لرسول الله ﷺ نظيره فإن عكاشة بن محصن انقطع سيفه يوم بدر فدفع إليه رسول الله ﷺ جذلاً من حطب، وقال: «قاتل بهذا»[1] فعاد في يده سيفاً شديد المتن أبيض الحديدة طويل القامة، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين، ثم لم يزل يشهد به المشاهد إلى أيام الردة.

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ٢٩٠).

فالمعنى الذي به أمكن رسول الله ﷺ أن يُصَيِّر الخشبة حديداً ويبقى على الأيام هو المعنى الذي خلق به عيسى من الطين كهيئة الطير، ثم استماع التسبيح والتقديس والتهليل من الحجر الأصم في يده، وشهادة الأحجار والأشجار له ﷺ بالنبوة، وأمره للأشجار بالاجتماع والالتزاق والافتراق كل ذلك جانس إحياء الموتى، وطيران المصور من الطين كهيئة الطير.

فإن قيل: إن عيسى عليه السلام كان يبرئ الأعمى والأكمه، والأبرص بإذن الله تعالى.

قلنا: إن قتادة بن النعمان ندرت حدقته يوم أحد من طعنة أصيب بها في عينه، فأخذها الرسول الله ﷺ فردها، فكان لا يدري أي عينه أصيبت، وكانت أحسن عينيه وأحدّهما.

وروى بسنده إلى حبيب بن فديك قال: إن أباه خرج به إلى النبي ﷺ وعيناه مبيضتان لا يبصر بهما شيئاً، فسأله ﷺ: «ما أصابك»[1] قال: كنت أمرن جملي أي أدهن قوائمه فوقعت رجلي على بيض حية فأصابت بصري، فتفث النبي ﷺ في عينيه فأبصر. قال: فرأيته يدخل الخيط في الإبرة، وإنه ابن ثمانين سنة، وإن عينيه لمبيضتان.

وروى بسنده إلى رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر رُمِيتُ بسهم ففقأت عيني فبصق فيها رسول الله ﷺ ودعا لي فما أذاني منها شيء.

وتفل ﷺ في عيني علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه يوم خيبر. وهو أرمد فبرأ من ساعته، وما اشتكى عينه بعد ذلك. وكان ﷺ يؤتى بالمرضى والمصابين فيدعو لهم ويمسحهم بيده فيبرؤن.

وأتي ﷺ بصبي يأخذه الشيطان، فقال: «اخسأ عدو الله»[2] فثعَّ ثعَّة[3] فخرج منه كالجرو الأسود، وكان مريضاً قد صار مثل الفرخ المنتوف فدعا له ﷺ فكأنما نشط من عقال.

وله ﷺ من إبراء المرضى وإزالته الأسقام ممن استشفاه وشكا إليه وَصَبَه وألمه فدعا له فعوفوا.

وروى بسنده إلى أبيض بن حمال الماردي رضي الله عنه أنه كان بوجهه حزازة قد التمعت أنفه أي التقمته، فدعا رسول الله ﷺ فمسح على وجهه فلم يمس من ذلك اليوم وفيه أثر.

وروى بسنده إلى رافع بن خديج رضي الله عنه قال: دخلت يوماً على قوم وعندهم قدر

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٢٣٤).

(٢) رواه الدارمي في السنن (١: ١٠). وابن عبد البر في التمهيد (١: ٢٢٣).

(٣) ثَعَّ ثَعَّة: قاء قاءة، والثعة المرة الواحدة [لسان العرب، مادة: ثعع].

تفور لحماً فأعجبني شحمة فأخذتها فازدرتها فاشتكيت منها سنة، ثم ذكرته لرسول الله ﷺ فقال: «إنه كان فيها نفس سبعة أناس»[(١)]، ثم مسح بطني فألقيتها خضراء، فوالذي بعثه بالحق ما اشتكيت بطني حتى الساعة.

فإن قيل: إن عيسى عليه السلام كان يحيي الموتى بإذن الله تعالى فأعجب منه ما رفع الله به شأن محمد ﷺ، وجعلت له آية بينة شهدها الجماعة الكثيرة في إحياء شاة جابر بن عبد الله، وما أحيا الله تعالى لامرأة من الأنصار ابنها على عهد رسول الله ﷺ آية عجيبة لنبي الله ﷺ، وساق بسنده الأحاديث الواردة في ذلك بطولها. ثم قال:

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام كان يخبر بالغيوب، وينبئ بما يأكلون في بيوتهم وما يدخرون، فإن رسول الله ﷺ كان يخبر من ذلك بأعجب لأن عيسى عليه السلام كان يخبر بما يأكلون من وراء جدار في مبيتهم وتصرفهم في مآكلهم ومحمد ﷺ كان يخبر بما كان مسيرة شهر وأكثر ومن ذلك إخباره ﷺ بوفاة النجاشي، ومن استشهد في الغزاة: زيد، وجعفر، وعبد الله بن رواحة.

وكان يأتيه السائل فيقول: «إن شئت أخبرتك عما جئت تسأل عنه»[(٢)]، وأشباه ذلك.

وأخبر ﷺ عمير بن وهب الجمحي بما تواطأ عليه هو وصفوان بن أمية لما قعد بمكة بالحجر في الفتك برسول الله ﷺ بعد مصاب أهل بدر، فأسلم عمير، وساق من أخباره بالغيب ﷺ شيئاً كثيراً من القرآن والحديث. ثم قال:

فإن قيل: فإن عيسى ابن مريم عليه السلام كان سياحاً جواباً للقفار والبراري، فكذلك [كانت] [(٣)] سياحته ﷺ أعظم، وأكثر الجهاد، فاستنفذ في عشر سنين ما لا يعد من حاضر وباد وافتتح القبائل الكثيرة ﷺ.

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام كان زاهداً يقنعه اليسير ويرضيه القليل. خرج من الدنيا كفافاً.

قلنا: إن محمداً ﷺ أزهد الأنبياء. ما رفعت مائدته قط وعليها طعام، ولا شبع من خبز بر ثلاث ليال متواليات، وكان يربط الحجر على بطنه، لباسه الصوف، وفراشه إهاب شاة، ووسادته من أدم، حشوها ليف.

---

(١) رواه السيوطي في دلائل النبوة(٦: ١٨٣).

(٢) رواه في الجامع الكبير (٢: ٥١٤). وفيه: تسألني».

(٣) وردت في الأصل: «كان» اثبتنا التاء لسلامة المعنى.

يأتي عليه الشهران والثلاثة لا يُوْقَدُ في بيته نار، وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة، ولم يترك صفراء ولا بيضاء مع ما عرض عليه من مفاتيح خزائن الأرض، ووطئ له من البلاد، ومنح من غنائم العباد، فكان ﷺ يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف، ويعطي الرجل مائة من الأبل، ويعطي ما بين الجبلين من الأغنام، ويأتيه السائل فيقول ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير، ولا من تمر أجوع يوماً، وأشبع يوماً، فإذا جعت تضرعت، وإذ شبعت حمدت» وكيف لا يكون كذلك من عظم الله خلقه فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

فإن قيل: فإن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء. قلنا: قد عرض على محمد ﷺ البقاء عند وفاته فاختارا ما عند الله وَقَرَّ به على البقاء في الدنيا، فقبضه الله تعالى، ورفع روحه إليه، ولو اختار البقاء في الدنيا لكان كالخضر، وإلياس، وعيسى عليهم السلام عند الله تعالى في سمواته وفي عالمه في أرضه، لأن عيسى عليه السلام مقيم في السماء، وإلياس والخضر عليهما السلام يجولان في السمٰوات والأرضين مع أن قوماً من أمة نبينا ﷺ رفعوا كما رفع عيسى عليه السلام.

ومنهم عامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما، فقد رفع والناس ينظرون إليه، ودفن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه وكان قد مات في خلافة أبي بكر الصديق في أرض العدو فخافوا أن ينبش قبره ويستخرج فذهبوا لينقلوه من أرض العدو فلم يجدوه، ولا يُدرى أين ذهب به.

وروى بسنده إلى عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً على قريش قال: فجئت إلى خشبة خبيب[1] وأنا أتخوف العين فرقيت فيها فأطلقت خبيباً، فوقع على الأرض فانتبذت غير بعيد، ثم التفت فلم أر خبيباً كأنما ابتلعته الأرض فما رؤي إلى الساعة.

وكان خبيب قد قتله مشركو مكة، وصلبوه على خشبة حتى جاء عمرو فألقاه عنها، ولم يُدر أين ذهب رضي الله عنه، وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه: قد نقلت في كتابي حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ﷺ عن «المواهب» للإمام القسطلاني المقابلة بين معجزات الأنبياء ومعجزاته ﷺ، وأنّ له معجزات من جنس معجزات كل واحد منهم صلى الله

---

(١) خشبة خبيب: هي الخشبة التي صلبه عليها المشركون.

عليه وعليهم، وأتبعت ذلك بعبارة مني، وها أنا أذكرها هٰهنا بحروفها.

وهي قولي: ومن تتبع كرامات أولياء أمته ﷺ من عهد الصحابة إلى الآن وجد من جنس كل معجزة من معجزات الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام ما لا يدخل تحت الحصر، وقد جمع منها في الكتب آلاف كثيرة، وهي بالنسبة إلى ما لم يجمع قطرة من بحار، فإنها دائمة الوقوع على أيديهم رضي الله عنهم في كل زمان ومكان، وكلها معجزات لمتبوعهم الأعظم ﷺ، ثم بعد نشر حجة الله على العالمين جمعت فيها كتاباً حافلاً سميته «جامع كرامات الأولياء».

فمنهم رضي الله عنهم من دخل النار فلم تؤثر به كأبي مسلم الخولاني التابعي وغيره، وفي كل عصر من ذلك شيء كثير، وهي أشهر معجزات سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

ومنهم رضي الله عنهم من قطع البحر، فلم يضره شيء كالعلاء بن الحضرمي الصحابي رضي الله عنه حينما غزا البحرين. قطع البحر بجيشه، فلم يفقد منهم أحد، ولا شيء من أمتعتهم.

وكذلك سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند فتحه مدائن كسرى قطع نهر دجلة العظيم بجيشه الجرار، وهو هائج يرمي بالزبد فلم يفقدوا شيئاً، فظنهم الفرس من الجن.

وقالوا: لا طاقة لنا بحرب هؤلاء. ففروا، واستولى سعد بجيشه على المدائن، وهذه من أشهر معجزات سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ومن هذا القبيل من مشى على الماء من الأولياء وهم كثيرون في كل عصر.

ومنهم رضي الله عنهم من وقع على يديه إحياء الموتى كما ذكره كثيرون، منهم الإمام القشيري في رسالته.

وقال الإمام الشعراني في طبقاته الكبرى في ترجمة سيدي الشيخ المتبولي ما نصه: كان يسأل الفقراء القاطنين عن أحوالهم وبباسطهم، فرأى يوماً شخصاً منهم كثير العبادة والأعمال الصالحة، والناس منكبون على اعتقاده فقال: يا ولدي مالي أراك كثير العبادة ناقص الدرجة لعل والدك غير راضٍ عنك. قال: نعم. فقال: تعرف قبره، فقال: نعم. فقال: اذهب بنا إلى قبره لعله يرضى.

قال الشيخ يوسف الكردي: فوالله لقد رأيت والده خرج من القبر ينفض التراب عن رأسه حين ناداه الشيخ، فلما استوى قائماً قال: الفقراء جاؤا شافعين تطيب على ولدك هذا.

فقال: أشهدكم أني قد رضيت عنه، فقال: ارجع مكانك، فرجع وقبره بالقرب من جامع شرف الدين برأس الحسينية انتهى.

وإحياء الميت هو أكبر معجزات سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام على أنه وقع إحياء الموتى على يد نبينا محمد ﷺ، أما شفاء الأسقام على أيديهم رضي الله عنهم وأنباؤهم بالمغيبات كما وقع لسيدنا عيسى عليه السلام فهو شيء كثير مستمر الوقوع منهم في كل مكان وزمان.

ومنهم رضي الله عنهم من وقع على يديهم إلانة الحديد كما يريد، ومن جملتهم في هذا العصر الولي الكبير شيخنا الشهير الشيخ علي العمري ـ الشامي الأصل نزيل طرابلس الشام أمد الله في حياته ونفعني والمسلمين ببركاته (قد توفي رضي الله عنه سنة ١٣٢١) ـ قد شاهدته قبض بيده اليمنى على مفتاح حديد ليس بالصغير فلواه بأصابعه بدون تكلف فالتوى.

وسمعت كثيرين شاهدوا منه ذلك كما شاهدوا عمله هذا بالفضة كالحديد، بأن يضع طرف الريال المجيدي ونحوه على جبهة إنسان مثلاً والطرف الآخر بين إصبعيه الإبهام والسبابة ويحركهما قليلاً فيثني الريال كأنه قطعة عجين، ويبقى كذلك فيحفظه صاحبه للتبرك، وقد شاهدت منه أنا وغيري من الناس الذين يزيدون على الألوف في أوقات مختلفة أنواع الكرامات منها ما سمعنا بوقوعها من الأولياء السابقين، ومنها ما لم نسمع بها، ولو دونت لبلغت آلافاً كثيرة رضي الله عنه ونفعنا ببركاته في الدنيا والآخرة.

لا شك أن إلانة الحديد هي أشهر معجزات سيدنا داود على نبينا وعليه الصلاة والسلام.

ومنهم رضي الله عنهم أهل الخطوة، الذين يقطعون ما بين المشرق والمغرب في وقت قصير. ومنهم من يمشي في الهواء.

ومنهم من أطاعته الجن وهؤلاء الأنواع الثلاثة كثيرون والكتب مملوءة بأخبارهم، وهذه من أشهر معجزات سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ولو تتبعت معجزات كل فرد من الأنبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم وتتبعت كرامات أولياء أمته ﷺ لوجد من جنس كل معجزة كرامات كثيرة لا تعد ولا تحصى مطابقة لها غاية المطابقة كما وقعت المطابقة في كثير من معجزاته ﷺ.

إذا علمت ذلك فلا حاجة إلى تكلف التطبيق على جميع معجزات الأنبياء من معجزاته ﷺ، فإن منها ما لم تظهر فيه المطابقة كقول الإمام القسطلاني السابق. كما أن سيدنا إبراهيم صلوات الله على نبينا وعليه ألقي في النار فلم تحرقه ، كذلك سيدنا محمد ﷺ ابتلي

بنار الحرب فلم تحرقه، فلا حاجة إلى هذا ونحوه مع كثرة وقوع ذلك لأولياء هذه الأمة وغيرهم حتى العوام المنسوبين لطريقة سيدنا أحمد الرفاعي كرامة له رضي الله عنه.

وأقول من جهة أخرى ليس من ضرورة تفضيل نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أن يقع على يده مثل المعجزات التي وقعت على أيديهم ومن جنسها، فإن تفضيله عليهم وعلى سائر خلق الله بالدلائل الواضحة وضوح النهار، ولا ينكره أحد من ذوي البصائر والأبصار، بحيث كاد يكون في حكم البديهيات التي لا يجهلها أحد من أهل الإسلام، أو ممن لهم في معرفة الأنبياء والرسل وشرائعهم أدنى إلمام، وأدلة ذلك مبسوطة في محلها.

وأيضاً إنما وقع على أيدي الرسل صلوات الله على نبينا وعليهم من المعجزات ما يناسب أحوال أهل زمانهم المبعوثين إليهم، وما يناسب السبب الذي وقعت لأجله المعجزة، فلما كان الغالب على أهل زمان سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام معرفة السحر كان أجلّ معجزاته ما قهرهم به في ذلك الوصف الذي امتازوا به على غيرهم، فانقلبت عصاه ثعباناً، وتلقفت حبال السحرة التي تخيلها حيات تسعى.

ولما كان الغالب على أهل زمان سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام معرفة الطلب كان أجلّ معجزاته ما لم يتصوروا وقوعه من أحد أشهر أطباء العالم، وهو إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص.

ولما كان الغالب على أهل زمان سيدنا محمد ﷺ الفصاحة التي امتازوا بها على الناس كان أجل معجزاته، ما قهرهم به في أكمل كمالاتهم وهي القرآن.

وأما المعجزات التي وقعت على أيديهم مناسبة للسبب الذي وقعت لأجله فمنها: ما وقع على يد سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام وهي جعل النار، عليه برداً أو سلاماً حين ألقاه فيها أعداؤه، فهذه المعجزة اقتضاها إلقاؤهم إياه في النار ولو فرضنا وقوع مثل ذلك لسيدنا محمد ﷺ لصارت عليه برداً وسلاماً بلا شك، وقد تقدم كثرة وقوع مثل هذا لبعض أولياء أمته ﷺ.

ومنها ما وقع على يد سيدنا موسى صلوات الله على نبينا وعليه مثل انفلاق البحر له حينما تبعه فرعون بجنوده ففلق الله له البحر لينجو هو وقومه، ولو وقع مثل ذلك لسيدنا محمد ﷺ لربما حصلت له هذه المعجزة أو نحوها من وجوه الفرج التي ينصر الله بها أولياءه على أعدائه، ولا ضرورة لما نقله في المواهب من أن النبي ﷺ قطع ليلة المعراج بحراً بين السماء والأرض يسمى المكفوف، وجعل ذلك مثل انفلاق البحر، لموسى عليه السلام، وقد

تقدم قطع العلاء بن الحضرمي بجيشه البحر وسعد بن أبي وقاص بجيشه دجلة من دون أن يحصل لأحد منهم أدنى ضرر فهذا من قبيل معجزة انفلاق البحر.

ومنها ما وقع لسيدنا موسى أيضاً، من انفجار اثنتي عشرة عيناً حينما ضرب الحجر بعصاه عند احتياج قومه إلى الماء، فهذه وقع مثلها وأعظم منها لسيدنا محمد ﷺ، مراراً على أنواع متنوعة وأشكال مختلفة، في أزمنة متباينة، وأمكنة متباعدة، فقد وقع له ﷺ من ذلك في الحديبية وتبوك وغيرهما، كما يأتي تفصيله في محله وكان تارة يمج في الماء القليل فيبارك الله فيه حتى يكتفي منه الجيش العرمرم، وتارة يعطيهم سهماً فيضعونه في العين التي جف ماؤها أو كاد، فتفور بالماء حتى تكفي الألوف الكثيرة.

وتارة يضع يده الشريفة في القدح وفيه ماء قليل، فيتفجر الماء من بين أصابعه الشريفة حتى يكفيهم مهما كثروا، ولا شك أن هذا أعظم من معجزة سيدنا موسى، لأن خروج الماء من الحجر جرت به العادة وإن كانت على غير الصفة التي كانت معجزة بخلاف خروجه من بين الأصابع، فإنه لم تجر به عادة أصلاً.

ومنها، ما وقع لسيدنا عيسى من أن أعداءه لم يروه حينما جاؤوا للقبض عليه ليقتلوه وألقى الله شبهه على من دلهم عليهم، فأخذوه وصلبوه ونجى الله سيدنا عيسى من شرهم ورفعه إليه سبحانه وتعالى.

وهذه وقع مثلها لسيدنا محمد ﷺ، حينما جاء جماعة من قريش للقبض عليه ليقتلوه فخرج من أمامهم ونثر التراب على رؤوسهم فأعماهم الله، فلم يره منهم أحد وخلص من شرهم.

ومنها ما وقع لسيدنا عيسى من شفاء الأسقام وقد وقع من ذلك لسيدنا محمد ﷺ ما لا يكاد يحصى من كثرته ـ كما سيأتي ـ وهو مستمر الوقوع على يد أولياء أمته في كل زمان ومكان، ولو حسب ما وقع من ذلك على يد شيخنا الشيخ علي العمري المذكور سابقاً، لبلغ ألوفاً كثيرة على اختلاف الأمراض.

وقلما اجتمع به أحد إلا وشاهد منه شيئاً كثيراً من شفاء الأسقام وغيرها من الكرامات رضي الله عنه ونفعنا ببركاته.

ومنها ما وقع لسيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام من طاعة الجن له وقد كان ذلك لمناسبة قوة الملك الذي أعطاه الله إياه وقد وقع مثله لسيدنا محمد ﷺ من طاعتهم، فقد آمن به كثير منهم وأطاعوه وكثير من أولياء أمته يستخدمونهم كما يشاؤون، بل خدمته ﷺ

الملائكة الذين هم أشرف من الجن، وأمده الله في يوم بدر وغيره بجيش منهم مع سيدنا جبرائيل عليه السلام.

ومنها ما وقع لسيدنا سليمان أيضاً من تسخير الله له الريح التي غدوها شهر، ورواحها شهر، وهذه أيضاً ذكرت لمناسبة الملك الذي خصه الله به، وقد وقع أعظم منها بما لا يقبل النسبة لنبينا محمد ﷺ ليلة المعراج، فقد أسري به من مكة إلى القدس، إلى السمٰوات إلى سدرة المنتهى إلى ما لا يعلمه إلا الله، ورجع إلى مكة في بعض ليلة ووصف لهم بيت المقدس وحالة غيرهم التي صادفها في طريقه، فبان الخير كما قال مع علمهم أنه لم يسبق له سفر إلى بيت المقدس.

أما إعطاء سيدنا سليمان الملك، فقد خير الله نبينا محمداً ﷺ بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً وعرض عليه الملك أن تكون له جبال تهامة ذهباً فأبى.

أما ما وقع من المعجزات بحسب المناسبة والاقتضاء لنبينا محمد ﷺ فهو شيء كثير كما سيأتي، فمن ذلك أنه ﷺ لما هاجروا واختفى في الغار هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه نسجت في الحال على بابه العنكبوت، وباضت الحمامة، فلما وصله فتيان قريش لم يدخلوه.

وقال أحدهم: إن ما على بابه من نسج العنكبوت، أقدم من ميلاد محمد ورجعوا خائبين. ثم لما توجه ﷺ، ومعه أبو بكر رضي الله عنه تبعهما سراقة ليأتي بهما إلى قريش ويأخذ الجعل مائة ناقة، فلما كاد يدركهما ساخت قوائم فرسه في الأرض، فاستغاث بهما فدعا ﷺ له فخلص ورجع عنهما. ثم أتيا خيمة أم معبد فلما لم تجد، تضيفهما به وكان عندها عنز حائل قد أجهدها الهزال فحلبها ﷺ وشرب هو وأبو بكر ومن معهما حتى رووا وحلب إناء آخر وأعطاه إليها. وقد رمى في بعض حروبه أعداءه بكف من حصار وتراب، بعد أن أصابهم به جميعاً.

وكان يبارك لأصحابه في الماء والطعام عند حاجتهم، فيكفي الألف والآلاف بما لا يكفي الأفراد القليلة لولا بركته ﷺ ويمر يده الشريفة على من جرح أو كسرت رجله أو رمدت عينه أو سالت حدقته فيحصل الشفاء في الحال. وإخباره بالمغيبات بحسب المقتضيات كثيرة.

إذا علمت هذا تعلم أن وقوع بعض المعجزات على يد بعض الأنبياء وعدم وقوع مثلها من جنسها على يد نبينا ﷺ لا يقتضي أن لهم بذلك فضلاً عليه ﷺ أو أن ذلك يمنع كونه سيدهم وأفضلهم وأكملهم من كل الوجوه صلوات الله عليه وعليهم، بل المناسبة التي اقتضت وقوع تلك المعجزة بخصوصها على يد ذلك النبي لم توجد لنبينا حتى يلزم وقوع مثل تلك المعجزة بعينها منه ﷺ، كانقلاب عصا سيدنا موسى ثعباناً، وانفلاق البحر له، وكخروج ناقة

سيدنا صالح من الصخرة عند طلب قومه منه ذلك، بل وقع لنبينا صلى الله عليه وعليهم وسلم ما هو أعظم مما ذكر، وهو انشقاق القمر في كبد السماء عند طلب الكفار منه ذلك، وهذه لا نظير لها في معجزات الرسل على الإطلاق.

فضلاً عن معجزة القرآن المستمرة إلى آخر الزمان مع انقراض جميع معجزاتهم، وقد صدر منه ﷺ كثير من المعجزات التي لم يصدر مثلها على يد أحد منهم، بل صدر كثير من الكرامات على يد أولياء أمته ﷺ، لم نسمع بنظيره من جنسه في معجزات الرسل ولا يقتضي ذلك أن يكون للولي الصادر على يد تلك الكرامة فضل ومزية على الرسول الذي لم يقع على يده نظيرها، بل لا يقتضي ذلك أن لا يكون ذلك الرسول أفضل من هذا الولي لوجوه:

الأول: إنه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل.

الوجه الثاني: إن جميع كرامات أولياء هذه الأمة هي معجزات لنبينا ﷺ، فالفضيلة في الحقيقة راجعة له ﷺ بالأصالة وللولي بالتبعية.

الوجه الثالث: إن المناسبة التي اقتضت وقوعها من ذلك الولي لم توجد لذلك النبي، ولو وجدت المناسبة لوقع على يده مثل ما وقع على يد الولي أو ما هو أعظم منه.

الوجه الرابع: إن أفضلية الأنبياء على الأولياء مستفادة من دلائل وفضائل أخرى والفضل غير محصور في تلك الكرامة التي صدرت على يد الولي، ولم يصدر مثلها على يد النبي وهكذا يقال في المعجزات التي صدرت على يد بعض الأنبياء، ولم يصدر مثلها من جنسها على يد للسيد الخلق أجمعين نبينا ﷺ، إذ المناسبات التي اقتضتها، لو وجدت له ﷺ لصدر على يده مثل تلك المعجزات أو ما هو أعظم منها، كما أن كثيراً من معجزاته ﷺ لم يصدر على يد أحد منهم لعدم وجود المناسبات التي اقتضتها، فظهر بهذا أن عدم وقوع مثل بعض معجزات الأنبياء على يده ﷺ لا محذور فيه، ولا يقتضي عدم تفضيله عليهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، مع أن معجزاتهم عليهم الصلاة والسلام لو اجتمعت لا توازي معجزة القرآن وحدها لاشتماله على ألوف من المعجزات والآيات البينات والعلوم النافعة والأنوار الساطعة ومعرفة كل ما يقرب إلى الله ويبعد عنه سبحانه وتعالى، مع استمراره إلى يوم الدين، وانتفاع المسلمين به أجمعين فإن تلاوة عبادة تقرب إلى الله في كل آن، وتكسب رضاه على مرور الزمان.

وبعد كتابه هذا البحث بنحو شهرين، رأيت في الباب الرابع من الأبريز في كلام سيدنا عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه ما يؤيد كلامي السابق، قال تلميذه العلامة أحمد بن المبارك: وكنت أتكلم معه رضي الله عنه ذات يوم، فذكرت له سيدنا سليمان على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وما سخر الله له من الجن والإنس والشياطين والريح وذكرت ما أعطى الله تعالى

لأبيه سيدنا داود عليه السلام من صناعة الحديد وإلانته حتى يكون في يده مثل قطع العجين، وما أعطى الله لسيدنا عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى، ونحو ذلك من معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وفهم مني كأني أقول له: وسيد الوجود ﷺ فوق الجميع ولِمَ لم يظهر على يده مثل ذلك؟ وأنه وإن ظهر على يده شيء من المعجزات فمن فن آخر.

فقال رضي الله عنه: كل ما أعطيه سليمان في ملكه عليه السلام، وما سخر لداود، وأكرم به عيسى عليه السلام أعطاه الله تعالى وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ﷺ فإن الله سخر لهم الجن والإنس والشياطين والريح والملائكة، بل وجميع ما في العوالم بأسرها ومكنّهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ولكنه أمر غيبي مستور لا يظهر إلى الخلق لئلا ينقطعوا إليهم، فينسون ربهم عز وجل، وإنما حصل ذلك لأهل التصرف ببركة النبي ﷺ، فكل ذلك من معجزاته عليه الصلاة والسلاماهـ.

انتهت عبارتي في حجة الله على العالمين وأنقل باقي كلامه فأقول:

ومن جواهر الحافظ أبي نعيم أيضاً

[شمائله الشريفة ﷺ]

ما ذكره في الفصل الخامس والثلاثين، الذي ختم به كتابه دلائل النبوة من شمائله الشريفة ﷺ المذكورة في حديث هند بن أبي هالة، المذكور في شمائل الترمذي وتقدم ذكره في كلام القاضي عِياض، ولذلك لم أرَ لزوماً لنقله هنا ثم قال:

وكان لونه ﷺ ليس بالأبيض الأمهق؟ والأمهق الشديد البياض الذي يضرب بياضه إلى الشبهة، ولم يكن بالآدم، وكان أزهر اللون، والأزهر هو الأبيض الناصع البياض الذي لا يشوبه صفرة ولا حمرة، وقد نعته بعضهم بذلك، ولكنه إنما كان المشرب ما ظهر منه للشمس والرياح قد أشرب حمرة، وما كان تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر، لا يشك فيه أحد ممن وصفه بأنه أبيض أزهر، فمن وصفه ﷺ بأنه أبيض أزهر فعنى ما تحت الثياب فقد أصاب، ومن وصف ما ضحى منه للشمس والرياح بأنه أبيض مشرب بحمرة فقد أصاب ولونه الذي لا يشك فيه الأزهر، وأنما الحمر من قبل الشمس والرياح، وكان عرقه ﷺ في وجهه مثل اللؤلؤ وأطيب من المسك الإذفر، وكان ﷺ رجل الشعر، حسنه ليس بالسبط لا الجعد القطط، وكان إذا امتشط بالمشط كأنه حبك الرمال، وكأنه المتون التي في الغدر إذا صفقتها الرياح، وإذا رجله بالمرجل أخذ بعضه بعضاً وتحلق حتى يكون متحلقاً كالخواتيم.

وكان من أول أمره قد سدل ناصية بين عينيه كما تسدل نواصي الخيل حتى جاءه جبريل عليه السلام بالفرق ففرق.

وكان شعره ﷺ يضرب منكبيه، وربما كان إلى شحمة أذنيه وكان ربما جعله غدائر، تخرج الأذن اليمنى من بين غديرتين، يكتنفانها وتخرج الأذن اليسرى من بين غديرتين يكتنفانها، ينظر من كان يتأملها من بين تلك الغدائر كأنهما توقد الكواكب الدرية بين سواد شعره ﷺ.

وكان أكثر شيبه ﷺ في الرأس في الفودين وهما حرفا الفرق. وكان أكثر شيبه ﷺ في لحيته حول الذقن.

وكان شيبه ﷺ كأنه خيوط الفضة يتلألأ بين سواد الشعر الذي معه فإذا ذلك الشيب بصفرة وكان ﷺ كثيراً ما يفعل ذلك صار كأنه خيوط الذهب تلألؤاً بين سواد الشعر الذي معه.

وكان ﷺ أحسن الناس وجهاً وأنورهم لوناً لم يصفه واصف قط بمعنى صفته إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر إلا ويقول: هو أحسن في أعين الناس من القمر، أزهر يتلألأ وجهه ﷺ تلألؤ القمر يعرف رضاه وسروره بوجهه.

وكان ﷺ إذا رضي أو سرّ فكان وجهه المرآة، وإذا غضب تلون وجهه ﷺ واحمرت عيناه. وكان ﷺ إذا رضي كما وصفه صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

أميـن مصطفـى للخيـر يـدعـو ... كضـوء البـدر زايلـه الظـلام

فيقول الناس كان النبي ﷺ كذلك.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما ينشد قول زهير بن أبي سلمى:

لـو كنـت مـن شـيء سـوى بشـر ... كنـت المنـور ليلـة البـدر

فيقول من سمعه كذلك ﷺ.

وقالت عمته عاتكة بنت عبد المطلب بعدما سار من مكة مهاجراً فجزعت عليه ﷺ:

أعينـي جـودي بـالـدمـوع السـواجـم ... على المصطفى كالبدر من آل هاشم

علـى المصطفـى للبـر والعـدل والتقـى ... وللـديـن والـدنيـا مقيـم المعـالـم

على الصادق الميمون ذي الحلم والنهى ... وذي الفضل والداعي لخير التراحم

فشبهته بالبدر وقد نعتته بهذا النعت ووقفت، له لما ألقى الله عز وجل من محبته في الصدور وإنها لعلى دين قومها.

وكان ﷺ أجلى الجبين إذا اطلع جبينه من بين الشعر عند طفل الليل يرى، وجبينه كأنه ضوء السراج الموقد يتلألأ.

وكان ﷺ سهل الخدين سلطهما، وسلط الخدين هو السهل الأسيل المستوي الذي لا يفوت لحم بعضه بعضاً ليس بالطويل الوجه ولا المكلثم، كث اللحية أي كثير منابت الشعر، وكانت عنفقته بارزة، وكأنما حولهامن جانبها بياض اللؤلؤ.

وكان ﷺ أحسن عباد الله عنقاً، لا ينسب إلى الطول ولا إلى القصر ما ظهر من عنقه للشمس والرياح، كأنه أبريق فضة مشرب ذهباً يتلألأ في بياض الفضة وحمرة الذهب، وما غيبته الثياب من عنقه وما تحتها كأنه القمر ليلة البدر.

وكان ﷺ عريض الصدر موصول ما بين لبته إلى سرته بشعر لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره.

وكان ﷺ رحب الراحة سائل الأطراف وكأن أصابعه قضبان الفضة. وكانت كفه ﷺ ألين من الخز، كأن كفه كف عطار طيباً مسَّها بطيب أو لم يمسها به، يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضعها على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان جميل ما تحت الإزار من الفخذين والساقين، معتدل الخلق إذا مشى، كأنما يتقلع ويتصوب في صبب يخطو تكفؤاً، ويمشي الهوينا بغير تبختر، يقارب الخطا والمشي على الهينة، يبدر القوم إذا مشى إلى خير أو سارع إليه، ويسوقهم إذا لم يسارع.

وكان ﷺ يقول: **«أنا أشبه الناس بأبي آدم عليه السلام، وكان إبراهيم عليه السلام أشبه الناس بي خَلْقاً وخُلُقاً»**[1] اهـ. ما اخترت نقله من كتاب دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم رضي الله عنه.

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٥٧). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٢٢٩).

ومنهم الإمام الكبير أحد أعيان العلماء النحارير وأئمتهم المشاهير أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي[1] المتوفى سنة ٤٥٠ هـ رضي الله عنه

ومن جواهره

[شرف أخلاقه وكمال فضائله ﷺ]

قوله في كتابه أعلام النبوة في الباب العشرين منه الذي عقده لبيان شرف أخلاقه وكمال فضائله ﷺ المهيأ، لأشرف الأخلاق وأجمل الأفعال مؤهل لأعلى المنازل وأفضل الأعمال. لأنها أصول تقود إلى ما ناسبها ووافقها وتنفر مما باينها وخالفها، ولا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده، تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق، فكان أفضل الخلق بها أخص، وأكملهم بشروطها أحق وبها أمس، ولم يكن في عصر الرسول ﷺ وما دانى طرفيه من قاربه في فضله ولا داناه في كماله خلقاً وخلقاً وقولاً وفعلاً، وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فإن قيل: فليست فضائله دليلاً على نبوته، ولم يسمع بنبي احتج بها على أمته، ولا عول عليها في قبول رسالته، لأنه قد يشارك فيها حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز أنه نبي لا بالفضل.

قيل: الفضل من إمارتها، وإن لم يكن من معجزاتها، ولأن تكامل الفضل معوز، ولأن من كمال الفضل اجتناب الكذب وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل، فصار كمال الفضل موجباً للصدق والصدق موجباً لقبول القول فجاز، أن يكون من دلائل الرسل، فإذا وضح هذا فالكمال المعتبر في البشر يكون من أربعة أوجه:

أحدها: كمال الخلق. الثاني: كمال الخُلُق. الثالث: فضائل الأقوال. الرابع: فضائل الأعمال.

---

(١) هو علي بن محمد الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ.

فأما الوجه الأول: في كمال خَلْقه: بعد اعتدال صوته فيكون بأربعة أوصاف.

أحدها: السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم، الداعية إلى التقديم والتسليم. وكان ﷺ أعظم مهيب في النفوس، حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه، مع ارتياضهم بصولة الأكاسرة، ومكاثرة الملوك الجبابرة، فكان في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم، وإن لم يتعاظم بأهبة ولم يتطاول بسطوة، بل كان بالتواضع موصوفاً، وبالوطاء معروفاً.

والثاني: الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة، وقد كان ﷺ محبوباً، ولقد استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يَقله مصاحب ولا تباعد عنه مقارب، وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء، وشرب الماء البارد على الظمأ.

والثالث: حسن القبول الجالب لممايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن لموافقته، وقد كان ﷺ قبول منظره مستولياً على القلوب، ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند، ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد، إلى شقوته، وقاده الحرمان إلى مخالفته.

والرابع: ميل النفوس إلى متابعته، وانقيادها لمرافقته، وثباتها على شدائده ومصابرته، فما شذ عنه معها من أخلص، ولا ندّ عنه فيها من تخصص.

وهذه الأربعة من دواعي السعادة، وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه ﷺ فكمل لما يوازيها، واستحق ما يقتضيها.

وأما الوجه الثاني: في كمال أخلاقه: فيكون بست خصال:

إحداهن: رجاحة عقله وصحة وهمه، وصدق فراسته. وقد دل على وفور ذلك فيه ﷺ صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه، وأنه ما استغفل في مكيدة، ولا استعجز في شديده، بل كان يلحظ عواقب الأمور في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها، وهذا لا ينتظم إلا بأصدق وهم، وأوضح جزم.

والخصلة الثانية: ثباته ﷺ في الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب، ونفسه في اختلاف الأحوال ساكنة لا يتحير في شديدة ولا يستكين لعظيمة أو كبيرة، ويقدر على الخلاص ولو باشر، وقد لقي ﷺ بمكة من قريش ما يشيب النواصي، ويهد الصياصي، وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلي، ويثبت ثبات المستولي.

روى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذي أحد ولقد أتت علي ثلاثون ما بين**

يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال»[١].

وروى عبد الرحمٰن بن زيد عن عائشة رضي الله عنها قالت: لم شبع آل محمد من الشعير يومين حتى قبض رسول الله ﷺ، ومن صبر على هذه الشدائد في الدعاء إلى الله تعالى امتنع أن يريد به الدنيا.

والخصلة الثالثة: زهده ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها وقناعته بالبلغة منها فلم يمل ﷺ إلى غضارتها ولم يله لحلاوتها.

روى سفيان النووي عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمٰن قال: قيل لرسول الله ﷺ: إن شئت أعطيت خزائن الأرض ما لم يعط أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك، ولا ينقصك في الآخرة شيئاً. قال: «اجمعوها لي في الآخرة»[٢] فنزلت: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠].

وروى هلال بن أبي خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى عليه، دخل على رسول الله ﷺ وهو على حصير قد أثر في جسمه فقال له: يا رسول الله، لو اتخذت فراشاً أوطأ من هذا؟ فقال ﷺ: «مالي وللدنيا والذي نفسي بيده ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها»[٣].

وروى حميد بن بلال بن أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً أو إزاراً غليظاً وقالت: قبض رسول الله ﷺ في هذين، هذا وقد ملك ﷺ من أقصى الحجاز إلى عذار العراق، ومن أقصى اليمن إلى شحر عمان، وهو ﷺ أزهد الناس فيما يقتنى ويدخر، وأعرضهم عما يستفاد ويحتكر، لم يخلف عيناً، ولا ديناً، ولا حفر نهراً، ولا شيد قصراً، ولم يورث ولده وأهله متاعاً ولا مالاً، ليصرفهم عن الرغبة في الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله ﷺ في الزهد فيها.

---

(١) رواه الترمذي في السنن (٢٤٧٢). وأحمد في المسند (٣: ٢٨٦). والهيثمي في موارد الظمآن (٢٥٢٨). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٢٥٣). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ١٤٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٨٨). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ١٨٩). والبغوي في شرح السنة (٦: ١٦٢). وأبو نعيم في حلية الأولياء (١: ١٥٠). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣: ٣٠٨). والترمذي في الشمائل (٧٤).

(٢) رواه ابن كثير في التفسير (٦: ١٠٤). والطبري في التفسير (١٨: ١٤٠).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١: ٣٢٧).

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبي بكر رضي الله عنه تريد الميراث، فمنعها، فقالت: من يرثك؟ قال: ولدي وأهلي، فقالت: فلا ترث رسول الله ﷺ بنته؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنا لا نورث ما تركنا فهو صدقة**»(١).

فمن كان رسول الله ﷺ يعوله فأنا أعوله، ومن كان رسول الله ﷺ ينفق عليه فأنا أنفق عليه.

وحث رسول الله ﷺ على الزهد في الدنيا والإعراض عن التلبس بها ليكون عوناً على السلامة من تبعاتها، وصرف النفوس عن شهواتها، وساق أحاديث في فضل الزهد واقتداء خلفائه به ﷺ في ذلك ثم قال:

الخصلة الرابعة: تواضعه ﷺ للناس وهم أتباع، وخفض جناحه لهم وهو مطاع، يمشي في الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه، فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميزاً، وبالتذلل متعززاً، ولقد دخل عليه ﷺ بعض الأعراب، فارتاع من هيبته فقال: «**خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة**»(٢).

وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه ﷺ، فهي غريزة فطر عليها، وجبلة طبع بها لم تندر فتعد، ولم تحصر فتحد.

والخصلة الخامسة: حلمه ووقاره عن طيش يهزه، أو خرق يستفزه، فقد كان أحكم في النفار من كل حكيم، وأسلم في الخصام من كل سليم، وقد مني بجفوة الأعراب فلم يؤخذ منه نادرة، ولم يحفظ عليه بادرة، ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا له هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزغ الهوى وطيش القدرة بهفوة أو عثرة ليكون بأمته رؤوفاً، وعلى الخلق عطوفاً، قد تناولته قريش بكل كبيرة، وقصدته بكل جريرة، وهو ﷺ صبور عليهم ومعرض عنهم وما تفرد بذلك سفهاؤهم دون حلمائهم، ولا أراذلهم دون عظمائهم، بل تمالأ عليه الجلة والدون فكلما كانوا عليه ألأم وألح، وكان عنهم أعرض وأصفح، قد قهر فعفا وقدر فغفر، وقال لهم ﷺ حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه: «**ما ظنكم بي؟**» قالوا: ابن عم

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٢٥). والترمذي في الشمائل (٢١٤). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ٨٥).

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٤). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ١١١).

كريم، فإن تعف فذاك الظن بك، وإن تنتقم فقد أسأنا، فقال ﷺ: «بل أقول كما قال يوسف لإخوته ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢]»(١).
وقال ﷺ: «اللهم قد أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً»(٢).

وأتته ﷺ هند بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة رضي الله عنه ولاكت كبده فصفح ﷺ عنها وبايعها.

فإن قيل: فقد ضرب رقاب بني قريظة صبراً في يوم واحدوهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح وقد انتقم انتقام من لم يَعطفه عليهم رحمة ولا داخلته عليهم رقة؟. قيل: إنما فعل ذلك ﷺ في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسى قتل، ومن لم تجر عليه استرق.

فقال رسول الله ﷺ: «هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة». فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه ﷺ.

والخصلة السادسة: حفظه للعهد، ووفاؤه بالوعد ﷺ، فإنه ما نقض لمحافظ عهداً، ولا أخلف لمراقب وعداً، يرى الغدر من كبائر الذنوب، والأخلاق من مساوي الشيم، فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيهما الأصعب حفظاً لعهده، ووفاء بوعده، وحتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجاً كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير، وكفعل قريش بصلح الحديبية، فجعل الله تعالى له ﷺ في نكثهم الخبرة، فهذه ست خصال تكاملت في خُلقه، فضّله الله بها على جميع خَلقه ﷺ.

وأما الوجه الثالث: في فضائل أقواله ﷺ: فمعتبر بثمان خصال:

إحداهن: ما أوتي من الحكمة البالغة وأعطي من العلوم الجمّة الباهرة وهو أمي من أمة أمية، لم يقرأ كتاباً، ولا درس علماً، ولا صحب عالماً ولا معلماً فأتى ﷺ بما بهر العقول وأذهل الفطن، من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل، في قول أو عمل، وجعل مدار شرعه ﷺ على أربعة أحاديث أوجز بها المراد وأحكم بها الاجتهاد، أحدها: قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»(٣). والثاني: قوله ﷺ «الحلال بيّن والحرام

---

(١) رواه ابن حجر في فتح الباري (٧: ٢١١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٤١). وابن سني في عمل اليوم والليلة (٣١٨). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٣٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٩٩٣١).

(٢) رواه الربيع بن حبيب في المسند (٣: ١٣).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (١: ٢). وأبو داود في السنن (٢٢٠١). والترمذي في السنن (١٦٤٧). =

بيّن وبين ذلك أمور مشتبهات ومن يحم حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[(١)]. والثالث: قوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه». والرابع: قوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[(٢)].

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سنناً حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعلمون به فما راق لها أثر، ولا فاق لها خبر، وهم ينبوع الحكم، وأعيان الأمم، وما هذه القطرة في رسول الله ﷺ إلا من صفاء وجوهر، وخلوص مخبره.

والخصلة الثانية: حفظه لما أطلعه الله عليه من قصص الأنبياء مع الأمم، وأخبار العالم في الزمن الأقدم، حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير، ولا شذّ عنه قليل ولا كثير، وما ذاك إلا من ذهن صحيح. وصدر فسيح، وقلب شريح، وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة

= والنسائي في السنن (الطهارة: ٥٩). وابن ماجه في السنن (٤٢٢٧). وأحمد في المسند (١: ٢٥). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٤١). والمنذري في الترغيب والترهيب (١: ٥٦). وابن كثير في التفسير (٢: ٣٤٥). وابن عبد البر في التمهيد (٧: ١٠٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦: ٣٤٢). والبغوي في شرح السنة (١: ٤٣١). وابن حجر في فتح الباري (١: ٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (١). وابن المبارك في الزهد (٦٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٣٨٠). وابن حجر في تلخيص الحبير (١: ٥٥). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٣٥١). والشجري في الأمالي (١: ٩). وابن كثير في البداية والنهاية (١٠: ١١٨). وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٣: ٩٦). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤: ٢٤٤).

(١) رواه مسلم في الصحيح (المساقاة: ١٠٨). والترمذي في السنن (١٢٠٥). والطحاوي في مشكل الآثار (١: ٣٢٤). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٥). وابن حجر في فتح الباري (١: ١٢٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٦٢). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٥٥٤). وبو حنيفة في المسند (١٢٠). والخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقّه (١: ٦٣). وابن كثير في البداية والنهاية (١٠: ٣٤٤). وابن عبد البر في التمهيد (٩: ٢٠١). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤: ٢٧٠). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣: ٢٧٣). والعقيلي في الضعفاء (٢: ٢٥٢). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٤: ١٦٢٩).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٢٥١٨). والنسائي في السنن (١: ٢٠٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٥: ٣٣٥). والحاكم في المستدرك (٢: ١٣). والهيثمي في مجمع الزوائد (١: ٢٣٨)، وفي موارد الظمآن (٥١٢). والألباني في إرواء الغليل(١: ٤٤). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ١٥٧). والطبراني في المعجم الكبير (٣: ٧٥). والبغوي في شرح السنة (٨: ١٧). والألباني في السلسلة الضعيفة (٢٥). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٧٣). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١١٣). وابن حجر في فتح الباري (٤: ٢٩٣). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٥٥٨). والزيلعي في نصب الراية (٢: ٤٧١).

وحمل من أعباء النبوة، فجدير أن يكون بها مبعوثاً، وعلى القيام بها محثوثاً.

والخصلة الثالثة: أحكامه ﷺ لما شرع بأظهر دليل، وبيانه بأوضح تعليل، حتى لم يخرج منه ما يوجبه معقول، ولا دخل فيه ما تدفعه العقول، ولذلك قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصاراً»[1] لأنه ﷺ نبّه بالقليل على الكثير فكف عن الإطالة، وكشف عن الجهالة، وما تيسر له ذلك إلا وهو عليه معانٍ وإليه مقاد.

والخصلة الرابعة: ما أمر به ﷺ من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن الآداب وحثَّ عليه من صلة الأرحام، وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام، ثم ما نهى عنه ﷺ من التباغض والتحاسد، وكف عنه من التقاطع والتباعد، فقال ﷺ: «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً»[2] لتكون الفضائل فيهم أكثر، ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر، ومستحسن الآداب عليهم أظهر، ويكونوا إلى الخير أسرع، ومن الشر أمنع، فيتحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠] فلزموا أوامره، واتقوا زواجره، فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عزَّ بهم الإسلام بعد ضعفه، وذلّ بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبراراً، وقادة أخياراً.

والخصلة الخامسة: وضوح جوابه ﷺ إذا سئل، وظهور حجاجه إذا جودل، لا يحصره عي ولا يقطعه عجز، ولايعارضه خصم في جدال إلا كان جوابه أوضح، وحجاجه أرجح، أتاه أُبي بن خلف الجمحي بعظم نخر من المقابر قد صار رميماً ففركه حتى صار كالرماد، ثم قال: يا محمد، أنت تزعم أنّا وآباءنا نعود إذا صرنا هكذا لقد قلت قولاً عظيماً ما سمعناه من غيرك ﴿مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، فأنطلق الله تعالى رسوله ﷺ ببرهان نبوته فقال: ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩] فانصرف مبهوتاً ولم يُحِرْ جواباً، ولما قال عليه الصلاة والسلام «لا عدوى ولا طيرة»[3] قال له رجل: يا رسول الله، إنّا نرى النقبة من الجرب في

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٠). ومسلم في الصحيح (٤: ٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١١٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٨٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٦٨). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٤).

(٢) رواه أحمد في المسند (١: ٣). والطبراني في المعجم الكبير (٤: ١٧٩).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (١٧٤٧). وأحمد في المسند (١: ١٧٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢١٦). وابن أبي شيبة في المصنف (٩: ٤٠). والهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ١٠١). والبخاري في الأدب المفرد (٩١٣). وابن حجر في المطالب العلية (٢٤٥٠). وابن حجر في فتح الباري (١٠: ٢١٢). والألباني في السلسلة الصحيحة (٧٨١). وأبو نعيم في حلية الأولياء (١: ٢٥٠).

مشفر البعير فيعدو سائرها قال ﷺ: «**فمن أعدى الأول فأسكته**»[١].

والخصلة السادسة: أنه ﷺ محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال في خبر يكون إلى الكذب مناسباً، وللصدق مجانباً.

فإنه ﷺ لم يزل مشهوراً بالصدق في خبره ناشئاً كبيراً حتى صار بالصدق مرقوماً، وبالأمانة موسوماً.

وكانت قريش بأسرها تتيقن صدقه ﷺ قبل استدعائهم إلى الإسلام، فجهروا بتكذيبه في استدعائهم إليه فمنهم من كذبه حسداً، ومنهم من كذبه عناداً.

ومنهم من كذبه استبعاداً أن يكون نبياً ورسولاً ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه في الرسالة، ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم، ومن عصم منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم، وحسبك بهذا دافعاً لجاحد، ورداً لمعاند.

والخصلة السابعة: تحرير كلامه ﷺ في التوخي به إبَّان حاجته، والاقتصار منه على قدر كفايته، فلا يسترسل فيه هذراً، ولا يحجم عنه حصراً، وهو فيما عدا حالتي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتاً، وأحسنهم سمتاً، لذلك حفظ كلامه حتى لم يَختل، وظهر رونقه حتى لم يعتل، واستعذبته الأفواه حتى بقي محفوظاً في القلوب مدوناً في الكتب فلن يسلم الإكثار من زلل، ولا الهذر من ملل، أكثر أعرابي عنده الكلام فقال ﷺ: «**يا أعرابي كم دون لسانك من حجاب؟**» قال: شفتاي وأسناني فقال ﷺ: «**إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرئ قصر من لسانه واقتصر على حاجته**».

والخصلة الثامنة: إنه ﷺ أفصح الناس لساناً، وأوضحهم بياناً، وأوجزهم كلاماً وأجزلهم ألفاظًا وأصحهم معاني لا يظهر هجنة التكلف، ولا يتخلله فيهقة[٢] التعسف.

وقال ﷺ: «**أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون**»[٣]، وقال ﷺ: «**إياك والتشادق**» ولما نزل عليه قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦] بنى مسجد قباء، فحضر عبد الله بن رواحة، فقال: يا رسول الله، قد أفلح من بنى المساجد. قال: «نعم

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٧: ٢٥). وأحمد في المسند (١: ٣٢٨). والبغوي في شرح السنة (١٢: ١٦٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٨٦٠٥).

(٢) فيهقة: تفهيق في الكلام: توسّع فيه، أو تفخّم وتفتّح. [لسان العرب، مادة: فَيَهَ].

(٣) رواه الهيثمي في موارد الظمآن (١٩١٧).

يا ابن رواحة». قال: وصلى فيها قائماً وقاعداً. قال: «نعم، يا ابن رواحة» قال: ولم يبت لله إلا ساجداً. قال: «يا ابن رواحة كف عن السجع فما أعطي عبد شيئاً شراً من طلاقة في لسانه»(١).

ومن كلامه ﷺ الذي لا يشاكل في إيجازه قوله ﷺ: «الناس بزمانهم أشبه»(٢). وقوله ﷺ: «ما هلك امرؤ عرف قدره»(٣). وقوله ﷺ: «لو تكاشفتم ما تدافنتم»(٤). وقوله ﷺ: «السعيد من وعظ بغيره»(٥). وقوله ﷺ: «حبك للشيء يعمي ويصم»(٦). وقوله ﷺ: «العاقل ألوف مألوف»(٧). وقوله ﷺ: «العدة عطية»(٨). وقوله ﷺ: «إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طبع»(٩). وقوله ﷺ: «أفضل الصدقة جهد المقل»(١٠). وقوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»(١١). وقوله ﷺ: «ترك الشر صدقة»(١٢). وقوله ﷺ: «الخير كثير وقليل فاعله»(١٣). وقوله ﷺ: «الناس كمعادن الذهب والفضة»(١٤). وقوله ﷺ: «نزلت المعونة على قدر المؤنة»(١٥). وقوله ﷺ: «إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظًا من نفسه»(١٦). وقوله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»(١٧). وقوله ﷺ: «[إن] المؤمن غِرّ كريم الفاجر خِبّ لئيم»(١٨). وقوله ﷺ: «[إن] الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه وجنة الكافر ورضاؤه»(١٩). ومن

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (١٠٣١٩). والبيهقي في السنن الكبرى (١٠: ٢٢٧).
(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٧٤).
(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٧٥).
(٤) رواه الفتني في تذكرة الموضوعات (٢٢٠).
(٥) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٢٥). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٧).
(٦) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ٤٧٢).
(٧) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ٤٦٢).
(٨) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٢٦٢).
(٩) رواه النسائي في السنن (١: ١٠٢).
(١٠) رواه ابن كثير في التفسير (٨: ٩٦).
(١١) رواه البخاري في الصحيح (٢: ١٣٩). والترمذي في السنن (٢٣٤٣).
(١٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣٦٠).
(١٣) رواه أبو حنيفة في المسند (١: ١٠٧).
(١٤) رواه أحمد في المسند (٢: ٥٣٩). وفيه: «معادن كمعادن».
(١٥) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٩٦). وفيه: «إن المعونة تأتي».
(١٦) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٧٦٢).
(١٧) رواه أبو داود في السنن (٣٥٣٤). والترمذي في السنن (١٢٦٤).
(١٨) رواه أحمد في المسند (٢: ٣٩٤). وفيه: «إن».
(١٩) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٢٣٠).

كلامه ﷺ: الذي لا يشاكل في فصاحته. قوله ﷺ: «إياكم والمشارة فإنها تميت العزة وتحيي الغرة»[١]. وقوله ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرماً»[٢]. وقوله ﷺ: «رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم»[٣]. وقوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع، هل يتوقع أحدكم إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفنداً أو الدجال فهو شر غائب ينتظر، أو الساعة، فالساعة أدهى وأمر»[٤]. وقوله ﷺ: «ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات، فخشية الله تعالى في السر والعلانية، والاقتصاد في الغنى والفقر، والحكم بالعدل في الرضى والغضب، وأما المهلكات، فشح، مطاع وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[٥]. وقوله ﷺ: «تقبلوا لي بست أتقبل لكم بالجنة» قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: «إذا حدث أحدكم فلا يكذب وإذا وعد فلا يخلف وإذا ائتمن فلا يخن غضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم»[٦]. وقوله ﷺ في بعض خطبه: «ألا إن الأيام تطوى والأعمار تفنى والأبدان في الثرى تبلى وإن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد يقربان كل بعيد ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات»[٧]. وقوله ﷺ في بعض خطبه وقد خاف من أصحابه فترة: «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون نبوؤهم أجداثهم ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة، طوبى لمن شغلته آخرته عن دنياه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[٨].

وهذا يسير من كثير ولا يأتي عليه إحصاء، ولا يبلغه استقصاء، وإنما ذكرنا مثالاً ليعلم أن كلامه ﷺ جامع لشروط البلاغة ومعرب عن نهج الفصاحة ولو مزج بغيره لتميز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه بباطله ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن ﷺ متعاطياً للبلاغة ولا مخالطاً لأهلها من خطباء، أو شعراء، أو فصحاء، وإنما هو من غرائز فطرته،

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ٢٥٣).

(٢) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٨: ٩١).

(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٤٥٣). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ١٧٤).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٨٨). والنسائي في السنن (٨: ٢٨٤). وابن ماجه في السنن (٢٥٠).

(٥) رواه التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٢٢). والشجري في الأمالي (٢: ٢١٨).

(٦) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣: ١١٩٢).

(٧) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣: ١٠٩٠).

(٨) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣: ٢٠٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤١٧٥). والسيوطي في جمع الجوامع (٩٥٦٣).

وبداية جبلته، وما ذاك إلا لغاية تراد، وحادثة تشاد. فإن قيل: إذا كان كلامه ﷺ مخالفاً لكلام غيره في البلاغة والفصاحة حتى لم يكن له فيه مساجل يكون معجزًا.

قيل: لو كان هكذا وتحدّى به صار معجزاً ولا يكون مع عدم التحدي معجزاً.

وأما الوجه الرابع: في فضائل أفعاله ﷺ فمختبر بثمان خصال:

إحداهن: حسن سيرته، وصحة سياسته، في دين ابتكر شرعه حتى استقر، وأحسن وضعه حتى استمر، نقل به الأمة عن مألوف، وصرفهم به عن معروف إلى غير معروف، فأذعنت به النفوس طوعاً، وانقادت خوفاً وطمعاً، وشديد عادة منتزعة إلا لمن كان مع التأييد الإلٰهي معاناً بحزم صائب، وعزم ثاقب، ولئن كان مأموراً بما شرع فهي الحجة القاهرة، ولئن كان مجتهداً فيها فهي الآية الباهرة، وحسبك بما استقرت قواعده على الأبد حتى انتقل عن سلف إلى خلف تزداد فيهم حلاوته، وتشتد فيهم جدته، ويرونه نظاماً لأعصار تنقلب صروفها، ويختلف مألوفها، إن يكون لمن قام به برهاناً، وإن ارتاب به بياناً،

والخصلة الثانية: إنه ﷺ جمع بين رغبة من استمال، ورهبة من استطال، حتى اجتمع الفريقان إلى نصرته، وقاموا بحقوق دعوته، رغباً في عاجل وآجل، ورهباً من زائل ونازل، لاختلاف الشيم والطبائع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما، ولا يستديم إلا بهما، فلذلك صار الدين بهما مستقراً، والصلاح بهما مستمراً.

والخصلة الثالثة: إنه ﷺ عدل فيما شرعه من الذين عن غلو النصارى وتقصير اليهود.

والخصلة الرابعة: إنه ﷺ لم يمل بأصحابه إلى الدنيا كما رغبت اليهود ولا إلى رفضها كما ترهبت النصارى وأمرهم فيها بالاعتدال أن يطلبوا منها قدرر الكفاية ويعدلوا عن احتجان واستزادة. وقال ﷺ لأصحابه: «**خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه**».

وهذا صحيح لأن الانقطاع إلى أحدهما اختلال، والجمع بينهما اعتدال. وقال ﷺ: «**نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة**». وإنما كان كذلك لأن منها يتزود المؤمن لآخرته، ويستكثر فيها من طاعته، ولأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محروماً مضاعاً، أو مرحوماً مراعىً، وهو في الأول كل، وفي الثاني مستذل، أثني على رجل بخير عند رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، كنا إذا ركبنا لا يزال يذكر الله تعالى حتى ننزل وإذا نزلنا لا يزال يصلي حتى نرفع فقال: «**فمن كان يكفيه علف بعيره وإصلاح طعامه؟**» قال: كلنا. قال: «**فكلكم خير منه**».

والخصلة الخامسة: تصديه ﷺ لمعالم الدين ونوازل الأحكام حتى أوضح للأمة ما كلفوه من العبادات، وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات، وفصل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود مناكح ومعاملات، حتى أحتاج اليهود والنصارى في كثير من معاملاتهم ومواريثهم إلى شرعه ولم يحتج شرعه إلى شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولاً تدل على الحوادث المغفلة، ويستنبط منها الأحكام المعللة، فأغنى عن نص بعد ارتفاعه وعن التباس بعد إغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره، ويحتج بإظهاره، فقال ﷺ: **«بلغوا عني ولا تكذبوا عليّ فرب مبلَّغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»**.

فأحكم ﷺ ما شرع من نص وتبينه وعم بما أمر من حاضر وبعيد حتى صار لما تحمله من الشرع مؤدياً. ولما تقلّده من حقوق الأمة موفياً، لئلا يكون في حقوق الله زلل، وفي مصالح الأمة خلل، وذلك في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك إلا بديع معجز.

والخصلة السادسة: انتصابه ﷺ بجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته، وأحدقوا بجنباته، وهو في قطر مهجور، وعدد محقور، فزاد به من قل، وعزَّ به من ذل، وصار بأثخانه في الأعداء محذوراً، وبالرعب منه منصوراً، فجمع ﷺ بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر، وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر، والجمع بينهما معوز إلا من أمده الله تعالى بمعونته وأيده بلطفه، والمعوز معجز.

والخصلة السابعة: ما خصَّ به ﷺ من الشجاعة في حروبه والنجدة في مصابرة عدوه فإنه لم يشهد حرباً في قراع، إلا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع، وهو في موقفه لم يزل عنه هرباً، ولا حار فيه رعباً، بل ثبت بقلب آمن، وجاش ساكن، قد ولى عنه أصحابه يوم حنين حتى بقي بإزاء جمع كثير، وجم غفير، في تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادي أصحابه ويظهر نفسه ويقول: **«إليَّ عباد الله، أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»**(١).

فعادوا أشذاذاً أو أرسالاً، وهوازن تراه وتحجم عنه فما هاب حرب من كاثره، ولا انكفأ عن مصاولة من صابره، وقد عضده الله تعالى بأجلاد أنجاد فانحازوا وصبر حتى أمده الله

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٣٧). ومسلم في الصحيح (الجهاد: ٧٨). وأبو داود في السنن (٤٨٧). والترمذي في السنن (١٦٨٨). وأحمد في المسند (١: ٢٦٤). والدارمي في السنن (١: ١٦٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ١٥٥). وغيرهم.

بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل، ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس نحو الصوت فوجدوا رسول الله ﷺ قد سبقهم إليه فتلقوه عائداً على فرس عربي لأبي طلحة الأنصاري وعليه السيف، فجعل يقول: «أيها الناس، لِمَ تراعوا لِمَ تراعوا»[١]، ثم قال لأبي طلحة: «إنّا وجدناه بحراً»[٢].

وكان الفرس يبطأ فما سبقه فرس بعد ذلك، وما ذاك إلا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره وإن دينه سيظهره تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[٣]، وكفى بهذا قياماً بحقه وشاهداً على صدقه ﷺ.

والخصلة الثامنة: ما منح ﷺ من السخاء والجود، حتى جاد بكل موجود، وآثر بكل مطلوب ومحبوب، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي على صاع من شعير لطعام أهله وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك وأقيال، لهم خزائن وأموال، يقتنونها دخراً، ويتباهون بها فخراً، ويستمتعون بها أشراً وبطراً.

وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى ديناراً ولا درهماً، لا يأكل إلا الجشب (أي الطعام الغليظ)، ولا يلبس إلا الخشن، ويعطي الجزل الخطير، ويصل الجم الغفير، ويتجرع مرارة الإقلال، ويصبر على سغب الاختلال، وقد حاز غنائم هوازن، وهي من السبي ستة آلاف رأس ومن الإبل أربعة وعشرون ألف بعير، ومن الغنم أربعون ألف شاة، ومن الفضة أربعة آلاف أوقية، فجاد بجميع حقه، وعاد خلواً.

روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضي الله عنه قالت: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً، ولا أوصى بشيء.

روى عمر بن مرة عن سويد بن الحارث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يسرني أن لي أُحُداً ذهباً أنفقه في سبيل الله، أموت يوم أموت وعندي منه دينار إلا أن أعده لغريم»[٤]، وكان ﷺ إذا سئل وهو معدم وعد ولم يرد، وانتظر ما يفتح الله تعالى.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤: ٣٦١).
(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤: ٣٦١).
(٣) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٢٩٩).
(٤) رواه ابن حجر في فتح الباري (١١: ٢٦٥).

روى حماد بن زيد عن يعلى بن زياد عن الحسن أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ يسأله، فقال: «اجلس سيرزقك الله»[١]، ثم جاء آخر، ثم آخر، فقال لهم: «اجلسوا»[٢] فجاء رجل بأربع أواق فأعطاه إياها، وقال: يا رسول الله هذه صدقة، فدعا الأول فأعطاه أوقية، ثم دعا الثاني فأعطاه أوقية، ثم دعا الثالث فأعطاه أوقية، وبقيت معه ﷺ أوقية واحدة فعرض بها للقوم فما قام أحد.

فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفراشه عباءة، فجعل لا يأخذه النوم، فيرجع فيصلي، فقالت له عائشة رضوان الله عليها: يا رسول الله هل بك شيء؟ قال: «لا»، قالت: فجاءك أمر من الله، قال: «لا»، قالت: إنك صنعت منذ الليلة شيئاً لم تكن تفعله فأخرجها، وقال: «هذه التي فعلت بي ما ترين، إني خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أمضها»[٣].

وروى الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن ترك ديناً فعليّ، ومن ترك مالاً فلورثته»[٤]

فهل رأى أحد مثل هذا الكرم والجود كرماً وجوداً، أو مثل هذا الإعراض والزهد إعراضاً، وزهداً. هيهات هل يُدْرِكُ شَأْوُ مَنْ هذه شذور مِنْ فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدد، ولا يدرك لها أمد.

لم تكمل في غيره فيساويه، ولا كذّب بها ضد يناويه[٥]، ولقد جهد كل منافق ومعاند، وكل زنديق وملحد أن يزري عليه ﷺ في قول أوفعل، أو يظفر بهفوة في جد أو هزل، فلم يجد إليه سبيلاً وقد جهد جهده، وجمع كيده.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٤٨). والبيهقي في السنن الكبرى (٣: ٢٠٨). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٣٤٨). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧: ٣٩١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٧: ٣٩١). والألباني في إرواء الغليل (٢: ١١٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٤٨). والبيهقي في السنن الكبرى (٣: ٢٠٨). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٣٤٨). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧: ٣٩١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٧: ٣٩١). والألباني في إرواء الغليل (٢: ١١٩).

(٣) رواه ابن حجر في فتح الباري (١١: ٢٦٥).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٣: ١٢٨). ومسلم في الصحيح (الفرائض: ١٤). والنسائي في السنن (٤: ٦٦). والترمذي في السنن (١٠٧٠). وأبو داود في السنن (٢٩٥٤). وابن ماجه في السنن (٢٤١٥). وأحمد في المسند (٢: ٢٩٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٦: ٢٠١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٤٠٨). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٩١٣). والبغوي في شرح السنة (٨: ٢١٣). وابن حجر في تلخيص الحبير (٣: ٤٨).

(٥) يناويه: يناوئه: يعارضه [لسان العرب، مادة: نوأ].

فأي فضل أعظم من فضل تشاهده الحسدة والأعداء، فلم يجدوا فيه مغمز الثالب أو قادح، ولا مطعناً لجارح أو فاضح فهو كما قال الشاعر:

شهد الأنام بفضله حتى العدا ... والفضل ما شهدت به الأعداء

وحقيق بمن بلغ من الفضائل غايتها، واستكمل لغايات الأمور آلتها. أن يكون لزعامة العالم مؤهلاً، وللقيام بمصالح الخلق مؤملاً، ولا غاية لبشر بعد النبوة أن يعم به صلاح، أو ينحسم به فساد فاقتضى أن يكون ﷺ لها أهلاً وللقيام بها مؤهلاً، ولذلك استقرت به حين بعث رسولاً، ونهض بحقوقها حين قام بها كفيلاً، فناسبها وناسبته، ولم يذهل لها حين أتته، فكل متناسبين متشاكلان، وكل متشاكلين مؤتلفان، وكل مؤتلفين متفقان.

والاتفاق: وفاق، وهو أصل كل انتظام، وقاعدة كل التئام، فكان ذلك من أوضح الشواهد على صحة نبوته، وأظهر الأمارات في صدق رسالته، فما ينكرها بعد الوضوح. إلا مفضوح.

والحمد لله الذي وفق لطاعته، وهدى إلى التصديق برسالته ﷺ.

ومن جواهر الإمام الماوردي

[مبدأ بعثه واستقراره ﷺ]

قوله في الباب الحادي والعشرين، وهو الباب الأخير الذي ذكر فيه مبدأ بعثته واستقرار نبوته ﷺ إن لله تعالى لكل مقدور من الأمور إذا دنا نذيراً أو بشيراً يظهر بهما مبادئ ما أخفاه، ويشعر بحلول ما قدره وقضاه، ليكونا تعذيراً وتحذيراً تستيقظ بهما العقول، ويزدجر بهما الجهول لطفاً بعباده من فجأة الأمور المنهلة أن تصدم ببوادر لا تستدرك لتكون النفوس في مهلة من استدفاع خطبها، وحل صعبها، ولما دنا مبعث رسول الله ﷺ بالنبوة رسولاً، وإلى الخلق بشيراً ونذيراً انتشر في الأمم أن الله تعالى سيبعث نبياً في هذا الزمان، وأن ظهوره قد قرب وآن، فكانت كل أمة لها كتاب يعرف ذلك من كتابها والتي لا كتاب لها ترى من الآيات المنذرة ما تستدل عليه بعقولها وتتنبه إليها بهواجس فطرها إلهاماً أعان به الفطن اللبيب، وأنذر به الحازم الأريب[1].

هذا ورسول الله ﷺ غافل عنها وغير عالم أنه مراد بها ومؤهل لها. لم يشعر بها حتى

---

(١) الأريب: الظان، المشكك. [لسان العرب، مادة: ريب].

نودي، ولا تحققها حتى نُوجِيَ ليكون أبعد من التهمة، وأسلم من الظنة، فيكون برهانه أظهر، وحجاجه أقهر، وكان ﷺ مع تميزه عن قومه بشرف أخلاقه وكرم طباعه لم يعبد معهم صنماً، ولا عظم وثناً، وكان متديناً بفرائض العقول في قول جميع الفقهاء والمتكلمين من توحيد الله تعالى وقدمه، وحدوث العالم وفنائه، وشكر المنعم وتحريم الظلم، ووجوب الإنصاف وأداء الأمانة.

واختلف أهل العلم هل كان قبل مبعثه متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء فذهب أكثر المتكلمين وبعض الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما إلى أنه ﷺ لم يكن متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء لأنه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها، ولو عمل بها لظهرت منه، ولو ظهرت منه لاتبعه فيها الموافق، ونازعه فيها المخالف، وذهب بعض المتكلمين وأكثر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة إلى أنه ﷺ كان متعبداً بشريعة من تقدمه من الأنبياء لأنهم دعوا إلى شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم ما لم تنسخ بنبوة حادثة، فدخل رسول الله ﷺ في عموم الدعاء قبل مبعثه لأن الله تعالى لا يخلي زماناً من شرع متبوع، ولا متديناً من تعبد مسموع.

واختلف من قال بهذا فيما كان متعبداً به من الشرائع المتقدمة، فذهب بعضهم إلى أنه ﷺ كان متعبداً بشريعة جده إبراهيم عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ [البقرة: ١٣٠] ولأنه كان في الحج والعمرة على منسكه، وذهب آخرون إلى أنه ﷺ كان متعبداً بشريعة موسى عليه السلام فيما لا تنسخه شريعة عيسى عليه السلام لظهور شريعته في التوراة، ودروس[1] ما تقدمها من الشرائع مع قول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وذهب آخرون إلى أنه ﷺ كان متعبداً بشريعة عيسى لأنها كانت ناسخة لشريعة موسى عليهما السلام، فسلم قبل مبعثه ﷺ من حرج في دينه، وقدح في يقينه وهذا من أمارات الاصطفاء، ومقدمات الاجتباء.

ولما وجد الأمر في النبوة ودنا وقتها حبب الله تعالى إلى رسوله ﷺ الخلاء بعد أربعين سنة من عمره حين تكامل نُهاه، واشتد قواه ليكون متهيئاً لما قُدِّر له ومتأهباً لما أريد له، فكان يتخلى في غارٍ بحراء في ذوات العدد من الليالي، وقيل شهراً في السنة على عادة كانت لقريش في التبرر بالمجاورة بحراء، ويعود إلى أهله إلى أن استدام الخلاء في الغار لما أراد الله تعالى

---

(١) دروس: دَرَسَ الرسم وانمحى، فهو دارس أي ذهب أثره. [لسان العرب، مادة: درس].

به، فكان يؤتى بطعامه وشرابه فيأكل منه، ويطعم المساكين برهة من زمانه، وهو غافل عن النبوة وإن كان في الناس موهوماً وعند أهل الكتاب معلوماً ليكون ابتكار البديهة بها مانعاً من التصنع لها فلا ينسب إلى اختراعها.

ولو تصنع واخترع لظهرت أسبابهما ونمت شواهدهما ولم يخف على من عاداه أن يتداوله، وعلى من والاه أن يتأوله، وحسبك بهذا وضوحاً بعيداً عن التهمة بها سليماً من الظنة فيهما، فلم يزل ﷺ على خلواته، إلى أن أظهر الله تعالى له أمارات نبوته، فأيقظه بها من الغفلة، وبشره بها بعد المهلة، ثم بعثه بها رسولاً بعد البشرى على تدريج ترتبت فيه أحواله ليتوطأ لتحمل أثقالها ويعلم لوازم حقوقها حتى لا تَفْجَأه بغتة فيذهل، ولا تخفى عليه حقوقها فينكل.

وكان ذلك من الله لطفاً به وإنعاماً عليه، وداعياً لأمته ﷺ في الانقياد إليه، فسبحانه من لطيف بعباده منعم على خلقه، والذي تدرجت إليه أحواله في النبوة حتى علم أنه نبي مبعوث ورسول مبلغ ترتب تدريجاً على ستة أحوال نقل ﷺ فيهن إلى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها.

فالمنزلة الأولى: الرؤيا الصادقة في منامه ﷺ بما سيؤول إليه أمره، فكان ذلك إذكاراً بها لِتُراض لها نفسه، وتختبر فيها حواسه، فيقوم بها إذا بعث وهو عليها قويّ، وبها مليّ.

روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة. كانت تجيء مثل فلق الصبح فجأة الحق.

واختلف في هذه الرؤيا هل كانت قبل انقطاعه إلى الخلوة بحراء، فحكى عروة عن عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ حبب إليه الخلاء بعد الرؤيا.

وذهب قوم إلى أن الرؤيا جاءته بعد خلوته لأنه ﷺ خلا على غفلة من أمره، وقد روت برة بنت أبي تجرلة رضي الله عنها: أن الله تعالى لما أراد كرامة رسول الله ﷺ بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً، فاحتمل أن يكون ذلك قبل رؤيا المنام. فيكون كالهتوف الخارجة عن إعلام الوحي إلى إعجاز النبوة، واحتمل أن يكون بعد الرؤيا فيكون تصديقاً لها وتحقيقاً لصحتها.

والمنزلة الثانية: ما مُيِّز به ﷺ عن سائر الخلق. تقديسه عن الأرجاس، وتطهيره من الأدناس. ليصفو فيصطفى، ويخلص فيستخلص، فيكون ذلك إنذاراً بالأمر وتنبيهاً على العاقبة وهو ما رواه عروة بن الزبير عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول نبوته، فقال: «يا أبا ذر أتاني ملكان ببطحاء مكة فوقع أحدهما على الأرض والآخر بين

السماء والأرض، فقال: أحدهما لصاحبه أهو هو؟ قال: هوهو. قال: فزنه برجل من أمته، فوزنت برجل فرجحته، ثم قال: زنه بعشرة، فوزنت بعشرة فرجحتهم، ثم قال: زنه بمائة، فوزنت فرجحتهم، ثم قال: زنه بألف، فوزنت بألف فرجحتهم، فجعلوا ينثرون عليَّ في كفة الميزان. فقال: أحدهما للآخر لو وزنته بأمته لرجحها، ثم قال: أحدهما لصاحبه شق بطنه، فشق بطني، ثم قال: شق قلبه فشق قلبي، فأخرج منه مغمز الشيطان، وعلى الدم، ثم قال: اغسل بطنه غسل الإناء، واغسل قلبه غسل الملاءة، ثم دعا بالسكينة فأدخلت قلبي، ثم قال خِطْ بطنه فخاط بطني، فما هو إلا أن وَلَّيا كأنما أعاين الأمر»[1].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما حان أن ينبأ رسول الله ﷺ كان ينام حول الكعبة، وكانت قريش تنام حولها فأتاه جبرائيل وميكائيل، فقالا: بأيديهم أمرنا، فقالا: أمرنا بسيدهم، ثم ذهبا وجاءا من القابلة، وهم ثلاثة فألفوه ﷺ وهو نائم، فقلبوه لظهره وشقوا بطنه، ثم جاؤا بماء من زمزم فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو ضلالة، أو جاهلية، ثم جاؤوا بطست من ذهب قد ملئت إيماناً وحكمة، فملئ بطنه وجوفه إيماناً وحكمة، وهذا موافق لحديث أبي ذر في المعنى وإن خالفه في الصفة. فتوارد في الرواية، وهو إنذار بالنبوة.

والمنزلة الثالثة: البشرى بالنبوة من ملك أخبر بها عن ربه اختصت بشراه بالإشعار، وتجردت عن تكليف وإنذار. لم يسمع بها وحياً ولا أري معها شخصاً، وإنما كان إحساساً بالملك اقترن بآية دلت وأمارة ظهرت.

اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى بها عن نطقه، ليعلم أنه من أنبياء الله تعالى فيتأهب لوحيه ويعاني بإمهاله فيكون على البلوى أصبر، وللنعمة أشكر.

روى الشعبي وداود بن عامر أن الله تعالى قرن إسرافيل عليه السلام بنبوة رسوله ﷺ ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه بالقرآن، فكان في هذه المدة مبشراً بالنبوة وغير مبعوث إلى الأمة فاحتمل أن يكون إمهاله فيها معونة للرسول ﷺ، واحتمل أن يكون نظراً للأمة، واحتمل أن يكون بأوان المصلحة، وليس يمتنع أن يكون لجميعها، فإنه أعلم بسر ما أخفى وأعرف بمعنى ما أظهر.

والمنزلة الرابعة: أن نزل عليه ﷺ جبريل عليه السلام بوحي ربه حتى رأى شخصه وسمع مناجاته، فأخبره أنه نبي الله ورسوله، واقتصر به على الإخبار، ولم يأمره بالإنذار.

---

(١) رواه الطبري في تاريخ الأمم والملوك (٢: ٣٠٥). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).

ليعلمها بعد البشرى عياناً، ويقع بها يقيناً، فتكون نفسه بها أوثق، وعلمه بها أصدق، فلا يعترضه وهم لا يخالجه ريب.

روى الزهري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ لما فجأه الحق أتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد أنت رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «فجثوت بركبتي وأنا قائم، ثم رجعت ترجف بوادري، ثم دخلت على خديجة، فقلت: زملوني، حتى ذهب عني الروع، ثم أتاني، فقال: يا محمد أنا جبريل، وأنت رسول الله، ثم قال: اقرأ. قلت: ما أقرأ؟» قال: «فأخذني فغطني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد، وقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فأتيت خديجة، فقلت لها: لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً إنك تصل الرحم وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل، وكان ابن عمها وخرج في طلب الدين، قرأ التوراة والإنجيل، وتنصر. وقالت: اسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموس الذي نزل على موسى عليه السلام ـ يعني جبريل عليه السلام ـ ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك. قلت: أو مخرجيّ هم قال: نعم، إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودي، ولئن يدركني يومك لأنصرنك مؤزراً، ثم كان أول ما نزل عليّ من القرآن بعد اقرأ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ [القلم: ١ - ٥]»[1]. ونزل عليه ذلك ليزداد ﷺ ثباتاً وبنفسه استبصاراً أو لنعمة ربه شاكراً.

وروي أن خديجة رضي الله عنها قالت لرسول الله ﷺ: هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا إذا أتاك ـ تعني جبريل عليه السلام ـ؟ قال: «نعم». قلت: فأخبرني به إذا جاءك، فجاء جبريل، فقال ﷺ: «يا خديجة هذا جبريل قد جاء». قالت: قم فاجلس على فخذي اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه؟ قال: «نعم». قالت: فتحول على فخذي اليمنى فتحول إليها فقالت هل تراه؟ قال: «نعم». قالت: فتحول في حجري، فتحول في حجرها. قالت: هل تراه؟ قال: «نعم»، قال: فحسرت وألقت خمارها وهو جالس في حجرها، فقالت هل تراه؟ قال: «لا»[2]. قالت: يا ابن عمي اثبت وأبشر فوالله إنه لملك، وما هو بشيطان. وآمنت به ﷺ، فكانت أول من أسلم من جميع الناس.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٣). وأحمد في المسند (٣: ٣٧٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٥١). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١: ٤٦٨). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٣١٧). وابن حجر في فتح الباري (١: ٢٢).

(٢) رواه ابن حجر في فتح الباري (٨: ٧٢٠). والسيوطي في دلائل النبوة (٢: ١٥٢).

واستظهرت خديجة رضي الله عنه بما فعلته من هذا في حق نفسها لا في حق الرسول ولا استظهاراً عليه، واكتفى رسول الله ﷺ في تصديق جبريل بما عاينته خديجة من آياته المعجزة، وكان ما نزل به جبريل عليه السلام في هذا الحال مقصوراً على إخباره بالنبوة ليعلم أن الله تعالى قد اصطفاه لها فينقطع إليه، ويوقف نفسه على ما يؤمر به وينزل عليه، فيكون لأوامره متبعاً، ولما يراد متوقعاً، وأذن له ﷺ في ذكره، ولم يُؤذن له في إنذاره لقول الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١] أي بما جاء من النبوة، فكان ﷺ يذكرها مستسراً.

والمنزلة الخامسة: أن أمر بعد النبوة بالإنذار، فصار به رسولاً ونزل عليه القرآن بالأمر والنهي فصار به مبعوثاً، ولم يؤمر بالجهر وعموم الإنذار ليختص بمن أمنه، ويشتد بمن أجابه، فنزل عليه قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ [المدثر:١ - ٧]، فتمت نبوته بالوحي والإنذار، وإن كان على استسرار، وكان ذلك في يوم الإثنين من شهر رمضان.

قال هشام بن محمد: أول ما تلقاه جبريل في ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له برسالته في يوم الإثنين.

وروى أبو قتادة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن صوم يوم الإثنين، فقال: «ذاك يوم ولدت فيه، وأنزل علي فيه النبوة»[1].

واختلف في أي إثنين كان من شهر رمضان، فقال أبو قلابة: كان في الثامن عشر منه، وقال أبو الخلد: كان في الرابع والعشرين منه. وهو ابن أربعين سنة في قول الأكثرين لأربعين سنة مضت من عام الفيل، وزعم قوم أنه ﷺ كان ابن ثلاث وأربعين سنة.

قال هشام بن محمد: وذلك لعشرين سنة من ملك كسرى أبرويز.

وقال غيره: لست عشرة سنة من ملكه، ثم روي: أن جبريل عليه السلام نزل عليه في يوم الثلاثاء ثاني النبوة وهو بأعلى مكة، فهمز بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين، فتوضأ جبريل منها ليريه كيف الطهور، فتوضأ مثل وضوئه، ثم قام جبريل فصلى وصلى رسول الله ﷺ بصلاته، فكانت هذه أول عبادة فرضت عليه، ثم انصرف جبريل، فجاء رسول الله ﷺ إلى خديجة، فتوضأ لها حتى توضأت وصلى بها كما صلى به جبريل، فكانت أول من توضأ بعده وصلى واستسر بالإنذار من يأمنه.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (١٩٧). وأحمد في المسند (٥: ٢٩٧). والبيهقي في دلائل النبوة (١: ٧٢).

واختلف في أول من أسلم بعد خديجة على ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول من أسلم من الذكور وصلى، وهو ابن تسع سنين، وقيل: ابن عشر، وهذا قول جابر بن عبد الله بن زيد بن أسلم.

وروى يحيى بن عفيف عن أبيه قال: جئت في الجاهلية إلى مكة، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، فلما طلعت الشمس وتحلقت في السماء أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء واستقبل الكعبة، فقام مستقبلها فلم يلبث أن جاء غلام فقام عن يمينه، فلم يلبث أن جاءت امرأة فقامت خلفهما، فركع الشاب وركع الغلام والمرأة، ورفع الشاب فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً فسجدا معه، فقلت للعباس: يا عباس أمر عظيم هل تدري من هذا. قال العباس: نعم، هذا محمد بن عبد الله، ابن أخي، وهذا علي بن أبي طالب، ابن أخي، وهذه خديجة ابنة خويلد زوجة ابن أخي، وهذا حدثني أن رب السماء أمره بهذا الذي تراهم عليه وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

والقول الثاني: إن أول من أسلم وصلى أبو بكر رضي الله عنه وهذا قول ابن عباس، وأبي أمامة الباهلي.

وروى أبو أمامة عن عمرو بن عنبسة السلمي قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو نازل بعكاظ، فقلت يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر؟ قال: «تبعني عليه رجلان حر وعبد: أبو بكر وبلال».

قال: فأسلمت عند ذلك، فلقد رأتني إذ ذاك ربع الإسلام. وقال الشعبي: سألت ابن عباس من أول الناس إسلاماً؟ فقال: أما سمعت قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

والقول الثالث: إن أول من أسلم زيد بن حارثة، وهذا قول عروة بن الزبير، وسليمان بن يسار.

وجعل أبو بكر يدعو إلى الإسلام من يثق به لأنه كان تاجراً ذا خلق معروف، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلمهم بما كانوا عليه من خير وشر، حسن التأليف لهم، وكانوا يكثرون غشيانه فأسلم على يده عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن

أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له بالإسلام وصلوا فصاروا مع من تقدم ثمانية نفر هم أول من أسلم، وصلى.

وقيل: إنه أسلم معهم سعيد بن العاص، وأبو ذر، ثم تتابع الناس في الإسلام ورسول الله ﷺ على استسراره بالدعاء، وإن انتشرت دعوته في قريش.

والمنزلة السادسة: إنه ﷺ أمر أن يعم بالإنذار بعد خصوصه، ويجهر بالدعاء إلى الإسلام بعد استسراره، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] فجهر بالدعاء.

قال ابن إسحاق: وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه وأمر أن يبدأ بعشيرته الأقربين، فقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ - ٢١٥].

قال ابن عباس: فصعد رسول الله ﷺ الصفا فهتف: «**يا صباحاه يا بني عبد المطلب يا بني عبد مناف**» ـ حتى ذكر الأقرب فالأقرب من قبائل قريش فاجتمعوا إليه، وقالوا: ما لك؟ قال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح الجبل أما كنتم تصدقوني**» قالوا: بلى ما جر بنا عليك كذباً. قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1] فقال أبو لهب ـ تباً له ـ ألهذا جمعتنا؟ ثم قام فأنزل الله تعالى: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] إلى آخر السورة.

قال ابن إسحاق: ولم يكن من قريش في دعائه لهم مباعدة له، ولكن ردوا عليه بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفه أحلامهم في عبادتها، فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه وتظاهروا بعداوته إلا من عصمه الله تعالى منهم بالإسلام، وهم قليل مستحقرون، فصار بعموم الإنذار والجهر بالدعاء إلى التوحيد والإسلام عام النبوة مبعوثًا إلى كافة الأمة، فكمل الله بذلك نبوته وتمم به رسالته فصدع بأمره، وقام بحقه وجاهر بإنذاره، وعم بدعائه، وجاهد في الله حق جهاده حتى خصم قريشًا حين جادلوه، وصابرهم حين عاندوه، وجمهم غفير، وجمعهم كثير، إلى أن علت كلمته، وظهرت دعوته، وكابد من الشدائد ما لا يثبت عليها إلا معصوم، ولا يسلم منها إلا منصور، وكل هذه آيات تنذر بالحق، وتلائم الصدق، لأن الله لا يهدي كيد الخائنين، ولا يصلح عمل المفسدين، فأما ما شرعه ﷺ من الدين فالشرع بعد التوحيد يشتمل على قسمين: عبادات، وأحكام.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٦: ١٥٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٥٥). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والبغوي في شرح السنة (٥: ١٢٨). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٥٠٣). والسيوطي في الدر المنثور (٤٠٨٠٦). وابن كثير في التفسير (٦: ٥١٣). والطبري في التفسير (١٩: ٧٣).

فأما العبادات فلم يشرع منها مدة مقامه بمكة إلا الطهارة والصلاة حين علمه جبريل الوضوء، والصلاة، وكانت فرضاً عليه وسنة لأمته لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ [المزمل: ١ - ٤]، فكان هذا حكمها في حقه وحق أمته إلى أن فرضت الصلوات الخمس بعد إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وذلك في السنة التاسعة من نبوته، فصارت الصلوات الخمس فرضاً عليه وعلى أمته ولم يفرض ما سواها من العبادات حتى هاجر إلى المدينة وصارت له بالإسلام داراً، وصار أهلها أنصاراً، فأول ما فرض بالمدينة من العبادات بعد فرض الصلوات الخمس بمكة صيام شهر رمضان في الثانية من الهجرة في شعبان، وفيها حولت القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وفرض فيها زكاة الفطر وشرع فيها صلاة العيد، وكان فرض الجمعة تقدم في أول الهجرة بدلاً من صلاة الظهر، ثم فرضت زكاة الأموال بعد ظهور القوة وسد الخلة، ثم الحج والعمرة.

وأما الأحكام فما أوجبته قضايا العقول من تحريم القتل والزنا كان مشروعاً بمكة مع ظهور إنذاره، وما تردد في قضايا العقول بين فعله وتركه كف عن الحكم فيه بتحليل، أو تحريم، أو حظر، أو إباحة، أو استحباب، أو كراهة، فلم يحلل بمكة حلالاً، ولا حرم بها حراماً حتى هاجر منها، فحلل بعد الهجرة، وحرم وأباح، وحظر لأنه كان بمكة مغلوباً باستيلاء قريش عليها، وكانت دار شرك لا ينفذ فيها أحكامه، فلم يحلل، ولم يحرم حتى صار بالمدينة في دار إسلام تنفذ فيها أحكامه فبيّن ما حلل وحرم، وبيّن ما أباح وحظر، وبيّن ما يصح من القول ويفسد، ولذلك كان بمكة مسالماً وبالمدينة محارباً، فكانت الحكمة موافقة لأفعاله، والتوفيق معاضداً لأقواله، وإن كان مأموراً بها كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، لكن لحسن قيامه بها وموافقة الصواب في موضعها تظهر آثار حكمته في صحة حزمه وصدق عزمه ﷺ.

ومنهم سلطان العارفين وإمام العلماء المحققين والأولياء المكاشفين سيدي الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي المتوفى سنة ٦٣٨

له في الفتوحات المكية عبارات كثيرة عبر بها عن رفعة قدر النبي ﷺ وها أنا أذكر هنا ما يلزم منها، وأعين محله من الطبعة المصرية الميرية لتسهل مراجعته والاطلاع على باقي كلامه لمن شاءه

فمن جواهره رضي الله عنه

[واقعة مشاهدته النبي ﷺ]

قوله في خطبة كتابه المذكور في الصفحة الثالثة بعد أن حمد الله تعالى وشكره بعباراته الفائقة والصلاة على سر العالم ونكتته، ومطلب العالِم بغيته، السيد الصادق، المدلج إلى ربه الطارق، المخترق به السبع الطرائق، ليريه من سرى به إليه ما أودع من الآيات والحقائق. فيما أبدع من الخلائق الذي شاهدته عند إنشائي لهذه الخطبة في عالم حقائق المثال في حضرة الجلال مكاشفة قلبية في حضرة غيبية، ولما شاهدته ﷺ في ذلك العالم سيداً، معصوم المقاصد، محفوظ المشاهد منصوراً مؤيداً. وجميع الرسل بين يديه مصطفون، وأمته التي هي خير أمة أخرجت للناس عليه ملتفون، وملائكته التسخير من حول عرش مقامه حافون، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون، والصديق عن يمينه الأنفس، والفاروق عن يساره الأقدس، والختم عليه السلام بين يديه قد جثا، يخبره بحديث الأنثى، وعلي رضي الله عنه وكرم الله وجهه يترجم عن الختم بلسانه، وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شأنه إلى آخر ما ذكره رضي الله عنه مما رآه في تلك الواقعة، فراجعه إن شئت.

ومن جواهره رضي الله عنه

[آدم حامل الأسماء ومحمد ﷺ حامل معانيها]

قوله في الباب الخامس في صفحة ١٤٠:

إن آدم عليه السلام هو حامل الأسماء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾

[البقرة:٣١] ومحمد ﷺ حامل معاني تلك الأسماء التي علمها الله آدم عليه السلام، وهي الكلم.

قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم، ومن أثنى على نفسه أمكن وأتم ممن أثني عَليه»[١] كيحيى وعيسى عليهما السلام ومن حصل له الذات فالأسماء تحت حكمه، وليس من حصل الأسماء يكون المسمى محصلاً عنده، وبهذا فضلت الصحابة علينا، فإنهم حصلوا الذات، وحصلنا الاسم، ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الأجر لحسرة الغيبة التي لم تكن لهم، فكان تضعيفاً على تضعيف، فنحن الإخوان، وهم الأصحاب، وهو ﷺ إلينا بالأشواق وما أفرحه بلقاء واحد منا، وكيف لا يفرح وقد ورد عليه من كان بالأشواق إليه فهل تقاس كرامته به وبره وتحفته؟ وللعامل منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل أصحابه لا من أعيانهم، لكن من أمثالهم، فذلك قوله ﷺ، بل منكم فجدوا واجتهدوا حتى يعرفوا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً لو أدركوه ما سبقوهم إليه، ومن هنا تقع المجاراة والله المستعان.

ومن جواهره رضي الله عنه

قوله في الباب العاشر في صفحة ١٧٤:

اعلم أيدك الله أنه قد ورد في الخبر أن النبي ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[٢]، وفي صحيح مسلم: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[٣] فثبتت له السيادة والشرف على أبناء جنسه من البشر. وقال ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[٤] يريد على علم بذلك فأخبره الله تعالى بمرتبته، وهو روح قبل إيجاده الأجسام الإنسانية، كما أخذ الميثاق على بني آدم قبل إيجاده أجسامهم، وألحقنا الله تعالى بأنبيائه إذ جعلنا شهداء على أممهم معهم حيث يبعث من

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٠). وابن كثير في التفسير (٤: ٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١١٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٨٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٦٨). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٤).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٣٠٤٠).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٢). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٢٧). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥). وابن كثير في التفسير (٥: ٤٣). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٤٤٠). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٣٩٥).

(٤) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١).

كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، وهم الرسل، فكانت الأنبياء في العالم نوابه ﷺ من آدم إلى آخر الرسل عليهم السلام، وهو عيسى عليه السلام، وقد أبان ﷺ عن هذا المقام بأمور: منها قوله: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»(١). وقوله في نزول عيسى ابن مريم: «إنه يومئذٍ منا» أي يحكم فينا بسنة نبينا ﷺ ويكسر الصليب ويقتل الخنزير.

ولو كان محمد ﷺ موجوداً بجسمه من لدن آدم إلى زمن وجوده الآن لكان جميع بني آدم تحت حكم شريعته إلى يوم القيامة حساً، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي»(٢)، ولهذا لم يبعث عامة إلا هو خاصة، فهو الملك والسيد، وكل رسول سواه بعث إلى قوم مخصوصين، ولم تعم رسالة أحد من الرسل سوى رسالته ﷺ، فمن زمان آدم إلى زمان بعث محمد ﷺ إلى يوم القيامة مُلكه، وتقدمه على جميع الرسل، وسيادته في الآخرة منصوص عليهما في الصحيح عنه، فروحانيته ﷺ وروحانية كل نبي ورسول موجودة، فكان الإمداد يأتي إليهم من تلك الروح الطاهرة بما يظهرون من الشرائع والعلوم في زمان وجودهم رسلاً وتشريعهم الشرائع. كعلي، ومعاذ، وغيرهما في زمان وجودهم.

ووجوده ﷺ، كإلياس، والخضر عليهما السلام، وعيسى عليه السلام وحين ينزل في آخر الزمان حاكماً بشرع محمد ﷺ في أمته ليقرر شرعه في الظاهر، لكن لما لم يتقدم في عالم الحس وجود عينه ﷺ أولاً، نُسِبَ كل شرع إلى من بعث به، وهو في الحقيقة شرع محمد ﷺ، وإن كان مفقود العين من حيث لا يعلم ذلك، كما هو مفقود العين الآن، وفي زمن نزول عيسى عليه السلام والحكم بشرعه.

وأما نسخ الله بشرعه جميع الشرائع فلا يخرجها هذا النسخ عن أن تكون من شرعه، فإن الله تعالى قد أشهدنا في شرعه الظاهر في القرآن والسنة النسخ مع إجماعنا واتفاقنا على أن ذلك المنسوخ شرعه الذي بعث به إلينا، فننسخ بالمتأخر المتقدم، فكان تنبيهاً لنا هذا النسخ الموجود في القرآن والسنة على أن نسخه لجميع الشرائع المتقدمة لا يخرجها عن كونها شرعاً له، وكان نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً بغير شرعه أو بعضه الذي كان عليه في زمان رسالته، وحكمه بالشرع المحمدي المقرر اليوم دليلاً على أنه لا حكم لأحد اليوم من الأنبياء عليهم السلام مع وجود ما قرره ﷺ في شرعه.

ويدخل في ذلك ما هم عليه أهل الذمة من أهل الكتاب ما داموا يعطون الجزية عن يد

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٤٨). والقرطبي في التفسير (١٣: ٣٥٥).

(٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٣٠١).

وهم صاغرون، فإن حكم الشرع على الأحوال، فخرج من هذا المجموع كله أنه ملك وسيد على جميع بني آدم، وإن جميع من تقدمه كان ملكًا له، وتبعاً والحاكمون فيه نواب عنه ﷺ، فإن قيل: قد ورد قوله ﷺ: «لا تفضلوني»[١].

فالجواب: نحن ما فضلناه، بل الله فضله، فإن ذلك ليس لنا، وإن كان قد ورد﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾[الأنعام:٩٠] لما ذكر الأنبياء عليهم السلام فهو صحيح، فإنه قال: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ﴾ وهداهم من الله، وهو شرعه ﷺ أي الزم شرعك الذي به ظهر نوابك من إقامة الدين، وعدم التفرق فيه، ولم يقل، فبهم اقتده.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ ﴾ [الشورى:١٣] فيه دليل على أحدية الشرائع، وقال: ﴿ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [النحل:١٢٣]، وهو الدين فهو مأمور باتباع الدين فإن الدين إنما هو من الله لا من غيره، وانظروا في قوله ﷺ: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[٢] فأضاف الاتباع إليه وأمره ﷺ باتباع الدين والاقتداء بهدي الأنبياء لا بهم، فأن الإمام الأعظم إذا حضر لا يبقى لنائب من نوابه حكم إلاّ له.

فإن حكم النواب بمراسمه، فهو الحاكم غيباً، وشهادة، وما أوردنا هذه الأخبار والتنبيهات إلا تناسياً لمن لا يعرف هذه المرتبة من كشفه، ولا أطلعه الله عليها من نفسه.

أما أهل الله فهم وما نحن عليه قد قامت لهم شواهد التحقيق على ذلك من عند ربهم في نفوسهم.

ثم قال وهذا الذي ذكرناه إنما هو إذا كان المُلْك عبارة عن الأناسي خاصة فإن نظرنا إلى سيادته ﷺ على جميع ما سوى الحق كما ذهب إليه بعض الناس للحديث المروي: «إن الله يقول: لولاك يا محمد ما خلقت سماء، ولا أرضاً، ولا جنة، ولا ناراً»[٣]، وذكر خلق ما سوى الله فيكون أول [منفصل][٤] فيها النفس الكلية عن أول موجود، وهو الفعل الأول وآخر [منفصل] فيها حواء عن آخر موجود، وهو آدم فالإنسان آخر موجود من أجناس العالم فإنه ما ثَمَّ إلا ستة أجناس، وكل جنس تحته أنواع، وتحت الأنواع أنواع.

فالجنس الأول: الملَك، والثاني: الجان، والثالث: المعدن، والرابع: النبات،

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (١: ١٧١).

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٤٨). والقرطبي في التفسير (١٣: ٣٥٥).

(٣) رواه القاري في الأسرار المرفوعة (٢٩٥). بمعناه.

(٤) وردت في الأصل: «منفضل» ولعل هذا تصحيف.

والخامس: الحيوان، ولما انتهى المُلْك وتمهد واستوى كان الجنس السادس: جنس الإنسان: وهو الخليفة على هذه المملكة، وإنما وجد آخراً ليكون إماماً بالفعل حقيقة لا بالصلاحية والقوة، فعندما أوجد عينه لم يوجده إلا والياً سلطاناً ملحوظاً، ثم جعل له نواباً حين تأخرت نشأة جسده، فأول نائب كان له وخليفة آدم عليه السلام، ثم ولد واتصل النسل وعين في كل زمان خلفاء إلى أن وصل زمان نشأة الجسم الطاهر المحمدي ﷺ، فظهر مثل الشمس الباهرة، فاندرج كل نور في نوره الساطع، وغاب كل حكم في حكمه، وانقادت جميع الشرائع إليه، وظهرت سيادته التي كانت باطنة، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم، قال: «أوتيت جوامع الكلم»[1].

وقال عن ربه: «ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديَيّ، فعلمت علم الأولين والآخرين»[2] فحصل له التخلق، والنسب الإلٰهي من قوله تعالى عن نفسه: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٥٧] وجاءت هذه الآية في سورة الحديد الذي فيه بأس شديد، ومنافع للناس فلذلك بعث ﷺ بالسيف وأرسل رحمة للعالمين.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[فوائد تتعلق بعلو قدره ﷺ]

قوله في الباب الثاني عشر في صفحة ١٨٥:

ألا بأبي من كان مَلْكاً وسيداً وآدم بين الماء والطين واقف
فذاك الرسول الأبطحيّ محمد له في العلا مجد تليد وطارف
أتى بزمان السعد في آخر المدى وكانت له في كل عصر مواقف
أتى لانكسار الدهر يجبر صدعه فأثنت عليه ألسن وعوارف
إذا رام أمراً لا يكون خلافه وليس لذاك الأمر في الكون صارف

اعلم أيدك الله أنه لما خلق الله الأرواح المحصورة المدبرة للأجسام بالزمان عند وجود حركة الفلك لتعيين المدة المعلومة عند الله.

وكان عند أول خلق الزمان بحركته خلق الروح المدبرة روح محمد ﷺ، ثم صدرت

(١) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٠). وابن كثير في التفسير (٤: ٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١١٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٨٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٦٨). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٤).

(٢) رواه السيوطي في دلائل النبوة (٥: ١٠٢).

الأرواح عند الحركات، فكان لها وجود في عالم الغيب دون عالم الشهادة، وأعلمه الله بنبوته وبشره بها وآدم لم يكن إلا كما قال: «بين الماء والطين»(١).

ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حق محمد ﷺ إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به انتقل حكم الزمان في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد ﷺ بكليته جسماً وروحاً، فكان الحكم له أولاً باطناً في جميع ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم صار الحكم له ظاهراً فنسخ كل شرع أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر، لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان المشرع واحداً، وهو صاحب الشرع، فإنه قال: «كنت نبياً»(٢)، وما قال: كنت إنساناً، ولا كنت موجوداً، أوليست النبوة إلا بالشرع المقرر عليه من عند الله، فأخبر أنه صاحب النبوة قبل وجود الأنبياء الذين هم نوابه في هذه الدنيا، ثم قال رضي الله عنه: فقد ثبتت له ﷺ السيادة في العلم في الدنيا.

وثبتت له أيضاً السيادة في الحكم، حيث قال: «لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»(٣)، وتبين ذلك عند نزول عيسى عليه السلام وحكمه فينا بالقرآن، فصحت له ﷺ السيادة في الدنيا بكل وجه ومعنى، ثم أثبت السيادة له على سائر الناس يوم القيامة بفتحه له باب الشفاعة، ولا يكون ذلك لنبي يوم القيامة إلا له ﷺ.

فقد شفع ﷺ في الرسل والأنبياء إن تشفع. نعم وفي الملائكة فأذن الله سبحانه عند شفاعته له في ذلك لجميع من له شفاعة من ملك، ورسول، ونبي، ومؤمن أن يشفع، فهو ﷺ أول شافع بإذن الله، ثم ذكر رضي الله عنه نسخه ﷺ بشريعته لجميع الشرائع وظهور دينه على جميع الأديان عند كل رسول ممن تقدمه، وفي كل كتاب منزل فلم يبق لدين من الأديان حكم عند الله إلا ما قرر منه، فبتقريره ثبت، فهو من شرعه وعموم رسالته، وإن كان قد بقي من ذلك حكم فليس هو من حكم الله إلا في الجزية خاصة، وإنما قلنا ليس هو من حكم الله لأنه سماه باطلاً، فهو على من اتبعه لأنه فهذا أعني ظهور دينه على جميع الأديان كما قال النابغة الشاعر:

ألم تر أن الله أعطاك صولة ... ترى كل ملك دونها يتذبذب
فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبدُ منهن كوكب

فهذه منزلة محمد ﷺ مع الأنبياء والرسل وشريعته مع الشرائع كالشمس مع نور

---

(١) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١).

(٢) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٩١). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١).

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٤٨). والقرطبي في التفسير (١٣: ٣٥٥).

الكواكب التي اندرجت أنوارها في نور الشمس إذ هي كلها حق من الله متزل كما قررنا. وذكر رضي الله عنه فضائل أخرى كبرى للنبي ﷺ فليراجعها من شاءها.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[روح محمد ﷺ لجميع الانبياء]

قوله في الباب الرابع عشر في صفحة ١٩٤:

اعلم أيدك الله أن النبي هوالذي يأتيه الملك بالوحي من عند الله تعالى يتضمن ذلك الوحي شريعة يتعبده بها في نفسه، فإن بعثه بها إلى غيره كان رسولاً، ويأتيه الملك في حالتين إما ينزل بها على قلبه على اختلاف أحوال في ذلك النزول، وإما على صورة جسدية من خارج يلقي ما جاء به إليه على أذنه فيسمع أو يلقيه على بصره فيبصر، فيحصل له من النظر مثل ما يحصل له من السمع سواء، وكذلك سائر القوى الحساسة، وهذا باب قد أغلق برسول الله ﷺ، فلا سبيل أن يتعبد الله أحد بشريعة ناسخة لهذه الشريعة المحمدية، وأن عيسى عليه الصلاة والسلام إذا نزل ما يحكم إلا بشريعة محمد ﷺ، وهو خاتم الأولياء، فإنه من شرف محمد ﷺ أن ختم الله ولاية أمته والولاية المطلقة بنبي، رسول، مكرم ختم الله به مقام الولاية، فله يوم القيامة حشران يحشر مع الرسل رسولاً، ويحشر معنا ولياً تابعاً لمحمد ﷺ، وإلياس بهذا المقام كرمه الله على سائر الأنبياء، ثم قال بعد أن تكلم في شأن الأولياء والأقطاب:

وأما القطب الواحد فهو روح محمد ﷺ، وهو الممد لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة.

قيل له ﷺ: متى كنت نبياً؟ فقال ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1]. قال: ولهذا الروح المحمدي، وختم الولاية العامة الذي هو عيسى عليه السلام.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[فضل أهل بيته ﷺ]

قوله في الباب التاسع والعشرين في صفحة ٢٥٥:

في فضل أهل بيته ﷺ وعناية الله بهم لشرفه وعنايته تعالى به عليه الصلاة والسلام، ولما

---

(١) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١).

كان رسول الله ﷺ عبداً محضاً قد طهره الله وأهل بيته تطهيراً وأذهب عنهم الرجس، وهو كل ما يشينهم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] فلا يضاف إليهم إلا مطهر، ولا بد فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما يضيفون لأنفسهم إلا من حكم الطهارة والتقديس، فهذا شهادة من النبي ﷺ لسلمان الفارسي بالطهارة والحفظ الإلٰهي والعصمة حيث قال فيه رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت»[1].

وشهد الله لهم بالتطهير وذهاب الرجس عنهم، وإذا كان لا يضاف إليهم إلا مطهر مقدس، وحصلت له العناية الربانية الإلٰهية بمجرد الإضافة، فما ظنك بأهل البيت في نفوسهم فهم المطهرون، بل هم عين الطهارة، فهذه الآية تدل على أن الله تعالى قد أشرك أهل البيت مع رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] وأي وسخ وقذر أقذر من الذنوب وأوسخ، فطهر الله سبحانه نبيه ﷺ بالمغفرة مما هو ذنب بالنسبة إلينا، ولو وقع منه ﷺ لكان ذنباً في الصورة لا في المعنى، لأن الذم لا يلحق به على ذلك من الله، ولا منا شرعاً، فلو كان حكمه حكم الذنب لصحبه ما يصحب الذنب من المذمة، ولم يكن يصدق قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فدخل الشرفاء أولاد فاطمة كلهم رضي الله عنهم، ومن هو من أهل البيت مثل سلمان الفارسي رضي الله عنه إلى يوم القيامة في حكم هذه الآية من الغفران، فهم المطهرون اختصاصاً من الله، وعناية بهم لشرف محمد ﷺ، وعناية الله به ولا يظهر حكم هذا الشرف لأهل البيت إلا في الدار الآخرة، فإنهم يحشرون مغفوراً لهم.

وأما في الدنيا فمن أتى منهم حداً عليه كالتائب إذا بلغ الحاكم أمره وقد زنى، أو سرق، أو شرب أقيم عليه الحد مع تحقيق المغفرة كماعز وأمثاله، ولا يجوز ذمه، وينبغي لكل مسلم يؤمن بالله وما أنزله أن يصدق الله تعالى في قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣] فيعتقد في جميع ما يصدر من أهل البيت أن الله تعالى قد عفا عنهم فيه، فلا ينبغي لمسلم أن يلحق المذمة بهم، ولا ما يشنأ أعراض من قد شهد الله بتطهيرهم، وذهاب الرجس عنهم لا بعمل عملوه، ولا بخير قدموه، بل بسابق عناية من الله بهم ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٥٧].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣: ٥٩٨). والطبراني في المعجم الكبير (٦: ٢٦١). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ١٨٠).

وإذا صح الخبر الوارد في سلمان الفارسي فله هذه الدرجة فإنه لو كان سلمان على أمر يشنؤه ظاهر الشرع، وتلحق المذمة بعامله لكان مضافاً إلى أهل البيت من لم يذهب عنه الرجس فيكون لأهل البيت من ذلك بقدر ما أضيف إليهم، وهم المطهرون بالنص، فسلمان منهم بلا شك، فأرجو أن يكون عقب سلمان تلحقهم هذه العناية كما ألحقت أولاد الحسن والحسين، وعقبهم وموالي أهل البيت فإن رحمة الله واسعة يا وليّ.

وإذا كانت منزلة مخلوق عند الله بهذه المثابة وهي أن يشرف المضاف إليهم بشرفهم، وشرفهم ليس لأنفسهم، وإنما الله هو الذي اجتباهم وكساهم حلة الشرف، فكيف يا وليّ الله بمن أضيف إلى من له العناية، والمجد والشرف لنفسه، وذاته فهو المجيد سبحانه وتعالى، فالمضاف إليه من عباده الذين هم عباده، وهم الذين لا سلطان لمخلوق عليهم في الآخرة قال تعالى لإبليس: ﴿ إِنَّ عِبَادِى ﴾ [الحجر:٤٢] فأضافهم إليه: ﴿ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر:٤٢] وما نجد في القرآن عباداً مضافين إليه سبحانه إلا السعداء خاصة.

وجاء اللفظ في غيرهم بالعباد فما ظنك بالمعصومين المحفوظين منهم القائمين بحدود سيدهم الواقفين عند مراسمه فشرفهم أعلى وأتم، ثم قال وبعد أن تبين لك منزلة أهل البيت عند الله وأنه لا ينبغي لمسلم أن يذمهم بما يقع منهم أصلاً فإن الله طهرهم، فليعلم الذام لهم أن ذلك راجع إليه، ولو ظلموه فذلك الظلم هو في زعمه ظلم لا في نفس الأمر، وإن حكم عليه ظاهر الشرع بأدائه، بل حكم ظلمهم، إيانا في نفس الأمر، يشبه جري المقادير علينا وعلى من جرت عليه في ماله ونفسه بغرق، أو بحرق، أو غير ذلك من الأمور المهلكة فيحترق، أو يموت له أحد أحبائه، أو يصاب في نفسه، وهذا كله مما لا يوافق غرضه، ولا يجوز له أن يذم قدر الله، ولا قضاءه، بل ينبغي له أن يقابل ذلك كله بالتسليم والرضا، وإن نزل عن هذه المرتبة فبالصبر، وإن ارتفع عن تلك المرتبة فبالشكر، فإن في طي ذلك نعماً من الله لهذا المصاب، وليس وراء ما ذكرناه خير، فإن ما وراءه ليس إلا الضجر والسخط، وعدم الرضى، وسوء الأدب مع الله فكذا ينبغي أن يقابل المسلم جميع ما يطرأ عليه من أهل البيت في ماله، ونفسه، وعرضه، وأهله، وذويه فيقابل ذلك كله بالرضى والتسليم والصبر، ولا يلحق المذمة بهم أصلاً، وإن توجهت عليهم الأحكام المقررة شرعاً، فذلك لا يقدح في هذا، بل يجريه مجرى المقادير، وإنما منعنا تعليق الذم بهم إذ ميزهم الله عنا بما ليس لنا معهم فيه قدم، وأما أداء الحقوق المشروعة فهذا رسول الله ﷺ كان يقترض من اليهود، وإذا طالبوه بحقوقهم

أداها على أحسن ما يمكن، وإذا تطاول [يهودي][(١)] عليه بالقول يقول: «دعوه إن لصاحب الحق مقالاً»[(٢)].

وقال ﷺ من قصة: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[(٣)]، وقد أعاذها الله من ذلك رضي الله عنها فوضع الأحكام لله يضعها كيف يشاء، وعلى أيّ حال يشاء، فهذه حقوق الله تعالى ومع هذا لم يذمهم الله، وإنما كلامنا في حقوقنا وما لنا أن نطالبهم به، فنحن مخيرون وإن شئنا أخذنا، وإن شئنا تركنا، والترك أفضل عموماً.

فكيف بأهل البيت، وليس لنا ذم أحد، فكيف بأهل البيت فإنا إذا نزلنا عن طلب حقوقنا وعفونا عنهم في ذلك أي فيما أصابوه منا كانت لنا بذلك عند الله اليد العظمى والمكانة الزلفى، فإن النبي ﷺ ما طلب منا عن أمر الله إلا المودة في القربى وفيه سر صلة الأرحام، ومن لم يقبل سؤال نبيه فيما سأله فيه مما قادر عليه فبأي وجه يلقاه غداً، أو يرجو شفاعته، وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودة في قرابته، فكيف بأهل بيته وهم أخص القرابة، ثم إنه جاء بلفظ المودة وهي الثبوت على المحبة، فإنه من ثبت وده وفي أمر استصحبه في كل حال.

وإذا استصحب المودة في كل حال لم يؤاخذ أهل البيت بما يطرأ منهم في حقه، فما له أن يطالبهم به فيتركه ترك محبة وإيثار على نفسه لا لها. قال المحب الصادق:

وكل ما يفعل المحبوب محبوب

وجاء باسم الحب فكيف حال المودة، ومن البشرى، ورود اسم الودود لله تعالى، ولا معنى لثبوته إلا حصول أثره بالفعل في الدار الآخرة، وفي الناس لكل طائفة بما تقتضيه حكمة الله فيهم وقال الآخر في هذا المعنى:

أحب لحبها السودان حتى ... أحب لحبها سود الكلاب

ولنا في هذا المعنى:

أحب لحبك الحبشان طرا ... وأعشق لاسمك البدر المنيرا

قيل: كانت الكلاب السود تناوشه وهو يتحبب إليها أعني المجنون، فهذا فعل المحب

---

(١) وردت في الأصل: «اليهود» الصحيح لموافقة المعنى أن تكون: «يهودي»، وما بعدها دليل على صحتها.

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٥٣٥٨). وفيه: «فإن».

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢١٣). ومسلم في الصحيح (الحدود: ٢). والنسائي في السنن (قطع السارق ٦). والدارمي في السنن (٢: ١٧). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٤٩). وابن كثير في التفسير (٣: ١٠٤).

في حب من لا تسعده محبته عند الله، ولا تورثه القرب من الله فهل هذا إلا من صدق المحبة وثبوت الود في النفس؟

فلو صحت محبتك لله ولرسوله أحببت أهل بيت رسول الله ﷺ ورأيت كل ما يصدر منهم في حقك مما لا يوافق طبعك ولا غرضك أنه جمال تتنعم بوقوعه منهم فتعلم عند ذلك أن لك عناية الله الذي أحببتهم من أجله حيث ذكّرك من محبة وخطّرك على باله، وهم أهل بيت رسول الله ﷺ، فتشكر الله تعالى على هذه النعمة فإنهم ذكروك بالسنة طاهرة طهرها الله بتطهيره طهارة لا يبلغها عملك، وإذا رأيناك على ضد هذه الحالة مع أهل البيت الذين أنت محتاج إليهم، ومع رسول الله ﷺ حيث هداك الله به فكيف أثق أنا بودك الذي تزعم أنك شديد الحب فيّ، وفي رعايتك لحقوقي أو لجانبي، وأنت في حق أهل بيت نبيك بهذه المثابة من الوقوع فيهم، والله ما ذاك إلا من نقص إيمانك، ومن مكر الله بك واستدراجه إياك من حيث لا تعلم.

وصورة المكران أن تقول وتعتقد أنك في ذلك تذب عن دين الله وشرعه، وتقول في طلب حقك إنك ما طلبت إلا ما باح الله لك طلبه، ويندرج الذم في ذلك الطلب المشروع، والبغض والمقت، وإيثار نفسك على أهل البيت وأنت لا تشعر بذلك.

والدواء الشافي من هذا الداء العضال أن لا ترى لنفسك معهم حقاً، وتتنزل عن حقك لئلا يندرج في طلبه ما ذكرته لك وما أنت من حكام المسلمين حتى يتعين عليك إقامة حد، أو إنصاف مظلوم أو رد حق إلى أهله، وإن كنت حاكماً ولا بد فاسع في استنزال صاحب الحق عن حقه إذا كان المحكوم عليه من أهل البيت، فإن أبى فحينئذٍ يتعين عليك إنفاذ حكم الشرع فيه فلو كشف الله لك يا ولي عن منازلهم عند الله في الدار الآخرة لوددت أن تكون مولى من مواليهم والله يلهمنا رشد أنفسنا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[شرع محمد ﷺ وما يتضمنه]

قوله في الباب السادس والثلاثين في صفحة ٢٩٠:

اعلم أيدك الله أنه لما كان شرع محمد ﷺ يتضمن جميع الشرائع المتقدمة، وأنه ما بقي لها حكم في هذه الدنيا إلا ما قررته الشريعة المحمدية، فبتقريرها ثبتت فتعبدنا بها نفوسنا من حيث إن محمداً ﷺ قررها، لا من حيث إن النبي المخصوص بها في وقته قررها فلهذا أوتي

رسول الله ﷺ جوامع الكلم. فإذاً عمل جميع العالم المكلف اليوم من الإنس والجن محمدي إذ ليس في العالم اليوم شرع إلٰهي سوى هذا الشرع المحمدي، ثم ذكر رضي الله عنه فوائد كثيرة تتعلق بهذا المعنى فراجعه إن شئت.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[شفاعته ﷺ]

قوله في الباب الرابع والستين في صفحة ٤٠٨:

في ذكر شفاعته العظمى ﷺ، فإذا قام الناس ومدت الأرض، وانشقت السماء، وانكدرت النجوم، وكورت الشمس، وخسف القمر، وحشرت الوحوش، وسجرت البحار، وزوجت النفوس بأبدانها، ونزلت الملائكة على أرجائها، أعني أرجاء السمٰوات، وأتى ربنا في ظلل من الغمام، ونادى المنادي يا أهل السعادة فأخذ منهم الثلاث طوائف، وماج الناس، واشتد الحر، وألجم الناس العرق، وعظم الخطب، وجل الأمر، وكان البهت فلا تسمع إلا همساً، وجيءَ بجهنم، وطال الوقوف بالناس ولم يعلموا ما يريد الحق بهم كما قال رسول الله ﷺ: «يقول الناس بعضهم لبعض تعالوا ننطلق إلى أبينا آدم، فنسأله أن يسأل الله لنا أن يريحنا مما نحن فيه، فقد طال وقوفنا، فيأتون آدم يطلبون منه ذلك، فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله ويذكر خطيئته فيستحي من ربه أن يسأله، فيأتون نوحاً ويقولون له مثل ذلك فيقول لهم مثل ما قال آدم، ويذكر خطيئة دعوته على قومه، وقوله: ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً فموضع المؤاخذة عليه قوله: ولا يلد إلا فاجراً كفاراً لا نفس دعائه عليهم من كونه دعاء، ثم يأتون إبراهيم فيقولون له مثل مقالتهم لمن تقدم، فيقول كما قال من تقدم، ويذكر كذباته الثلاث، ثم يأتون موسى وعيسى وغيرهما، ويقولون لكل واحد من الرسل مثل ما قالوه لآدم فيجيبونهم بمثل جواب آدم، فيأتون محمداً ﷺ وهو سيد الناس يوم القيامة، فيقولون له مثل ما قالوا للأنبياء، فيقول محمد ﷺ: أنا لها»[1].

وهو المقام المحمود الذي وعده الله به يوم القيامة، فيأتي يسجد ويحمد الله بمحامد يلهمه الله تعالى إياها في ذلك الوقت لم يكن يعلمها قبل ذلك، ثم يشفع إلى ربه أن يفتح الله باب الشفاعة للخلق فيفتح الله ذلك الباب فيأذن في الشفاعة للملائكة والرسل والأنبياء

---

(١) رواه ابن كثير في التفسير (٨: ٤٢١)، وفي البداية والنهاية (١: ١٧١).

والمؤمنين فبهذا يكون ﷺ سيد الناس يوم القيامة، فإنه شفع عند الله في أن تشفع الملائكة والرسل، ومع هذا تأدب ﷺ وقال: «أنا سيد الناس»(١) ولم يقل: أنا سيد الخلائق، فتدخل الملائكة في ذلك مع ظهور سلطانه في ذلك اليوم على الجميع من ملك وغيره، وذلك أنه ﷺ جمع له بين مقامات الأنبياء كلهم، ولم يكن ظهر له على الملائكة ما ظهر لآدم عليه السلام وعليهم من اختصاصه بعلم الأسماء كلها، فإذا كان ذلك اليوم افتقر إليه الجميع من الملائكة والناس.

آدم فمن دونه في فتح باب الشفاعة، وظهر ما له من الجاه عند الله تعالى إذ كان القهر الإلٰهي والجبروت الأعظم قد أخرس الجميع.

وكان هذا المقام مثل مقام آدم عليه السلام وأعظم في يوم اشتدت الحاجة فيه مع ما ذكر من الغضب الإلٰهي الذي تجلى فيه الحق في ذلك اليوم، ولم يظهر مثل هذه الصفة فيما جرى من قضية آدم عليه السلام، فدل بالمجموع على عظم قدره ﷺ حيث أقدم مع هذه الصفة الغضبية الإلٰهية على مناجاة الحق فيما سأل فيه، فأجابه الحق سبحانه، فعلقت الموازين، ونشرت الصحف، ونصب الصراط وبدئ بالشفاعة، ثم تكلم رضي الله عنه على من شفعوا وأحوال القيامة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الوسيلة جنة خاصه به ﷺ]

قوله في الباب الخامس والستين في صفحة ٤١٦:

واعلم أن جنة الأعمال مائة درجة تنقسم إلى منازل، فلنذكر من منازلها ما يكون لهذه الأمة المحمدية وما تفضُل به سائر الأمم فإنها خير أمة أخرجت للناس بشهادة الحق في القرآن، وتعريفه. وهذه المائة درجة في كل جنة من الثمان الجنان وصورتها جنة في جنة وأعلاها جنة عدن، وهي قصبة الجنة فيها الكثيب الذي يكون اجتماع الناس فيه لرؤية الحق تعالى، وهي أعلى جنة في الجنان بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، فالتي تلي جنة عدن إنما هي الفردوس، وهي أوسط الجنات التي دون جنة عدن،

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان ٣٢٧). والترمذي في السنن (٢٤٣٤). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥).

وأفضلها، ثم جنة الخلد، ثم جنة النعيم، ثم جنة المأوى، ثم دار السلام، ثم دار المقامة.

وأما الوسيلة فهي أعلى درجة في أعلى جنة، وهي جنة عدن هي لرسول الله ﷺ حصلت له بدعاء أمته فعل ذلك الحق سبحانه لحكمة أخفاها، فإنا بسببه ﷺ نلنا السعادة من الله تعالى، وبه كنا خير أمة أخرجت للناس، وبه ختم الله بنا الأمم كما ختم به النبيين، وهو ﷺ بشرنا كما أمر أن يقول لنا ولنا وجه خاص إلى الله تعالى نناجيه منه ويناجينا، وهكذا كل مخلوق له وجه خاص إلى ربه فأمرنا على أمر الله تعالى أن ندعو له بالوسيلة حتى ينزل فيها وينالها بدعاء أمته، فافهم هذا الفضل العظيم الذي كرم الله به هذا النبي وهذه الأمة.

وتحتوي الجنة من الدرج التي فيها على خمسة آلاف درجة ومائة درجة، وخمس درجات لا غير. وقد تزيد على هذا بلا شك، ولكن ذكرنا منها ما اتفق عليه أهل الكشف مما يجري مجرى الأنواع من الأجناس، والذي اختصت به هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم من هذه الدرجات اثنتا عشرة درجة لا غير، لا يشاركها فيها أحد من الأمم كما فضل رسول الله ﷺ على الرسل في الآخرة بالوسيلة، وفتح باب الشفاعة وفي الدنيا بست لم يعطها نبي قبله كما ورد في الحديث الصحيح من حديث مسلم بن الحجاج، فذكر منها عموم رسالته ﷺ، وتحليل الغنائم، والنصر بالرعب، وجعلت له الأرض مسجداً، وجعلت تربتها له طهوراً، وأعطي مفاتيح خزائن الأرض.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الصلاة على النبي ﷺ]

قوله في الباب التاسع والستين في صفحة ٦٨٤:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ [الأحزاب:٥٦] فسأل المؤمنون رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله أن يصلوها عليه، فقال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم»[1] أي مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.

فإن قلت: يظهر من هذا الحديث فضل إبراهيم على رسول الله ﷺ إذ طلب أن يصلي

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٧٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ١٤٤). ومسلم في الصحيح (الصلاة: ١٧). وأحمد في المسند (٤: ١١٨). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٢١٦). والبغوي في شرح السنة (٥: ٢٧٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢١٥٠).

عليه مثل الصلاة على إبراهيم فاعلم أن الله أمرنا بالصلاة على رسول الله ﷺ ولم يأمرنا بالصلاة على آله في القرآن، وجاء الإعلان في تعليم رسول الله ﷺ إيانا الصلاة عليه بزيادة الصلاة على الآل فما طلب ﷺ الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث أعيانهما، فإن العناية الإلٰهية برسول الله ﷺ أتم إذ قد خص بأمور لم يخص بها نبي قبله لا إبراهيم، ولا غيره.

وذلك من صلاته تعالى عليه، فكيف تطلب الصلاة من الله عليه مثل صلاته على إبراهيم من حيث عينه، وإنما المراد من ذلك ما أبينه لك إن شاء الله تعالى، وذلك أن الصلاة على الشخص قد تصلى عليه من حيث عينه، ومن حيث ما يضاف إليه غيره، فكانت الصلاة من حيث ما يضاف إليه غيره وهي الصلاة من حيث المجموع إذ للمجموع حكم ليس للواحد، إذا انفرد، ثم أطال الكلام في تفسير معنى الآل بما لم أرَ ضرورة إلى نقله هنا مع كثرة فوائده، ومن شاءه فليراجعه، ثم قال: فهي صلاة من حيث المجموع، وذكرناه يعني سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه تقدم بالزمان على رسول الله ﷺ، فرسول الله ﷺ قد ثبت أنه سيد الناس يوم القيامة، ومن كان بهذه المثابة عند الله تعالى كيف تحمل الصلاة عليه كالصلاة على إبراهيم من حيث أعيانهما، فلم يبق إلا ما ذكرناه، وهذه المسألة هي واقعة إلٰهية من وقائعنا فللّه الحمد والمنة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[فضل يوم الجمعة]

قوله في الباب الواحد والسبعين في صفحة ٨١٢:

في فضل يوم الجمعة إذ كان ليس كمثله يوم، فإنه خير يوم طلعت فيه الشمس وهو اليوم الذي اختلفت فيه الأمم فهدانا الله اختلفوا فيه من الحق بإذنه فما بينه الله لأحد إلا لمحمد ﷺ لمناسبة الكمالية، فإنه أكمل الأنبياء ونحن أكمل الأمم، وسائر الأمم وأنبياؤها ما أبان الحق لهم عنه لأنهم لم يكونوا من المستعدين له، لكونهم دون درجة الكمال وأنبياؤهم دون محمد ﷺ، وأممهم دوننا في كمالنا فالحمد لله الذي اصطفانا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[وفاته ﷺ]

قوله في الباب الثالث والسبعين في صفحة ٧ من الجزء الثاني:

ومات رسول الله ﷺ بعدما قرر الدين الذي لا ينسخ والشرع الذي لا يبدل، ودخلت

الرسل كلهم في هذه الشريعة يقومون بها، والأرض لا تخلو من رسول حي بجسمه، فإنه قطب العالم الإنساني، ولو كانوا ألف رسول لا بد أن يكون الواحد من هؤلاء هو الإمام المقصود، فأبقى الله بعد رسول الله ﷺ من الرسل الأحياء بأجسادهم في هذه الدار الدنيا ثلاثة، وهم إدريس عليه السلام بقي حياً بجسده وأسكنه الله في السماء الرابعة، والسمٰوات السبع هن من عالم الدنيا، وتبقى ببقائها وتفنى صورتها بفنائها، فهي جزء من الدار الدنيا، فإن الدار الأخرى تبدل فيها السمٰوات والأرض بغيرها، وأبقى في الأرض أيضاً إلياس، وعيسى وكلاهما من المرسلين، وهما قائمان بالدين الحنيفي الذي جاء به محمد ﷺ، فهؤلاء ثلاثة من الرسل المجمع عليهم أنهم رسل.

وأما الخضر عليه السلام وهو الرابع فهو من المختلف فيه عند غيرنا لا عندنا فهؤلاء باقون بأجسامهم في الدار الدنيا وقد ذكر في ذلك كلاماً ينبغي مراجعته لمن شاء.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[تخلق النبي ﷺ بأخلاق الله]

قوله في الباب الثالث والسبعين أيضاً في صفحة ٩٧:

في الجواب عن السؤال التاسع والأربعين والخمسين من أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه وهو قوله للرسل سوى محمد ﷺ منها وكم لمحمد ﷺ منها أي من أخلاق الله تعالى المذكورة في السؤال قبله، وهي مائة وسبعة عشر خلقاً.

الجواب: كلها [له][1]، أي لمحمد ﷺ إلا اثنين، وهم فيها على قدر ما نزل في كتبهم وصحفهم إلا محمداً ﷺ، فإنه جمعها له كلها، بل جمعت له عناية أزلية قال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] فيما لهم من هذه الأخلاق فاعلم أن الله تعالى لما خلق الخلق خلقهم أصنافاً، وجعل في كل صنف خياراً، واختار من الخيار خواص، وهم المؤمنون، واختار من المؤمنين خواص، وهم الأولياء، واختار من هؤلاء الخواص خلاصة، وهم الأنبياء، واختار من الخلاصة نقاوة، وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم، واختار من النقاوة شرذمة قليلين، هم صفاء النقاوة المروقة، وهم الرسل أجمعهم، واصطفى واحداً من خلقه هو منهم، وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمداً أقام عليه قبة الوجود وجعله الله أعلى المظاهر وأسناها صح له المقام تعييناً وتعريفاً فعلمه قبل وجود طينة

---

(١) زيادة أثبتناها لسلامة المعنى.

البشر وهو محمد ﷺ لا يكاثر ولا يقاوم هو السيد ومن سواه سوقة. قال عن نفسه: «أنا سيد الناس ولا فخر»[1] أي أقولها ولا أقصد الافتخار على من بقي من العالم.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الدولة المحمدية]

قوله في صفحة ١٠٥:

في جواب السؤال الثامن والخمسين بعد أن ذكر أن مكان الأولياء المحدثين أي الملهمين من النبيين مكان التابع من المتبوع، وهو المشي على الأثر قال شيخنا محمد بن قائد: رأيت في دخولي عليه أثر قدم أمامي فغرت فقيل لي: هذه قدم نبيك فسكن ما بي.

فاعلم أن هذه الدولة المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين عليهم السلام فأيّ وليّ رأى قدماً أمامه فتلك قدم النبي الذي هو له وارث، وأما قدم محمد ﷺ فلا يطأ إثره أحد ﷺ كما لا يكون أحد على قلبه، فالقدم التي رآها محمد بن قائد أو يراها كل من يراها فتلك قدم النبي الذي هو له وارث.

ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير، ولهذا قيل له: قدم نبيك، ولم يقل له: هذه قدم محمد ﷺ.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[مقامه المحمود ﷺ]

قوله في صفحة ١١٣ من الباب المذكور:

في جواب السؤال الثالث والسبعين وهو ما المقام المحمود؟ قال: هو الذي يرجع إليه عواقب المقامات كلها وإليه تنظر جميع الأسماء الألهية المختصة بالمقامات، وهو لرسول الله ﷺ ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة، وبهذا صحت له ﷺ السيادة على جميع الخلائق يوم العرض. قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[2]، وكان قد أقيم فيه

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٢٧). والترمذي في السنن (٢٤٣٤). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٢٧). والترمذي في السنن=

آدم ﷺ لما سجدت له الملائكة، فإن ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا وهو لمحمد ﷺ في الآخرة، وهو كمال الحضرة الإلٰهية، وإنما ظهر به أولاً أبو البشر لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد ﷺ، وهو الأب الأعظم في الجسمية والمقرب عند الله تعالى، وأول هذه النشأة الترابية الإنسانية فظهرت فيه هذه المقامات كلها وكانت العاقبة لمحمد ﷺ في الدار الآخرة، فظهر في المقام المحمود، ومنه يفتح باب الشفاعات فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له أهلية الشفاعة من ملك، ورسول، ونبي وولي، ومؤمن، وحيوان، ونبات، وجماد فيشفع رسول الله ﷺ عند ربه لهؤلاء أن يشفعوا فكان محموداً بكل لسان، وكل مقام فله أول الشفاعة ووسطها وآخرها، فلا تجتمع المحامد يوم القيامة كلها إلا لمحمد ﷺ، فهو الذي عبر عنه بالمقام المحمود. وقال ﷺ في هذا المقام: «فأحمد بمحامد لا أعلمها الآن» وهذا يدلك على أن علوم الأنبياء والأولياء أذواق لا عن فكر، ونظر، فإن الموطن يقتضي هنالك بآثاره أسماء إلٰهية يحمد الله بها ما لا يقتضيه موطن الدنيا، فلهذا قال: «لا أعلمها الآن».

وهذا المقام هو الوسيلة لأن منه يتوصل إلى الله تعالى فيما يوجد فيه من فتح باب الشفاعة، وهو شفاعته في الجميع ألا تراه ﷺ يقول في الوسيلة: «إنها درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لرجل واحد وأرجو أن أكون أنا فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة»[1] فجعل الشفاعة ثواب السائل، ولهذا سمي المقام المحمود الوسيلة، وكان ثوابه في هذا السؤال أن يشفع ﷺ له وترجع المقامات كلها والأسماء إلى هذا المقام المحمود. قال ﷺ: «أوتيت جوامع الكلم»[2].

وأجاب عن السؤال الرابع والسبعين، وهو بأي شيء ناله ﷺ؟ أي المقام المحمود بقوله. قال ﷺ: «لكل نبي دعوة مستجابة فاستعجل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأهل الكبائر من أمتي»[3] لعلمه ﷺ بموطن الآخرة أكثر من علم غيره من الأنبياء.

= (٢٤٣٤). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥).

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٣٦٥). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٣٧٥٦).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٠). وابن كثير في التفسير (٤: ٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١١٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٤). وابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٨٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٦٨). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٤).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (الإيمان: ٨٦). وابن ماجه في السنن (٤٣٠٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٢٢٣). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ١٨٤). والقرطبي في التفسير (١٥: ٢٠٤). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٣: ٤٢٤).

فاعلم أنه لما كان المقام المحمود إليه ترجع المقامات كلها وهو الجامع لها لم يصح أن يكون صاحبه إلا من أوتي جوامع الكلم لأن المحامد من صفة الكلام، ولما كان بعثه ﷺ عاماً كانت شريعته عامة جامعة جميع الشرائع فشريعته تتضمن جميع الأعمال كلها التي تصح أن تشرع، واعلم أن جنات الأعمال ما بين الثمانين إلى السبعين لا تزيد ولا تنقص والإيمان بضعة وسبعون باباً أدنى ذلك إماطة الأذى عن الطريق وأرفعه قول: لا إله إلا الله.

قال الله تعالى في حق العاملين: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] فلم يحجر عليهم، وهذا لمن عمل بكل عمل فإن الإنسان في الدنيا أي عمل عمله من أعمال الإيمان لا يحجر عليه إذ شاء عمله فلما ظهر ﷺ بجميع شعب الإيمان كلها التي هي بعدد الجنات العملية كلها.

إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فإنه الذي سنها لأمته،، فله ﷺ أجر من عمل بها ولا يخلو واحد من الأمة أن يعمل بواحدة منها فهي في ميزانه ﷺ من حيث العمل بها فتبوأ من الجنة حيث يشاء، وهذا لا يصح إلا لمحمد ﷺ، فإنه عنه ظهرت السنن الإلهية، فبهذا نال المقام المحمود، وبجوامع الكلم وبالبعثة العامة فإنه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا وباتصافه بهذه الأحوال في الدنيا تلك المقامات الأخروية، فهو دور بديع مختلف الوجوه حتى يصح الوجود عنه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الفرق بين حظه ﷺ وحظوظ الأنبياء]

قوله في الجواب عن السؤال الخامس والسبعين وهو كم بين حظ محمد ﷺ وحظوظ الأنبياء عليهم السلام؟

أما بينه وبين الجميع فحظ واحد، وهو عين الجمعية لما تفرق فيهم، وأما بينه وبين كل واحد منهم فثمانية وسبعون حظًا ومقاماً إلا آدم فإنه ما بينه وبين رسول الله ﷺ إلا ما بين الظاهر والباطن، فكان في الدنيا محمد ﷺ باطن آدم عليه السلام، وآدم ظاهر محمد ﷺ، وبهما كان الظاهر والباطن، وفي الآخرة آدم باطن محمد ﷺ، ومحمد ﷺ ظاهر آدم، وبهما يكون الظاهر والباطن في الآخرة، فهذا بين حظ محمد ﷺ وبين حظوظ الأنبياء عليهم السلام.

وفي هذا الفصل تفصيل عظيم تبلغ فصول التفصيل فيه إلى مائة ألف تفصيل، وأربعة وعشرين ألف تفصيل، بعدد الأنبياء عليهم السلام لأنه يحتاج إلى تعيين كل نبي ومعرفة ما بين

حظ محمد ﷺ وبين ذلك النبي، والحظوظ محصورة من حيث الأعمال في بضعة وسبعين، وقد يكون لنبي من ذلك أمر واحد ولآخر أمران ولآخر عشر العدد، وتسعه، وثمنه، وأقل من ذلك وأكثر، والمجموع لا يكون إلا لرسول الله ﷺ.

ولهذا لم يبعث بعثاً عاماً سوى محمد ﷺ، وما سواه فبعثه خاص لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[لواء الحمد]

قوله في الجواب عن السؤال السادس والسبعين وهو ما لواء الحمد؟

لواء الحمد هو حمد الحمد، وهو أتم المحامد وأسناها وأعلاها مرتبة، لما كان اللواء يجتمع إليه الناس لأنه علامة على مرتبة الملك ووجود الملك كذلك حمد الحمد يجتمع إليه المحامد كلها فإنه الحمد الصحيح الذي لا يدخله احتمال، ولا يدخل فيه شك، ولا ريب إنه حمد لأنه لذاته يدل فهو ثناء في نفسه ألا ترى لو قلت في شخص إنه كريم أو يقول عن نفسه ذلك الشخص إنه كريم، يمكن أن يصدق هذا الثناء، ويمكن أن لا يصدق، فإذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان والإحسان شهد العطاء بذاته بكرم المعطي فلا يدخل في ذلك احتمال، فهذا معنى حمد الحمد، فهو المعبر بلواء الحمد، وسمي لواء لأنه يلتوي على جميع المحامد فلا يخرج عنه حمد لأن به يقع الحمد من كل حامد وهو عاقبة العاقبة، فافهم. ولما كان يجمع ألوان المحامد كلها لهذا عم ظله جميع الحامدين. قال ﷺ: «آدم فمن دونه تحت لوائي»[1] وإنما قال: «فمن دونه»[2] لأن الحمد لا يكون إلا بالأسماء وآدم عالم بجميع الأسماء كلها، فلم يبق إلا أن يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة لأنه لا بد أن يكون مثنياً باسم ما من تلك الأسماء.

ولما كانت الدولة في الآخرة لمحمد ﷺ المؤتى جوامع الكلم وهو الأصل، فإنه ﷺ أعلم بمقامه فعلمه وآدم بين الماء والطين لم يكن بعد.

وكان آدم لما علمه الله الأسماء في المقام الثاني من مقام محمد ﷺ فكان قد تقدم لمحمد ﷺ علمه الكلم والأسماء كلها من الكلم، ولم تكن في الظاهر لمحمد ﷺ عيناً فتظهر

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٢٨١). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٦).
(٢) رواه أحمد في المسند (١: ٢٨١). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٦).

بالأسماء لأنه صاحبها، فظهر ذلك في أول موجود من البشر، وهو آدم، فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد ﷺ لأنه تقدم عليه بوجوده الطيني فمتى ظهر محمد ﷺ كان أحق بولايته ولوائه، فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الأصالة، فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه ﷺ، وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم فهم في الآخرة تحته، فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله ﷺ على الجميع.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الوسيلة]

قوله في الباب المذكور في صفحة ١٢٨:

كان شيخنا أبو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه: اللهم إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا، ولم تسد باب الولاية. اللهم فمهما عينت أعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك فاجعلني ذلك الولي. فهذا من المحققين الذين طلبوا ما يمكن أن يكون حقاً لهم وإن كانت النبوة والرسالة مما يستحقه الإنسان عقلاً لكون ذاته قابلة لها، لكن لما علم أن الله قد سد بابها شرعاً، وسد باب نبوة الشرائع لم يسألها، وسأل ما يستحقه، فإن الله ما حجر الولاية علينا، ومن هذا الباب سؤال الوسيلة، وإن لم يكن مثلها، لكن يقرب منها وإنما ألحقناها بها في التشبيه لقرينة حال، وهي درجة في الجنة لا ينالها أو لا تنبغي إلا لرجل واحد.

قال رسول الله ﷺ: «وأرجو أن أكون أنا، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1] فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه لما سأل ما لا يستحقه لأنه ربما لا ينالها إلا شخص هو على صفة مخصوصة والله تعالى يقول: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]: لا، إنه لم يقل منه، فقد يمكن أن يكون هذا من التوسل وتلك الصفة إما موهوبة، ومكتسبة ولم يعينها رسول الله ﷺ، ولا حجرها على واحد بعينه، ولم يقل إنها تنبغي إلا لمن هو أفضل عند الله من البشر، ونحن نعلم أنه ﷺ أفضل الناس عند الله بما نص على نفسه، فكان يكون ذلك تحجيراً، ولم ينص أيضاً في وحدانية ذلك الشخص هل هو واحد لعينه أو واحد تلك الصفة فتكون

(١) رواه أبو داود في السنن (الصلاة: ١١). وأحمد في المسند (٢: ١٦٨). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٤١٠). والبغوي في شرح السنة (٤: ١٧٥). وابن كثير في التفسير (٣: ٩٧). والقرطبي في التفسير (٦: ١٥٩).

الأحدية لتلك الصفة ولو ظهرت في ألف مكان لكان كل واحد من الألف له الوسيلة لأن تلك الصفة تطلبها، فلما لم يقع من الشارع شيء من ذلك ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا، ولكن يمنعنا من ذلك الإيثار وحسن الأدب مع الله في حق رسول الله ﷺ الذي اهتدينا بهديه، وهو طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة فتعين علينا أدباً وإيثاراً ومروءة ومكارم خلق أن لو كانت لنا، لوهبناها له إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء لعلو منصبه، وما عرفناه من منزلته عند الله، ونرجو بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة مثل قيمة المثل عندنا في الحكم المشروع في الدنيا، وذلك أن بيننا وبينه ﷺ أخوة الإيمان، وإن كان هو السيد الذي لا يقاوم ولا يكاثر، ولكن قد انتظم معنا في سلك الإيمان فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

وثبت في الشرع أن الإنسان إذا دعا لأخيه بظهر الغيب قال الملك: له ولك بمثله. فإذا دعونا له بالوسيلة وهو غائب عنا قال: الملك: ولك بمثله. فهي له، والمثل للداعي، فينال من درجات مجموعة ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة مثل قيمة المثل لأن الوسيلة لا مثل لها أي ما ثَمَّ درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة متفرقاً في درجات متعددة، ولكن الوسيلة خاصية الجمع أي يوجد ما جمعته الوسيلة متفرقاً في درجات متعددة.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[قول موس عليه السلام: اجعلني من أمة محمد ﷺ]

قوله في الباب المذكور في صفحة ١٦٤ في جواب السؤال الخامس والأربعين ومائة.

وهو ما تأويل قول موسى عليه السلام: اجعلني من أمة محمد عليه الصلاة والسلام؟

الجواب: لما عرف موسى عليه السلام أن الأنبياء في النسبة إلى محمد ﷺ نسبة أمته إليه من اسمية الظاهر والباطن، ونسبة الأنبياء إليه من اسمه الباطن أراد موسى أن يجمع الله له بين الاسمين في شرعه، ثم إنه لما علم أنه تبع ولم يشك أراد إقامة جاهه عند محمد ﷺ على غيره من الرسل إذ كان التباهي يوم القيامة بالتكاثر بالأمم والأتباع، وليس في الرسل أكثر أتباعاً من موسى عليه السلام كما أخبر ﷺ في الصحيح حين رأى سواداً أعظم، فسأل فقيل له: هذا موسى وأمته، وقد قال ﷺ إنه سيد الناس يوم القيامة والسيد لا يكاثر فإذا كان موسى بدعائه من أمة محمد ﷺ في الدرجة ظاهره وباطنه مثل ما نحن في سوادنا بلا شك، وما قال ﷺ: «إني مكاثر بكم الأمم»[1] إلا في أمم لم يكن لنبيها مجموع الاسمين اللذين دعا الله موسى أن

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٧٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٣: ١٠). والألباني في =

يكونا له فكل من جمع بين الاسمين حشر معناً في أمته ﷺ، فيباهي موسى بأمته سائر الأنبياء الذين حشروا معنا، فيكونون معه بمنزلة الأمراء المقدمين على العساكر فأكبرهم أميراً وأكثرهم جيشاً وأكثرهم جيشاً أعظمهم قدراً، وحرمة عند رسول الله ﷺ.

ولهذا قال الترمذي يعني الحكيم صاحب السؤالات المذكورة وهو غير الترمذي المحدث إنه: يكون في أمة محمد ﷺ من هو أفضل من أبي بكر الصديق عند من يرى أنه أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ من المسلمين فإنه معلوم أن عيسى عليه السلام أفضل من أبي بكر وهو من أمة محمد ﷺ ومتبعيه، وإنما ذكرناه لكون الخصم يعلم أنه لا بد أن ينزل في هذه الأمة في آخر الزمان ويحكم بسنة النبي ﷺ مثل ما حكم الخلفاء الراشدون المهديون فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويدخل بدخوله من أهل الكتاب في الإسلام خلق كثيراً أيضاً وذكر رضي الله عنه قبل هذا أن اثني عشر نبياً أن يكونوا من أمة محمد ﷺ.

من جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[شرعه ﷺ تضمن شرع جميع الأنبياء]

قوله في الباب المذكور في صفحة ١٧٧ في جواب السؤال الرابع والخمسين ومائة وهو ما أم الكتاب؟ فإنه داخرها من جميع المسلمين له ولهذه الأمة.

الجواب: الأم في الجامعة ومنهم أم القرى، وأم الرأس، والرأس أم الجسد. يقال: أم رأسه لأنه مجموع القوى الحسية والمعنوية كلها التي للإنسان وكانت الفاتحة أمّاً لجميع الكتب المنزلة، وهي القرآن العظيم أي المجموع العظيم الحاوي لكل شيء، وكان محمد ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فشرعه قد تضمن جميع الشرائع، وكان نبياً، وآدم لم يخلق، فمنه تفرعت الشرائع لجميع الأنبياء عليهم السلام فهم أرساله ونوابه في الأرض لغيبة جسمه، ولو كان جسمه موجوداً لما كان لأحد شرع معه، وهو قوله ﷺ: **«لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»**[1] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤] ونحن المسلمون وعلماؤنا الأنبياء ونحكم على أهل كل شريعة بشريعتهم، فإنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها وشرعه أصلها وأرسل إلى الناس كافة، ولم يكن ذلك لغيره ﷺ والناس من آدم إلى آخر إنسان.

= السلسلة الصحيحة (١٧٨٢). وابن حجر في فتح الباري (٩: ١١١).

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٤٨). والقرطبي في التفسير (١٣: ٣٥٥).

وكانت فيهم الشرائع في شرائع محمد ﷺ بأيدي نوابه فإنه المبعوث إلى الناس كافة فجميع الرسل نوابه بلا شك، فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم إلا له، ولا حاكم إلا رجع إليه واقتضت مرتبته أن تختص بأمر عند ظهور عينه في الدنيا ولم يعطه أحد من نوابه، ولا بد أن يكون ذلك الأمر من العظم بحيث إنه يتضمن جميع ما تفرق في نوابه وزيادة فأعطاه أم الكتاب فتضمنت جميع الصحف والكتب.

وظهر بها فينا مختصرة سبع آيات تحتوي على جميع الآيات كلها كما كانت السبع الصفات الإلٰهية تتضمن جميع الأسماء الإلٰهية كلها، ويرجع كل اسم إلٰهي إلى واحد منها بلا شك، وقد فعل ذلك الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني في كتاب الخفي والجلي له، فرد جميع الأسماء إليها، وما وجد من الأسماء الإلٰهية بصفة الكلام إلا الاسم الشكور خاصة، وباقي الأسماء قسمها على الصفات فقبلتها حيث تضمتها بلا شك فمنها ما ألحقه بالعلم ومنها بالقدرة وسائر الصفات فكذلك أم الكتاب الحق الله بها جميع الكتب والصحف المنزلة على الأنبياء نواب محمد ﷺ فادخرها له، ولهذه الأمة ليتميز على الأنبياء بالتقدم وأنه الإمام الأكبر وأمته التي ظهر فيها خير أمة أخرجت للناس، لظهوره بصورة فيهم، وكذلك القرن الذي ظهر فيه خير القرون فيه بنفسه وقبل ذلك وبعده بشرعه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[المغفرة التي له ﷺ]

قوله في الباب المذكور في صفحة ١٨٢ في جواب السؤال الخامس والخمسين ومائة، وهو آخر السؤالات، وهو ما معنى المغفرة التي لنبينا، وقد بشر النبيين بالمغفرة؟

الجواب: الغفر الستر، فسترعن الأنبياء عليهم السلام في الدنيا كونهم نواباً عن رسول الله ﷺ، وكشف لهم عن ذلك في الآخرة إذ قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[١] فيشفع فيهم ﷺ إن يشفعوا فإن شفاعته ﷺ في كل مشفوع فيه بحسب ما تقتضيه حاله من وجوه الشفاعة، فبشر النبيين بالمغفرة الخاصة، بشر محمداً ﷺ بالمغفرة العامة، وقد ثبتت عصمته ﷺ، فليس له ذنب يغفر فلم يبق إضافة الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب، والقصد

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٢٧). والترمذي في السنن (٢٤٣٤:). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥).

أمته كما قيل: «إياك أعني فاسمعني يا جارة»[1]، وكما قيل له فإن: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ إليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ [يونس: ٩٤]، ومعلوم أنه ليس في شك، فالمقصود من هو في شك من الأمة وكذلك: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقد علم أنه لا يشرك، فالمقصود من أشرك وهذه صفته، فلذلك قيل له ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وهو معصوم من الذنوب فهو المخاطب بالمغفرة والمقصود ما تقدم من آدم إلى زمانه، وما تأخر ممن تأخر من الأمة من زمانه إلى يوم القيامة فإن الكل أمته ﷺ، فإنه ما من أمة إلا وهي تحت شرع من الله تعالى، وقد قرر أن ذلك هو شرع محمد ﷺ من اسمه الباطن حيث كان نبياً وآدم بين الماء والطين.

وهو سيد النبيين والمرسلين فإنه ﷺ سيد الناس، وهم من الناس وقد تقدر تقدير هذا كله، فبشر الله محمداً ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] بعموم رسالته إلى الناس كافة، وكذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وما يلزم الناس رؤية شخصه ﷺ، فكما وجه في زمان ظهور جسمه رسوله علياً، ومعاذاً إلى اليمن لتبليغ الدعوة كذلك وجه الرسل والأنبياء إلى أممهم من حين كان نبياً، وآدم بين الماء والطين فدعا الكل إلى الله تعالى، فالناس أمته ﷺ من آدم يوم القيامة فبشره الله بالمغفرة لما تقدم من ذنوب الناس، وما تأخر منهم.

فكان هو المخاطب والمقصود الناس فيغفر الله للكل ويسعدهم وهو اللائق بعموم رحمته التي وسعت كل شيء، وبعموم مرتبة محمد ﷺ حيث بعث إلى الناس كافة بالنص، ولم يقل أرسلناك إلى هذه الأمة خاصة، ولا إلى أهل هذا الزمن إلى يوم القيامة خاصة، وإنما أخبره أنه مرسل إلى الناس كافة، والناس من آدم إلى يوم القيامة فهم المقصودون بخطاب مغفرة الله لما تقدم من ذنبه وما تأخر، والله ذو الفضل العظيم.

تم ذكر أن المغفرة لكل قوم بما يناسب حالهم، وله هنا كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره والله أعلم بمراد الشيخ منه.

---

(١) مثل عربي لسَيّار بن مالك الفزاري، قاله لأخت حارثة بن لأُم الطائي، وذلك أنه نزل بها، فنظر إلى بعض محاسنها فهويها، واستحيا أن يخبرها بذلك، فجعل يشبّب بامرأة غيرها، وضاق ذرعاً بما يجد، وقف لها وقال:

كانت لنا من غطفان جارة ... حلالة طعّانة سيّارة

مدافع ميناء إلى قرارة ... إياك أعني فاسمعي يا جارة

راجع: الميداني مجمع الأمثال ج ١/ص ٣٢. والزمخشري في المستقصى ١٧٩. ولكل مقام مقال حكم وأمثال، محمد أمين الضناوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ص ١١٣.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[اختيار الله له ﷺ]

قوله في الباب التسعين في صفحة ٢٢٣ :

الأمور في أنفسها تقبل الاختيار كما فعل سبحانه في جميع الموجودات فاختار من كل أمر في كل جنس أمراً ما كما اختار من الأسماء الحسنى كلمة الله، واختار من الناس الرسل، واختار من العباد الملائكة، واختار من الأفلاك العرش، واختار من الأركان الماء، واختار من الشهور رمضان، واختار من العبادات الصوم، واختار من القرون قرن النبي ﷺ، واختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة، واختار من الليالي ليلة القدر، واختار من الأعمال الفرائض، واختار من الأعداد التسعة والتسعين، واختار من الديار الجنة، واختار من أحوال السعادة في الجنة الرؤية، واختار من الأحوال الرضى، واختار من الأذكار لا إله إلا الله، واختار من الكلام القرآن، واختار من سور القرآن سورة يس، واختار من آي القرآن آية الكرسي، واختار من قصار المفصل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١].

اختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة، واختار من المراكب البراق، واختار من الملائكة الروح، واختار من الألوان البياض، واختار من الأكوان الاجتماع، واختار من الإنسان القلب، واختار من الأحجار الحجر الأسود، واختار من البيوت البيت المعمور، واختار من الأشجار السدرة، واختار من النساء مريم وآسية، واختار من الرجال محمداً ﷺ.

وذكر اختيارات أخرى لا حاجة إلى ذكرها هنا، وإنما ذكرت ما ذكرته مما قاله أولاً بمناسبة اختيار النبي ﷺ من الرجال وهو جار في قوله: واختار من العباد الملائكة على قول له، والذي رجحه جمهور الصوفية والعلماء من المتكلمين وغيرهم: إن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة فيكونون هم الذين اختارهم الله من العباد، واختار سيدهم سيدنا محمداً ﷺ من جميع الخليقة.

وقد تقدم لسيدي محيي الدين رضي الله عنه ما يؤيد ذلك، وهو كالجمع عليه عند الصوفية، وهو الذي أعتقده وأدين لله به أنه ﷺ سيد الخلق وأفضل العالمين على الإطلاق ليس فوقه إلا الله. والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وقد شرح سيدنا محيي الدين رضي الله عنه بعض الاختيارات في الباب نفسه إلى أن قال: وأما اختياره محمداً ﷺ، فلما اقتضاه مزاجه دون الأمزجة الإنسانية من الكمال والاعتدال إذ به شاهد نبوته، وآدم بين الماء والطين، وهو متفرق الأجزاء في المولدات

العنصرية إلى أن قال: فكان له ﷺ أعظم مجلى إلهي، علم به علم الأولين والآخرين، ومن الأولين علم آدم الأسماء.

وأوتي محمد ﷺ جوامع الكلم، وكلمات الله لا تنفد، وله السيادة على جميع الخلق يوم القيامة، فيشفع في الشافعين أن يشفعوا من ملك، ورسول، ونبي، وولي، ومؤمن فله المقام المحمود في اليوم المشهود ﷺ، ثم قال: وأما اختياره الثلاثة القرون على الترتيب فإن الأول من ذلك لظهور كمال محمد ﷺ غيباً وشهادة، فسن الشريعة بنفسه، ونسخ ما كان سنه منه نوّابه بوجوده، وأقر منه ما أقر، وأقر الإيمان بجميع ما نسخ منه، وما لم ينسخ، وهذا هو القرن الأول، ثم اثنان بعده والكل أهل فتح وظهور بمنزلة الثلاث الغرر من كل شهر.

يقول ﷺ «يغزو فئام من الناس، فيقال هل فيكم من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم وهذا هو القرن الأول، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم فيفتح لهم، وهذا هو القرن الثاني، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من رأى من رأى رسول الله ﷺ، فيقولون: نعم، قال: فيفتح لهم وهذا هو القرن الثالث» وما زاد ﷺ على هذا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[أعدل خلقة وأحسنها خلقته ﷺ]

قوله في الباب الثامن والأربعين ومائة الذي جعله في معرفة مقام الفراسة وأسرارها في صفحة ٣١٤:

وأما الفراسة المذكورة عند الحكماء فأنا أذكر منها طرفاً على ما أصلوه، وما جربوه، واختبروه، ثم اعتباره في الصفات بما يقتضيه طريقنا في هذا الكتاب مختصراً كافياً إن شاء الله تعالى.

فاعلم أن الله تعالى إذا أراد أن يخلق إنساناً معتدل النشأة لتكون جميع حركاته وتصرفاته مستقيمة وفق الله الأب لما فيه صلاح مزاجه، ووفق الأم أيضاً لذلك، فصلح المنيّ من الذكر والأنثى، وصلح مزاج الرحم، واعتدلت فيه الأخلاط اعتدال القدر الذي به يكون صلاح النطفة، ووقت الله لإنزال الماء في الرحم طالعاً سعيداً بحركات فلكية جعلها الله علامة على الصلاح فيما يتكون في ذلك الوقت من الكائنات فيجامع الرجل امرأته في طالع سعيد بمزاج معتدل فينزل الماء في رحم معتدل المزاج، فيتلقاه الرحم ويوفق الله الأم ويرزقها الشهوة إلى كل غذاء يكون فيه صلاح مزاجها، وما تتغذى به النطفة في الرحم فتقبل النطفة التصوير في

مكان معتدل، ومواد معتدلة وحركات فلكية مستقيمة فتخرج النشأة، وتكون على أعدل صورة، فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل، ولا بالقصير لين اللحم رطبه بين الغلظ والرقة أبيض مشرباً بحمرة وصفرة معتدل الشعر طويله، ليس بالسبط ولا الجعد القطط[1]، في شعره حمرة ليس بذاك السواد، أسيل الوجه، أعين عينه مائلة إلى الغور والسواد معتدل عظم الرأس سائل الأكتاف في عنقها استواء معتدل اللبة ليس في وركه، ولا صلبه لحم، خفي الصوت صاف ما غلظ منه، وما رق مما يستحب منه غلظ أو ورقته في اعتدال، طويل البنان للرقة، سبط الكف قليل الكلام والصمت إلا عند الحاجة، ميل طبائعه إلى الصفراء والسوداء في نظرة فرح وسرور قليل الطمع في المال ليس يريد التحكم عليك، ولا الرياسة، ليس بعجلان ولا بطيء، فهذا قد قالت الحكماء: أعدل الخلقة وأحسنها، وفيها خلق سيدنا محمد ﷺ ليصح له الكمال في النشأة كما صح له الكمال في المرتبة، فكان ﷺ أكمل الناس من جميع الوجوه ظاهراً وباطناً.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[أصلُ أرواحنا روحه ﷺ]

قوله في الباب الثالث عشر وثلاثمائة في صفحة ٦٤ من الجزء الثالث:

اعلم أيدك الله أن أصل أرواحنا روح محمد ﷺ، فهو أول الآباء روحاً، وآدم أول الآباء جسماً، ونوح أول الآباء رسولاً، فإنه أول رسول أرسل ومن كانوا قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[النبي ﷺ سيد ولد آدم]

قوله في الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة في صفحة ١٨٦:

قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[2] الحديث بكماله، وقال ﷺ: «لو كان

---

(١) القَطَطُ: شعر الزنجي، جعد قصير [لسان العرب، مادة: قطط].

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٦٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٢٧). والترمذي في السنن (٢٤٣٤). وأحمد في المسند (٢: ٤٣٥). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٧٣). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٥).

موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني»[١] لعموم رسالته وشمول شريعته فخص ﷺ بأشياء لم تعط لنبي قبله، وما خص نبي بشيء إلا وكان لمحمد ﷺ فإنه أوتي جوامع الكلم، وقال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[٢] وغيره من الأنبياء لم يكن نبياً إلا في حال نبوته وزمان رسالته، فلنذكر في هذا الباب منزله ومنزلته ﷺ، فالمنزل يظهر في بساط الحق ومقعد الصدق عند التجلي والرؤية يوم الزَّوْرِ العام الأعظم فيعلم منزله ﷺ بالبصر والشهود.

وأما منزلته ﷺ فهي منزلة في نفس الحق ومرتبة منه، ولا يعلم ذلك إلا بإعلام الله تعالى، وله ﷺ المقام المحمود، وهو فتح باب الشفاعة للملائكة، فمن دونهم وله الأولية في الشفاعة، وله الوسيلة، وليس في المنازل أعلى منها ينالها محمد ﷺ بسؤال أمته جزاء لما نالوه من السعادة به حيث أبان لهم طريقها فاتبعوه، ثم قال رضي الله عنه في الباب نفسه:

واعلم أن الله تعالى لما جعل منزل محمد ﷺ السيادة، فكان سيداً ومن سواه سوقة علمنا أنه لا يقاوم فإن السوقة لا تقاوم ملوكها، فله منزل خاص، وللسوقة منزل.

ولما أعطي ﷺ هذه المنزلة وآدم بين الماء والطين علمنا أنه الممد لكل إنسان كامل مبعوث بناموس إلٰهي أو حكمي، وأول ما ظهر في آدم حيث جعله الله خليفة عن محمد ﷺ، فأمده بالأسماء كلها من مقام جوامع الكلم التي هي لمحمد ﷺ، فظهر بعلم الأسماء كلها من اعترض على الله في وجوده، ورجع نفسه عليه، ثم توالت الخلائف في الأرض إلى أن وصل زمان وجود صورة جسمه لإظهار حكم منزلته باجتماع نشأتيه، فلما برز ﷺ كان كالشمس اندرج في نوره كل نور فأقر من شرائعه التي وجه بها نوابه ما أقر، ونسخ منها ما نسخ، وظهرت عنايته بأمته لحضوره، وظهوره فيها وإن كان العالم الإنساني والناري كله أمته، ولكن لهؤلاء خصوص وصف، فجعلها خير أمة أخرجت للناس.

هذا الفضل أعطاه ظهوره بنشأتيه، فكان من فضل هذه الأمة على الأمم أن أنزلها منزلة خلفائه في العالم قبل ظهوره إذ كان أعطاهم التشريع، فأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام وأمرهم أن يحكموا بما أداهم إليه اجتهادهم، فأعطاهم التشريع فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم، فإن المتأخر يرث المتقدم بالضرورة، فيدعون إلى الله على بصيرة كما دعا الرسل، ومحمد ﷺ فأخبر بعصمتهم فيما يدعون إليه فمنهم المخطئ حكم غيره من المجتهدين، وما هو مخطئ عن الحق، فإن الذي

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٤٨). والقرطبي في التفسير (١٣: ٣٥٥).

(٢) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٢: ٣٤١). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٧١).

جاء به حق، فإن أخطأ حكماً قد تقدم الحكم به لمحمد ﷺ، وما وصل إليه فذلك الذي جعل له أجراً واحداً، وهو أجر الاجتهاد، وإن أصاب الحكم المتقدم باجتهاده فله أجران، أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، وإن كان المصيب مجهول العين في المجتهدين عند نفسه وعند غيره فليس بمجهول عند الله، وكل من دخل في زمان هذه الأمة بعد ظهور محمد ﷺ من الأنبياء والخلفاء الأول، فإنهم لا يحكمون في العالم إلا بما شرع محمد ﷺ في هذه الأمة، وتميز في المجتهدين وصار في حزبهم مع إبقاء منزلة الخلافة الأولى عليه فلهم حكمان يظهر بذلك في القيامة ما له ظهور بذلك هٰهنا، ومنزل محمد ﷺ يوم الزَّوْر الأعظم على يمين الرحمٰن من حيث الصورة التي يتجلى فيها على عرشه ومنزله يوم القيامة، ليس على يمين الرحمٰن، لكن بين يدي الحكم العدل لتنفيذ الأوامر الإلٰهية والأحكام في العالم، فالكل عنه يأخذ في ذلك الموطن وهو ﷺ وجه كله يرى من جميع جهاته، وله من كل جانب إعلام عن الله تعالى يفهم عنه.

يرونه لساناً، ويسمعونه صوتاً وحرفاً، ومنزلته في الجنان الوسيلة التي تتفرع جميع الجنان منها، وهي في جنة عدن دار المقامة ولها شعبة في كل جنة من تلك الجنات من تلك الشعبة يظهر ﷺ لأهل تلك الجنة وهي في كل جنة أعظم منزلة فيها، فهذه منازل كلها حسية لا معنوية.

قال: وأما منزلته ﷺ في العلوم فإحاطته بعلم كل عالم بالله من العلماء به تعالى متقدميهم ومتأخريهم وكل منزل له ولأتباعه مطيب بالطيب الإلٰهي الذي لم يدخل فيه، ولا استعملت أيدي الأكوان فيه. واعلم أنه من كماله ﷺ خص بست لم تكن لنبي قبله.

الخصلة الأولى: فأخبر ﷺ أنه أعطي مفاتيح الخزائن، وهي خزائن أجناس العالم ليخرج إليهم بقدر ما يطلبونه بذواتهم وما أعطيها ﷺ حتى كان فيه الوصف الذي يستحقها به، ولهذا طلب يوسف عليه السلام من الملك صاحب مصر أن يجعله على خزائن الأرض لأنه حفيظ عليم ليفتقر الكل إليه فتصح سيادته عليهم، وأخبر بالصفة التي يستحق من قامت به هذا المقام فقال: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] حفيظ عليها فلا يخرج منها إلا بقدر معلوم كما أنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ١٥] فإذا كانت هذه الصفة فيمن كان ملك مقاليدها.

ثم قال بعد قوله: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] أخبر أنه عليم بحاجة المحتاجين لما في هذه الخزائن التي خزن فيها ما به قوامهم عليم بقدر الحاجة، فلما أعطي ﷺ مفاتيح خزائن الأرض علمنا أنه حفيظ عليم، فكل ما ظهر من رزق في العالم فإن الاسم الإلٰهي لا يعطيه إلا

عن أمر محمد ﷺ الذي بيده المفاتيح كما اختص الحق بمفاتيح الغيب فلا يعلمها إلا هو وأعطي هذا السيد منزلة الاختصاص بإعطائه مفاتيح الخزائن.

والخصلة الثانية: أوتي ﷺ جوامع الكلم، والكلم جمع كلمة، وكلمات الله لا تنفد، فأعطي علم ما لا يتناهى، فعلم بما لا يتناهى ما حصره الوجود، وعلم ما لم يدخل في الوجود وهو غير متناه فأحاط علماً بحقائق المعلومات، وهي صفة إلٰهية لم تكن لغيره، ثم قال: وعمت العالم رحمته التي أرسل بها. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] فأخبر الله تعالى أنه أرسله ليرحم العالم، وما خص عالماً من عالم فإذا أتى بكل ما يرضي العالم صنفاً صنفاً ما عدا بعض من هو مخاطب بحكم شرعه فقد رحمه وقام بالرحمة التي أرسل بها، بل نقول: إنه جاء بحكم الله وحكم الله يرضى به كل صنف من العالم بلا شك، فإن كل العالم مسبح بحمده، فهو راضٍ بحكمه من جهة ما جاء به هذا الرسول العام بنشر الرحمة على العالم غير أن من الناس من لم يرض به المحكوم به.

وإن كان راضياً بالحكم فقد نال رحمة الله التي أرسل بها ﷺ على قدر ما رضي به من الحكم المعين الذي جاء به إلى أن قال: فعلمنا أن الله أرسله بالرحمة وجعله رحمة للعالمين، فمن لم تنله رحمته فما ذلك من جهته، وإنما ذلك من جهة القابل، فهو كالنور الشمسي أفاض شعاعه على الأرض فمن استتر عنه في كن[1] وظل جدار، فهو الذي لم يقبل انتشار النور عليه، وعدل عنه فلم يرجع إلى الشمس من ذلك منع.

وأخبر ﷺ أنه بعث إلى كل أحمر وأسود فذكر من قامت به الألوان من الأجسام يشير إلى أنه ﷺ مبعوث بعموم الرحمة لمن يقبلها، أو بعموم الشرع لمن يؤمن به، فأمته ﷺ جميع من بعث إليه ليشرع له، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر والكل أمته.

والخصلة الرابعة: أنه ﷺ نصر بالرعب بين يديه مسيرة شهر.

والخصلة الخامسة: أحلت له الغنائم، لم تحل لأحد قبله فقسمها في أصحابه عناية من الله بهم لكرامة هذا الرسول ﷺ، فأكرمه بأمر لم يكرم به غيره من الرسل وأكرم من آمن به بما لم يكرم به مؤمناً قبله.

والخصلة السادسة: أن طهر الله بسببه الأرض فجعلها كلها مسجداً له فحيث أدركته، أو أمّته الصلاة يصلي وذكر رضي الله عنه في شرح ذلك ما لم أرَ ضرورة لنقله.

---

(١) كن: بيت. [لسان العرب، مادة: كنن].

ثم قال فهذه ستة خص بها هذا النبي ﷺ فكانت منزلته لم ينلها غيره لها حكم في كل منزل من الدنيا، وهو ما ذكرناه، ومن برزخ وقيامه وجنة وكثيب، فيظهر حكم هذا الاختصاص الإلٰهي في كل منزل من هذه المنازل ليتبين شرفه ﷺ، وما فضله الله به على غيره مع كونه أعطي جميع ما فضلت بعضها على بعض، ثم لتعلم أيها الولي أنه من رحمته ﷺ التي بعثه الله بها ما أبان الله على لسانه لنا وأمره بتبليغ ذلك فبلغ ﷺ أنه ليس من شرط الرسالة ظهور العلامات على صدقه إنما هو شخص منذر مأمور بتبليغ ما أمره تبليغه هذا حظه لا يجب عليه غير ذلك فإن أتى بعلامة على صدقه فذلك فضل من الله ليس ذلك بيده، فأقام عذر الأنبياء كلهم في ذلك، فكان ﷺ رحمة بالرسل في هذا فجاء في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [العنكبوت:٥٠]، وهذا قول غير العرب.

ما هو قول العرب لأنه ﷺ جاء بالقرآن على صدقة للعرب إذ لا يعرف إعجازه وكونه آية غير العرب فلم يرد عنه ﷺ أنه أظهر آية لكل من دعاه من غير العرب كاليهود والنصارى والمجوس، ولكن أيّ شيء من الآيات فذلك من الله تعالى لا يحكم الوجوب عليه، ولا على غيره من الرسل، فقيل له: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الملك:٢٦]، ثم قال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً﴾ [العنكبوت:٤٩] بهم فـ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ [البقرة:٢] ﴿رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] فتضمن القرآن جميع ما تعرف الأمم أنه آية على صدق من جاء به وقد علموا منه بقرائن الأحوال أنه لا قرأ، ولا كتب، ولا طالع، ولا عاشر، ولا فارق بلده، بل كان أمياً من جملة الأميين فأخبرهم عن الله تعالى بأمور يعرفون أنه لا يعلمها من هو بهذه الصفة التي هو عليها هذا الرسول إلا بإعلام من الله.

فكان ما جاء به من القرآن من ذلك آية كما قالوا أو طلبوا وكان إعجازه للعرب خاصة إذ نزل بلسانهم وصرفوا عن معارضته أو لم يكن في قوتهم ذلك من غير صرف حدث لهم فجاء القرآن بما جاءت به الكتب قبله ولا علم له بما جاء فيها إلا من القرآن، وعلمت ذلك اليهود والنصارى، وأصحاب الكتب فحصلت الآية من عند الله لأن القرآن من عند الله فقد تبين لك منزل محمد ﷺ من غيره من الرسل وخصه الله بعلوم لم تجتمع في غيره منها أنه أعطاه أنواع ضروب الوحي كلها فأوحى الله إليه بجميع ما يسمى وحياً كالمبشرات، والإنزال على القلوب والآذان بحالة العروج، وعدم العروج، وغير ذلك، وخصه بعلوم علم الأحوال كلها فأعطاه العلم بكل حال وفي كل حال ذوقاً لأنه أرسله إلى الناس كافة، وأحوالهم مختلفة فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الأحوال، وخصه الله بعلم إحياء الأموات معنًى وحساً.

فحصل العلم بالحياة المعنوية، وهي حياة العلوم والحياة الحسية، وهي ما أتى في قصة إبراهيم عليه السلام تعليماً وإعلاماً لرسول الله ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ ﴾ [هود: ١٢٠]، وخص ﷺ بعلم الشرائع كلها فأبان له عن شرائع المتقدمين وأمره أن يهتدي بهداهم، وخص ﷺ بشرع لم يكن لأحد غيره منه ما ذكرناه في السنة التي خص بها ﷺ.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[مقامه المحمود ﷺ]

قوله في الباب الثامن والثلاثين والثلاثمائة في صفحة ١٩٤:

اعلم أن الله في المقام المحمود الذي يقام فيه رسول الله ﷺ يوم القيامة باسمه الحميد سبعة أَلوية تسمى بألوية الحمد تُعطى لرسول الله ﷺ، وورثته المحمديين في الألوية أسماء الله تعالى التي يثني بها ﷺ على ربه إذا أقيم في المقام المحمود يوم القيامة، وهو قوله ﷺ إذا سئل في الشفاعة: «فأحمد الله بمحامد لا أعلمها الآن» وهو الثناء عليه سبحانه وتعالى بهذه الأسماء التي يقتضيها ذلك الموطن والله تعالى لا يثنى عليه إلاّ بأسمائه الحسنى خاصة، وأسماؤه سبحانه وتعالى لا يحاط بها علماً.

فإنّا نعلم أن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ونعلم أن لا نعلم ما أخفي لنا من قرة أعين، وما من شيء من ذلك إلا وهو مستند إلى الاسم الإلٰهي الذي ظهر به حين أظهره، والاسم الإلٰهي الذي أمتنّ به علينا تعالى بإظهاره لنا، فلا بد أن نعلمه، ونثني على آلائه به ونحمده إما ثناء تسبيح أو ثناء إثبات.

فلما عرفت بذلك سألت عن عدد تلك الأسماء التي يحمد الله تعالى بها يوم القيامة في المقام المحمود، فإني علمت أني لا أعلمها الآن ولا يعلمنيها الله، فإنها من المحامد التي يختص بها ﷺ يوم القيامة، فإذا سمعناه يحمده بها يوم القيامة في المقام المحمود وانتشرت الألوية بها، والمحامد مرقومة فيها ففي ذلك الموطن تعلمها، فقيل لي: إن عدد تلك الأسماء ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسماً، كل لواء منها فيه مرقوم تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة غير لواء واحد من هذه الألوية، فإن فيه مرقوماً من هذه الأسماء سبعمائة وسبعون اسماً يحمده ﷺ بهذه المحامد كلها وكلها تتضمن طلب الشفاعة من الله تعالى.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾]

قوله في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة في صفحة ٢٠٢:

عند كلامه على قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ١ - ٣] هو فتوح المكاشفة بالحق وفتوح الحلاوة وفي الباطن، وفتوح العبارة ولهذا الفتوح كان القرآن معجزًا فما أُعطي أحد فتوح العبارة على كمال ما أعطيه رسول الله ﷺ، فإنه قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ١٩] أي معيناً، فقال تعالى ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح: ١] في الثلاثة الأنواع من الفتوح فتحاً أكده بالمصدر مبيناً، أي ظاهراً يعرفه كل من رآه بما تجلى وما حواه، ففتوح الحلاوة ثابت له ذوقاً، وفتوح العبارة ثابت للعرب بالعجز عن المعارضة، وفتوح المكاشفة ثابت بما أشهده وليلة إسرائه ﷺ من الآيات ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [الفتح: ٢] فيسترك عما يستحقه صاحب الذنب من العتب والمؤاخذة ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] يسترك عن عين الذنب حتى لا يجدك فيقوم بك، فأعلمنا بالمغفرة في الذنب المتأخر أنه ﷺ معصوم بلا شك.

ويؤيد عصمته أن جعله الله أسوة يتأسى به فلو لم يقمه الله في مقام العصمة للزمنا التأسي به فيما يقع منه من الذنوب إن لم ينص عليها كما نص على النكاح بالهبة.

إن ذلك خالص له مشروع، وهو حرام علينا ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الفتح: ٢] بأن يعطيها خلقها إذ قد عرفنا بالمخلقة من ذلك وغير المخلقة وأخبر بهذه الآية أن نعمته التي أعطاها محمداً ﷺ مختلفة أي تامة الخلقة ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢] وهو صراط ربه الذي هو عليه كما قال هود عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، والشرائع كلها أنوار، وشرع محمد ﷺ بين هذه الأنوار كنور الشمس بين أنوار الكواكب، فإذا ظهرت الشمس خفيت أنوار الكواكب واندرجت أنوارها في نور الشمس، فكان خفاؤها نظير ما نسخ من الشرائع بشرعه ﷺ مع وجود أعيانها كما يتحقق وجود أنوار الكواكب ولهذا الزمنا في شرعنا العالم أن نؤمن بجميع الرسل، وجميع شرائعهم أنها حق فلم يرجع بالنسخ باطلاً ذلك ظن الذين جهلوا فرجعت الطرق كلها ناظرة إلى طريق النبي ﷺ.

فلو كانت الرسل في زمانه لتبعوه كما تبعت شرائعهم شرعه، فإنه ﷺ أوتي جوامع الكلم ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣] والعزيز من يرام فلا يستطاع الوصول إليه فإذا كانت الرسل هي

الطالبة للوصول إليه فقد عز عن إدراكها إياه ببعثته العامة وأعطاه الله جوامع الكلم والسيادة بالمقام المحمود في الدار الآخرة، ويجعل الله أمته خير أمة أخرجت للناس وأمة كل نبي على قدر نبيها فاعلم ذلك.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾]

قوله في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة في صفحة ٢٢٣:

ولما كان العمل يطلب الأجر بذاته ويعود ذلك على العامل وأداء الرسائل عمل من المؤدى لأن المرسل استعمله في أداء رسالته لمن أرسله إليه وجب أجره عليه لأن المرسل إليه ما استعمله حتى يجب عليه أجره، ولهذا قالت الرسل لأممها عن أمر الله تعالى تعريفاً للأمم بما هو الأمر عليه قل: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ﴾ [الشعراء:١٠٩] رب العالمين.

فذكروا استحقاق الأجر على من استعملهم ولم يقولوا ذلك إلا عن أمره فإنه قال لكل رسول: قل: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الشعراء:١٠٩] واختص محمداً ﷺ بفضيلة لم ينلها غيره.

عاد فضلها على أمته، ورجع حكمه ﷺ إلى حكم الرسل قبله في إبقاء أجره على الله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذي له على رسالته من أمته إلى حكم الرسل قبله في إبقاء أجره على الله فأمره الحق أن يأخذ أجره الذي له رسالته من أمته وهو أن يوادوا قرابته فقال له: قل: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [هود:٥١] أي على تبليغ ما جئت به إليكم ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] فتعين على أمته أداء ما أوجب الله عليهم من أجر التبليغ فوجب عليهم حب قرابته ﷺ وأهل بيته وجعله باسم المودة وهو الثبوت بالمحبة.

فلما جعل له ذلك ولم يقل إنه ليس له أجر على الله ولا أنه له أجر على الله، وذلك ليجدد له النعم بتعريفه ما يسر به فقيل له بعد هذا قل لأمتك أمراً ما قاله رسول لأمته: قل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [سبأ:٤٧] فما أسقط الأجر عن أمته في مودتهم للقربى وإنما رد ذلك الأجر بعد تعينه عليهم، فعاد ذلك الأجر عليهم الذي كان يستحقه رسول الله ﷺ، فيعود فضل المودة على أهل المودة فما يدري أحد ما لأهل المودة في قرابة رسول الله ﷺ من الأجر إلا الله تعالى.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[مرتبة الإنسان الكامل]

قوله في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة صفحة ٢٤٧ :

واعلم أن مرتبة الإنسان الكامل من العالم مرتبة النفس الناطقة من الإنسان، فهو الكامل الذي لا أكمل منه، وهو محمد ﷺ ومرتبة [الكمّال][1] من الأناس النازلين عن درجة هذا الكمال الذي هو الغاية من العالم منزلة القوى الروحانية من الإنسان وهم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ومنزلة من نزل في الكمال عن درجة هؤلاء من العالم منزلة القوى الحسية من الإنسان وهم الورثة رضي الله عنهم، وما بقي ممن هو على صورة الإنسان في الشكل وهم من جملة الحيوان فهم بمنزلة الروح الحيواني في الإنسان الذي يعطي النمو والإحساس.

واعلم أن العالم اليوم بفقد جمعية محمد ﷺ في ظهوره روحاً، وجسماً، وصورة، ومعنًى، نائم لا ميت، وإن روحه الذي هو محمد ﷺ هو من العالم في صورة المحل الذي هو فيه روح الإنسان عند النوم إلى يوم البعث الذي هو مثل يقظة النائم هنا. وإنما قلنا: محمد ﷺ على التعيين إنه هو الروح الذي هو النفس الناطقة في العالم لما أعطاه الكشف، وقوله ﷺ هو أنه سيد الناس والعالم من الناس فإنه الإنسان الكبير في الجرم والمقدم في التسوية والتعديل ليظهر عنه صورة نشأة محمد ﷺ كما سوّى الله جسم الإنسان وعدله قبل وجود روحه، ثم نفخ فيه من روحه روحاً كان به أنساناً تاماً أعطاه بذلك خلقه وهو نفسه الناطقة فقبل ظهور نشأته ﷺ كان العالم في حال التسوية والتعديل كالجنين في بطن أمه وحركته كالروح الحيواني منه الذي صحت به الحياة فَأَجِلْ فكرك فيما ذكرته لك فإذا كان في القيامة حيي العالم كله بظهور نشأته ﷺ.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[بعثته ﷺ برسالة عامة]

قوله في الباب الخامس والخمسين وثلاثمائة في صفحة ٣٣١ :

فكل من في الوجود من المخلوقات يعبد الله على الغيب، إلا الإنسان الكامل المؤمن فإنه يعبده على المشاهدة ولا يكمل العبد إلا بالإيمان، فإنه النور الساطع الذي يزيل كل ظلمة،

---

(١) وردت في الأصل «الكمل».

فإذا عبده على الشهادة رآه جميع قواه، فما قام بعبادته غيره ولا ينبغي أن يقوم بها سواه فما ثَمَّ من حصل له هذا المقام إلا المؤمن من الإنساني فإنه ما كان مؤمناً إلا بربه، فإنه سبحانه المؤمن.

واعلم أنك إذ لم تكن بهذه المنزلة وما لك قدم في هذه الدرجة فأنا أدلك على ما يحصل لك به الدرجة العليا، وهو أن تعلم أن الله ما خلق الخلق على مزاج واحد، بل جعله متفاوت المزاج وهذا مشهود بالبداهة والضرورة لما بين الناس من التفاوت في النظر العقلي والإيمان وقد حصل لك من طريق الحق أن الإنسان مرآة أخيه، فيرى منه ما لا يراه الشخص من نفسه إلا بواسطة مثله، فإن الإنسان محجوب بهواه متعشق به فإذا رأى تلك الصفة من غيره وهي صفته أبصر عيب نفسه في غيره فعلم إن كانت قبيحة، أو حسنها إن كانت ذات حسن.

واعلم أن المرائى مختلفة الأشكال، وأنها تُصَيِّر المرئي عند الرائي بحسب شكلها من طول، وعرض، واستواء، وعوج، واستدارة، ونقص، وزيادة، وتعدد، وكل شيء يعطيه شكل المرآة، وقد علمت أن الرسل أعدل الناس مزاجاً لقبولهم رسالات ربهم، وكل شخص منهم قبل من الرسالة قدر ما أعطاه الله في مزاجه من التركيب. فما من نبيّ إلا بعث خاصة إلى قوم معينين لأنه على مزاج خاص مقصور وإن محمداً ﷺ ما بعثه الله إلا برسالة عامة إلى جميع الناس كافة، ولا قبل هو مثل هذه الرسالة لكونها على مزاج عام يحتوي على مزاج كل نبي ورسول، فهو أعدل الأمزجة وأكملها وأقوم النشأة، فإذا عملت هذا وأوردت أن ترى الحق على أكمل ما ينبغي أن تظهر به هذه النشأة الإنسانية فاعلم أنك ليس لك ولا أنت على مثل هذا المزاج الذي لمحمد ﷺ، وأن الحق مهما تجلى لك في مرآة قلبك فإنما تظهر لك مرآتك على قدر مزاجها، وصورة شكلها وقد علمت نزولك عن الدرجة التي صحت لمحمد ﷺ في العلم بربه في نشأته فالزم الإيمان والاتباع، واجعله ﷺ أمامك مثل المرآة التي تنظر فيها صورتك وصورة غيرك فإذا فعلت هذا علمت أن الله تعالى لا بد أن يتجلى لمحمد ﷺ في مرآته وقد أعلمتك أن المرآة لها أثر في نظر الرائي في المرآة فيكون ظهور الحق في مرآة محمد ﷺ أكمل ظهوره وأعد له وأحسنه لما مرآته عليه، فإذا أدركته في مرآة محمد ﷺ فقد أدركت منه ما لم تدركه من حيث نظرك في مرآتك.

ألا ترى في باب الإيمان وما جاء به في الرسالة من الأمور التي نسب الحق لنفسه بلسان الشرع مما تحيله العقول ولولا الشرع والإيمان به لما قبلنا من ذلك ـ من حيث نظرنا العقلي ـ شيئاً ألبتة، بل نرده ابتداء ونجهل القائل به، فكما أعطانا بالرسالة والإيمان ما قصرت العقول التي لا إيمان لها عن إدراكها ذلك من جانب الحق كذلك قصرت أمزجتنا ومرائي قلوبنا عن المشاهدة وعن إدراك ما تجلى في مرآة محمد ﷺ أن ندركه في مرآتنا.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[إسراء النبي ﷺ ومعراجه]

قوله في الباب السابع وثلاثمائة في صفحة ٤٤٧ :

فيما تكلم به على إسراء ومعراج النبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١] فوصف نفسه بأمر لا ينبغي أن يكون ذلك الوصف إلا تعالى وهو قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤] فهو تعالى معنا أينما كنا في حال نزوله إلى السماء الدنيا في الثلث الباقي من الليل في حال كونه في الاستواء على العرش في حال كونه في العلماء، «وهو الذي كان فيه تعالى من غير تكييف، ولا تشبيه قبل خلق الخلق» كما ورد في الحديث؛ وأصل العماء في اللغة السحاب الرقيق. في حال كونه في الأرض وفي السماء. في حال كونه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد منه، وهذه نعوت لا يمكن أن يوصف بها إلا هو، فما نقل الله عبداً من مكان إلى مكان ليراه، بل ليريه من آياته التي غابت عنه، وكذلك إذا نقل الله العبد في أحواله ليريه أيضاً من آياته فنقله في أحواله مثل قوله ﷺ: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ أمتي ما زوي لي منها»[1] وكذلك قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[الأنعام:٧٥] ذلك عين اليقين لأنه عن رؤية وشهود، وكذلك نقله عبده من مكان إلى مكان ليريه ما خص الله به ذلك المكان من الآيات الدالة عليه تعالى من حيث وصف خاص لا يعلم من الله إلا بتلك الآية، وهو قوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ [الإسراء:١] وحديث الإسراء يقول: «ما أسريت بِهِ إلا لرؤية الآيات لا إليَّ فإنه لا يحويني مكان ونسبة الأمكنة إليّ نسبة واحدة وأنا الذي وسعني قلب عبدي المؤمن فكيف أسرى به إليَّ وأنا عنده ومعه أينما كان».

فلما أراد الله تعالى أن يُرِيَ النبي عبده محمداً ﷺ من آياته ما شاءَ الله تعالى جبرائيل عليه السلام وهو الروح الأمين بدابة يقال لها: البراق إثباتاً للأسباب وتقوية له ﷺ لِيُرِيَه العلم بالأسباب ذوقاً كما جعل الأجنحة للملائكة ليعلمنا بثبوت الأسباب التي وضعها في العالم.

والبراق دابة برزخية دون البغل، وفوق الحمار، فركبه ﷺ وأخذه جبريل عليه السلام والبراق للرسل مثل فرس النبوية الذي يخرجه المرسل للمرسل إليه ليركبه تهممًا به في الظاهر، وفي الباطن أنه لا يصل إليه إلا على ما يكون منه لا على ما يكون لغيره، وليتنبه بذلك

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٢٩٩).

فهو تشريف وتنبيه لمن يدري مواقع الأمور فجاء ﷺ إلى البيت المقدس ونزل عن البراق وربطه بالحلقة التي يربط بها الأنبياء عليهم السلام. كل ذلك إثباتاً للأسباب فإنه ما من رسول إلا وقد أسري به راكباً على ذلك البراق وإنما ربطه مع علمه بأنه مأمور ولو وافقته دون ربط بحلقة لوقف، ولكن حكم العادة منعه من ذلك ليثبت حكمة العادة التي أجراها الله تعالى في مسمى الدابة.

لا تراه ﷺ كيف وصف البراق بأنه شمس وهو من شأن الدواب التي تركب، وأنه قلب بحافره القدح الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة الآتية، فوصف البراق بأنه يعثر، والعثور هو الذي أوجب قلب الآنية. يعني القدح.

فلما صلى جاءه جبريل عليه السلام بالبراق، فركب عليه ومعه جبريل فطار البراق به في الهواء واخترق الجو، فعطش ﷺ واحتاج إلى الشرب فأتاه جبريل عليه السلام بإناءَين إناء من لبن وإناء من خمر، وذلك قبل تحريم الخمرة فعرضهما عليه فتناول اللبن. فقال له جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة أصاب الله بك أمتك، ولذلك كان ﷺ يتأول اللبن إذا رآه في المنام بالعلم.

فلما وصلا إلى السماء الدنيا استفتح جبريل، فقال له الحاجب: من هذا؟ فقال: جبريل. قال: من معك؟ قال: محمد ﷺ. قال: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففتح فدخل جبريل ومحمد ﷺ، فإذا بآدم عليه السلام وعن يمينه أشخاص بنيه السعداء أهل الجنة، وعن يساره نسم بنيه الأشقياء عَمَرَةُ النار ورأى ﷺ صورته في أشخاص السعداء الذين على يمين آدم، فشكر الله تعالى وعلم عند ذلك كيف يكون الإنسان في مكانين وهو عينه لا غيره، فكان له كالصورة المرئية والصور المرئيات في المرآة والمرايا. فقال: مرحباً بالابن الصالح.

ثم عرج به البراق وهو محمول في الفضاء الذي بين السماء الأولى والسماء الثانية وسمك السمٰوات فاستفتح جبريل السماء الثانية كما فعل في الأولى، وقال، وقيل له، فلما دخل إذا بعيسى عليه السلام بجسده عينه، فإنه لم يمت إلى الآن، بل رفعه الله إلى هذه السماء وأسكنه بها وحكّمه فيها.

قال سيدي محيي الدين ـ وهو شيخنا الأول الذي رجعنا على يديه وله بنا عناية عظيمة لا يغفل عنا ساعة واحدة وأرجو أن أدركه في نزوله إن شاء الله ـ: فرحب به ﷺ وسهل وجبريل عليه السلام في هذا كله يسمي له ﷺ ما يرى من هؤلاء الأشخاص، ثم جاء السماء الثالثة فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت فإذا بيوسف ﷺ ورحب به وسهل.

ثم عرج إلى السماء الرابعة، فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت فإذا بإدريس عليه

السلام بجسده فإنه ما مات إلى الآن، بل رفعه الله مكاناً علياً وهو هذه السماء قلب السموات وقطبها فسلم عليه ورحب وسهل.

ثم عرج به إلى السماء الخامسة فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت فإذا بهارون ويحيى عليهما السلام فسلما عليه ورحبا به وسهلا، ثم عرج به إلى السماء السادسة فاستفتح، وقال، وقيل له، ففتحت، فإذا بموسى عليه السلام فسلم ورحب وسهل، ثم عرج به إلى السماء السابعة فاستفتح، وقال، وقيل له، فإذا بإبراهيم الخليل عليه السلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور، فسلم عليه ورحب وسهل وسمى له البيت المعمور والضراح ـ الضُّراح في السماء حيال الكعبة وهو البيت المعمور قاله ابن الأثير في النهاية ـ فنظر إليه وركع فيه ركعتين وعرفه أنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر، فالدخول من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغارب الكواكب وأخبره أن أولئك الملائكة يخلقهم الله تعالى كل يوم من قطرات ماء الحياة التي تسقط من جبريل حين ينتفض كما ينتفض الطير عندما يخرج من انغماسه في نهر الحياة، فإن له كل يوم غمسة فيه.

ثم عرج به إلى سدرة المنتهى فإذا نبقها[1] كالقلال[2]، ورقها كآذان الفيلة، فرآها ﷺ وقد غشاها الله من النور ما غشي فلا يستطيع أحد أن ينعتها لأن البصر لا يدركها حتى ينعتها بنورها، ورأى يخرج من أصلها أربعة أنهر، نهران ظاهران، ونهران باطنان، فأخبره جبريل أن النهرين الظاهرين النيل والفرات، والنهرين الباطنين نهران يمشيان إلى الجنة وأن هذين النهرين النيل والفرات يرجعان يوم القيامة إلى الجنة، وهما نهر العسل واللبن، فإنه في الجنة أربعة أنهر نهر من ماء غير آسن، ونهر من لبن لم يتغير طعمه، ونهر من خمر لذة للشاربين، ونهر من عسل مصفى، وهذه الأنهار تعطي لشاربها علوماً متتابعة يعرفها أصحاب الأذواق في الدنيا ـ قال سيدي محيي الدين: ولنا فيها جزء صغير فلينظر ما ذكرناه في ذلك الجزء ـ وأخبره ﷺ أن أعمال بني آدم تنتهي إلى تلك السدرة وأنها مقر الأرواح، فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها، ونهاية لما يعرج إليها مما هو دونها، وبها مقام جبريل عليه السلام، وهناك منصته. فنزل ﷺ عن البراق بها وجيء إليه بالرفوف وهو نظير المحفة عندنا، فقعد ﷺ وسلمه جبريل عليه السلام إلى الملك النازل بالرفوف فسأله الصحبة ليأنس به، فقال له: لا أقدر لو خطوت خطوة احترقت، فما منا إلا له مقام معلوم، وما أسرى الله بك يا محمد إلا ليُرِيَكَ من آياته، فلا تغفل، فودعه وانصرف مع ذلك الملك على الرفوف يمشي به إلى أن ظهر لمستوى سمع فيه

---

(١) النبق: ثمر السدر وهو ثمر مستوى مهذب [لسان العرب، مادة: نبق].
(٢) القُلَّة: جمعها قلال، وهي الكوز الصغير [لسان العرب، مادة: قلل].

صريف الأقلام في الألواح بما يكتب الله بها مما يجريه في خلقه، وما تنسخه الملائكة من أعمال عباده و[لكل][1] قلم ملك قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

ثم زج في النور زجة فأفرده الملَك الذي كان معه وتأخر عنه فلم يره فاستوحش ﷺ لما لم يره معه، وبقي لا يدري ما يصنع وأخذه هيمان مثل السكران في ذلك النور، وأصابه الوجد فأخذ يميل ذات اليمين، وذات الشمال، واستغرقه الحال، وكان سببه سماع إيقاع تلك الأقلام وصريفها في الألواح فأعطت من النغمات المستلذة ما أداه إلى ما ذكرنا من سريان الحال فيه وحكمة عليه، فتقوى بذلك الحال وأعطاه الله تعالى في نفسه علماً علم به ما لم يكن يعلم قبل ذلك عن وحي من حيث لا يدري وجهته فطلب الإذن في الرؤية بالدخول على الحق، فسمع صوتاً يشبه صوت أبي بكر وهو يقول: يا محمد قف إن ربك يصلي، فراعه ذلك الخطاب، قال في نفسه: «أربّي يصلي؟!».

فلما وقع في نفسه هذا التعجب من هذا الخطاب وأنس بصوت أبي بكر الصديق تلا عليه ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] فعلم عند ذلك ما هو المراد بصلاة الحق.

فلما فرغ من الصلاة مثل قوله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] مع أنه لا يشغله شأن عن شأن، ولكن لخلقه أصناف العالم أزمان مخصوصة، وأمكنة مخصوصة لا يتعدى بها زمانها ولا مكانها لما سبق في علمه ومشيئته في ذلك، فأوحى الله إليه في تلك الوقفة ما أوحى، ثم أمر بالدخول، فدخل فرأى عين ما علم لا غير، وما تغيرت عليه صورة اعتقاده، ثم فرض الله تعالى عليه في جملة ما أوحى به إليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزل ﷺ حتى وصل إلى موسى عليه السلام فسأله موسى عما قيل له، وما فرض عليه فأجابه وقال: «إن الله فرض على أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة»، فقال له: يا محمد قد تقدمت إلى هذا الأمر قبلك وعرفته ذوقاً وتعبت مع أمتي فيه، وإني أنصحك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجع ربك واسأله التخفيف فراجع ربه، فترك له عشراً فأخبر موسى بما ترك له ربه، فقال له موسى: راجع ربك، فراجعه فترك له عشراً فأخبر موسى، فقال له: راجع ربك. فراجعه فترك له عشراً، فأخبر موسى فقال له: راجع ربك، فراجعه فترك له عشراً، فأخبر موسى، فقال له: راجع ربك، فراجعه، فقال له ربه: هي خمس وهن خمسون ما يبدل القول لديّ، فأخبر موسى، فقال له: راجع ربك، فقال: «إني استحييت من ربي وقد قال لي كذا وكذا».

ثم ودعه وانصرف ونزل إلى الأرض قبل طلوع الفجر، فنزل بالحِجْر فطاف، ومشى إلى

(١) وردت في الأصل: «كلّ»، أثبتنا اللام لسلامة المعنى.

بيته. فلما أصبح ذكر ذلك للناس فالمؤمن به صدقه وغير المؤمن به كذبه، والشاك ارتاب فيه.

ثم أخبرهم ﷺ بحديث القافلة وبالشخص الذي كان يتوضأ، وإذا بالقافلة قد وصلت كما قال ﷺ، فسألوا الشخص فأخبرهم بقلب القدح كما أخبرهم رسول الله ﷺ وسأله شخص من المكذبين ممن رأى بيت المقدس أن يصفه لهم، ولم يكن رأى منه ﷺ إلا قدر ما مشى فيه، وحيث صلى فرفعه الله تعالى له حتى نظر إليه فأخذ ينعته للحاضرين، فما أنكروا من نعته شيئاً، ولو كان الإسراء بروحه وتكون رؤيا رآها كما يرى النائم في نومه ما أنكره أحد، ولا نازعه أحد، وإنما أنكروا عليه كونه أعلمهم أن الإسراء كان بجسمه في هذه المواطن، وله ﷺ أربع وثلاثون مرة الذي أسري به منها إسراء، واحد بجسمه، والباقي بروحه رؤيا رآها ﷺ.

وأما الأولياء فلهم إسراآت روحانية برزخية يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال يُعْطَوْنَ العلم بما تتضمنه تلك الصور من المعاني، ولهم الإسراء في الأرض، وفي الهواء غير أنهم ليس لهم قدم محسوسة في السماء، وبهذا زاد على الجماعة رسول الله ﷺ بإسراءِ الجسم واختراق السمٰوات والأفلاك حساً، وقطع مسافات حقيقية محسوسة، وذلك كله لورثته معنى لا حساً من السمٰوات فما فوقها، ثم قال سيدي محيي الدين رضي الله عنه نظماً:

ألـــم تـــرَ أن الله أســـرى بعبـــده	من الحرم الأدنى إلى المسجد الأقصى
إلى أن علا السبع السمٰوات قاصداً	إلـى بيتـه المعمـور بـالمـلأ الأعلـى
إلـى السدرة العليـا وكـرسيـه الأحمى	إلى عرشه الأسنى إلى المستوى الأزهى
إلـى سبحـات الـوجـه حتـى تقشعـت	سحاب العمى عن عين مقلتهِ النجلا
فكـان تـدليـه علـى الأمـر إذ دنـا	مـن الله قـربـا قـاب قـوسيـن أو أدنـى
وكـانـت عيـون الكـون عنـه بمعـزل	تـلاحـظ مـا يسقيـه بـالمـورد الأحلـى
فخـاطبـه بـالأنـس صـوت عتيقـه	تـوقـف قـرب العـرش سبحـانـه صلـى
فـأزعجـه ذاك الخطـاب وقـال هـل	يصلـي إلٰهـي مـا سمعـت بـه يتلـى
فنـال حجـاب العلـم عـن عيـن قلبـه	وأوحى إليه في الغيوب الذي أوحى
فعـايـن مـا لا يقـدر الخلـق قـدره	وأيـده الـرحمٰـن بـالعـروة الـوثقـى
وألفـاه مشتـاقـاً إلـى وجـه ربـه	فـأكـرمـه الـرحمٰـن بـالمنظـر الأجلـى
ومـن قبـل ذا قـد كـان أشهـد قلبـه	بغـار حـراءِ قبـل ذلـك فـي النجـوى

ثم ذكر رضي الله عنه فوائد أخرى ومن أهمها معراجه هو الروحي وأطال فيه، فراجعه إن شئت.

ومن جواهره رضي الله عنه

[كنت نبيا وآدم بين الطين والروح]

قوله في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة في صفحة ٦٧١ :

وكان محمد ﷺ عين سابقة النبوة البشرية لقوله معرفاً إيانا: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[(١)].

وهو عين خاتم النبيين لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] لما ادعى فيه أنه أبو زيد، نفى الله تعالى عنه أن يكون أباً لأحد من رجالنا لرفع المناسبة، وتمييز المرتبة.

ألا تراه ﷺ ما عاش له ولد ذكر من ظهره تشريفاً له لكونه سبق في علم الله أنه خاتم النبيين؟ وقال ﷺ: «إن الرسالة» - يعني البعثة إلى الناس - بالتشريع لهم، والنبوة قد انقطعت»[(٢)] أي ما بقي من يشرع له من عند الله حكم يكون عليه ليس هو شرعنا الذي جئنا به، فلا رسول بعدي يأتي يخالف شرعي إلى الناس ولا نبي يكون على شرع ينفرد به من عند ربه يكون عليه فصرح أنه خاتم نبوة التشريع.

ولو أراد غير ما ذكرناه لكان معارضاً لقوله: «إن عيسى عليه السلام ينزل فينا حكماً مقسطاً يؤمنا بنا»[(٣)] أي بالشرع الذي نحن عليه، ولا شك فيه أنه رسول ونبي، فعلمنا أنه ﷺ أراد أن لا شرع بعده ينسخ شرعه، ودخل بهذا القول كل إنسان في العالم من زمان بعثته إلى يوم القيامة في أمته.

فالخضر، وإلياس، وعيسى من أمة محمد ﷺ الظاهرة، ومن آدم إلى زمن بعثة رسول الله ﷺ من أمته الباطنية، فهو النبي بالسابقة، وهو النبي بالخاتمة. فظهر من كلام رسول الله ﷺ أن السابقة عين الخاتمة في النبوة.

---

(١) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٧١).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٢٢٧٢). وأحمد في المسند (٣: ٢٦٧). والحاكم في المستدرك (٤: ٣٩١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤١٤٠٧). والسيوطي في مجمع الجوامع (٥٥٦٦). وابن حجر في فتح الباري (١٢: ٣٧٥). وابن كثير في التفسير (٦: ٤٢٣). والألباني في إرواء الغليل (٨: ١٢٨). والسيوطي في الدر المنثور (٣: ٣١٢).

(٣) رواه ابن حجر في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف (٥٠). بمعناه.

ومن جواهر الشيخ الأكبر رضي الله عنه

[الحكمة من عدم ادعاء الألوهية له ﷺ]

قوله في الباب الأربعين وخمسمائة صفحة ٢٣٤ :

قال الله عز وجل وتقدست أسماؤه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[البقرة: ١٥٣] ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] الآية.

والمدار كله على شهود هذه المعية، فإنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فهو مع الصابرين والمتقين والمحسنين، فهذا الذكر ينتج شهود المعية التي له تعالى مع الصابرين خاصة هذا وما هو إلا صبر على الرسول حتى يخرج إليهم. فكيف الصبر على الله؟

لما كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه والله جليس من يذكره فلم يزل رسول الله ﷺ جليس الحق دائمًا، فمن جاءَ إليه ﷺ فإنما يخرج إليه من عند ربه وإما موصياً وناصحاً، قال: لكان خيراً لهم فلو كان خروجه إليهم بما يسوؤُهم في آخرتهم ما كان خيراً لهم، وقد شهد الله بالخيرية فلا بد منها، وهي ما ذكرناه من بشارة خير، أو وصية، أو نصيحة، أو إبانة عن أمر مقرب إلى سعادتهم غير ذلك لا يكون.

ومن صبر نفسه على ما شرع الله له على لسان رسوله ﷺ، فإن الله لا بد أن يخرج إليه رسوله ﷺ لأن رسول الله ﷺ لا يتصور على صورته غيره فمن رآه لا شك فيه بخلاف رؤية الحق، فإن الحق له التجلي في صور الأشياء كلها، فإن الأشياء ما ظهرت إلا به سبحانه وتعالى، فالعارف يعلم أن كل شيء يراه ليس إلا الحق، وهو مُعطي السعادة والشقاء، والرسول ليس كذلك فيعتمد على رؤية الرسول ولا يغتر برؤية الحق، ولهذا الذي أشرنا إليه ادعى من ادعى من بشر وجن الألوهة، وقبل منهم وعبدوا من دون الله وما قدر أحد يدّعي أنه محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ.

وإن تنبأ فما يقول: إنه محمد، وإنما يقول: إنه رسول الله فيُطالب بالدليل على دعواه فتنبه إلى عصمة هذا الاسم العلم أن يتصور عليه أحد من خلق الله في كشف، ولا نوم كصورته في اليقظة سواء، فمن رآه ﷺ رآه فما تغير من صورته تغير حسن فذلك راجع إلى حال الرائي، أو صورة الشرع في المكان الذي رآه فيه عن ولاة أمور الناس وكذلك لو كان تغير قبح كذلك فاعلم ذلك فيكون تغيره بالحسن والقبح عين إعلامه وخطابه إياه بما هو الأمر عليه في حقه، أو في حق ولاة العصر بالموضع الذي يراه الرائي ورؤية الحق ليست كذلك، لأنه ما ثَمَّ شيء خارج عنه، فكل شيء فيه حسن لا قبح فيه وما قبح ما قبح من الأمور إلا بالشرع وفي أصحاب

الأغراض بالغرض، وفي أصحاب المزاج بعدم الملايمة للطبع، وفي أصحاب النظر الفكري من الحكماء بالكمال، والنقص، وصاحب هذا الهجير كثير الصلاة على محمد ﷺ وعلى هذا الذكر يحبس نفسه ويصبر حتى يخرج إليه ﷺ وما لقيت أحداً على هذا القدم غير رجل كبير حداد بإشبيلية كان يعرف باللهم صل على محمد، ما كان يعرف بغير هذا الاسم رأيته، ودعا لي وانتفعت به لم يزل مشتهراً بالصلاة على محمد ﷺ لا يتفرغ لكلام أحد إلا قدر الحاجة إذا جاء أحد يطلب منه أن يعمل له شيئاً من الحديد فيشارطه على ذلك ولا يزيد، وما وقف عليه أحد من رجل، ولا صبي، ولا امرأة إلا ولا بد أن يصلي على محمد ذلك الواقف إلى أن ينصرف من عنده، وهو مشهور بالبلد بذلك.

وكان من أهل الله فكل ما ينتج لصاحب هذا الذكر فإنه علم حق معصوم، فإنه لا يأتيه شيء من ذلك إلا بواسطة الرسول ﷺ وهو المتجلي له والمخبر.

لقي رجل بعض الناس في زمان أبي يزيد البسطامي، فقال له: هل رأيت أبا يزيد فقال له: رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد.

فقال له الرجل: لو رأيت أبا يزيد مرة لكان خيراً لك من أن ترى الله ألف مرة، فلما سمع ذلك منه رحل إليه فقعد مع الرجل على طريقه فعبر أبو يزيد وفروته على كتفه.

فقال له الرجل: هذا أبو يزيد فنظر إليه فمات من ساعته فأخبر الرجل أبا يزيد بشأن الرجل، فقال أبو يزيد: كان يرى الله على قدره، فلما أبصرنا تجلى له الحق على قدرنا، فلم يطق فمات.

ولما كان الأمر هكذا أعلمنا أن رؤيتنا الحق في الصورة المحمدية بالرؤية المحمدية هي أتم رؤية تكون فما زلنا نحرّض الناس عليها مشافهة وفي كتابنا هذا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والحمد لله وحده.

ومنهم الإمام الهمام أحد أعلام الإسلام الشيخ فخر الدين الرازي[(١)] المتوفى سنة ٦٠٦ هـ رضي الله عنه

فقد ذكر من فضائل النبي ﷺ وشؤونه الشريفة شيئاً
كثيراً مفرقاً في تفسيره الكبير فجمعت ما تيسر منه هنا باختصار

فمن جواهره رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ . . . ﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [البقرة:١١٩].

اعلم أن القوم لما أصروا على العناد واللجاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين الله تعالى لرسوله ﷺ أنه لا مزيد على ما فعله في مصالح دينهم من إظهار الأدلة، وكما بين ذلك بين أنه لا مزيد على ما فعله الرسول ﷺ في باب الإبلاغ والتنبيه، لكي لا يكثر غمه بسبب إصرارهم على كفرهم.

ومن جواهر الفخر الرازي أيضاً

[تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا . . . ﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، الرسول هو محمد ﷺ ويدل عليه وجوه:

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري أبو عبد الله فخر الدين الرازي الإمام المفسّر ولد سنة ٥٤٤ هـ، وتوفي سنة ٦٠٦ هـ.

أحدها: إجماع المفسرين وهو حجة.

وثانيها: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «**أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى**»[(١)] وأراد بالدعوة هذه الآية، وبشارة عيسى عليه السلام ما ذكر في صورة الصف من قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وثالثها: أن إبراهيم عليه السلام إنما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين يكونون بها وبما حولها، ولم يبعث الله تعالى إلى من بمكة وما حولها إلا محمداً ﷺ.

فائدة: وهنا سؤال وهو أن يقال ما الحكمة في ذكر إبراهيم عليه السلام مع محمد ﷺ في باب الصلاة حيث قال: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم.

وأجابوا عنه من وجوه:

أولها: إن إبراهيم عليه السلام دعا لمحمد ﷺ حيث قال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾[البقرة:١٢٩]، فلما وجب للخليل على الحبيب حق دعائه، قضى الله تعالى عنه حقه بأن أجرى ذكره على ألسنة أمته إلى يوم القيامة.

وثانيها: إن إبراهيم عليه السلام سأل ذلك ربه بقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] يعني ابق لي ثناء حسناً في أمة محمد ﷺ، فأجابه الله تعالى إليه وقرن ذكره بذكر حبيبه إبقاء للثناء الحسن عليه في أمته.

وثالثها: إن إبراهيم عليه السلام كان أبا الملة لقوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]، ومحمد ﷺ كان أبا الرحمة، وفي قراءة ابن مسعود «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»[(٢)]، وقال تعالى في صفته ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال ﷺ: «**إنما أنا لكم مثل الوالد**»[(٣)] يعني في الرأفة والرحمة، فلما وجب لكل واحد منهما حق الأبوة من وجه قرن بين ذكرهما في باب الثناء والصلاة.

ورابعها: أن إبراهيم عليه السلام كان منادي الشريعة في الحج قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي

---

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في التفسير (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩). وابن كثير في البداية والنهاية (٢: ٢٧٥). وابن سعد في الطبقات الكبرى (١: ٩٦).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ٣٣٥).

(٣) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٤٧).

ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧] وكان محمد ﷺ منادي الدين قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾[آل عمران:١٩٣] فجمع الله تعالى بينهما في الذكر الجميل.

واعلم أنه لما طلب بعثة رسول منهم إليهم ذكر لذلك الرسول صفات أولها قوله: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ [البقرة:١٢٩] وفيه وجهان:

الأول: إنها الفرقان الذي أنزل على محمد ﷺ لأن الذي كان يتلوه عليهم ليس إلا ذلك، فوجب حمله عليه.

الثاني: يجوز أن تكون الآيات هي الأعلام الدالة على وجود الصانع وصفاته سبحانه وتعالى ومعنى تلاوته إياها عليهم أنه كان يذكرهم بها ويدعوهم إليها ويحملهم على الإيمان بها.

وثاني: صفات الرسول ﷺ قوله: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة:١٢٩] والمراد أنه يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلمهم معاني الكتاب وحقائقه، وذلك لأن التلاوة مطلوبة لوجوه.

منها بقاء لفظها على ألسنة أهل التواتر فيبقى مصوناً عن التحريف والتصحيف. ومن تلك الوجوه أن يكون لفظه ونظمه معجزة لمحمد ﷺ. ومنها أن يكون في تلاوته نوع عبادة وطاعة.

ومنها أن تكون قراءته في الصلوات وسائر العبادات نوع عبادة، فهذا حكم التلاوة إلا أن الحكمة العظمى والمقصود الأشرف تعليم ما فيه من الدلائل والأحكام، فإن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى ونوراً لما فيه من المعاني والحكم والأسرار، فلماذا ذكر الله تعالى أولاً أمر التلاوة ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره فقال: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [البقرة:١٢٩].

والصفة الثالثة: من صفات الرسول الله ﷺ قوله: ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩] أي ويعلمهم الحكمة.

واعلم أن الحكمة، هي الإصابة في القول، والعمل لا يسمى حكمياً إلا من اجتمع له الأمران.

واختلف المفسرون في المراد بالحكمة هٰهنا على وجوه:

قال ابن وهب: قلت لمالك رضي الله عنه ما الحكمة؟ قال: معرفة الدين، والفقه فيه والاتباع له.

وقال الشافعي رضي الله عنه: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وهو قول قتادة. وذكر أقوالاً أخرى. في المعنى المراد من الحكمة هنا ثم قال:

الصفة الرابعة: من صفات الرسول الله ﷺ قوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة:١٢٩] هذه التزكية لها تفسيران:

الأول: ما يفعله سوى التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة حتى يكون ذلك كالسبب لطهارتهم، وتلك الأمور ما كان يفعله عليه الصلاة والسلام من الوعد والإيعاد والوعظ والتذكير وتكرير ذلك عليهم ومن التشبث بأمور الدنيا إلى أن يؤمنوا ويصلحوا، فقد كان عليه الصلاة والسلام يفعل من هذا الجنس أشياء كثيرة ليقوي بها دواعيهم إلى الإيمان والعمل الصالح، ولذلك مدحه تعالى بأنه على خلق عظيم، وقد قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(١).

التفسير الثاني: يشهد لهم بأنهم أزكياء يوم القيامة إذا أشهد على كل نفس بما كسبت كتزكية المزكى الشهود، والأول أجود لأنه أدخل في مشاكلة مرادِه بالدعاء لإن مراده عليه السلام أن يتكامل لهذه الذرية الفوز بالجنة، وذلك لا يتم إلا بتعليم الكتاب والحكمة، ثم بالترغيب الشديد في العمل والترهيب عن وقوع الخلل وهو التزكية. هذا هو الكلام الملخص في هذه الآية.

ومن جواهر الفخر الرازي أيضاً

[تفسير قوله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا. . .﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣] أجمعت الأمة على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض، وعلى أن محمداً ﷺ أفضل من الكل، ويدل عليه وجوه:

أحدها: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] فلما كان ﷺ لكل العالمين لزم أن يكون أفضل من كل العالمين.

الحجة الثانية: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤]، فقيل فيه لأنه تعالى قرن ذكر محمد ﷺ بذكره في كلمة الشهادة، وفي الآذان وفي التشهد، ولم يكن ذكر سائر الأنبياء كذلك.

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٠٧). والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٥٨). ومالك في الموطأ (٩٠٤).

الحجة الثالثة: أنه تعالى قرن بطاعته فقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وبيعته ببيعته فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]. وعزته بعزته فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨] ورضاه برضاه، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢] وإجابته بإجابته فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[الأنفال:٢٤].

الحجة الرابعة: أن الله تعالى أمر محمداً ﷺ بأن يتحدى بكل سورة من القرآن، فقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٣] وأقصر السور سورة الكوثر وهي ثلاث آيات، فكأن الله تحداهم بكل ثلاث آيات من القرآن.

ولما كان كل القرآن ستة آلاف آية، وكذا آية لزم أن لا يكون معجز القرآن معجزاً واحداً، بل يكون الفي معجزة وأزيد وإذا ثبت هذا فنقول: إن الله سبحانه ذكر تشريف موسى عليه السلام بتسع آيات بينات فلأن يحصل التشريف لمحمد ﷺ بهذه الآيات الكثيرة أولى.

الحجة الخامسة: إن معجزة رسولنا ﷺ أفضل من معجزات سائر الأنبياء فوجب أن يكون رسولنا أفضل من سائر الأنبياء بيان الأول قوله ﷺ: «القرآن في الكلام كآدم في الموجودات»، وبيان الثاني أن الخلعة كلما كانت أشرف كان صاحبها أكرم من عند الملك.

الحجة السادسة: إن معجزته ﷺ هي القرآن، وهي من جنس الحروف والأصوات، وهي أعراض غير باقية وسائر معجزات سائر الأنبياء من جنس الأمور الباقية، ثم إنه سبحانه جعل معجزة محمد ﷺ باقية إلى آخر الدهر، ومعجزات سائر الأنبياء فانية منقضية.

الحجة السابعة: إنه تعالى بعدما حكى أحوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠] فأمر محمد ﷺ بالاقتداء بمن قبله فإما أن يقال: إنه كان مأموراً بالاقتداء بهم في أصول الدين، وهو غير جائز لأنه تقليد، أو في فروع الدين، وهو غير جائز لأن شرعه نسخ سائر الشرائع، فلم يبق إلا أن يكون المراد الخامس محاسن الأخلاق، فكأنه سبحانه قال: إنا أطلعناك على أحوالهم وسيرهم فاختر أنت منها أجودها، وأحسنها، وكن مقتدياً بهم في كلها، وهذا يقتضي أنه اجتمع فيه ﷺ من الخصال المرضية ما كان متفرقاً فيهم فوجب أن يكون أفضل منهم.

الحجة الثامنة: أنه ﷺ بعث إلى كل الخلق، وذلك يقتضي أن تكون مشقة أكثر فيجب أن يكون أفضل. أما أنه بعث إلى كل الخلق فلقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨].

وأما أن ذلك يقتضي أن تكون مشقته ﷺ أكثر، فلأنه كان إنساناً فرداً من غير مال ولا أعوان وأنصار فإذا قال لجميع العالمين: يا أيها الكافرون، صار الكل أعداء له وحينئذٍ يصير خائفاً من الكل، فكانت المشقة عظيمة.

وكذلك فإن موسى عليه السلام لما بعث إلى بني إسرائيل فهو ما كان يخاف أحداً إلا من فرعون وقومه.

وأما محمد ﷺ فالكل كانوا أعداء له. يبين ذلك أن إنساناً لو قيل له: هذا البلد الخالي من الصدّيق والرفيق فيه رجل واحد ذو قوة وسلاح فاذهب إليه اليوم وحيداً، وبلغ إليه خبراً يوحشه ويؤذيه فإنه قلما سمحت نفسه بذلك مع أنه إنسان واحد، ولو قيل له: اذهب إلى بادية بعيدة ليس فيها أنيس ولا صديق وبلغ إلى صاحب البادية كذا وكذا من الأخبار الموحشة لشق ذلك على الإنسان.

أما النبي ﷺ فإنه كان مأموراً بأن يذهب طول ليله ونهاره وفي كل عمره إلى الجن والإنس الذين لا عهد له بهم، بل المعتاد منهم أنهم يعادونه ويؤذنونه ويستخفونه، ثم إنه ﷺ لم يمل من هذه الحالة، ولم يتلكأ، بل سارع إليها سامعاً مطيعاً، فهذا يقتضي أنه ﷺ تحمل في إظهار دين الله أعظم المشاق.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، معلوم أن ذلك البلاء كان على الرسول ﷺ، فإذا عظم فضل الصحابة بسبب تلك الشدة فما ظنك بالرسول الله ﷺ، وإذا ثبت أن مشقته أعظم من مشقة غيره وجب أن يكون فضله أكثر من فضل غيره لقوله ﷺ أفضل العبادات أحمزها أي أشدها.

الحجة التاسعة: أن دين محمد ﷺ أفضل الأديان فيلزم أن يكون محمد ﷺ أفضل الأنبياء.

بيان الأول أنه تعالى جعل الإسلام ناسخاً لسائر الأديان، والناسخ يجب أن يكون أفضل لقوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»[1]، فلما كان هذا الدين أفضل وأكثر ثواباً كان واضعه أكثر ثواباً من واضعي سائر الأديان، فليلزم أن يكون محمد ﷺ أفضل من سائر الأنبياء.

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن (٢٠٧). وأحمد في المسند (٤: ٣٦١). والهيثمي في مجمع الزوائد (١: ١٦٧). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٣٠٢). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ١١٥). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٣٣١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٣١٢٦).

الحجة العاشرة: أن أمة محمد ﷺ أفضل الأمم فوجب أن يكون محمد عليه الصلاة والسلام أفضل الأنبياء.

بيان الأول: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وبيان الثاني: أن هذه الأمة إنما نالت هذه الفضيلة بمتابعة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وفضيلة التابع توجب فضيلة المتبوع، وأيضاً محمد ﷺ أكثر أتباعاً لأنه مبعوث إلى الجن والإنس فوجب أن يكون ثوابه أكثر لأن لكثرة المستجيبين أثراً في علو شأن المتبوع.

الحجة الحادية عشرة: إنه ﷺ خاتم الرسل فوجب أن يكون أفضل، لأن نسخ الفاضل بالمفضول قبيح في المعقول.

الحجة الثانية عشرة: إن تفضيل بعض الأنبياء على بعض يكون لأمور:

منها: كثرة المعجزات التي هي دالة على صدقهم وموجبة لتشريفهم وقد حصل في حق نبينا ﷺ ما يفضل على ثلاثة آلاف معجزة، وهي بالجملة على أقسام. منها: ما يتعلق بالقدرة، كإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وإروائهم من الماء القليل. ومنها: ما يتعلق بالعلوم كالإخبار عن الغيوب وفصاحة القرآن. ومنها: اختصاصه ﷺ في ذاته بالفضائل نحو كونه أشرف نسباً من أشراف العرب، وأيضاً كان ﷺ في غاية الشجاعة. ومنها: في خلقه، وحلمه، ووفائه، وفصاحته، وسخائه، وكتب الحديث ناطقة بتفصيل هذه الأبواب.

الحجة الثالثة عشرة: قوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»(١) وذلك يدل على أنه أفضل من آدم ومن كل أولاده، وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»(٢)، وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد من النبيين حتى أدخلها أنا، ولا يدخلها أحد من الأمم حتى تدخلها أمتي».

وروى أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر»(٣).

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٣٠١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠). والخطابي في إصلاح أخطاء المحدثين (٢٩).

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ١١٩). والبغوي في شرح السنة (٤: ١٧٨). والقرطبي في التفسير (٣: ٢٦٣). وابن كثير في التفسير (٧: ١٢). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٣٢٧). =

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من الصحابة يتذاكرون، فسمع رسول الله ﷺ حديثهم، فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله. فخرج رسول الله ﷺ وقال: «قد سمعت كلامكم ومحبتكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول شفيع يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين، ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر»(١).

الحجة الرابعة عشرة: روى البيهقي في فضائل الصحابة أنه ظهر علي بن أبي طالب رضي الله عنه من بعيد، فقال ﷺ و«هذا سيد العرب»، فقالت عائشة: ألست أنت سيد العرب، فقال ﷺ: «أنا سيد العالمين وهو سيد العرب»(٢) وهذا يدل على أنه ﷺ أفضل الأنبياء.

الحجة الخامسة عشرة: روى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعطهن أحد قبلي، ولا فخر، بعثت إلى الأحمر والأسود، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، ولم تكن تحل لأحد قبلي، وأُعْطِيتُ الشفاعة فادخرتها لأمتي فهي نائلة إن شاء الله تعالى من لا يشرك بالله شيئاً»(٣). وجه الاستدلال أنه صريح أن الله تعالى فضله بهذه الفضائل على غيره.

الحجة السادسة عشرة: قال محمد بن علي الحكيم الترمذي في تقرير هذا المعنى أن كل أمير، فإنه تكون مؤنته على قدر رعيته فالأمير الذي تكون إمارته على قرية تكون مؤنته بقدر تلك القرية، ومن ملك الشرق والغرب احتاج إلى أموال وذخائر أكثر من أموال أمير تلك القرية، فكذلك كل رسول بعث إلى قومه فأُعطي من كنوز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر

= والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٦). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٣).

(١) رواه الترمذي في السنن (٣٦١٦). والدارمي في السنن (١: ٢٦). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٦). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٦٢). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٣٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٧٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٠٨). وابن كثير في التفسير (٢: ٣٥٧)، وفي البداية والنهاية (١: ١٦٩).

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور (٤: ٢٧٣). وفيه: «الخلائق».

(٣) رواه أحمد في المسند (٥: ١٦١).

ما حمل من الرسالة، فالمرسل إلى قومه في طرف مخصوص من الأرض إنما يعطى من هذه الكنوز الروحانية بقدر ذلك الموضع، والمرسل إلى كل أهل الشرق والغرب إنسهم وجنهم لا بد أن يعطى من المعرفة بقدر ما يمكنه أن يقوم بسعيه بأمور أهل الشرق والغرب، إذا كان كذلك كانت نسبة نبوة محمد ﷺ إلى نبوة سائر الأنبياء كنسبة كل المشارق والمغارب إلى ملك بعض البلاد المخصوصة، ولما كان كذلك لا جرم أعطي ﷺ من كنوز الحكمة والعلم ما لم يعط أحد قبله فلا جرم. بلغ في العلم إلى الحد الذي لم يبلغه من البشر. قال تعالى في حقه: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] وفي الفصاحة إلى أن قال ﷺ «أوتيت جوامع الكلم»[١] وصار كتابه مهيمناً على الكتب وصارت أمته خير الأمم.

الحجة السابعة عشرة: روى محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمه الله تعالى في كتاب النوادر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، وموسى نجيباً، واتخذني حبيباً ثم قال: وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيبي»[٢].

الحجة الثامنة عشرة: في الصحيحين عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل ابتنى داراً فأحسنها وأجملها وأكملها إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها، فجعل الناس يطوفون بها ويعجبهم البنيان، فيقولون ألا وضعت ههنا لبنة، فيتم بناؤك»[٣]، فقال محمد ﷺ: «كنت أنا تلك اللبنة»[٤].

الحجة التاسعة عشرة: إن الله تعالى كلما نادى نبياً في القرآن ناداه باسمه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الصافات: ١٠٤] ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢ - ١٣] وأما النبي ﷺ فإنه تعالى ناداه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، وذلك يفيد الفضل، واحتج المخالف يعني مما لا يعبأ بخلافه ولا يخرق الإجماع لأنه ذكر أولاً إجماع الأمة على تفضيله ﷺ على جميع الأنبياء صلوات الله عليهم وهذا المخالف احتج بوجوه:

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٠). وابن كثير في التفسير (٤: ٧٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١١٣). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ٤٨٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٦٨). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٤).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠: ١٧٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٠١). والسيوطي في دلائل النبوة (٥: ٤٨٥).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩: ٥). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٣٦٥).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٩: ٥). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٣٦٥).

الأول: إن معجزات الأنبياء كانت أعظم من معجزاته ﷺ، فإن آدم عليه السلام كان مسجوداً للملائكة، وما كان محمد عليه الصلاة والسلام كذلك. وإن إبراهيم عليه السلام ألقي في النيران العظيمة فانقلبت روحاً وريحاناً عليه. وإن موسى عليه السلام أوتي تلك المعجزات العظيمة، ومحمد ﷺ ما كان له مثلها. وداود عليه السلام لأن له الحديد. وسليمان عليه السلام كان الجن، والأنس، والطير، والوحش، والرياح مسخرين له. وما كان ذلك حاصلاً لمحمد ﷺ. وعيسى عليه السلام أنطقه الله في الطفولية وقدّره على إحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص. وما كان ذلك حاصلاً لمحمد ﷺ.

[الثاني][1]: أي من حجج المخالف أنه تعالى سمي إبراهيم عليه السلام في كتابه خليلاً، فقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٥] وقال في موسى عليه السلام: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال في عيسى عليه السلام ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]. وشيء من ذلك لم يقله في حق محمد ﷺ.

[الثالث][2]: للمخالف قوله ﷺ: «ولا تفضلوني على يونس بن متى»[3]، وقال ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء»[4].

[الرابع][5]: للمخالف روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء عليهم السلام فذكرنا نوحاً بطول عبادته، وإبراهيم بخلته، وموسى بتكليم الله تعالى إياه، وعيسى برفعه إلى السماء، وقلنا رسول الله ﷺ أفضل منهم بعث إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وهو خاتم الأنبياء، فدخل رسول الله ﷺ فقال: «فيم أنتم؟» فذكرنا له، فقال: «لا ينبغي لأحد أن يكون خيراً من يحيى بن زكريا، وذلك أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها»[6].

والجواب: أي عن حجج المخالف هذه الأربعة أن كون آدم عليه السلام مسجوداً

---

(١) في الأصل: «الحجة الثانية» وهذا خطأ في منهج الترتيب فالقول: «احتج بوجوه: الأول، الثاني... إلخ». وهذا هو الصحيح.

(٢) في الأصل: «الحجة الثالثة» وهذا خطأ في منهج الترتيب فالقول: «احتج بوجوه: الأول، الثاني... إلخ». وهذا هو الصحيح.

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٦٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ١٠٥).

(٤) رواه السيوطي في دلائل النبوة (٥: ٤٩٣). وابن حجر في فتح الباري (١٢: ٢٦٣).

(٥) في الأصل: «الحجة الرابعة» وهذا خطأ في منهج الترتيب فالقول: «احتج بوجوه: الأول، الثاني... إلخ». وهذا هو الصحيح.

(٦) رواه أحمد في المسند (١: ٤٤٠). والدولابي في الكنى والأسماء (٢: ٢٢).

للملائكة لا يوجب أن يكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام بدليل قوله ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة»(١)، وقال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»(٢)، ونقل أن جبريل عليه السلام أخذ بركاب محمد ﷺ ليلة المعراج وهذا أعظم من السجود، وأيضاً أنه تعالى صلى بنفسه على محمد ﷺ وأمر الملائكة والمؤمنين بالصلاة عليه، وذلك أفضل من سجود الملائكة، ويدل عليه وجوه:

الأول: أنه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم تأديباً، وأمرهم بالصلاة على محمد ﷺ تقريباً.

والثاني: إن الصلاة على محمد ﷺ دائمة إلى يوم القيامة، وأما سجود الملائكة لآدم عليه السلام فما كان إلا مرة واحدة.

الثالث: إن السجود لآدم إنما تولاه الملائكة، وأما الصلاة على محمد ﷺ فإنما تولاها رب العالمين عز وجل، ثم أمر بها الملائكة والمؤمنين.

الرابع: إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم ولأجل أن نور محمد ﷺ في جبهته، فإن قيل: إنه تعالى خص آدم بالعلم فقال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[البقرة:٣١].

وأما محمد ﷺ، فقال في حقه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧]، وأيضاً فمعلم آدم هو الله تعالى قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾[البقرة:٣١]، ومعلوم محمد ﷺ جبريل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم:٥].

والجواب: أنه تعالى قال في علم محمد ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١١٣] وقال ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»(٣) وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[الرحمن:١ - ٢] وكان ﷺ يقول: «أرنا الأشياء كما هي»، وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤].

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٢٨١). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٦).

(٢) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٧١).

(٣) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٧٢). والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٢٧). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٧). والألباني في السلسلة الضعيفة (٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٩٥).

وأما الجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] فذاك بحسب التلقين وأما التعليم فمن الله تعالى، كما أنه تعالى قال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ [السجدة: ١١] ثم قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر: ٤٢].

فإن قيل: قال نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ١١٤]، وقال الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾[الأنعام: ٥٢]، وهذا يدل على خلق أن نوح أحسن.

قلنا: إنه تعالى قال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١] فكان أول أمره العذاب.

وأما محمد ﷺ فقد قال تعالى فيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧] و﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فكان عاقبة نوح عليه السلام أن قال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[نوح: ٢٦]، وعاقبة محمد ﷺ الشفاعة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأما سائر المعجزات فقد ذكر في كتب دلائل النبوة في مقابلة كل واحدة منها معجزة أفضل منها لمحمد ﷺ، وهذا الكتاب لا يحتمل أكثر مما ذكرنا والله أعلم. ثم قال: أما قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ففيه قولان:

الأول: إن المراد منه بيان أن مراتب الرسل متفاوتة، وذلك لأنه تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يؤت أحداً مثله هذه الفضيلة، وجمع لداود الملك والنبوة، ولم يحصل هذا لغيره، وسخر لسليمان الأنس والجن والريح، ولم يكن هذا حاصلاً لأبيه داود عليهما السلام، ومحمد ﷺ مخصوص بأنه مبعوث إلى الجن والإنس وبأن شرعه ناسخ لكل الشرائع، وهذا إن حملنا الدرجات على المناصب والمراتب.

أما إذا حملناها على المعجزات ففيه أيضاً وجه لأن كل واحد من الأنبياء أوتي نوعاً آخر من المعجزة لائقاً بزمانه.

فمعجزات موسى عليه السلام وهي قلب العصا حية، واليد البيضاء، وفلق البحر كان كالشبيه بما كان أهل ذلك العصر متقدمين فيه وهو السحر.

ومعجزات عيسى عليه السلام وهي إبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى كانت كالشبيه بما كان أهل ذلك العصر متقدمين فيه، وهو الطب. ومعجزة محمد ﷺ، وهي القرآن كانت من جنس البلاغة والفصاحة والخطب والأشعار.

وبالجملة المعجزات متفاوتة بالقلة والكثرة، وبالبقاء، وبالقوة وعدم القوة، وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الأمة والصحابة وقوة الدولة، فإذا تأملت الوجوه الثلاثة علمت أن محمداً ﷺ كان مستجمعاً للكل، فمنصبه أعلى ومعجزاته أبقى وأقوى وقومه أكثر ودولته أعظم وأوفر.

القول الثاني: أن المراد بهذه الآية محمد ﷺ لأنه هو المفضل على الكل ﷺ.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى أيضاً

[تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ...﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ٨١ - ٨٢].

اعلم أن المقصود من هذه الآيات تعديد تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعاً لعذرهم وإظهاراً لعنادهم، ومن جملتها ما ذكره الله تعالى في هذه الآية وهو أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة أنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه.

وأخبر أنهم قبلوا ذلك وحكم تعالى بأن من رجع عن ذلك كان من الفاسقين، فهذا هو المقصود من الآية، فحاصل الكلام أنه تعالى أوجب على جميع الأنبياء الإيمان بكل رسول جاء مصدقاً لما معهم إلا أن هذه المقدمة الواحدة لا تكفي في إثبات نبوة محمد ﷺ ما لم يضم إليها مقدمة أخرى وهي أن محمداً ﷺ رسول الله جاء مصدقاً لما معهم، وعند هذا لقائل أن يقول: هذا إثبات للشيء بنفسه لأنه إثبات لكونه رسولاً بكونه رسولاً.

والجواب: إن المراد من كونه رسولاً ظهور المعجزة عليه وحينئذٍ يسقط هذا السؤال والله أعلم، ثم ذكر عن علي، وابن عباس، وقتادة، والسدي رضوان الله عليهم أن هذا الميثاق مختص بمحمد ﷺ، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لقد جئتكم بها بيضاء نقية، أما والله لو كان موسى بن عمران حياً لما وسعه إلا اتباعي»[1].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٨٧). والبغوي في شرح السنة (١: ١٩٧). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ١٤٩). وابن حجر في فتح الباري (١٣: ٣٣٤). وابن كثير في التفسير (٤: ٢٩٦). وابن أبي عاصم في السنة (١: ٢٧). =

ونقل عن علي رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى ما بعث آدم ومن بعده من الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام إلا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمد ﷺ وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويحتمل أن المراد من الآية أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه إذا بعث محمد ﷺ فإنه يجب عليهم أن يؤمنوا به وأن ينصروه، وهذا قول كثير من العلماء واللفظ محتمل له لأن المقصود من هذه الآية أن يؤمن الذين كانوا في زمان الرسول الله ﷺ.

وإذا كان الميثاق مأخوذاً عليهم كان ذلك أبلغ في تحصيل هذا المقصود من أن يكون مأخوذاً على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد أجيب عن ذلك بأن درجات الأنبياء عليهم السلام أعلى وأشرف من درجات الأمم، فإذا دلت هذه الآية على أن الله تعالى أوجب على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ لو كانوا في الأحياء وأنهم لو تركوا ذلك لصاروا من زمرة الفاسقين، فلأن يكون الإيمان بمحمد ﷺ واجباً على أممهم لو كان ذلك أولى فكان صرف هذا الميثاق إلى الأنبياء أقوى في تحصيل المطلوب. وذكر فوائد أخرى في تفسير هذه الآية فليراجعها من شاءَها.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ...﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

اعلم أن القوم لما انهزموا عن النبي ﷺ يوم أحد، ثم عادوا لم يخاطبهم رسول الله ﷺ بالتغليظ والتشديد وإنما خاطبهم بالكلام اللين، ثم إنه سبحانه وتعالى لما أرشدهم في الآيات المتقدمة إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وكان من جملة ذلك أن عفا عنهم زاد في الفضل والإحسان بأن مدح الرسول الله ﷺ على عفوه عنهم، وتركه التغليظ عليهم، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾.

واعلم أن لينه ﷺ مع القوم عبارة عن حسن خلقه معهم قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥] وقال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ

رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال ﷺ: «لا حلم أحب إلى الله تعالى من حلم أمام ورفقه، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل إمام وخرقه».

فلما كان عليه الصلاة والسلام إمام العالمين وجب أن يكون أكثرهم حلماً وأحسنهم خلقاً ﷺ.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى أيضاً

[تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ. . .﴾]

قوله عند قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

اعلم أن فيه وجوهاً:

الأول: أنه تعالى لما بين خطأ من نسبه ﷺ إلى الغلول والخيانة أكد ذلك بهذه الآية، وذلك لأن هذا الرسول الله ﷺ ولد في بلدهم فيما بينهم، ولم يظهر منه طول عمره إلا الصدق والأمانة والدعوة إلى الله والإعراض عن الدنيا فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة.

الوجه الثاني: أنه لما بين خطأهم في ذلك قال: لا أقنع بذلك ولا أكتفي في حقه بأن أبين براءته عن الخيانة والغلول، ولكني أقول: إن وجوده فيكم من أعظم نعمتي عليكم، فإنه يزكيكم عن الطريق الباطلة يعلمكم العلوم النافعة لكم في دنياكم وفي دينكم فأي عاقل يخطر بباله أن ينسب مثل هذا الإنسان إلى الخيانة.

الوجه الثالث: كأنه تعالى يقول: إنه منكم ومن أهل بلدكم ومن أقاربكم وأنتم أرباب الخمول والدناءة يعني بالشرك، فإذا شرفه الله تعالى وخصه بمزايا الفضل والإحسان من جميع العالمين، حصل لكم شرف عظيم بسبب كونه فيكم فطعنكم فيه واجتهادكم في نسبة القبائح إليه ﷺ على خلاف العقل.

الوجه الرابع: إنه لما كان ﷺ في الشرف والمنقبة بحيث يمن الله به على عباده وجب على كل عاقل أن يعينه بأقصى ما يقدر عليه فوجب عليكم أن تحاربوا أعداءه وأن تكونوا معه باليد، واللسان، والسيف، والسنان.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي أنعم عليهم وأحسن إليهم ببعثة هذا الرسول فإن بعثه ﷺ إحسان إلى كل العالمين، وذلك لأن وجه الإحسان في بعثته كونه داعياً لهم إلى ما يخلصهم من عقاب الله ويوصلهم إلى ثواب الله، وهذا عام في حق العالمين لأنه ﷺ مبعوث إلى كل العالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٣٤] إلا أنه لما لم ينتفع بهذا الإنعام ألا أهل الإسلام، فلهذا التأويل خص تعالى هذه المنة بالمؤمنين ونظيره قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] مع أنه هدى للكل كما قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٤]، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥].

واعلم أن بعثة كل فرد من أفراد الرسل عليهم السلام إحسان من الله إلى الخلق، وكلما كان الانتفاع بالرسول أكثر كان وجه الإنعام في بعثته أكثر، وبعثه محمد ﷺ كانت مشتملة على الأمرين:

أحدهما: المنافع الحاصلة من أصل البعثة.

والثاني: المنافع الحاصلة بسبب ما فيه من الخصال الحميدة التي ما كانت موجودة في غيره.

أما المنفعة بسبب أصل البعثة، فهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

قال أبو عبد الله الحليمي وجه الانتفاع ببعثة الرسل ليس إلا في طريق الدين وهو من وجوه:

الأول: أن الخلق جبلوا على النقصان، وقلة الفهم، وعدم الدراية فرسول الله ﷺ أورد عليهم وجوه الدلائل ونقحها، وكلما خطر ببالهم شك أو شبهة أزالها وأجاب عنها.

والثاني: أن الخلق وإن كانوا يعلمون أنه لا بد لهم من خدمة مولاهم، لكنهم ما كانوا عارفين بكيفية تلك الخدمة فهو ﷺ شرح تلك الكيفية لهم حتى يقدموا على الخدمة آمنين من الغلط ومن الإقدام على ما لا ينبغي.

الثالث: أن الخلق جبلوا على الكسل، والغفلة، والتواني، والملالة، فهو ﷺ يورد أنواع الترغيبات والترهيبات حتى أنه كلما عرض لهم كسل أو فتور نشطهم للطاعة ورغبهم فيها.

الرابع: أن أنوار عقول الخلق تجري مجرى أنوار البصر، ومعلوم أن الانتفاع بنور البصر لا يكمل إلا عند سطوع نور الشمس، ونوره ﷺ عقلي إلهي يجري مجرى طلوع الشمس،

فيقوي العقول بنور عقله، ويظهر لهم من لوائح الغيب ما كان مستتراً عنهم قبل ظهوره، فهذا إشارة حقيقية إلى فوائد أصل البعثة.

وأما المنافع الحاصلة، بسبب ما كان في محمد ﷺ من الصفات الجميلة فأمور ذكرها الله تعالى في هذه الآية أولها قوله تعالى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

واعلم أن وجه الانتفاع بهذا من وجوه:

الأول: إنه ﷺ ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم وهم كانوا عارفين بأحواله مطلعين على جميع أفعاله وأقواله ﷺ فما شاهدوا منه من أول عمره إلى آخره إلا الصدق والعفاف وعدم الالتفات إلى الدنيا، والبعد عن الكذب والملازمة على الصدق ومن عرف من أحواله من أول العمر إلى آخره ملازمته الصدق والأمانة وبعده عن الخيانة والكذب، ثم ادعى النبوة والرسالة التي يكون الكذب في مثلها، أقبح أنواع الكذب يغلب على ظن كل أحد أنه صادق في هذه الدعوى.

الثاني: أنهم كانوا عالمين بأنه ﷺ لم يتلمذ لأحد، ولم يقرأ كتاباً، ولم يمارس درساً، ولا تكراراً، وأنه إلى تمام الأربعين لم ينطق ألبتة بحديث النبوة والرسالة، ثم إنه بعد الأربعين ادعى الرسالة وظهر على لسانه من العلوم ما لم يظهر على أحد من العالمين، ثم إنه يذكر قصص المتقدمين وأحوال الأنبياء الماضين على الوجه الذي كان موجوداً في كتبهم، فكل من له عقل سليم علم أن هذا لا يتأتى ألا بالوحي السماوي والإلهام الإلٰهي.

الثالث: أنه بعد ادعاء النبوة عرضوا عليه ﷺ الأموال الكثيرة والأزواج ليترك هذه الدعوى، فلم يلتفت إلى شيء من ذلك، بل قنع بالفقر وصبر على المشقة ولما علا شأنه وأخذ البلاد، وعظمت الغنائم لم يغير طريقه في البعد عن الدنيا والدعوة إلى الله تعالى، والكاذب إنما يقدم على الكذب ليجد الدنيا، فإذا وجدها، تمتع بها وتوسع فيها، فلما لم يفعل شيئاً من ذلك علم أنه ﷺ كان صادقاً.

الرابع: أن الكتاب الذي جاء به ﷺ ليس فيه إلا تقرير التوحيد، والتنزيه، والعدل، والنبوة، وإثبات المعاد، وشرح العبادات، وتقرير الطاعات، ومعلوم أن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ولما كان كتابه ﷺ ليس إلا في تقرير هذين الأمرين علم كل عاقل أنه صادق فيما يقوله.

الخامس: إنه قبل مجيئه ﷺ كان دين العرب أرذل الأديان، وهو عبادة الأوثان وأخلاقهم أرذل الأخلاق، وهو الغارة، والنهب، والقتل، وأكل الأطعمة الرديئة، ثم لما

بعث الله محمداً ﷺ نقلهم الله تعالى ببركة مقدمه من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أن صاروا أفضل الأمم في العلم، والزهد، والعبادة، وعدم الالتفات إلى الدنيا وطيباتها، ولا شك أن فيه أعظم المنة.

إذا عرفت هذه الوجوه فنقول: إن محمداً ﷺ ولد فيهم ونشأ فيما بينهم، وكانوا مشاهدين لهذه الأحوال مطلعين على هذه الدلائل، فكان إيمانهم مع مشاهدة هذه الأحوال أسهل مما إذا لم يكونوا مطلعين على هذه الأحوال فلهذه المعاني منّ الله عليهم بكونه ﷺ مبعوثاً منهم فقال تعالى: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وفيه وجه آخر من المنة وذلك لأنه ﷺ صار شرفاً للعرب، وفخراً لهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وذلك لأن الافتخار بإبراهيم عليه السلام كان مشتركاً فيه بين اليهود والنصارى والعرب، ثم إن اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى، وعيسى، والتوراة، والإنجيل، فما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمداً ﷺ وأنزل القرآن صار شرف جميع الأمم، فهذا هو وجه الفائدة في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

واعلم أن كمال حال الإنسان في أمرين في أن يعرف الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، وبعبارة أخرى للنفس الإنسانية قوتان نظرية وعلمية، والله تعالى أنزل الكتاب على محمد ﷺ ليكون سبباً لتكميل الخلق وقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، إشارة إلى تكميل القوة النظرية بحصول المعارف الإلهية والكتاب إشارة إلى معرفة التأويل.

وبعبارة أخرى الكتاب إشارة إلى ظواهر الشريعة، والحكمة إشارة إلى محاسن الشريعة وأسرارها وعللها ومنافعها، ثم بين تعالى ما تتكمل به هذه النعمة، وهو أنهم كانوا من قبل في ضلال مبين لأن النعمة إذا وردت بعد المحنة كان توقعها أعظم، فإذا كان وجه النعمة العلم والإعلام، ووردا عقيب الجهل والذهاب عن الدين كان أعظم ونظيره قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ...﴾]

قوله عند تفسير قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ

فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩].

واعلم أن قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿جَآءَكُمْ﴾ أي جاءكم على حين فتور من إرسال الرسل. قيل كان بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ستمائة سنة أو أقل أو أكثر.

وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ألف وسبعمائة سنة، وألف نبي. وبين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام أربعة من الأنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب هو خالد بن سنان العبسي عليه السلام.

والفائدة في بعثة محمد ﷺ عند فترة من الرسل هي أن التغيير والتحريف قد تطرقا إلى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها، وبسبب ذلك اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب، وصار ذلك عذراً ظاهراً في إعراض الخلق عن العبادات لأن لهم أن يقولوا: يا إلٰهنا عرفنا أنه لا بد من عبادتك، ولكنا ما عرفنا كيف نعبد، فبعث الله تعالى في هذا الوقت محمداً ﷺ إزالة لهذا العذر، وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾، ثم قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فزالت هذه العلة، وارتفع ببعثته ﷺ.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ...﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

اعلم أنه تعالى لما بين أن من صفة من تكتب له الرحمة في الدنيا والآخرة، التقوى وإيتاء الزكاة الإيمان بالآيات، ضم إلى ذلك أن يكون من صفته اتباع النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.

واختلفوا في ذلك، فقال بعضهم: المراد بذلك أن يتبعوه باعتقاد نبوته، من حيث وجدوا صفته في التوراة إذ لا يجوز أن يتبعوه في شرائعه قبل أن يبعث إلى الخلق، وقال في قوله: ﴿وَٱلْإِنجِيلِ﴾ أن المراد وسيجدونه مكتوباً في الإنجيل لأن من المحال أن يجدوه فيه قبل ما أنزل الله الإنجيل.

وقال بعضهم: بل المراد من لحق من بني إسرائيل أيام الرسول الله ﷺ فبين تعالى أن هؤلاء اللاحقين لهم رحمة الآخرة إلا إذا اتبعوا الرسول النبي الأمي، والقول الثاني أقرب لأن اتباعه قبل أن يبعث ووجد لا يمكن، فكأنه تعالى بيّن بهذه الآية أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بني إسرائيل إلا من اتقى، وآتى الزكاة، وآمن بالدلائل في زمن موسى، ومن هذه صفته في أيام الرسول إذا كان ذلك متبعاً للنبي الأمي في شرائعه.

إذا عرفت هذا فنقول: إنه تعالى وصف محمداً ﷺ في هذه الآية بصفات تسع:

الصفة الأولى: كونه ﷺ رسولاً، وقد اختص هذا اللفظ بحسب العرف بمن أرسله الله إلى الخلق لتبليغ التكاليف:

الصفة الثانية: كونه ﷺ نبياً وهو يدل على كونه رفيع القدر عند الله تعالى.

الصفة الثالثة: كونه ﷺ أمياً قال الزجاج معنى الأمي الذي هو على أمة العرب. قال عليه الصلاة والسلام: «إنا أمة لا نكتب ولا نحسب»[1] فالعرب أكثرهم ما كانوا يكتبون ولا يقرؤون والنبي ﷺ كان كذلك، فلهذا السبب وصفه تعالى بكونه أمياً قال أهل التحقيق: وكونه أمياً. بهذا التفسير كان من جملة معجزاته ﷺ وبيانه من وجوه:

الأول: أنه ﷺ كان يقرأ عليهم كتاب الله تعالى مرة بعد أخرى من غير تبديل ألفاظه ولا تغيير كلماته، والخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة، ثم أعادها فإنه لا بد أن يزيد فيها وأن ينقص عنها بالقليل والكثير، ثم أنه عليه الصلاة والسلام مع أنه ما كان يكتب وما كان يقرأ يتلو كتاب الله غير زيادة ولا نقصان، ولا تتغير، فكان ذلك من المعجزات وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى: ٦].

والثاني: أنه ﷺ لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهماً في أنه ربما طالع كتب الأولين فحصّل هذه العلوم من تلك المطالعة، فلما أتي بهذا القرآن العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

الثالث: أن تعلم الخط شيءٌ سهل، فإن أقل الناس ذكاء وفطنة يتعلمون الخط بأدنى سعي، فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم، ثم إنه تعالى آتاه ﷺ علوم الأولين

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٧٦١). وأبو داود في السنن (٢٣١٩). والنسائي ٥ ١٣٩ وأحمد في المسند (٢: ٤٣). وابن حجر في فتح الباري (٤: ١٢٦). وابن أبي شيبة في المصنف (٣: ٨٥). والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٥٠).

والآخرين وأعطاه من العلوم والحقائق ما لم يصل إليه أحد من البشر، ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي يسهل تعلمه على أقل الخلق عقلاً وفهماً، فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين جارياً مجرى الجمع بين الضدين، وذلك من الأمور الخارقة للعادة وجارٍ مجرى المعجزات.

الصفة الرابعة: أي من صفاته ﷺ التسع المذكورة قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وهذا يدل على نعته ﷺ وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل لأن ذلك لو لم يكن مكتوباً لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفّرات لليهود والنصارى عن قبول قوله ﷺ، لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفّرات، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل على أن ذلك النعت كان مذكوراً في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته ﷺ.

الصفة الخامسة: قوله تعالى: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ قال الزجاج: يجوز أن يكون قوله يأمرهم بالمعروف استئنافاً، ويجوز أن يكون المعنى يجدونه مكتوباً عندهم، أنه يأمرهم بالمعروف.

الصفة السادسة: قوله تعالى: ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾، والمراد منه أضداد الأمور المذكورة، وهي عبادة الأوثان، والقول في صفات الله تعالى بغير علم والكفر بما أنزل الله على النبيين، وقطع الرحم، وعقوق الوالدين.

الصفة السابعة: قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من الناس من قال المراد بالطيبات الأشياء التي حكم الله بحلها، وهذا بعيد، بل الواجب أن يكون المراد من الطيبات الأشياء المستطابة بحسب الطبع، وذلك لأن تناولها يفيد اللذة والأصل في المنافع الحل، فكانت هذه الآية دالة على أن الأصل في كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل إلا لدليل منفصل.

الصفة الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾. قال عطاء عن ابن عباس يريد الميتة والدم وما ذكر في سورة المائدة إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ﴾ [المائدة:٣].

وأقول كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس، وكان تناوله سبباً للألم الأصل في المضار الحرمة، فكان مقتضاه أن كل ما يستخبثه الطبع فالأصل فيه الحرمة إلا لدليل منفصل.

الصفة التاسعة قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ الأصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحرك لثقله، والمراد منه أن شريعة موسى عليه السلام كانت شديدة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ والمراد منه الشدائد التي كانت في عباداتهم كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وتتبع العروق من اللحم وجعلها الله أغلالاً، لأن التحريم يمنع من الفعل.

كما أن الغل يمنع عن الفعل، وقيل: كانت بنو إسرائيل إذا قامت إلى الصلاة لبسوا المسوح وغَلّوا أيديهم إلى أعناقهم تواضعاً لله تعالى، فعلى هذا القول الأغلال غير مستعارة.

واعلم أن هذه الآية تدل على أن الأصل في المضار أن لا تكون مشروعة، لأن كل ما كان ضرراً كان إصراً، وغلاً، وظاهر هذا النص يقتضي عدم المشروعية، وهذا نظير لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضِرار في الإسلام»[1] ولقوله ﷺ: «بعثت بالحنيفية السهلة السمحة»[2]، وهو أصل كبير في الشريعة.

واعلم أنه لما وصف محمداً ﷺ بهذه الصفات التسع قال تعالى بعده: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من اليهود ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ يعني وقروه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ أي على عدوه ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ وهو القرآن.

ثم إنه تعالى لما ذكر هذه الصفات قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي هم الفائزون بالمطلوب في الدنيا والآخرة، وقال تعالى بعد الآية السابقة: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قال رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ثم بين تعالى أن من شرط حصول الرحمة لأولئك المتقين كونهم متبعين للرسول النبي الأمي حقق في هذه الآية رسالته إلى الخلق بالكلية، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] وفي هذه الكلمة مسألتان:

المسألة الأولى: هذه الآية تدل على أن محمداً ﷺ مبعوث إلى جميع الخلق. وقال

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن (٢٣٤٠). وأحمد في المسند (١: ٣١٣). والبيهقي في السنن الكبرى (٦: ٦٩). والحاكم في المستدرك (٢: ٥٨). والطبراني في المعجم الكبير (٢: ٨١). والهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ١١٠).

(٢) رواه أحمد في المسند (٥: ٢٦٦). والقرطبي في التفسير (١٩: ٣٩). وابن كثير في التفسير (١: ٣١٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ١٤٩). والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٧: ٢٠٩). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٢٢١).

طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية وهو أتباع عيسى الأصفهاني ـ: إن محمداً رسول صادق مبعوث إلى العرب وغير مبعوث إلى بني إسرائيل.

ودليلنا على إبطال قولهم هذه الآية لأن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة:٢١] خطاب يتناول كل الناس، ثم قال: ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨]، وهذا يقتضي كونه مبعوثاً إلى جميع الناس، وأيضاً إلى جميع الناس، وأيضاً فما يعلم بالتواتر من دينه أنه كان يدعي أنه مبعوث إلى كل العالمين.

فإما أن يقال: إنه كان رسولاً حقاً أو ما كان كذلك، فإن كان رسولاً حقاً أو ما كان كذلك، فإن كان رسولاً حقاً امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقاً في كل ما يدعيه، فلما ثبت بالتواتر، وبظاهر هذه الآية أنه كان يدعي كونه ﷺ مبعوثاً إلى جميع الخلق وجب كونه ﷺ صادقاً في هذا القول.

وذلك يبطل قول من يقول: إنه كان مبعوثاً إلى العرب فقط لا إلى بني إسرائيل وأما قول القائل: إنه ما كان رسولاً حقاً فهذا يقتضي القدح في كونه ﷺ رسولاً إلى العرب وإلى غيرهم، فثبت أن القول بأنه ﷺ رسول إلى بعض الخلق دون بعض كلام باطل متناقض.

المسألة الثانية: هذه الآية وإن دلت على أن محمداً ﷺ مبعوث إلى كل الخلق فليس فيها دلالة على أن غيره من الأنبياء عليهم السلام ما كان مبعوثاً إلى كل الخلق، بل يجب الرجوع في أنه هل كان في غيره من الأنبياء من كان مبعوثاً إلى كل الخلق أم لا إلى سائر الدلائل؟

فنقول: تمسك جمع من العلماء إلى أن أحداً غيره ﷺ ما كان مبعوثاً وإلى كل الخلق لقوله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت إلى الأحمر والأسود، وجعلت لي الأرض مسجداً والتراب طهوراً، ونصرت على عدوي بالرعب. يرعب مني مسيرة شهر، وأطعمت الغنيمة دون من قبلي، وقيل لي: سل تُعْطَه فاختبأتها شفاعة لأمتي»[1].

ولقائل أن يقول: هذا الخبر لا يتناول دلالة على إثبات هذا المطلوب لأنه لا يبعد أن يكون المراد مجموع هذه الخمسة من خواص رسول الله ﷺ، ولم يحصل لأحد سواه، ولم يلزم من كون هذا المجموع من خواصه كون واحد من آحاد هذا المجموع من خواصه ﷺ.

وأيضاً قيل: إن آدم عليه السلام كان مبعوثاً إلى جميع أولاده وعلى هذا التقدير فقد كان

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ٣). والنسائي في السنن (النحل: ٤٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٤). والدارمي في السنن (٢: ٢٢٤). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٢١٢). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٥٩). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨: ٣١٦).

مبعوثاً إلى جميع الناس. وإن نوحاً عليه السلام ولما خرج من السفينة كان مبعوثاً إلى الذين كانوا معه أن جميع الناس في ذلك الزمان ما كانوا إلا ذلك القوم، ثم قال رحمة الله تعالى: لما بين تعالى أولاً أن القول ببعثة الأنبياء والرسل عليهم أمر جائز ممكن أردفه بذكر أن محمداً ﷺ رسول حق من عند الله تعالى لأن من حاول إثبات مطلوب، وجب عليه أن يبين جوازه أولاً، ثم حصوله ثانياً، ثم إنه بدأ بقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٥٨] لأن الإيمان بالله أصل والإيمان بالنبوة والرسالة فرع عليه والأصل يجب تقديمه. فلهذا السبب بدأ تعالى بقوله: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٥٨] ثم اتبعه بقوله تعالى: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨].

واعلم أن هذا إشارة إلى ذكر المعجزات الدالة على كونه نبياً حقاً وتقريره أن معجزات رسول الله ﷺ كانت على نوعين.

النوع الأول: من معجزاته ﷺ المعجزات التي ظهرت في ذاته المباركة وأجلّها وأشرفها أنه ﷺ رجلاً أمياً لم يتعلم من أستاذه، ولم يطالع كتاباً، ولم يتفق له مجالسة أحد من العلماء لأنه ما كانت مكة بلدة العلماء، وما غاب رسول الله ﷺ عن مكة غيبة طويلة يمكن أن يقال: إنه في مدة تلك الغيبة تعلم العلوم الكثيرة، ثم إنه ﷺ مع ذلك فتح الله باب العلم والتحقيق وأظهر عليه هذا القرآن المشتمل على علوم الأولين والآخرين، فكان ظهور هذه العلوم العظيمة عليه مع أنه كان رجلاً أمياً لم يلق أستاذاً، ولم يطالع كتاباً من أعظم المعجزات، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾ [الأعراف:١٥٨].

والنوع الثاني من معجزاته ﷺ: الأمور التي ظهرت من ذاته الشريفة، مثل انشقاق القمر ونبوع الماء من بين أصابعه، وهي تسمى بكلمات الله تعالى: ألا ترى أن عيسى عليه السلام لما كان في حدوثه أمراً غريباً مخالفاً للمعتاد لا جرم.

سماه الله تعالى كلمة، فكذلك المعجزات لما كانت الأمور غريبة خارقة للعادة، لم يبعد تسميتها بكلمات الله تعالى، وهذا النوع هو المراد بقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الأعراف:١٥٨] أي يؤمن بالله وبجميع المعجزات التي أظهرها الله عليه، فبهذا الطريق قام الدليل على كونه ﷺ نبياً صادقاً من عند الله تعالى.

واعلم أنه لما ثبت بالدلائل القاهرة التي قررناها نبوة محمد ﷺ وجب أن يذكر عقيبه الطريق الذي به يمكن معرفة شرعه على التفصيل، وما ذلك إلا بالرجوع إلى أقواله وأفعاله وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف:١٥٨]. واعلم أن المتابعة تتناول في القول، وفي الفعل.

أما المتابعة في القول فهو أن يمتثل المكلف كل ما يقوله ﷺ في طريق الأمر والنهي، والترغيب والترهيب.

وأما المتابعة في الفعل فهي عبارة عن الإتيان بمثل ما أتى المتبوع به سواءٌ كان في طرف الفعل أو في طرف الترك.

فثبت أن لفظ واتبعوه يتناول القسمين وثبت أن ظاهر الأمر للوجوب، فكان قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأعراف:١٥٨] دليلاً على أنه يجب الانقياد له ﷺ في كل أمر ونهي ويجب الاقتداء به في كل ما فعله إلا ما خصه الدليل وهو الأشياء التي ثبت بالدليل المنفصل أنها من خواص الرسول ﷺ.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ. . .﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى: في سورة التوبة: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

اعلم أنه تعالى لما حكي عن الأعداء أنهم يحاولون إبطال أمر محمد ﷺ وبيّن تعالى أنه يأبى ذلك الإبطال، وأنه يتم أمره بيّن كيفية ذلك الإتمام، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣].

واعلم أن كمال حال الأنبياء صلوات الله عليهم لا يحصل إلا بمجموع أمور:

أولها: كثرة الدلائل والمعجزات وهو المراد من قوله تعالى: ﴿أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ [التوبة:٣٣].

ثانياً: كون دينه ﷺ مشتملاً على أمور يظهر لكل أحد كونها موصوفة بالصواب والصلاح ومطابقة الحكمة وموافقة المنفعة في الدنيا والآخرة وهو المراد من قوله تعالى: ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ [التوبة:٣٣].

وثالثاً: صيرورة دينه ﷺ مستعلياً على سائر الأديان عالياً عليها غالباً لأضدادها قاهراً لمنكريها وهو المراد من قوله تعالى ليظهره على الدين كله.

واعلم أن ظهور الشيء على غيره وقد يكون بالحجة وقد يكون بالكثرة والوفور، وقد يكون بالغلبة والاستيلاء ومعلوم أنه تعالى بشر بذلك ولا يجوز أن يبشر إلا بأمر

مستقبل غير حاصل، وظهور هذا الدين بالحجة مقرر ومعلوم، فالواجب حمله على الظهور، بالغلبة.

فإن قيل: ظاهر قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] يقتضي كونه غالباً لكل الأديان وليس الأمر كذلك فإن الإسلام ولم يصر غالباً لسائر الأديان في أرض الهند، والصين، والروم، وسائر أراضي الكفرة. قلنا: أجابوا عنه من وجوه:

الأول: أنه لا دين يخالف الإسلام إلا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وإن لم يكن كذلك في جميع مواضعهم، فقهروا اليهود وأخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد الشام وما والاها إلى ناحية الروم والغرب، وغلبوا المجوس على ملكهم، وغلبوا عباد الأصنام على كثير من بلادهم مما يلي الترك، والهند، وكذلك سائر الأديان فثبت أن الذي أخبر الله عنه في هذه الآية وقع وحصل، وكان ذلك إخباراً عن الغيب، فكان معجزاً.

الوجه الثاني: في الجواب أن نقول روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: هذا وعد من الله بأنه تعالى يجعل الإسلام عالياً على جميع الأديان، وتمام هذا إنما يحصل عند خروج عيسى عليه السلام.

وقال السدي: ذلك عند خروج المهدي لا يبقى أحد إلا دخل في الإسلام أو أدى الخراج.

الوجه الثالث: المراد ليظهر الإسلام على الدين كله في جزيرة العرب وقد حصل ذلك فإنه تعالى ما أبقى فيها أحداً من الكفار.

الوجه الرابع: إن المراد من قوله تعالى ليظهره على الدين كله أن يوقفه ﷺ على جميع شرائع الدين ويطلعه عليها بالكلية حتى لا يخفى عليه منها شيء، أي فالضمير على هذا راجع إلى الرسول لا الدين.

الوجه الخامس: إن المراد من قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] بالحجة والبيان إلا أن هذا الوجه ضعيف لأن هذا وعد بأنه تعالى سيفعله، والتقوية بالحجة والبيان كانت حاصلة من أول الأمر، ويمكن أن يجاب عنه بأن في مبدأ الأمر كثرت الشبهات بسبب ضعف المؤمنين، واستيلاء الكفار ومنع الكفار سائر الناس، من التأمل في تلك الدلائل، أما بعد قوة دولة الإسلام فقد عجزت الكفار، فضعفت الشبهات فقوي ظهور دلائل الإسلام.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ...﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فيه مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنه تعالى، لما أمر رسول ﷺ أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحملها إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل من العز والشرف في الدنيا فهو عائد إليكم وأيضاً، فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته في أيصال خير الدنيا والآخرة إليكم فهو كالطبيب المشفق، والأب الرحيم في حقكم.

والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق وأن الأب مشفق صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة، وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان فكذا هٰهنا لما عرفتم أنه ﷺ رسول حق من عند الله تعالى فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير، ثم قال للرسول ﷺ: فإن لم يقبلوها، بل أعرضوا عنها وتولوا فاتركهم، ولا تلتفت إليهم وعول على الله، وارجع في جميع أمورك إلى الله ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وهذه الخاتمة لهذه السورة جاءت في غاية الحسن ونهاية الكمال.

المسألة الثانية: اعلم أنه تعالى وصف الرسول ﷺ في هذه الآية بخمسة أنواع من الصفات:

الصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وفي تفسيره وجوه:

الأول: يريد أنه بشر مثلكم كقوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ [يونس: ٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠] والمقصود أنه لو كان من جنس الملائكة لصعب الأمر بسببه على الناس.

والثاني: ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] أي من العرب. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ بسبب الجدات مضرها وربيعها ويمانيها، فالمضريون والربيعيون هم العدنانية، واليمانيون هم القحطانية، ونظيره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] والمقصود منه ترغيب العرب

في نصرته والقيام بخدمته ﷺ كأنه قيل لهم كل ما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا، فهو سبب لعزكم ولفخركم لأنه منكم ومن نسبكم.

والثالث: ﴿ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ [التوبة:١٢٨] خطاب لأهل الحرم وذلك لأن العرب كانوا يسمون أهل الحرم أهل الله وخاصته، وكانوا يخدمونهم ويقومون بإصلاح مهماتهم فكأنه قيل للعرب، كنتم قبل مقدمه ﷺ مجدين مجتهدين في خدمة أسلافه وآبائه، فَلِمَ تتكاسلون في خدمته؟ مع أنه لا نسبة له في الشرف والرفعة إلى أسلافه.

والقول الرابع: إن المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته ﷺ كأنه قيل: هو من عشيرتكم تعرفونه بالصدق والأمانة والعفاف والصيانة وتعرفون كونه حريصاً على دفع الآفات عنكم وإيصال الخيرات إليكم وإرسال من هذه حالته وصفته يكون من أعظم نعم الله عليكم وقرئ: «من أنفَسِكُمْ» أي من أشرفكم وأفضلكم، وقيل هي قراءة رسول الله ﷺ، وفاطمة، وعائشة رضي الله عنهما.

الصفة الثانية: قوله تعالى: ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة:١٢٨] اعلم أن العزيز هو الغالب الشديد، والعزة هي الغلبة والشدة، وأما لعنت فيقال عنت الرجل، يعنت عنتاً إذ وقع في مشقة وشدة لا يمكنه الخروج منها.

وقال الفراء: ما في قوله ما عنتم في موضع رفع والمعنى عزيز عليه عنتكم أي يشق عليه مكروهكم وأولى المكاره بالدفع مكروه عقاب الله تعالى، وهو ﷺ إنما أرسل ليدفع هذا المكروه.

والصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ [التوبة:١٢٨] والحرص يمتنع أن يكون متعلقاً بذواتهم، بل المراد حريص على إيصال الخيرات إليكم في الدنيا والآخرة.

الصفة الرابعة والخامسة: قوله تعالى: ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨] قال ابن عباس رضي الله عنهما: سماه الله تعالى باسمين من أسمائه عز وجل، وهما: رؤوف رحيم ﷺ.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ. . . ﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة الحجر ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢] إن الخطاب لرسول الله ﷺ وإنه تعالى أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد، وذلك يدل على أنه ﷺ أكرم الخلق على الله تعالى.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ. . .﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] إنه ﷺ كان رحمة في الدين وفي الدنيا.

أما في الدين فلأنه ﷺ بعث والناس في جاهلية وضلالة وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى محمداً ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب فدعاهم ﷺ إلى الحق، وبيّن لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام، وميز الحلال من الحرام، ثم أنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق فلا يركن إلى التقليد، ولا إلى العناد والاستكبار، وكان التوفيق قريناً قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤] الآية.

وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه ﷺ.

فإن قيل: كيف كان ﷺ رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال؟ قلنا الجواب من وجوه:

أحدها: إنما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر، ولم يتدبر ومن أوصاف الله تعالى: الرحمٰن، الرحيم، ثم هو منتقم من العصاة، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الفرقان: ٤٨] مباركاً، ثم قد يكون سبباً للفساد.

وثانيها: إن كل نبي قبل نبينا ﷺ كان إذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق، وإنه تعالى أخر عذاب من كذب رسولنا إلى الموت أو إلى القيامة. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

وثالثها: أنه ﷺ كان في نهاية حسن الخلق قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قيل لرسول الله ﷺ: ادع على المشركين، قال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً»[1].

وقال ﷺ في رواية حذيفة رضي الله عنه: «إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٩٧). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣٦١). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١: ١٥). =

رجل سببته أو لعنته فاجعلها اللهم عليه صلاة يوم القيامة»[١].

ورابعها: قال عبد الرحمٰن بن زيد: إلا رحمة للعالمين. يعني المؤمنين خاصة. قال الإمام أبو القاسم الأنصاري والقولان يرجعان إلى معنى واحد لما بينه أنه ﷺ رحمة للكل لو تدبروا في آيات الله وآيات رسوله، فأما من أعرض واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت:٤٤].

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله

[تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ...﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة ص: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص:٨٧ - ٨٩].

اعلم أن الله تعالى ختم هذه السورة بهذه الخاتمة الشريفة، وذلك لأنه تعالى ذكر طرقاً كثيرة دالة على وجوب الاحتياط في طلب الدين، ثم قال عند الختم: هذا الذي أدعو الناس إليه يجب أن ينظر معه في حال الداعي، وفي حال الدعوة ليظهر أنه حق أو باطل.

أما الداعي فهو أنا، فأنا لا أسألكم على هذه الدعوى أجراً أو مالاً، ومن الظاهر أن الكذاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال ألبتة، وكان من الظاهر أنه ﷺ كان بعيداً عن الدنيا عديم الرغبة فيها.

وأما كيفية الدعوة، فقال: وما أنا من المتكلفين، والمفسرون ذكروا فيه وجوهاً، والذي يغلب على الظن أن المراد أن هذا الذي أدعوكم إليه دين ليس يحتاج في معرفة صحته إلى التكلفات الكثيرة، بل هو دين يشهد صريح العقل بصحته، فإني أدعوكم إلى الإقرار بوجود الله أولاً، ثم أدعوكم ثانياً إلى تنزيهه وتقديسه عن كل ما يليق به يقوي ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١] وأمثاله.

ثم أدعوكم ثالثاً إلى الإقرار بكونه تعالى موصوفاً بكمال العلم والقدرة والحكمة والرحمة، ثم أدعوكم رابعاً إلى الإقرار بكونه تعالى منزهاً عن الشركاء والأضداد، ثم أدعوكم خامساً إلى الامتناع عن عبادة هذه الأوثان التي هي جمادات خسيسة، ولا منفعة في عبادتها، ولا مضرة في الإعراض عنها، ثم أدعوكم سادساً إلى تعظيم الأرواح الطاهرة المقدسة وهم

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٢٤٣). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٧: ٢٠٨). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٣٣٥). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٣: ٥).

الملائكة والأنبياء، ثم أدعوكم سابعاً إلى الإقرار بالبعث والقيامة: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ثم أدعوكم ثامناً إلى الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة.

فهذه الأصول الثمانية هي الأصول القوية المعتبرة في دين الله تعالى، ودين محمد ﷺ وبداءة العقول، وأوائل الأفكار شاهدة بصحة هذه الأمور الثمانية، فثبت أني لست من المتكلفين في الشريعة التي أدعو الخلق إليها بل كل عقل سليم، وطبع مستقيم، فإنه يشهد بصحتها وجلالتها وبعدها عن الباطل والفساد، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولما بيّن هذه المقدمات قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، والمعنى أنكم إن أصررتم على الجهل والتقليد وأبيتم قبول هذه البيانات التي ذكرنا فستعلمون بعد حين أنكم كنتم مصيبين في هذا الإعراض أو مخطئين. وذكر مثل هذه الكلمة بعد تلك البيانات المتقدمة مما لا مزيد عليه من التخويف والترهيب والله أعلم.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسيره تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ. . .﴾]

قوله في تفسيره قوله تعالى في سورة الضحى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٣ - ٤] لما نزل ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ [الضحى: ٣] حصل له ﷺ بهذا تشريف عظيم، فكأنه استعظم هذا التشريف فقيل له: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] أي هذا التشريف وإن كان عظيماً إلا أن ما لك عند الله في الآخرة خير وأعظم.

وقال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

واعلم أن اتصاله بما تقدم من وجهين:

الأول: هو أنه تعالى لما بيّن أن الآخرة خير له ﷺ من الأولى، ولكنه لم يبين أن ذلك التفاوت إلى أي حد يكون، فبين بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت، وهو أن ينتهي إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه ﷺ.

الوجه الثاني: كأنه تعالى لما قال: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤] قيل: ولمَ قلت: إن الأمر كذلك، فقال: لأنه يعطيه كل ما يريده، وذلك مما لا تتسع الدنيا له، فثبت أن الآخرة خير له ﷺ من الأولى.

واعلم أنا إن حملنا هذا الوعد على الآخرة، فقد يمكن حمله على المنافع، وقد يمكن حمله على التعظيم.

أما المنافع فقال ابن عباس: ألف قصر في الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك، وفيها ما يليق بها.

وأما التعظيم فالمروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس: أن هذا هو الشفاعة في الأمة. يروى أنه ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: «إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار».

واعلم أن الحمل على الشفاعة متعين، ويدل عليه وجوه:

أحدها: أنه تعالى أمره ﷺ في الدنيا بالاستغفار، فقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد:١٩] فأمره بالاستغفار، والاستغفار عبارة عن طلب المغفرة، ومن طلب شيئاً فلا شك أنه لا يريد الرد، ولا يرضى به. وإنما يرضى بالإجابة وإذا ثبت أن الذي يرضاه الرسول هو الإجابة لا الرد ودلت هذه الآية على أنه تعالى يعطيه كل ما يرتضيه علمنا أن هذه الآية دالة على الشفاعة في حق المذنبين.

والثاني: وهو أن مقدمة الآية مناسبة لذلك كأنه تعالى يقول لا أودعك ولا أبغضك، بل لا أغضب على أحد من أصحابك، وأتباعك، وأشياعك طلباً لمرضاتك، وتطييباً لقلبك، فهذا التفسير أوفق لمقدمة الآية.

الثالث: الأحاديث الكثيرة الواردة في الشفاعة دالة على أن رضى الرسول ﷺ في العفو عن المذنبين، وهذه الآية دلت على أنه تعالى يفعل كل ما يرضاه الرسول، فتحصل من مجموع الآية والخبر حصول الشفاعة.

وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: رضي جدي أن لا يدخل النار موحد. وعن الباقر رضي الله عنه: أهل القرآن يقولون أرجى آية قوله تعالى: ﴿۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ أنفسهم لا تقطنوا من رحمة الله﴾ [الزمر:٥٣] وإنا أهل البيت نقول أرجى آية قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥]، والله إنها الشفاعة ليعطاها ﷺ في أهل لا إله إلا الله حتى يقول: «رضيت»[1].

هذا كله إذا حملنا الآية على أحوال الآخرة أما لو حملنا هذا الوعد على أحوال الدنيا فهو إشارة إلى ما أعطاه الله تعالى من الظفر بأعدائه يوم بدر، ويوم فتح مكة، ودخول الناس في

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٣٨٨).

الدين أفواجاً، والغلبة على قريظة، والنضير وإجلالهم، وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب، وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الأرض من المدائن، وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة، وأنهبهم من كنوز الأكاسرة وما قذف في أهل الشرق والغرب من الرعب وتهييب الإسلام وفشو الدعوة.

واعلم أن الأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة، ولم يقل تعالى: يعطيكم. مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضاً لوجوه:

أحدها: إنه ﷺ المقصود وهم أتباع.

ثانيها: إني إذا أكرمت أصحابك فذاك في الحقيقة إكرام لك، لأني أعلم أنك بلغت في الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق ما تفرح بإكرام نفسك، ومن ذلك حيث تقول الأنبياء: نفسي.

أي أبدأ بجزائي وثوابي قبل أمتي لأن طاعتي كانت قبل طاعة أمتي وأنت تقول: «أمتي أمتي»[1] أي أبدأ بهم فإن سروري أن أراهم فائزين بثوابهم.

وثالثها: إنك عاملتني معاملة حسنة فإنهم حين شجو وجهك قلت: «اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون» وحين شغلوك يوم الخندق عن الصلاة قلت: «اللهم املأ بطونهم ناراً»، فتحملت الشجة الحاصلة في وجه جسدك وما تحملت الشجة الحاصلة في وجه دينك، فإن وجه الدين هو الصلاة، فرجحت حقي على حقك لا جرم. فضلتك، فقلت: من ترك الصلاة سنين أو حبس غيره عن الصلاة سنين لا أكفره، ومن آذى شعرة من شعراتك أو جزءاً من نعلك أكفره، وذكر رحمه الله تعالى فوائد أخرى في تفسير هذه السورة فراجعها إن شئت.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ...﴾

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة ألم نشرح: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

اعلم أنه عام في كل ما ذكروه من نبوته ﷺ وشهرته في الأرض والسمٰوات وأن اسمه مكتوب على العرش، وأنه يذكر معه تعالى في الشهادة والتشهد، وأنه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة وانتشار ذكره في الآفاق، وأنه ختمت به النبوة، وأنه يذكر في الخطب والأذان

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٠).

ومفاتيح الرسائل وعند الختم، وجعل ذكره ﷺ في القرآن مقروناً بذكره لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [النساء:١٣]، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء:٥٩].

ويناديه باسم الرسول والنبي حين ينادي غيره بالاسم «يا موسى، يا عيسى».

وأيضاً جعله في القلوب بحيث يستطيعون ذكره ﷺ، وهو معنى قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦] كأنه تعالى يقول: املأ العالم من أتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك، ويحفظون سنتك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلا ومعها سنة، فهم يمتثلون في الفريضة أمري، في السنة أمرك، وجعلت طاعتك طاعتي، وبيعتك بيعتي. ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠] ، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] لا تأنف السلاطين من أتباعك فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك، والمفسرون يفسرون معاني فرقانك، والوعاظ يبلغون وعظك، بل العلماء والسلاطين يصلون إلى خدمتك ويسلمون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك، ويرجون شفاعتك فشرفك باقٍ إلى يوم القيامة.

ومن جواهر الفخر الرازي رحمه الله تعالى

[تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ...﴾]

قوله في تفسير قوله تعالى في سورة الكوثر: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١]: اعلم أن فيه فوائد:

الفائدة الأولى: إن هذه السورة كالتتمة لما قبلها من السور، وكالأصل لما بعدها من السور، أما أنها كالتتمة لما قبلها من السور فلأن الله تعالى جعل سورة الضحى في مدح محمد ﷺ وتفصيل أحواله فذكر أن أول السورة ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته ﷺ:

أولها: قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣].

وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤].

وثالثها: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] ثم ختمها بذكر ثلاثة أحوال من أحواله ﷺ فيما يتعلق بالدنيا وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى:٦ - ٨] ثم ذكر تعالى في سورة (ألم نشرح) أنه شرفه ﷺ بثلاثة أشياء:

أولها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:١].

وثانيها: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح: ١ - ٢].

وثالثها: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]. ثم إنه تعالى شرفه ﷺ في (سورة والتين) بثلاثة أنواع من التشريف:

أولها: أنه تعالى أقسم ببلده ﷺ وهو قوله: ﴿ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ [التين: ٣].

وثانيها: أنه تعالى أخبر عن خلاص أمته من النار وهو قوله: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وثالثها: وصولهم إلى الثواب وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين: ٦].

ثم شرفه في (سورة اقرأ) بثلاثة أنواع من التشريفات:

أولها: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١] أي اقرأ القرآن على الخلق مستعيناً باسم ربك.

وثانيها: أنه تعالى قهر خصمه ﷺ بقوله: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴾ [العلق: ١٧ - ١٨].

وثالثها: إنه تعالى خصه ﷺ بالقربة التامة وهو ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴾ [العلق: ١٩].

وشرفه ﷺ في (سورة القدر) بليلة القدر التي لها ثلاثة أنواع من الفضيلة:

أولها: كونها خيراً من ألف شهر.

ثانيها: نزول الملائكة والروح فيها.

وثالثها: كونها سلاماً حتى مطلع الفجر. وشرفه ﷺ في (سورة لم يكن) بأن شرف أمته بثلاث تشريفات:

أولها: أنه خير البرية.

وثانيها: أن جزاءهم عند ربهم جنات.

وثالثها: رضي الله عنهم. وشرفه ﷺ في (سورة إذا زلزلت) بثلاث تشريفات:

أولها: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤] وذلك يقتضي أن الأرض تشهد يوم القيامة لأمته ﷺ بالطاعة والعبودية.

والثاني: قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ [الزلزلة: ٦] وذلك يدل على أنه تعرض عليهم طاعتهم فيحصل لهم الفرح والسرور.

وثالثها: قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧] ومعرفة الله لا شك أنها أعظم من كل عظيم فلا بد وأن يصلوا إلى ثوابها.

ثم شرفه ﷺ في (سورة والعاديات) بأن أقسم بخيل الغزاة من أمته ﷺ فوصفت تلك الخيل بصفات ثلاث: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات: ١ - ٣] ثم شرف أمته ﷺ في (سورة القارعة) بأمور ثلاثة:

أولها: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨].

وثانيها: أنهم في عيشة راضية.

وثالثها: إنهم يرون أعداءهم في نار حامية.

ثم شرفه ﷺ في (سورة ألهاكم) بأن بيّن أن المعرضين عن دينه وشرعه يصيرون معذبين من ثلاثة أوجه:

أولها: أنهم يرون الجحيم.

وثانيها: أنهم يرونها عين اليقين.

وثالثها: أنهم يسألون عن النعيم.

ثم شرف أمته ﷺ في (سورة والعصر) بأمور ثلاثة:

أولها: الإيمان ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وثانيها: ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وثالثها: إرشاد الخلق إلى الأعمال الصالحة وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

ثم شرفه في (سورة الهمزة) بأن ذكر أن من همزه ولمزه فله ثلاثة أنواع من العذاب:

أولها: أنه لا ينتفع بدنيا ألبتة. وهو قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ كَلَّا﴾ [الهمزة: ٣ - ٤].

وثانيها: أنه ينبذ في الحطمة.

وثالثها: أنه يغلق عليه تلك الأبواب حتى لا يبقى له رجاء الخروج وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨].

ثم شرفه ﷺ في (سورة الفيل) بأن رد كيد أعدائه إلى نحرهم من ثلاثة أوجه:

أولها: جعل ﴿كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢].

وثانيها: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣].

وثالثها: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ٥].

ثم شرفه ﷺ في (سورة قريش) بأنه تعالى راعى مصلحة أسلافه ﷺ من ثلاثة أوجه:

أولها: جعلهم مؤتلفين متوافقين ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ [قريش: ١].

وثانيها: ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾ [قريش: ١٠٦].

وثالثها: أنه تعالى ﴿ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش: ٤].

وشرفه ﷺ في (سورة الماعون) بأن وصف المكذبين بدينه بثلاثة أنواع من الصفات المذمومة:

أولها: الدناءة واللؤم وهو قوله تعالى: ﴿ يَدُعُّ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون: ٢ - ٣].

وثانيها: تركهم تعظيم الخالق وهو قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون: ٥ - ٦].

وثالثها: تركهم نفع الخلق وهو قوله تعالى: ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٧]

ثم إنه سبحانه وتعالى لما شرفه ﷺ في هذه السور من هذه الوجوه العظيمة قال بعدها ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر: ١] أي إنا أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة المذكورة في السور المتقدمة التي كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها فاشتغل أنت بعبادة هذا الرب وبإرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم. أما عبادة الرب، فإما بالنفس وهو قوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ وإما بالمال وهو قوله تعالى: ﴿ وَانْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢].

وإما إرشاد عباده إلى ما هو الأصلح لهم في دينهم ودنياهم فهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ١ - ٢].

فثبت أن هذه السورة يعني سورة الكوثر كالتتمة لما قبلها من السور، وأما إنها كالأصل لما بعدها فهو أنه تعالى يأمره ﷺ هذه السورة بأن يكفر جميع أهل الدنيا بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [الكافرون: ١ - ٢].

ومعلوم أن عسف الناس على مذاهبهم وأديانهم أشد من عسفهم على أرواحهم وأموالهم، وذلك أنهم يبذلون أموالهم وأرواحهم في نصرة أديانهم، فلا جرم كان الطعن في مذاهب الناس يثير من العداوة والغضب ما لا يثير سائر المطاعن، فلما أمره بأن يكفر جميع أهل الدنيا ويبطل أديانهم لزم أن يصير جميع أهل الدنيا في غاية العداوة له ﷺ وذلك مما يحترف عنه كل أحد من الخلق، فلا يكاد يقدم عليه ﷺ.

انظر إلى موسى عليه السلام كيف كان يخاف من فرعون وعسكره وأما هٰهنا فإن محمداً ﷺ لما كان مبعوثاً إلى جميع أهل الدنيا كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه ﷺ فدبر تعالى في إزالة هذا الخوف الشديد تدبيراً لطيفاً وهو أنه قدم على تلك السورة ـ يعني سورة الكافرون ـ هذه السورة فإن قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] يزيل عنه ﷺ ذلك الخوف من وجوه:

أحدها: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي الكثير في الدنيا، والدين فيكون ذلك وعداً من الله إياه بالنصرة والحفظ وهو كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠] من كان الله تعالى ضامناً لحفظه فإنه لا يخشى أحداً.

وثانيها: أنه تعالى لما قال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ وهذا اللفظ يتناول خيرات الدنيا وخيرات الآخرة، وإن خيرات الدنيا ما كانت واصلة إليه حين كان بمكة، والخلف في كلام الله تعالى محال فوجب في حكمة الله تعالى إبقاؤه ﷺ في دار الدنيا إلى حيث يصل إليه تلك الخيرات فكان ذلك كالبشارة له والوعد بأنهم لا يقتلونه ولا يقهرونه ولا يصل إليه مكرهم، بل يصير أمره كل يوم في الازدياد والقوة.

وثالثها: أنه ﷺ لما كفَّرهم وزيّف أديانهم ودعاهم إلى الإيمان اجتمعوا عنده وقالوا: إن كنت تفعل هذا طلباً للمال فنعطيك من المال ما تصير به أغنى الناس، وإن كان مطلوبك الزوجة نزوجك أكرم نسائنا وإن كان مطلوبك الرياسة فنحن نجعلك رئيساً على أنفسنا. فقال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أي لما أعطاك خالق السمٰوات والأرض خيرات الدنيا والآخر، فلا تغتر بمالهم ومراعاتهم.

ورابعها: أن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ يفيد أنَ الله تعالى تكلم معه ﷺ لا بواسطة، فهذا يقوم مقام قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] بل هذا أشرف لأن المولى إذا شافه عبده بالتزام التربية والإحسان كان ذلك أعلى مما إذا شافهه في غير هذا المعنى بل يفيد قوة في القلب ويزيل الجبن عن النفس، فثبت أن مخاطبة الله إياه ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ مما يزيل الخوف عن القلب، والجبن عن النفس، فقدم هذه السورة على سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] حتى يمكنه ﷺ الاشتغال بذلك التكليف الشاق والإقدام على تكفير جميع العالم، وإظهار البراءة من معبودهم.

فلما امتثلت أمري فانظر كيف أنجزت لك الوعد، وأعطيتك كثرة الأتباع والأشياع إن آل الدنيا يدخلون في دين الله أفواجاً. وانظر إلى موسى عليه السلام كيف كان يخاف من فرعون

وعسكره وأما هٰهنا فإن محمداً ﷺ كان مبعوثاً إلى جميع أهل الدنيا، كان كل واحد من الخلق كفرعون بالنسبة إليه ﷺ، فدبّر تعالىٰ في إزالة هذا الخوف الشديد تدبيراً لطيفاً وهو أنه قدم على تلك السورة، يعني سورة الكافرون، هذه السورة فإن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، يزيل عنه ﷺ ذلك الخوف من وجوه:

أحدها: أن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، أي الخير الكثير في الدنيا والدين، فيكون ذلك وعداً من الله إياه بالنصرة والحفظ؛ وهو كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾، قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾، وقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾، من كان الله تعالىٰ ضامناً لحفظه فإنه لا يخشى أحداً.

وثانيها: أنه تعالىٰ لما قال: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، وهذا اللفظ يتناول خيرات الدنيا وخيرات الآخرة وأن خيرات الدنيا ما كانت واصلة إليه حين كان بمكّة والخلف في كلام الله تعالىٰ محال، فوجب في حكمة الله تعالىٰ إبقاؤه ﷺ في دار الدنيا إلى حيث يصل إليه تلك الخيرات، فكان ذلك كالبشارة له والوعد بأنهم لا يقتلونه ولا يقهرونه ولا يصل إليه مكرهم، بل يصير أمره كل يوم في الازدياد والقوة.

وثالثها: أنه ﷺ لما كفَّرهم وزيّف أديانهم ودعاهم إلى الإيمان اجتمعوا عنده، وقالوا: إن كنت تفعل هذا طلباً للمال فنعطيك من المال ما تصير به أغنى الناس وإن كان مطلوبك الزوجة نزوجك أكرم نسائنا، وإن كان مطلوبك الرياسة فنحن نجعلك رئيساً على أنفسنا، فقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، أي: لما أعطاك خالق السمٰوات والأرض خيرات الدنيا والآخرة، لا تغترّ بما لهم ومراعاتهم.

ورابعها: إن قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، يفيد أن الله تعالىٰ تكلّم معه ﷺ لا بواسطة، فهذا يقوم مقام قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء: ١٦٤]، بل هذا أشرف لأن المولى إذا شافه عبده بالتزام التربية والإحسان كان ذلك أعلى مما إذا شافهه في غير هذا المعنى، بل يفيد قوة في القلب ويزيل الجبن عن النفس، فثبت أن مخاطبة الله إياه ﷺ بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]، حتى يمكنه ﷺ الاشتغال بذلك التكليف الشاق والإقدام على تكفير جميع العالم، وإظهار البراءة من معبودهم.

فلما امتثلت أمري فانظر كيف أنجزت لك الوعد، وأعطيتك كثرة الأتباع والأشياع إن أهل الدنيا يدخلون في دين الله أفواجاً. ثم إنه لما تمّ أمر الدعوة وإظهار الشريعة شرع في بيان ما يتعلق بأحوال القلب والباطن، وذلك لأن الطالب إما أن يكون طلبه مقصوراً على الدنيا أو يكون طالباً للآخرة.

أمّا طالب الدنيا، فليس له إلا الخسار والذل والهوان، ثم يكون مصيره إلى النار وهو المراد من سورة «تبت».

وأمّا طالب الآخرة فأعظم أحواله أن تصير نفسه كالمرآة التي ينتقش فيها صور الموجودات، وقد ثبت في العلوم العقلية أن طريق الخلق في معرفة الصانع على وجهين منهم من عرف الصانع ثم توصل بمعرفته إلى معرفة مخلوقاته وهذا هو الطريق الأشرف الأعلى، منهم من عكس وهو طريق الجمهور.

ثم إنه سبحانه ختم كتابه الكريم بتلك الطريقة التي هي أشرف الطريقين، فبدأ بذكر صفات الله، وشرح جلاله وهو سورة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، ثم أتبعه بذكر مراتب مخلوقاته في سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١].

ثم ختم الأمر بذكر مراتب النفس الإنسانية، وعند ذلك ختم الكتاب، وهذه الجملة إنما يتّضح تفصيلها عند تفسير هذه السورة على التفصيل، فسبحان من أرشد العقول إلى معرفة هذه الأسرار الشريفة المودعة في كتابه الكريم.

الفائدة الثانية: في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، هي أن كلمة «إنا» تارة يراد بها الجمع وتارة يراد بها التعظيم.

أمّا الأول: فقد دلّ الدليل على أن الإلٰه واحد، فلا يمكن حمله على الجمع، إلاّ إذا أريد أن هذه العطية مما سعى في تحصيلها الملائكة وجبريل وميكائيل والأنبياء المتقدمون، حين سأل إبراهيم عليه السلام إرساله ﷺ.

فقال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:١٢٩]، وقال موسى عليه السلام: رب اجعلني من أمة أحمد، وهو المراد من قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ [القصص:٤٤]، وبشّر به المسيح عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وأمّا الثاني: وهو أن يكون ذلك محمولاً على التعظيم، ففيه تنبيه على عظَمة العطية، لأن الواهب هو جبار السمٰوات والأرض، والموهوب له هو المشار إليه بكاف الخطاب في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، والهبة في الشيء المسمّى «بالكوثر»، وهو ما يفيد المبالغة في الكثرة، فقد أشعر اللفظ بعظم الواهب والموهوب، له، والموهوب فيا لها من نعمة ما أعظمها وما أجلّها ويا له من تشريف ما أعلاه.

الفائدة الثالثة: أن الهدية وإن كانت قليلة لكنها بسبب كونها واصلة من المُهدي العظيم

تصير عظيمة، ولذلك فإن الملك العظيم إذا رمى تفاحة لبعض عبيده على سبيل الإكرام بعد ذلك إكراماً عظيماً لا لأن لذّة الهدية في نفسها عظيمة، بل لأن صدورها في المهدي العظيم يوجب كونها عظيمة فهٰهنا الكوثر، وإن كان في نفسه في غاية الكثرة لكنه بسبب صدوره من ملك الخلائق يزداد عظمة وكمالاً.

الفائدة الرابعة: أنه تعالىٰ لما قال أعطيناك قرن به قرينة دالّة على أنه لا يسترجعها وذلك لأن من مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنه يجوز للأجنبي أن يسترجع موهوبه، فإن أخذ عوضاً وإن قل لم يجز له ذلك الرجوع لأن من وهب شيئاً يساوي ألف دينار إنساناً، ثم طلب منه مشطاً يساوي فلساً فأعطاه فقط حق الرجوع، فهٰهنا لما قال ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾، طلب منه الصلاة والنحر، وفائدته إسقاط حق الرجوع.

الفائدة الخامسة: إنه تعالىٰ بنى الفعل على المبتدأ وذلك يفيد التأكيد، والدليل عليه أنك لما ذكرت الاسم المحدث عنه عرف العقل أنه يخبر عنه بأمر فيصير مشتاقاً إلى معرفة أنه بماذا يخبر عنه، فإذا ذكر ذلك الخبر قبله قبول العاشق لمعشوقه، فيكون ذلك أبلغ في التحقيق ونفي الشبهة، ومن هٰهنا تعرف الفخامة في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الحج:٤٦]، فإنه أكثر فخامة، مما لو قال، فإن الأبصار تعمى، ومما يحقق قولنا قول الملك العظيم لمن يعده ويضمن له: أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بأمرك، وذلك إذا كان الموعود به أمراً عظيماً قلما تقع المسامحة به، فعظمه يورث الشك، في الوفاء به، فإذا أسند إلى المتكفل العظيم، فحينئذٍ يزول ذلك الشك وهٰذه الآية من هذا الباب لأن الكوثر شيء عظيم قلما تقع المسامحة به، فلما قدم المبتدأ وهو قوله: «إنا» صار ذلك الإسناد مزيلاً لذلك الشك، ودافعاً لتلك الشبهة.

الفائدة السادسة: إنه تعالىٰ صدر الجملة بحرف التأكيد الجاري مجرى القسم وكلام الصادق مصون عن الخلف، فكيف إذا بالغ في التأكيد.

الفائدة السابعة: قال تعالىٰ: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾، ولم يقل «سنعطيك»، لأن قوله: «أعطيناك» يدلّ على أن هذا الإعطاء كان حاصلاً في الماضي وهذا فيه أنواع من الفوائد:

أحدها: أن من كان في الزمان الماضي مؤيّداً عزيزاً مرعي الجانب مقضيّ الحاجة أشرف ممن سيصير كذلك، ولهذا قال ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1].

---

(١) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). وابن عراق في تنزيه الشريعة (٢: ٣٤١). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٧١). =

وثانيها: أنها إشارة إلى أن حكم الله بالإسعاد، والإشقاء، والإغناء، والإفقار ليس أمراً يحدث الآن بل كان حاصلاً في الأزل.

وثالثها: كأنه تعالىٰ يقول: إنّا قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في الوجود، فكيف نهمل أمرك بعد وجودك واشتغالك بالعبودية.

ورابعها: كأنه تعالىٰ يقول نحن ما اخترناك وما فضلناك لأجل طاعتك، وإلا كان يجب أن لا نعطيك إلا بعد إقدامك على الطاعة، بل إنما اخترناك بمجرد الفضل والإحسان منا إليك من غير موجب، وهو إشارة إلى قوله ﷺ قبل من قبل، لا لعلّة ورد من ردّ لا لعلة.

الفائدة الثامنة: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، ولم يقل: أعطينا الرسول، أو النبي، أو العالم، أو المطيع، لأنه لو قال ذلك لأشعر أن تلك العطية وقعت معلّلة بذلك الوصف.

فلما قال: «أعطيناك»، علم أن تلك العطية غير معلّلة بعلّة أصلاً، بل هي محض الاختيار والمشيئة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ [الزخرف: ٣٢] ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

الفائدة التاسعة: قال تعالىٰ أولاً: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، ثم قال ثانياً: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، وهذا يدلّ على أن إعطاءه تعالىٰ للتوفيق والإرشاد سابق على طاعاتنا، وكيف لا يكون كذلك، وإعطاؤه إيانا صفته وطاعتنا له صفتنا، وصفة الخلق لا تكون مؤثرة في صفة الخالق، إنما المؤثر هو صفة الخالق في صفة الخلق، ولهذا نقل عن الواسطي، أنه قال: لا أعبد رباً يرضيه طاعتي، ويسخطه معصيتي، ومعناه أن رضاه وسخطه تعالىٰ قديمان، وطاعتي ومعصيتي محدثتان.

والمحدث لا أثر له في القديم، بل رضاه تعالىٰ عن العبد هو الذي حمله على طاعته في ما لا يزال، وكذا القول في السخط والمعصية.

الفائدة العاشرة: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾، ولم يقل: آتيناك الكوثر، والسبب فيه أمران: **الأول**: إن الإيتاء يحتمل أن يكون واجباً وأن يكون تفضّلاً.

وأما الإعطاء فإنه بالتفضّل أشبه، فقوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، يعني: هذه الخيرات الكثيرة وهي الإسلام والقرآن والنبوّة والذكر الجميل في الدنيا والآخرة محض التفضّل منّا إليك، وليس منه شيء على سبيل الاستحقاق والوجوب، وفيه بشارة من وجهين: **أحدهما**: أن الكريم إذا شرع في العطية على سبيل التفضّل، فالظاهر أنه لا يبطلها بل كان كل يوم يزيد فيها.

الثاني: أن ما يكون سبب الاستحقاق فإنه يتقدر بقدر الاستحقاق وفعل العبد متناه، فيكون الاستحقاق الحاصل بسببه متناهياً. أمّا التفضّل فإنه نتيجة كرم الله وكرم الله غير متناهٍ، فيكون تفضله أيضاً غير متناهٍ، فلما دلّ قوله: ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ على أنه تفضل لا استحقاق أشعر ذلك بالدوام والتزايد أبداً.

أمّا الكوثر: فهو في اللغة «فَوْعَل» من الكثرة، وهو المفرط في الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بِمَ آب ابنكِ؟ قالت: آب بكوثر، أي: بالعدد الكثير. ويقال للرجل الكثير العطاء: كوثر. قال الكميت:

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن المقائل كوثرا

ويقال للغبار إذا سطع وكثر، كوثر، هذا معنى الكوثر في اللغة. واختلف المفسّرون فيه على وجوه:

الأول: وهو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف أنه نهر في الجنّة.

روى أنس عن النبيّ ﷺ قال: «رأيت نهراً في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فضربت بيدي إلى مجرى الماء، فإذا أنا بمسك أذفر، فقلت: ما هذا؟ قيل: الكوثر الذي أعطاك الله»[1]. وفي رواية أنس: «أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور خضر لها أعناق كأعناق البخت، من أكل من ذلك الطير وشرب من ذلك الماء فاز بالرضوان»[2]، ولعلّه إنما سمي ذلك النهر كوثراً إما لأنه أكثر أنهار الجنّة ماء وخيراً، أو لأنه انفجر منه أنهار الجنّة كما روي أنه ما في الجنّة بستان إلاّ وفيه من الكوثر نهر جار، أو لكثرة الذين يشربون منه، أو لكثرة ما فيه من المنافع على ما قال عليه السلام أنه نهر وعدنيه ربي فيه خير كثير.

القول الثاني: أنه حوض والأخبار فيه مشهورة ووجه التوفيق بين هذا القول والقول الأول أنه يقال لعل النهر ينصب في الحوض، أو لعلّ الأنهار إنما تسيل من ذلك الحوض، فيكون ذلك الحوض كالمنبع.

القول الثالث: الكوثر أولاده ﷺ قالوا: لأن هذه السورة إنما نزلت ردّاً على من عابه عليه الصّلاة والسلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلاً يبقون على مرّ الزمان فانظر كم قتل

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ١٦٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ٣٧). والطبراني في المعجم الكبير (٨: ١٨٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٥٧٠). وأحمد في المسند (٥: ٢٥٠). والهيثمي في موارد الظمآن (٢٦٢). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ٤١٨). وابن عبد البر في التمهيد (٢: ٢٩٤).

من أهل البيت، ثم العالم ممتلئ منهم ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر، والصادق، والكاظم، والرضا والنفس الزكية وأمثالهم رضي الله عنهم.

القول الرابع: الكوثر: علماء أمته وهو لعمري الخير الكثير لأنهم كأنبياء بني إسرائيل وهم يحيون ذكر رسول الله ﷺ وينشرون آثار دينه وأعلام شرعه، ووجه التشبيه أن الأنبياء كانوا متفقين على أصول معرفة الله مختلفين في الشريعة رحمة على الخلق ليصل كل أحد إلى ما هو صلاحه، كذا علماء أمته متفقون بأسرهم على أصول شرعه، لكنهم مختلفون في فروع الشريعة رحمة على الخلق، ثم الفضيلة من وجهين:

أحدهما: أنه يروى أنه يجاء يوم القيامة بكل نبي ويتبعه أمته فربما يجيء الرسول ومعه الرجل والرجلان، ويجاء بكل عالم من علماء أمّته ﷺ ومعه الألوف الكثيرة، فيجتمعون عند الرسول ﷺ، فربما يزيد عدد متبعي بعض العلماء على عدد متبعي ألف من الأنبياء.

الوجه الثاني: أنهم كانوا مصيبين لاتّباعهم النصوص المأخوذة من الوحي وعلماء هذه الأمة يكونون مصيبين مع الاستنباط والاجتهاد أو على قول البعض أن كان بعضهم مخطئاً، لكن المخطئ يكون أيضاً مأجوراً.

القول الخامس: الكوثر هو النبوة ولا شك أنها الخير الكثير لأنها المنزلة التي هي ثانية الربوبية ولهذا قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، وهو شطر الإيمان، بل هي كالغصن في معرفة الله تعالىٰ؛ لأن معرفة النبوّة لا بدّ وأن يتقدّمها معرفة ذات الله تعالىٰ وعلمه وقدرته وحكمه، ثم إذا حصلت معرفة النبوّة فحينئذٍ يستفاد منها معرفة بقية الصفات كالسمع والبصر والصفات الخبرية والوجدانية على قول بعضهم، ثم لرسولنا ﷺ الحظّ الأوفر من هذه المنقبة لأنه المذكور قبل سائر الأنبياء والمبعوث بعدهم، ثم هو مبعوث إلى الثقلين وهو الذي يحشر قبل كل الأنبياء، ولا يجوز ورود النسخ على شرعه وفضائله أكثر من أن تعدّ وتحصى ﷺ.

[ذكر بعض فضائله ﷺ]

ونذكر هنا قليلاً منها، فنقول: إن كتاب آدم عليه السلام كان كلمات على ما قال تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة: ٣٧]، وكتاب إبراهيم أيضاً كان كلمات على ما قال: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وكتاب موسى كان صحفاً كما قال: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٩].

أمّا كتاب محمد ﷺ فإنه هو الكتاب المهيمن على الكل قال: مهيمناً عليه وأيضاً فإن آدم عليه السلام إنما تحدى بالأسماء المنثورة، فقال أنبئوني بالماء هؤلاء ومحمد ﷺ آثماً.

إنما تحدّى بالمنظوم ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ﴾ [الإسراء:٨٨]. وأمّا نوح عليه السلام فإن الله أكرمه بأن أمسك سفينته على الماء وفعل في محمد ﷺ ما هو أعظم منه.

روي أن النبيّ ﷺ كان على شط ماء ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقال: لئن كنت صادقاً فادع ذلك الحجر الذي هو في الجانب الآخر فليسبح ولا يغرق، فأشار الرسول إليه فانقلع الحجر الذي أشار إليه من مكانه، وسبح حتى صار بين يدي الرسول ﷺ وسلّم عليه وشهد له بالرسالة، فقال له النبيّ ﷺ: «يكفيك هذا؟»[1] قال: حتى يرجع إلى مكانه. فأمره النبيّ ﷺ فرجع إلى مكانه.

وأكرم إبراهيم عليه السلام فجعل النار عليه برداً وسلاماً، وفعل في حقّ محمد ﷺ أعظم من ذلك.

عن محمد بن حاطب رضي الله عنهما قال: كنت طفلاً فانصب القدر عليَّ من النار، فاحترق جلدي كلّه، فحملتني أمّي إلى رسول الله ﷺ، وقالت: هذا ابن حاطب احترق كما ترى، فتفل رسول الله ﷺ على جلدي، ومسح بيده على المحترق منه، وقال: «أذهب البأس رب الناس»[2]، فصرت صحيحاً لا بأس بي.

وأكرم موسى عليه السلام ففلق له البحر في الأرض، وأكرم محمداً ﷺ ففلق له القمر فوق السماء، ثم انظر إلى فرق ما بين السماء والأرض، وفجّر له الماء من الحجر، وفجّر لمحمد ﷺ أصابعه عيوناً.

وأكرم موسى عليه السلام بأن ظلّل عليه الغمام، وكذا أكرم محمّداً ﷺ بذلك فكان الغمام بظلّه.

وأكرم موسى عليه السلام باليد البيضاء، وأكرم محمداً ﷺ بأعظم من ذلك، وهو القرآن العظيم الذي وصل نوره إلى الشرق والغرب وقلب الله عصا موسى عليه السلام ثعباناً، ولما أراد أبو جهل أن يرميه ﷺ بالحجر رأى على كتفيه ثعبانين، فانصرف مرعوباً، وسبحت الجبال مع داود عليه السلام، وسبحت الأحجار في يده، ويد أصحابه ﷺ وكان داود عليه السلام إذا مسح الحديد لان وكان هو ﷺ لما مسح الشاة الجرباء درّت.

---

(١) رواه ابن حجر في تغليق التعليق (١٩٣).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٢٤١). وأبو حنيفة في المسند (١٥٨).

وأكرم الله تعالىٰ داود عليه السلام بالطير المحشورة ومحمداً ﷺ بالبراق. وأكرم عيسى عليه السلام بإحياء الموتى وأكرمه ﷺ بجنس، ذلك حين أضافه اليهود بالشاة المسمومة، فلما وضع اللّقمة في فمه أخبرته وأبرأ الأكمه والأبرص.

وروي أن امرأة معاذ بن عفراء أتته، وكانت برصاء، وشكت ذلك إلى الرسول ﷺ، فمسح عليها رسول الله ﷺ بغصن، فأذهب الله البرص. وحين سقطت حدقة الرجل يوم، أُحد فرفعها وجاء بها إلى الرسول ﷺ، فردَّها إلى مكانها.

وكان عيسى عليه السّلام يعرف ما يخفيه الناس في بيوتهم، والرسول ﷺ عرف ما أخفاه عمه مع أم الفضل فأخبره، فأسلم العباس لذلك.

وأمّا سليمان عليه السلام، فإن الله تعالىٰ ردّ له الشمس مرّة وفعل ذلك أيضاً للرسول ﷺ حين نام ورأسه في حجر علي فانتبه وقد غربت الشمس، فردّها حتى صلّى، وردَّها مرة أخرى لعلي فصلّى العصر في وقته. وعلّم سليمان عليه السّلام منطق الطير، وفعل ذلك في حقّ محمد ﷺ.

وروي أن طيراً فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه ويكلّمه، فقال: «**أيكم فجع هذه بولدها**»؟ فقال رجل: أنا، فقال: «**اردد إليها ولدها**»[1]، وكلام الذئب معه مشهور. وأكرم سليمان عليه السّلام بمسيرة غدوة شهراً، وأكرمه ﷺ بالمسير إلى بيت المقدس في ساعة. وكان حماره يعفور يرسله إلى من يريد فيجيء إليه. وقد شكوا إليه من جمل أنه اغتلم وأنهم لا يقدرون عليه، فذهب إليه فلمّا رآه خضع له، وأرسل معاذاً إلى بعض النواحي، فلما وصل إلى المغارة فإذا أسد جاث فهاله ذلك، ولم يستجر أن يرجع، فتقدم وقال: «**إني رسول رسول الله**»[2]، فبصبص.

وكلما انقاد الجنّ لسليمان عليه السّلام، فكذا انقادوا لمحمد ﷺ. وحين جاء الأعرابي بالضب، وقال: لا أؤمن بك حتى يؤمن بك هذا الضب، فتكلم الضب معترفاً برسالته ﷺ. وحين كفل الظبية حين أرسلها الأعرابي رجعت تعدو حتى أخرجته من الكفالة. وحنَّ الجذع الذي كان يخطب عليه لفراقه حين صنعوا له المنبر ﷺ. وحين لسعت الحية عقب الصديق في الغار، قالت: كنت مشتاقة إليه منذ كذا سنين فلِمَ حجبتني عنه. وأطعم الخلق الكثير من الطعام القليل. ومعجزاته أكثر من أن تحصى وتعدّ، فلذا قدّمه الله على الذين اصطفاهم فقال:

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ١٧٣). والسيوطي في دلائل النبوة (٦: ٣٢).
(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ٣٠).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الاحزاب:٧]، فلما كانت رسالته ﷺ كذلك جاز أن يسمّيها الله تعالىٰ كوثراً، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

القول السادس: الكوثر: هو القرآن وفضائله لا تحصى، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩].

القول السابع: الكوثر: الإسلام، وهو لعمري الخير الكثير، فإن به يحصل خير الدنيا والآخرة وبفواته يفوت خير الدنيا وخير الآخرة، وكيف لا والإسلام عبارة عن المعرفة أو ما لا بدَّ فيه من المعرفة؟ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

وإذا كان الإسلام خيراً كثيراً، فهو الكوثر. فإن قيل: لم خَصَّه ﷺ بالإسلام مع أن نعمه عمَّت الكل. قلنا: لأن الإسلام وصل منه ﷺ إلى غيره، فكان عليه السّلام كالأصل فيه.

القول الثامن: الكوثر: كثرة الأتباع والأشياع، ولا شكَّ أن له ﷺ من الأتباع ما لا يحصيهم إلاّ الله تعالىٰ.

وروي أنه عليه الصّلاة والسّلام قال: «أنا دعوة خليل الله إبراهيم، وأنا بشرى عيسى، وأنا مقبول الشفاعة يوم القيامة، فبينا أكون مع الأنبياء إذ تظهر لنا أمة من الناس فنبتدرهم بأبصارنا ما منّا من نبيّ إلا وهو يرجو أن تكون أمّته، فإذا هم غرٌّ محجلون من آثار الوضوء، فأقول: أمتي وربِّ الكعبة، فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثم يظهر لنا مثلما ظهر أولاً فنبتدرهم بأبصارنا ما من نبيّ إلا ويرجو أن تكون أمّته فإذا هم غرٌّ محجلون من آثار الوضوء، فأقول: أمّتي ورب الكعبة فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثم يرفع لنا ثلاثة أمثال ما قد رفع فنبتدرهم»[1]. وذكر ﷺ كما ذكر في المرة الأولى والثانية، ثم قال: «ليدخلن ثلاث فرق من أمّتي الجنّة قبل أن يدخلها أحد من الناس»[2].

---

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في التفسير (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). السيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩).

(٢) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٩). والقرطبي في التفسير (٢: ١٣١). والألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٤٥). والطبري في التفسير (١: ٤٣٥). والسيوطي في الدر المنثور (١: ١٣٩). والبغوي في شرح السنة (١: ١١١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٣٣). السيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٩).

=

ولقد قال ﷺ: «تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة، ولو بالسقط»(١). فإذا كان ﷺ يباهي بمن لم يبلغ حدّ التكليف، فكيف بمثل هذا الجمّ الغفير؟ فلا جرم حسن منه تعالىٰ أن يذكر هذه النعمة الجسيمة، فقال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

القول التاسع: الكوثر: الفضائل الكثيرة التي فيه ﷺ، فإنه باتفاق الأمة أفضل من جميع الأنبياء. قال المفضل بن سلمة: يقال رجل كوثر إذا كان سخياً كثير الخير. وفي صحاح اللغة: الكوثر السيد الكثير الخيّر.

فلما رزق الله تعالىٰ محمداً ﷺ هذه الفضائل العظيمة حسن منه تعالىٰ أن يذكره تلك النعمة الجسيمة، فيقول: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾.

القول العاشر: الكوثر: رفعة الذكر، وقد مرَّ تفسيره في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

القول الحادي عشر: أنه العلم، قالوا: وحمل الكوثر على هذا أولى لوجوه:

أحدها: أن العلم هو الخير الكثير، قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، وأمره ﷺ بطلب العلم فقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وسمّى الحكمة خيراً كثيراً فقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢].

وثانيها: أن إما أن نحمل الكوثر على نعم الآخرة أو على نعم الدنيا، والأول غير جائز؛ لأنه قال: «أعطيناك»، ونعم الجنة سيعطيها لا أنه أعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل إليه ﷺ في الدنيا، وأشرف الأمور الواصلة إليه في الدنيا هو العلم والنبوّة داخلة في العلم، فوجب حمل اللفظ على العلم.

وثالثها: إنه تعالىٰ لما قال: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، قال عقيبه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، والشيء الذي يكون متقدماً على العبادة هو المعرفة، ولذلك قال تعالىٰ في سورة النحل: ﴿أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالىٰ في سورة طَه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]، فقدّم في السورتين المعرفة على العبادة، ولأن فاء التعقيب في قوله: «فصلِّ» تدلّ على أن إعطاء الكوثر كالموجب لهذه العبادة، ومعلوم أن الموجب للعبادة ليس إلاّ للعلم.

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١ : ١٩٠). والعجلوني في كشف الخفا (١ : ٣٨٠).

القول الثاني عشر: إن الكوثر هو الخلق الحسن، قالوا: الانتفاع بالخلق الحسن عام ينتفع به العالم والجاهل والبهيمة والعاقل، فأمّا الانتفاع بالعلم فهو مختصّ بالعقلاء، فكان نفع الخلق الحسن أعمّ، فوجب حمل الكوثر عليه، ولقد كان ﷺ كذلك كان للأمّة كالوالد يحل عقدهم ويكفي مهمهم، ويلغ حسن خلقه إلى أنهم لما كسروا سنّه ﷺ قال: «اللّهمّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[1].

القول الثالث عشر: الكوثر: هو المقام المحمود الذي هو الشفاعة، ففي الدنيا قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وفي الآخرة قال ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي»[2].

وعن أبي هريرة قال عليه الصّلاة والسّلام: «إن لكل نبيّ دعوة مستجابة، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة»[3].

القول الرابع عشر: أن المراد من الكوثر هو هذه السورة، قال: وذلك لأنها مع قصرها وافية بجميع منافع الدنيا والآخرة، وذلك لأنها مشتملة على المعجز من وجوه:

أوّلها: أنا إذا حملنا الكوثر على كثرة الاتباع أو على كثرة الأولاد وعدم انقطاع النسل كان هذا إخباراً عن الغيب، وقد وقع مطابقاً له فكان معجزاً.

وثانيها: أنه قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وهو إشارة إلى زوال الفقر حتى يقدر على النحر، وقد وقع فيكون هذا أيضاً إخباراً عن الغيب.

وثالثها: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، وكان الأمر على ما أخبر، فكان معجزاً.

ورابعها: أنهم عجزوا عن معارضتها مع صغرها، فثبت أن وجه الإعجاز في كمال القرآن إنما تقرّر بها لأنهم لما عجزوا عن معارضتها مع صغرها، فبأن يعجزوا عن معارضة كل القرآن أوْلى، ولما ظهر وجه الإعجاز فيها من هذه الوجوه فقد تقرّرت النبوّة، وإذا تقرّرت النبوّة فقد تقرّر التوحيد، ومعرفة الصانع، وتقرّر الدين والإسلام، وتقرّر أن القرآن كلام الله تعالىٰ، وإذا تقرّرت هذه الأشياء تقرّر جميع خيرات الدنيا والآخرة، فهذه السورة جارية مجرى النكتة المختصرة القوية، الوافية بإثبات جميع المقاصد، فكانت صغيرة في الصورة كبيرة في المعنى،

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٨: ٢٥٨). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٩٨).
(٢) رواه أحمد في المسند (٣: ٢٩٢).
(٣) رواه أحمد في المسند (٣: ٢٩٢).

ثم لها خاصيّة ليست لغيرها، وهي أنها ثلاث آيات وقد بيّنا أن كل واحدة منها معجزة، فهي بكل واحدة من آياتها معجز وبمجموعها معجز، وهذه الخاصية لا توجد في سائر السور، فيحتمل أن يكون المراد من الكوثر هو هذه السورة.

القول الخامس عشر: أن المراد من الكوثر جميع نعم الله تعالىٰ على محمد ﷺ، وهو المنقول عن ابن عباس رضي الله عنهما، لأن لفظ الكوثر يتناول النعم الكثيرة، فليس حمل الآية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقي، فوجب حملها على الكلّ.

روي أن سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس، قال له بعضهم: إن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنّة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنّة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه ﷺ.

وقال بعض العلماء: ظاهر قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، يقتضي أنه تعالىٰ قد أعطاه ذلك الكوثر، فيجب أن يكون الأقرب حمله على ما آتاه الله تعالىٰ من النبوّة والقرآن والذكر الحكيم والنصر على الأعداء، وأما الحوض وسائر ما أعدّ له من الثواب، فهو وإن جاز أن يقال: إنه داخل فيه لأن ماث بت بحكم وعد الله تعالىٰ فهو كالواقع إلا أن الحقيقة ما قدّمناه، لأن ذلك وإن أعدّ له ﷺ فلا يصح أن يقال على الحقيقة أنه أعطاه في حال نزول هذه السورة بمكّة، ويمكن أن يجاب عنه بأن من أقرّ لولده الصغير بضيعة له يصح أن يقال: إنه أعطاه تلك الضيعة مع أن الصبي في تلك الحالة لا يكون أهلاً للتصرّف، والله أعلم.

قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، فيه مسائل:

المسألة الأولى: في قوله تعالىٰ: ﴿فَصَلِّ﴾ وجوه:

الأول: أن المراد هو الأمر بالصلاة.

القول الثاني: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، أي فاشكر لربك، وهو قول مجاهد وعكرمة.

القول الثالث: ﴿فَصَلِّ﴾، أي فادع الله لأن الصلاة هي الدعاء.

المسألة الثانية: في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، والمراد نحر البدن، وهو قول عامّة المفسّرين.

المسألة الثالثة: اختلف من فسر قوله: «فصل» بالصلاة على وجوه:

الأوّل: أنه تعالىٰ لما أراد بالصلاة جنس الصلاة، لأنهم كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله، فأمره تعالىٰ أن لا يصلّي ولا ينحر إلاّ لله تعالىٰ.

القول الثاني: أراد صلاة العيد والأضحية، كانوا يقدمون الأضحية على الصّلاة، فنزلت هذه الآية.

القول الثالث: عن سعيد بن جبير: صلِّ الفجر بالمزدلفة وانحر بمنى. وذكر فوائد أخرى، ثم قال في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، الكفار لما شتموه ﷺ بقولهم: «إنه أبتر» حينما مات أولاده الذكور أجاب عنه الله تعالىٰ من غير واسطة، فقال: «إن شانئك هو الأبتر».

وهكذا سنّة الحبيب، فإن الحبيب إذا سمع من يشتم حبيبه تولّى بنفسه جوابه، فههنا تولّى الحق سبحانه جوابهم، وذكر مثل ذلك في مواضع حين قالوا: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ [سبا: ٧ - ٨]، فقال سبحانه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبا: ٨]، وحين قالوا: «هو مجنون»، أقسم ثم قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

ولما قالوا: «لست مرسلاً» أجاب تعالىٰ، فقال: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١ - ٤]، وحين قالوا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: ٣٦]، رد عليهم تعالىٰ وقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧]، فصدّق ﷺ، ثم ذكر وعيد خصمائه وقال: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٨]، وحين قال تعالىٰ حاكياً عنهم: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩].

ولمّا حكى تعالىٰ عنهم قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، هم كاذبين بقوله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤]، ولما قالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، أجابهم تعالىٰ فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، فما أجلَّ هذه الكرامة.

ثم ذكر رحمه الله تعالىٰ فوائد أخرى، وقال في آخرها: ومن لطائف هذه السورة أن كل أحد من الكفار وصف رسول الله ﷺ بوصف فوصفه بعضهم بأنه لا ولد له، وآخر بأنه لا معين له، ولا ناصر له، وآخر بأنه لا يبقى له ذكر، فالله سبحانه مدحه مدحاً أدخل فيه كل الفضائل، وهو قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، لأنه لما لم يقيّد ذلك الكوثر بشيء دون شيء لا جرم تناول جميع خيرات الدنيا والآخرة، ثم أمره تعالىٰ حال حياته ﷺ بمجموع الطاعات؛ لأن الطاعات إمّا أن تكون طاعة البدن أو طاعة القلب.

أمّا طاعة البدن فأفضله شيئان، لأن طاعة البدن هي الصلاة، وطاعة المال هي الزكاة.

وأما طاعة القلب فهي أن لا يأتي بشيء إلا لأجل الله تعالىٰ، و«اللام» في قوله: «لربك» يدلّ على هذه الحالة، ثم كأنه تعالىٰ نبّه على أن طاعة القلب لا تحصل إلاّ بعد حصول طاعة البدن، فقدّم طاعة البدن في الذكر، وهو قوله تعالىٰ: «فصلِّ»، وأخّر اللام الدالّة على طاعة القلب تنبيهاً على فساد مذهب أهل الإباحة في قولهم: إن العبد قد يستغني بطاعة قلبه عن طاعة جوارحه، فهذه اللام تدلّ على بطلان مذهب الإباحة وعلى أنه لا بدّ من الإخلاص.

ثم نبّه تعالىٰ بلفظ الربّ على علوّ حاله ﷺ في المعاد كأنه تعالىٰ يقول له ﷺ: «كنت ربيتك قبل وجودك أفأترك تربيتك بعد مواظبتك على هذه الطاعات»، ثم كما تكفَّل تعالىٰ أولاً بإفاضة النعم عليه ﷺ تكفَّل في آخر السورة بالذبّ عنه وإبطال قول أعدائه ﷺ، وفيه إشارة إلى أنه سبحانه وتعالىٰ هو الأوّل بإفاضة النعم والآخر بتكميل النعم في الدنيا والآخرة، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم اهـ.

ومنهم العارف الكبير الشهير سيدي عمر ابن الفارض[1] المتوفى سنة ٦٣٢ هـ

وشارح تائيته الكبرى الإمام العلامة الشيخ عبد الرزاق الكاشاني رضي الله عنهما

فمن جواهر سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه

[ذكر معجزات الرسل]

قوله في تائيته الكبرى ذاكراً بعض معجزات جماعة من المرسلين صلوات الله عليهم، وإنها اجتمعت لسيّدنا محمد ﷺ:

بذاك علا الطوفانَ نوح وقد نجا ... به مَن نجا من قومه في السفينةِ
وغاض له ما فاض عنه استجادة ... وجدّ إلى الجُودِيِ بها فاستقرتِ
وسار ومتن الريح تحت بساطه ... سليمان بالجيشين فوق البسيطة
وقبل ارتداد الطرف أحضر من سبا ... له عرش بلقيس بغير مشقّة
وأخمد إبراهيم نار عدوّه ... وعن نوره عادت له روض جنّة
ولما دعا الأطيار من كل شاهق ... وقد ذبحت جاءَته غير عصية
ومن يده موسى عصاه تلقفت ... من السحر أهوالاً على النفس شقّت
ومن حجر أجرى عيوناً بضربة ... بها ديماً سَقّت وللبحر شقت
ويوسف إذ ألقى البشير قميصه ... على وجه يعقوب إليه بأُوبة
رآه بعين قبل مقدمه بكى ... عليه بها شوقاً إليه فكُفّت
وفي آل إسرائيل مائدة من ... السماء لعيسى أنزلت ثم مدّت
ومن أكمه أبرى ومن وضح عدا ... شفى وأعاد الطين طيراً بنفخة
وسر انفعالات الظواهر باطناً ... عن الأذن ما ألقت بإذنك صيغت
وجاء بأسرار الجميع مُفيضها ... علينا لهم ختماً على حين فترة

---

(١) هو عمر بن علي بن مرشد بن علي، الحموي الأصل ولد سنة ٥٧٦ هـ، وتوفي سنة ٦٣٢ هـ.

قال شارحها المذكور الشيخ عبد الرزاق الكاشاني: وهذه المعجزات وأمثالها مفصّلة في جميع الأنبياء مجموعة في خاتمهم محمد ﷺ وعليهم أجمعين، كما قال: وجاء بأسرار الجميع مفيضها إلى آخر البيت المذكور، أي جاء بأسرار جميع الانفعالات التي هي آثار المعجزات الحاصلة للأنبياء عليهم السّلام وعلى نبيّنا محمد ﷺ الذي أفاضها علينا لأجل الختم، على زمان فترة وانقطاع رسالة.

والمراد أنه لما كان خاتم الأنبياء جمع جميع أسرارهم التي هي الآثار والانفعالات المنسوبة إليهم؛ إذ جميع القرآن هو صورة تفاصيل أحواله وأخلاقه ﷺ، كما قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: كان خلقه القرآن. فجميع الأنبياء مظاهر تفاصيل أحواله وأخلاقه ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلق رسول الله ﷺ: كان خلقه القرآن. فجميع الأنبياء مظاهر تفاصيل أحواله وأخلاقه ﷺ قد بدا للخلق في صورة كل نبيّ ومرسل سرّ من أسراره ﷺ.

وكان أي ذلك النبيّ داعياً إلى الله تعالىٰ قومه بذلك السرّ بتبعية الرسول ﷺ؛ كما قال، أي ابن الفارض رضي الله عنه:

وما منهم إلا وقد كان داعياً ... به قومه للحق عن تبعية

أي: وما أحد من الأنبياء إلا كان داعياً قومه إلي الحق دعوة صادرة عن تبعيّته ﷺ، وكما أن الأنبياء قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا رسلاً إلى قومهم بما نالوا من تفاصيل أسراره، كان علماء أمّته بعده كالأنبياء قبله، من حيث إنهم داعون للخلق إلى الحقّ على متابعته ﷺ بواسطة ما نالوا من تفاصيل أسراره وأحواله وأخلاقه ﷺ، ولم يسموا أنبياء لأنهم بعثوا بعد الختم، والأنبياء مبعوثون قبله ﷺ.

ومن جواهر ابن الفارض رضي الله عنه

[في شرح قول من التائية]

قوله من تائيّته أيضاً على لسان النبيّ ﷺ:

وأهل تلقي الروح باسمي دعوا إلى ... سبيلي وحجوا الملحدين بحجتي

قال شارحها الكاشاني المذكور رضي الله عنه: الأخذ، والمراد بأهل تلقّي الروح: الأنبياء، والمراد بالروح جبريل، وبالسبيل طريق التوحيد، وبالاسم ما غلب على كل شيء من الأسماء الإلٰهية الذي به دعا قومه.

وكان إعجازه نتيجة ذلك الاسم كالمحيي الذي أحيا عيسى عليه السّلام به الموتى، وأعجز به قومه عن الإتيان بمثله، وصار دليل نبوّته ﷺ وصدقه وغلب على المنكرين له.

وقوله: حجوا، أي أغلبوا بالحجة، والملحد من مال عن الطريق القويم والدين المستقيم، يعني أن الأنبياء الذين تلقوا الوحي من جبريل عليه السّلام ودعوا الخلق إلى سبيل التوحيد بما خصّصتهم من الأسماء الإلٰهية الموهوبة لي كعيسى عليه السلام الذي دعا قومه إلى الله تعالىٰ باسم الخالق والمحيي والمبرئ؛ كما دلّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ [المائدة: ١١٠] الآية، وغلبوا على الجاحدين بحجتي، وهي أنهم تحدّوهم بأن يأتوا بمثل ما أتوا به من المعجزات فلم يقدروا على الإتيان به، وأضاف حجتهم إلى نفسه بطريق الحكاية عن صدر الرّسالة ﷺ، ثم قال على لسانه ﷺ:

وكلهمُ عن سبق معناي دائر ... بدائرتي أو وارد من شريعتي

قال الشارح: أراد بكلهم: كل واحد من الأنبياء، وبمعناي: روح النبيّ ﷺ التي سبقت أرواح الأنبياء عليهم السّلام، وبدائرتي: دائرة نبوّة محمد ﷺ، وصرح بتقدمه ﷺ على جميع الأنبياء بقوله رضي الله عنه على لسانه ﷺ:

وإني وإن كنت ابنَ آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

قال الشارح: يعني وإني أصل آدم وأبوه من حيث المعنى وإن كنت فرعه، وابنَه من حيث الصورة، وذلك لأن حقيقة الرسول ﷺ ومعناه هو الروح الإضافي الذي نفخ منه نفخة في آدم هي روحه، ومعناه: فمعناه ﷺ أصل معنى آدم عليه السلام، ثم قال:

ونفسي عن حِجْر التجلي برشدها ... تخلت وفي حِجْر التجلي تربت

وفي المهد حزبي الأنبياء وفي عنا ... صريْ لوحيَ المحفوظ والفتح سورتي

وقبل فصالي دون تكليف ظاهري ... ختمت بشرعي الموضحي كلّ شرعة

فهم والأُلى قالوا بقولهمُ على ... صراطيَ لم يعدوا مواطئ مشيتي

قال الشارح: يعني والنبيون الذين أوضحوا الشرائع والذين قالوا بقولهم وتمسّكوا بشرعهم من الأولياء قائمون على صراطي المستقيم ومنهجي القويم، والحال أنهم لم يجاوزوا موضع وطأ مشيتي، وذلك أني برزت في كل منهم بوصف معين واسم خاص، فظهرت فيهم بجميع أوصافي وأسمائي، فالماشي على الصراط في الحقيقة أنا، وهم يتبعون مواطئ سيري. ولما جمع كمال النبيّ ﷺ متفرّقات أوصاف الكمال المنقسم على السابقين واللاّحقين من الأنبياء والأولياء كانت تحت يده وفي تصرّفه؛ كما قال رضي الله عنه حاكياً عنه ﷺ:

فَيُمْنُ الدعاة السابقين عليّ في ... يميني ويُسر اللاحقين بيسرتي

ولا تحسبنّ الأمر عنيَ خارجاً   فما ساد إلا داخل في عبودتي

قال الشارح: أي لا تظننّ أمر الدعوة والتكميل خارجاً عني لأنه ما صار أحد سيّد القوم إلاّ من دخل في طاعتي، وفي اتّباعي لأني قطب الوجود وأصل الشهود ومأخذ العهود، كما قال:

فلولاي لم يوجد وجود ولم يكن   شهود ولم تعهد عهود بذمة

قال الشارح: وإنما لم يوجد وجود إلاّ به ﷺ لأنه صورة الروح الأعظم وهو رابطة الإيجاد، وكذا لم يكن شهود للمكاشفين إلاّ به لأن الشهود صفة الروح وروحه ﷺ أصل الأرواح، وكذا لم يرع عهود مع ذمة ووفاء إلاّ به ﷺ لأنه هو الذي أخذ عليه الميثاق أولاً في العهد الأزليّ، ثم أوفى بعده ﷺ، وكل ذي عهد أوفى بعهده الأزليّ من الذوات المأخوذ عليهم الميثاق عهده مستفاد من عهده ﷺ، ثم أخذ في بسط القول ليفصّل ما أجمل من معنى البيت بقوله على لسانه ﷺ:

فلا حي إلا عن حياتي حياته   وطوع مرادي كل نفس مريدة
ولا قائل إلا بلفظي محدِث   ولا ناظر إلا بناظر مقلتي
ولا منصت إلا بسمعيَ سامع   ولا باطش إلا بأزْلي وشدّتي
ولا ناطق غيري ولا ناظر ولا   سميع سوائي من جميع الخليقة

قال الشارح: ثم أخبر عن شمول وجوده ﷺ كل العوالم من الشهادة والغيب والملكوت والجبروت وعموم ظهوره ﷺ قوله رضي الله عنه:

وفي عالم التركيب في كل صورة   ظهرت بمعنى عنه بالحسن زِينَت
وفي كل معنى لم تبنه مظاهري   تصوّرت لا في هيئة هيكليّة
وفيما تراه الروح كشف فراسة   خفيت عن المعنى المعنّي بدقّة

قال الشارح: أي وفي عالم الشهادة الذي هو عالم التركيب والصور ظهرت في كل صورة بمعنى الجمال الذي زينت الصورة عنه بالحسن، وفي عالم الغيب الذي هو باطن الشهادة صرت مقصوداً في كل معنى لم تظهره ظواهر الوجود التي هي مظاهري، أي تصوّرت في هيئة معنوية لا هيكلية جسمانية، وفي عالم الملكوت والجبروت الذي هو باطن الباطن، وغيب الغيب.

خفيت بسبب دقّتي ولطافتي عن المعنى الفكري الذي يُعَنَّى به الفكر في صورة الأسماء والصفات التي يراها الروح بطريق كشف وفراسة وبداهة من غير تعنٍّ وكلفة، يعني أنا الذي ظهرت في الصورة الحسّية، والعقلية، والروحية للحس، والعقل، والروح، لكن خفيت في الصورة الروحية عن العقل الذي يدرك المعاني المعنِيّة كما خفيت في الصور العقلية عن الحس الذي يدرك الصور الهيكلية.

ومنهم الإمام الكبير سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ

فمن جواهره رضي الله عنه

[رسالته بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ]

قوله في رسالته المسماة بداية السول في تفضيل الرسول، وهذا نصّها بعد البسملة والحمدلة:

قال الله تعالىٰ لنبيّنا محمد صلوات الله عليه وسلامه ممتناً عليه معرّفاً لقدره لديه: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥]، ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة:٢٥٣].

الفصل الأوّل: مدح في أصل المفاضلة، والثاني: في تضعيف المفاضلة بدرجات، ونكرها تنكير التعظيم بمعنى درجات عظيمة، وقد فضّل الله تعالىٰ نبينا محمّداً ﷺ من وجوه:

أوّلها: أنه ساد الكل، فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»(١)، والسيّد من اتّصف بالصفات العليّة والأخلاق السنية، وهذا مشعر بأنه أفضل منهم في الدارين. أمّا في الدنيا، فلما اتّصف به من الأخلاق المذكورة.

وأمّا في الآخرة فلأن جزاء الآخرة مرتّب على الأوصاف والأخلاق، فإذا فضّلهم في الدنيا في المناقب والصفات فضّلهم في الآخرة في المراتب والدرجات.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠). والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين (٢٩).

وإنما قال ﷺ: «أنا سيّد ولد آدم، ولا فخر»(١)، ليعرّف أمّته منزلته عند ربّه عزّ وجلّ، ولما كان من ذكر مناقب نفسه إنما يذكرها افتخاراً في الغالب أراد ﷺ أن يقطع وهم من يتوّهم من الجهلة أنه ذكر ذلك افتخاراً، فقال: «ولا فخر»(٢).

ومنها: قوله ﷺ: «وبيدي لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر»(٣).

ومنها: قوله ﷺ: «آدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة، ولا فخر»(٤)، وهذه الخصائص تدلّ على علوّ مرتبته على آدم وغيره، ولا معنى للتفضيل إلا التخصيص بالمناقب والمراتب.

ومنها: أن الله أخبره ﷺ بأنه غفر له ما تقدّم من ذنبه، وما تأخّر ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم لأن كل واحد منهم إذا طلب منه الشفاعة في الموقف ذكر خطيئته التي أصاب، وقال: نفسي نفسي.

ولو علم كل واحد منهم بغفران خطيئته لم يؤجل منها في ذلك المقام، وإذا استشفعت الخلائق بالنبيّ ﷺ في ذلك المقام، قال: «أنا لها»(٥).

أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع وهذا يدل على تخصيصه وتفضيله ﷺ ومنها: إيثاره ﷺ على نفسه بدعوته، إذ جعل الله لكل نبي دعوة مستجابة، فكل منهم تعجّل دعوته في الدنيا وأخبأ هو ﷺ دعوته شفاعة لأمّته.

ومنها: أن الله تعالىٰ أقسم بحياته ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠). والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين (٢٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠). والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين (٢٩).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠). والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين (٢٩).

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠). والخطابي في إصلاح خطأ المحدثين (٢٩).

(٥) رواه ابن كثير في التفسير (٨: ٤٢١)، والبداية والنهاية (١: ١٧١).

[الحجر: ٧٢]، والإقسام بحياته ﷺ يدلّ على شرف حياته وعزّتها عند المقسم بها، وإن حياته ﷺ لجديرة أن يقسم بها لما كان فيها من البركة العامّة والخاصّة، ولم يثبت هذا لغيره.

ومنها: أن الله تعالىٰ وقره في ندائه، فناداه بأحبّ أسمائه وأسنى أوصافه ﷺ، قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١]، وهذه الخصيصة لم تثبت لغيره، بل إن كلاً منهم نودي باسمه، فقال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [البقرة: ٣٥]، ﴿ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ [القصص: ٢٨]، ﴿ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ ﴾ [هود: ١١]، ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [مريم: ١٢]، ولا يخفى على أحد أن السيد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وجد فيهم من الأوصاف العليّة والأخلاق السنيّة، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تشعر بوصف من الأوصاف ولا بخلق من الأخلاق أن منزلة من دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزّ عليه وأقرب إليه ممن دعاه باسمه العلم، وهذا معلوم بالعرف أن من دُعي بأفضل أسمائه وأخلاقه وأوصافه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه، حتى قال القائل: ولا تدعني إلا بيا عبدها، فإنه أشرف أسمائي.

ومنها: أن معجزة كل نبيّ تصرمت ونقضت، ومعجزة سيد الأوّلين والآخرين ﷺ، وهي القرآن العظيم باقية إلى يوم الدين.

ومنها: تسليم الحجر عليه، وحنين الجذع إليه ﷺ، ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك.

ومنها: أنه وجد في معجزاته ﷺ ما هو أظهر في الإعجاز من معجزات غيره، كتفجر الماء من بين أصابعه، فإنه أبلغ في خرق العادة من تفجّره من الحجر، لأن جنس الأحجار مما يتفجّر منه الماء، فكانت معجزاته ﷺ بانفجار الماء من بين أصابعه أبلغ من انفجار الحجر لموسى.

ومنها: أن عيسى أبرأ الأكمه مع بقاء عينه في مقرّها، ورسول الله ﷺ ردّ العين بعد أن سالت على الخدّ، ففيه معجزة من وجهين: أحدهما: التئامها بعد سيلانها، والآخر: ردّ البصر إليها بعد فقده منها.

ومنها: أن الأموات الذين أحياهم ﷺ من الكفر بالإيمان أكثر عدداً ممن أحياهم عيسى بحياة الأبدان، وشتان بين حياة الإيمان وحياة الأبدان.

ومنها: أن الله يكتب لكل نبيّ من الأنبياء من الأجر بقدر أعمال أمّته وأحوالها وأقوالها.

وأمّته ﷺ شطر أهل الجنّة، وقد أخبر الله تعالىٰ أنّهم خير أمّة أخرجت للناس، وإنما كانوا خير الأمم لما اتّصفوا به من المعارف، والأحوال، والأقوال. فما من معرفة، ولا حالة، ولا عبادة، ولا مقالة، ولا شيء يتقرّب به إلى الله عزّ وجلّ مما دلّ رسول الله ﷺ ودعا إليه إلاّ وله أجر من عمل به إلى يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة»[1]، ولا يبلغ أحد من الأنبياء إلى هذه المرتبة، وقد جاء في الحديث: «الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»، فإذا كان ﷺ قد نفع شطر أهل الجنّة وغيره من الأنبياء إنما نفع جزء الشطر كانت منزلته ﷺ في القرب على قدر منزلته في النفع، فما من عارف من أمّته إلاّ وله ﷺ مثل أجر معرفته مضافاً إلى معارفه، وما من ذي حال من أمّته إلا وله مثل أجره على حاله مضموماً إلى أحواله ﷺ، وما من ذي مقال يتقرّب به إلى الله تعالىٰ إلا وله ﷺ مثل أجر ذلك القول مضموماً إلى مقالته وتبليغ رسالته، وما من عمل من الأعمال المقرّبة إلى الله عزّ وجلّ من صلاة، وزكاة، وعتق، وجهاد، وبرّ، ومعروف، وذكر، وصبر، وعفو، وصفح إلاّ وله ﷺ مثل أجر عامله مضموماً إلى أجره على أعماله، وما من درجة عالية ومرتبة سنية نالها أحد من أمّته بإرشاده ودلالته إلاّ وله مثل أجرها مضموماً إلى درجته ﷺ ومرتبته، ويتضاعف ذلك بأن من دعا من أمّته إلى هدى أو سنّ سنّة حسنة كان له أجر من عمل بذلك على عدد العاملين. ثم يكون هذا المضاعف لنبيّنا ﷺ لأنه دلّ عليه وأرسل إليه، ولأجل هذا بكى موسى عليه السّلام ليلة الإسراء بكاء غبطة غبط بها النبيّ ﷺ إذ يدخل من أمّته الجنّة أكثر مما يدخل من أمّة موسى، ولم يبكِ حسداً كما يتوهم بعض الجهلة، وإنما بكى أسفاً على ما فاته من مثل مرتبته.

ومنها: أن الله عزّ وجلّ أرسل كل نبيّ إلى قومه خاصّة وأرسل نبيّنا ﷺ إلى الجنّ والإنس، فلكل نبيّ من الأنبياء ثواب تبليغه إلى أمّته ولنبيّنا ﷺ ثواب التبليغ إلى كل من أرسل إليه تارة بمباشرة الإبلاغ، وتارة بالسبب إليه. ولذلك تمنّن الله عليه فقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥١]، ووجه التمنّن، أنه لو بعث في كل قرية نذيراً، لما حصل لرسول الله ﷺ إلا أجر إنذاره لأهل قريته.

ومنها: أن الله تعالىٰ كلّم موسى بالطور وبالوادي المقدّس، وكلّم نبيّنا ﷺ فوق سدرة المنتهى، وفي المقام الأعلى.

ومنها: أنه ﷺ قال: «نحن الآخرون من أهل الدنيا والأوّلون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق، ونحن أوّل من يدخل الجنّة»[2].

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن (٢٠٦). بمعناه.
(٢) رواه التبريزي في مشكاة المصابيح (١٣٥٥). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ١٣٥).

ومنها: أنه كما ذكر السُّؤدد مطلقاً، فقد قيده بيوم القيامة، فقال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشقّ عنه القبر، وأوّل شافع وأول مشفع»[1].

ومنها: أنه ﷺ أخبر أنه يرغب إليه الخلق كلّهم يوم القيامة حتى إبراهيم.

ومنها: أنه قال ﷺ: «الوسيلة منزلة في الجنّة لا تنبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة»[2].

ومنها: أنه ﷺ يدخل من أمّته الجنّة سبعون ألفاً بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره.

ومنها: الكوثر الذي أعطيه ﷺ في الجنّة، والحوض الذي أعطيه في الموقف.

ومنها: قوله ﷺ: «نحن الآخرون والسابقون»[3]، أي الآخرون زماناً السابقون بالمناقب والفضائل.

ومنها: أنه ﷺ أحلت له الغنائم، ولم تحل لأحد قبله، وجعلت صفوف أمّته كصفوف الملائكة، وجعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً، وهذه الخصائص تدلّ على علوّ مرتبته.

ومنها: أن الله تعالىٰ أثنى على خُلقه ﷺ، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]، واستعظام العظماء لشيء يدلّ على إيغاله في العظمة، فما الظنّ باستعظام أعظم العظماء.

ومنها: أن الله تعالىٰ كلّمه ﷺ بأنواع الوحي، وهي ثلاثة: أحدها: الرؤيا الصالحة، والثاني: الكلام من غير واسطة، والثالث: مع جبريل عليه السّلام.

ومنها: أن كتابه ﷺ مشتمل على جميع ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل والزبور وفضل بالمفصل.

ومنها: أن أمّته أقل عملاً ممن قبلهم وأكثر أجراً، كما جاء في الحديث.

ومنها: أن الله عزّ وجلّ عرض عليه ﷺ مفاتيح كنوز الأرض وخيّره بين أن يكون نبيّاً ملكاً، أو نبياً عبداً، فاستشار جبريل فأشار عليه أن تواضع، فقال: «بل نبياً عبداً أجوع يوماً

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ٣). والترمذي في السنن (٣١٤٨). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٩). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٥٧٤١). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٠٤). والقرطبي في التفسير ٣ ٢٦٢ والبغوي في شرح السنة (٤: ١٧٨).

(٢) رواه أبو عوانة (١: ٣٣٦).

(٣) رواه حميدي في المسند (٩٥٤).

وأشبع يوماً، فإذا جعت دعوت الله، وإذا شبعت شكرت الله»[1]، فقد اختار ﷺ أن يكون مشغولاً بالله في طوري الشدّة والرخاء والنعمة والبلاء.

ومنها: أن الله أرسله ﷺ رحمة للعالمين، فأمهل عصاة أمّته ولم يعاجلهم إبقاء عليهم بخلاف من تقدّمه من أمم الأنبياء، فإنهم لما كذبوا عوجل مكذّبوهم.

وأمّا أخلاقه ﷺ في حلمه، وعفوه، وصبره، وصفحه، وشكره، ولينه، وأنه لم يغضب لنفسه وأنه جاء بإتمام مكارم الأخلاق وما نقل من خشوعه، وخضوعه، وتبذّله، وتواضعه في مأكله، وملبسه، ومشربه، ومسكنه، وجميل عشرته، وحسن شيمته، ونصحه لأمّته، وحرصه على إيمان عشيرته، وقيامه بأعباء رسالته، ورأفته بالمؤمنين، ورحمته وغلظته على الكافرين، وشدّته ومجاهدته في نصرة دين الله وإعلاء كلمته وما لقيه من أذى قومه وغيرهم في وطنه وغربته، فبعض هذه المناقب موجود في كتاب الله وبعضها موجود في شمائله وسيرته.

أمّا لينه ﷺ، ففي قوله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأمّا شدّته ﷺ على الكفار ورحمته للمؤمنين، ففي قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وأمّا حرصه ﷺ على إيمان أمّته، ففي قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]. وأمّا نصحه ﷺ في أداء رسالته، ففي قوله تعالىٰ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤]، ولو قصر لتوجّه إليه اللّوم.

ومنها: أن الله تعالىٰ أنزل أمّته ﷺ منزلة العدول من الحكام، فإن الله إذا حكم بين العباد وجحد الأمم تبليغ الرسالة أحضر أمّة محمد ﷺ فيشهدون على الناس أن رسلهم أبلغتهم، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء،

ومنها: عصمة أمّته ﷺ بأنها لا تجتمع على ضلالة في فرع ولا أصل.

ومنها: حفظ كتابه ﷺ، فلو اجتمع الأوّلون والآخرون على أن يزيدوا فيه كلمة، أو ينقصوا كلمة لعجزوا عن ذلك، ولا يخفى ما وقع من التبديل في التوراة والإنجيل.

ومنها: أن الله ستر على من لم يتقبّل عمله من أمّته ﷺ، وكان من قبلهم يقرّبون القرابين

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٠: ٣٥٠). وابن المبارك في الزهد (٢٦٤). والمنذري في الترغيب والترهيب (٤: ١٩٦).

فتأكل النار ما تقبّل منها وتدع ما لم يتقبّل، فيصبح صاحبه مفتضحاً، ولمثل ذلك قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، قال ﷺ: «أنا رحمة مهداة، أنا نبيّ الرحمة»[١]، إنه بعث ﷺ بجوامع الكلم، واختصر له الحديث اختصاراً وفاق العرب في فصاحته وبلاغته، وكما فضله الله على أنبيائه ورسله من البشر كذلك فضّله على من اصطفاه من رسله من أهل السماء وملائكته، لأن أفاضل البشر أفضل من الملائكة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٧]، والملائكة من جملة البرية، لأن البرية الخليقة مأخوذ من برأ الله الخلق، أي اخترعه وأوجده، ولا تدخل الملائكة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [البينة:٧]، مع أنهم قد آمنوا وعملوا الصالحات؛ لأن هذا اللفظ مختصّ بعرف اللغة في من آمن من البشر، فكأنه قال: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية. فالجواب من وجهين:

أحدهما: إن أئمة اللغة قد عدوا البرية من جملة ما تركت العرب همزه.

والوجه الثاني: وهو الأظهر أن نافعاً قرأ بالهمز، وكلا القراءتين كلام الله، فإن كانت إحداهما قد فضلت الذين آمنوا وعملوا الصالحات على سائر البشر، فقد فضّلتهم القراءة الأخرى على سائر الخلق، وإذا ثبت أن أفاضل البشر أفضل من الملائكة، فالأنبياءُ صلوات الله عليهم وسلامه أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، بدليل قوله تعالىٰ بعد ذكر جماعة من الأنبياء: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٨٦]، فدلّت هذه الآية على أنهم أفضل البشر وأفضل من الملائكة، لأن الملائكة من العالمين سواء كان مشتقاً من العالم والعلامة، وإذا كان الأنبياء أفضل من الملائكة ورسول الله ﷺ أفضل من الأنبياء قد ساد سادات الملائكة، فصار أفضل من الملائكة بدرجتين أعلى منهم برتبتين لا يعلم قدر تينك الرتبتين وشرف تينك الدرجتين إلاّ من فضل خاتم الأنبياء، وسيّد المرسلين على جميع العالمين.

وهذه لمع وإشارات يكتفي العاقل الفطن بمثلها، بل ببعضها، ونحن نسأل الله بمنّه وكرمه أن يوفّقنا لاتباع رسوله في سنته وطريقته وجميع أخلاقه الظاهرة والباطنة، وأن يجعلنا من أحزابه وأنصاره والحمد لله وحده وصلواته على خير خلقه محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم.

انتهت رسالة العزّ بن عبد السلام بحروفها.

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٩٥). والقرطبي في التفسير (٤ : ٦٣).

ومنهم الإمام محيي الدين النووي الشافعي[1] المتوفى سنة ٦٧٦ هـ رضي الله عنه

فمن جواهره

[سيرته وفضائله ومعجزاته ﷺ]

قوله في أوائل كتاب تهذيب الأسماء واللغات، وهذا حين أشرع في مقصود الكتاب مستعيناً بالله الكريم الوهّاب مبتدئاً بنبيّنا محمد ﷺ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا إجماع الأمّة، وأمّا ما بعده إلى آدم فيختلف فيه أشدّ اختلاف.

قال العلماء: ولا يصحّ فيه شيء يعتمد. وقصي بضم القاف، ولؤي بالهمزة وتركها، والياس بهمزة وصل، وقيل بهمزة قطع، وكنية النبيّ المشهورة أبو القاسم، وكناه جبريل صلّى الله عليهما وسلم أبا إبراهيم.

[أسماؤه ﷺ]

ولرسول الله ﷺ أسماء كثيرة أفرد فيها الإمام الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي الدمشقي المعروف بابن عساكر رحمه الله باباً في تاريخ دمشق ذكر فيه أسماء كثيرة جاء بعضها في الصحيحين، وباقيها في غيرها، منها: محمد، وأحمد، والحاشر، والعاقب، المقفي، والماحي، وخاتم الأنبياء، ونبيّ الرحمة، ونبي الملحمة ـ وفي رواية: نبي الملاحم ـ، ونبي التوبة، والفاتح، وطه، ويّس، وعبد الله.

قال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله: زاد بعض

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقّب بالشيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في مرسية بالأندلس ولد سنة ٥٦٠ هـ، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ.

العلماء، فقال: سمّاه الله عزّ وجلّ في القرآن: رسولاً، نبياً أمّياً، شاهداً، مبشراً، نذيراً، داعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، ورؤوفاً رحيماً، وجعله: رحمة، ونعمة، وهادياً ﷺ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اسمي في القرآن محمد، وفي الإنجيل أحمد، وفي التوراة أحيد، وإنما سمّيت أحيد لأني أحيد أمتي عن نار جهنم»[1]. وبعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مجاز.

قال الإمام الحافظ القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه الأحوذي في شرح الترمذي: قال بعض الصوفية: لله عزّ وجلّ ألف اسم، وللنبيّ ﷺ ألف اسم.

قال ابن العربي: فأمّا أسماء الله عزّ وجلّ فهذا العدد حقير فيها، وأمّا أسماء النبيّ فلم أحصها إلا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء المثبتة، فوعيت منها أربعة وستين اسماً، ثم ذكرها مفصّلة مشروحة فاستوعب وأجاد.

ثم قال: وله وراء هذه أسماء. وأمّ النبيّ ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

[مولده ووفاته ﷺ]

وولد رسول الله ﷺ عام الفيل. وقيل: بعده بثلاثين سنة. قال الحاكم أبو أحمد: وقيل: بعده بأربعين سنة. وقيل: بعده بعشر سنين. رواه الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخ دمشق والصحيح المشهور أنه عام الفيل.

ونقل إبراهيم بن المنذر شيخ البخاري وخليفة ابن خياط وآخرون الإجماع عليه، واتّفقوا على أنّه ولد يوم الإثنين من شهر ربيع الأوّل، واختلفوا هل هو في اليوم الثاني، أم الثامن، أم العاشر، أم الثاني عشر فهذه أربعة أقوال مشهورة.

وتوفي ﷺ ضحى يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة. ومنها ابتداء التاريخ كما سبق ودفن يوم الثلاثاء حين زالت الشمس، وقيل: ليلة الأربعاء.

وتوفي ﷺ وله ثلاث وستون سنة، وقيل: خمس وستون سنة، وقيل: ستون، والأول أصح وأشهر. وقد جاءت الأقوال الثلاثة في الصحيح. قال العلماء: والجمع بين الروايات أن من روى ستين لم يعتبر هذه الكسور.

---

(١) رواه ابن عراق في تنزيه الشريعة (١: ٣٣٨). والشوكاني في الفوائد المجموعة (٣٥٩). وابن حجر في لسان الميزان (١: ١٠٩٧). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦).

ومن روى خمساً وستين عدّ سنتي المولد والوفاة، ومن روى ثلاثاً وستين لم يعدّهما، والصحيح ثلاث وستون. وكذا الصحيح في سن أبي بكر، وعمر، وعلي، وعائشة رضي الله عنهم ثلاث وستون سنة.

قال الحاكم أبو أحمد وهو شيخ الحاكم أبي عبد الله: يقال: ولد النبيّ ﷺ يوم الإثنين، ونبئ يوم الإثنين، وهاجر من مكّة يوم الإثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، وتوفي يوم الإثنين.

ومنها: أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً. وكفن ﷺ في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص، ولا عمامة. ثبت ذلك في الصحيحين. قال الحاكم أبو أحمد: ولما أدرج النبيّ ﷺ في أكفانه وضع على سريره على شفير القبر، ثم دخل الناس أرسالاً يصلّون عليه فوجاً فوجاً لا يؤمّهم أحد، فأوّلهم صلاة عليه العباس، ثم بنو هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم سائر الناس، فلما فرغ الرجال دخل الصّبيان، ثم النساء، ثم دفن ﷺ ونزل في حفرته العباس، وعلي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران. قال: ويقال: كان أسامة بن زيد، وأوس بن خولي معهم، ودفن في اللّحد وبني عليه ﷺ في لحده اللبن. يقال: إنها تسع لبنات، ثم أهالوا التراب، وجعل قبره ﷺ مسطحاً ورشّ عليه الماء رشّاً.

قال: ويقال: نزل المغيرة في قبره ولا يصح. قال الحاكم أبو أحمد: يقال: مات عبد الله والد رسول الله ﷺ، ولرسول الله عليه الصّلاة والسّلام ثمانية وعشرون شهراً، وقيل: تسعة أشهر، وقيل: سبعة أشهر، وقيل: شهران، وقيل: مات وهو حمل، وتوفّي بالمدينة.

قال الواقدي: وكاتبه محمد بن سعد: لا يثبت أنه توفّي وهو حمل. ومات جدّه عبد المطلب وله ثمان سنين، وقيل: ست سنين، وأوصى به إلى أبي طالب.

وماتت أمّ رسول الله ﷺ وله ست سنين، وقيل: أربعة، ماتت بالأبواء مكان بين مكة والمدينة، وبعث ﷺ رسولاً إلى الناس كافّة، وهو ابن أربعين سنة، وقيل: أربعين ويوم.

وأقام بمكّة بعد النبوّة ثلاث عشرة سنة، وقيل: عشراً، وقيل: خمس عشرة، ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين بلا خلاف، وقدم المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل.

قال الحاكم: وبدأ الوجع برسول الله عليه الصّلاة والسّلام في بيت ميمونة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر صفر.

[فصل في إرضاعه ﷺ]

أرضعته ﷺ ثوبية، بضم المثلثة، مولاة أبي لهب أياماً، ثم أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث السعدية.

وروي عنها أنها قالت: كان يشب في اليوم شباب الصبي في شهر، ونشأ ﷺ يتيماً فكفله جده عبد المطلب، ثم عمه أبو طالب، وطهّره الله عزّ وجلّ من دنس الجاهلية، فلم يعظم صنماً لهم في عمره قطّ، ولم يحضر مشهداً من مشاهد كفرهم، وكانوا يطلبونه لذلك فيمتنع ويعصمه الله من ذلك.

وفي الحديث عن عليّ رضي الله عنه: أن النبيّ ﷺ قال: «ما عبدت صنماً قط، وما شربت خمراً قط، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر»[1]، وهذا من لطف الله تعالىٰ به أن برّأه من دنس الجاهلية، ومن كل عيب ومنحه كل خلق جميل حتى كان يعرف في قومه بالأمين لما شاهدوا من أمانته وصدقه وطهارته. فلما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج مع عمّه أبي طالب إلى الشام حتى بلغ بصرى فرآه بحيرا الراهب فعرفه بصفته فجاء وأخذ بيده، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله حجّة للعالمين. قالوا: فمن أين علمت ذلك؟ قال: إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق شجرة ولا حجر إلا خرّ ساجداً، ولا يسجد إلاّ لنبيّ، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يردّه خوفاً من اليهود فردّه، ثم خرج ﷺ ثانياً إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها في تجارة لها قبل أن يتزوّجها حتى بلغ سوق بصرى، فلما بلغ خمساً وعشرين سنة تزوج خديجة، ولما خرج إلى المدينة مهاجراً خرج معه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، بضم الفاء، ودليلهم عبد الله بن الأريقط الليثي وهو كافر، ولا يعلم له إسلام.

[فصل في صفته ﷺ]

كان ﷺ ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا الأبيض الأمهق، ولا الآدم، ولا الجعد القطط، ولا السبط. وتوفي وليس في رأسه عشرون شعرة بيضاء. وكان حسن الجسم بعيد ما بين المنكبين. له شعر إلى منكبيه وفي وقت إلى شحمتي أذنيه، وفي وقت إلى نصف أذنيه.

كثّ اللحية شثن الكفين، أي غليظ الأصابع، ضخم الرأس والكراديس في وجهه

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (١٣٨٢٤).

تدوير. أدعج العينين طويل أهدابهما، أحمر المآقي ذا مسربة، وهي الشعر الرقيق من الصدر إلى السرة كالقضيب.

إذا مشى تقلع كأنما ينحط في صبب، أي يمشي بقوة، والصبب الحدور. يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر كأن وجهه القمر، حسن الصوت، سهل الخدين، ضليع الفم، سواء البطن والصدر، أشعر المنكبين والذراعين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، أشكل العينين أي طويل شقّهما، منهوس العقبين أي قليل لحم العقب. بين كتفيه خاتم النبوّة كزرّ الحجلة وكبيضة الحمامة.

وكان إذا مشى كأنما تطوى له الأرض، ويجدّون في لحاقه وهو غير مكترث، وكان يسدل شعر رأسه، ثم فرقه، وكان يرجّله، ويسرح لحيته ويكتحل بالإثمد كل ليلة في كل عين ثلاثة أطراف عند النوم، وكان أحب الثياب إليه القميص، والبياض، والحبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة، وكان كمّ قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ، ولبس في وقت حلة حمراء، وإزار أو رداء، وفي وقت ثوبين أعفرين، وفي وقت جبّة ضيّقة الكمّين، وفي وقت قباء، وفي وقت عمامة سوداء وأرخى طرفها بين كتفيه، وفي وقت مرطاً أسود من شعر أي كساء، ولبس الخاتم والخفّ والنعل.

[فصل في أبنائه ﷺ]

له ﷺ ثلاثة بنين القاسم، وبه كان يكنى. ولد قبل النبوّة.

وهو ابن سنتين، وعبد الله وسمّي الطيب والطاهر، لأنه ولد بعد النبوّة، وقيل: الطيّب والطاهر غير عبد الله، والصحيح الأوّل، والثالث: إبراهيم، ولد بالمدينة سنة ثمان ومات بها سنة عشر وهو ابن سبعة عشر شهراً أو ثمانية عشر.

[فصل في بناته ﷺ]

وكان له ﷺ أربع بنات:

زينب تزوّجها أبو العاص بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس وهو ابن خالتها، وأمه هالة بنت خويلد. وفاطمة تزوجها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ورقيّة وأم كلثوم تزوّجهما عثمان بن عفان، تزوج رقية، ثم أم كلثوم، وتوفيتا عنده، ولهذا سمّي: ذا النورين.

توفيت رقية يوم بدر في رمضان سنة اثنتين من الهجرة، وتوفيت أم كلثوم في شعبان سنة

تسع من الهجرة. فالبنات أربع بلا خلاف، والبنون ثلاثة على الصحيح. وأوّل من ولد له القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة. وجاء أن فاطمة رضي الله عنها أسنّ من أم كلثوم.

ذكر ذلك علي بن أحمد بن سعيد بن محرم أبو محمد الحافظ، ثم في الإسلام عبد الله بمكة، ثم إبراهيم، بالمدينة، وكلهم من خديجة إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وكلهم توفّوا قبله إلا فاطمة، فإنها عاشت بعده ستة أشهر على الأصح الأشهر.

[فصل في أعمامه ﷺ]

أعمامه ﷺ أحد عشر: أحدهم الحارث، وهو أكبر أولاد عبد المطلب وبه يكنى، وقثم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب، وأبو لهب، وعبد الكعبة، وحجل بحاء مهملة مفتوحة، ثم جيم ساكنة، وضرار، والغيداق. أسلم منهم حمزة، والعباس.

وكان حمزة أصغرهم سناً لأنه رضيع رسول الله ﷺ، ثم العباس قريب منه في السن، وكان يلي زمزم بعد أبيه عبد المطلب، وكان أكبر سناً من رسول الله ﷺ بثلاث سنين.

[فصل في عمّاته ﷺ]

وعمّاته ﷺ: صفية أسلمت وهاجرت، وهي أم الزبير بن العوام، توفيت بالمدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهي أخت حمزة لأمه.

وعاتكة قيل: إنها أسلمت وهي التي رأت رؤيا غزوة بدر وقصتها مشهورة وبرة، وأروى، وأميمة، وأم حكيم وهي البيضاء.

[فصل في أزواجه ﷺ]

أوّلهن خديجة، ثم سودة، ثم عائشة، ثم حفصة، وأم حبيبة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، ولا تزوج بكراً غير عائشة.

وأمّا اللاّتي فارقهن ﷺ في حياته فتركناهن لكثرة الاختلاف فيهن. وكان له سريتان مارية وريحانة بنت زيد، وقيل: بنت شمعون، ثم أعتقها.

روينا عن قتادة قال: تزوّج النبيّ ﷺ خمس عشرة امرأة، فدخل بثلاث عشرة وجمع بين إحدى عشرة، وتوفّي عن تسع.

[فصل في مواليه ﷺ]

منهم: زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو أسامة، وثوبان بن بُجدد بضم الموحّدة والدال وإسكان الجيم، وأبو كبشة واسمه سليم، شهد بدراً، وباذام، ورويفع، وقصير، وأبو بكرة، وهرمز، وأبو صفية عبيد، وأبو سلمى، وأنسة بفتح الهمزة والنون، وصالح، وشقران، ورباح بالموحدة، وأسود، وسار بوي، وأبو رافع واسمه أسلم، وقيل غير ذلك، وأبو لهثة، وفضالة اليماني، ورافع، ومدعم بكسر الميم وإسكان الدال وفتح العين المهملتين، أسود وهو الذي قتل بوادي القرى، وكركرة بكسر الكافين، وقيل: بفتحهما، كان على ثقل النبيّ ﷺ، وزيد جدّ هلال بن يسار بن زيد، وعبيدة، وطهمان، وكيسان، ومهران، وذكوان، ومروان، ومابور القبطي، وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبو ضميرة، وحنين، وأبو عسيب واسمه أحمر، وأبو عبيدة، وسفينة، وسلمان الفارسي، وأيمن ابن أمّ أيمن، وأفلح، وسابق، وسالم، وزيد بن بولا، وسعيد، وضمير بن أبي ضميرة، وعبيد الله بن أسلم، ونافع، ونبيل، وورادن، وأبو أثيلة، وأبو الحمراء.

[فصل في إمائه ﷺ]

ومن الإماء: سلمى بفتح السين، أم رافع، وأم أيمن بركة بفتح الباء، وهي أم أسامة بن زيد، وميمونة بنت سعيد، وخضرة، ورضوى، وأميمة، وريحانة، وأم ضميرة، ومارية، وشيرين، وهي أختها، وأم عباس.

واعلم أن هؤلاء الموالي لم يكونوا موجودين في وقت واحد للنبيّ ﷺ، بل كان كل منهم في وقت، والله أعلم.

[فصل في خدمه ﷺ]

منهم: أنس بن مالك، وهند، وأسماء ابنا حارثة إلا سليمان، وربيعة بن كعب الأسلمي، وكان عبد الله بن مسعود صاحب نعليه إذا قام ألبسه إياهما، وإذا جلس حطّهما وجعلهما في ذراعيه حتى يقوم، وكان عقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته ﷺ يقود به في الأسفار، وبلال المؤذّن، وسعد مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر، ويقال: مخبر بالباء الموحدة ابن أخي النجاشي، ويقال: ابن أخته، وبكير بن سراح الليثي، ويقال: بكر، وأبو ذرّ الغفاري، والأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي، ومهاجر مولى أم سلمة، وأبو السمح رضي الله عنهم.

[فصل في كُتّابه ﷺ]

ذكرهم الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق أنهم ثلاثة وعشرون، وروى ذلك كلّه بأسانيد.

وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، والزبير، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد بن سعيد، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربّه، والعلاء بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، والسجل، وزاد غيره شرحبيل بن حسنة. قالوا: وكان أكثرهم كتابة زيد بن ثابت، ومعاوية رضي الله عنهم.

[فصل في رسله ﷺ]

أرسل ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فأخذ كتاب رسول الله ﷺ ووضعه على عينيه، ونزل عن سريره فجلس على الأرض، ثم أسلم حين حضره جعفر بن أبي طالب وحَسُن إسلامه، وأرسل ﷺ دحية بن خليفة الكلبي بكتاب إلى هرقل عظيم الروم، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي إلى المقوقس ملك الإسكندرية ومصر، فقال خيراً وقارب أن يسلم وأهدى لرسول الله ﷺ مارية القبطية وأختها شيرين، فوهبها رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت، وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عمان فأسلما وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم في ما بينهم، فلم يزل عندهم حتى توفّي رسول الله ﷺ، وأرسل سليط بن عمرو العلوي إلى اليمامة إلى هوذة بن علي الحنفي، وأرسل شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغسّاني ملك البلقاء من أرض الشام، وأرسل المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري، وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين فصدق وأسلم، وأرسل أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى جملة اليمن داعيين إلى الإسلام، فأسلم عامّة أهل اليمن ملوكهم وسوقتهم.

[فصل في مؤذّنيه ﷺ]

له ﷺ أربعة من المؤذّنين: بلال، وابن أم مكتوم بالمدينة، وأبو محذورة بمكة، وسعد القرظي بقبا.

[فصل في حجّه وعمرته وغزواته ﷺ]

ثبت في الصحيحين أن النبيّ ﷺ اعتمر أربع عمر بعد الهجرة ولم يحجّ إلاّ حجة الوداع التي ودّع الناس فيها سنة عشر من الهجرة، وغزا بنفسه ﷺ خمساً وعشرين غزوة، هذا هو المشهور، وهو قول موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبي معشر وغيرهم من أئمّة السير والمغازي. وقيل: سبعاً وعشرين.

ونقل أبو عبد الله محمد بن سعد في الطبقات الاتّفاق على أن غزواته ﷺ بنفسه سبع وعشرون غزوة، وسراياه ستّ وخمسون وعدّدها واحدة واحدة مرتّبة على حسب وقوعها.

قالوا: ولم يقاتل إلا في تسع: بدر، وأُحُد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وفتح مكة، وحنين والطائف. وهذا على قول من قال: فتحت مكّة عنوة. وقيل: قاتل بوادي القرى، وفي الغابة، وبني النضير، والله أعلم.

[فصل في أخلاقه ﷺ]

كان ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان أحسن الناس خَلقاً وخُلُقاً، وألينهم كفاً، وأطيبهم ريحاً، وأرجحهم عقلاً، وأحسنهم عشرة، وأشجعهم وأعلمهم بالله، وأشدّهم لله خشية ولا يغضب لنفسه ولا ينتقم لها، وإنما يغضب إذا انتهكت حرمات الله عزّ وجلّ، فحينئذٍ يغضب ولا يقوم لغضبه شيء حتى ينتصر للحق، وإذا غضب أعرض وأشاح، وكان خُلقه القرآن. وكان أكثر الناس تواضعاً يقضي حاجة أهله، ويخفض جناحه للضعفة وما سئل شيئاً قطّ فقال لا، وكان أحلم، وكان أشدّ حياء من العذراء في خدرها، والقريب، والبعيد، والقوي، والضعيف عنده في الحقّ سواء. وما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله، وإلاّ تركه. ولا يأكل متكئاً ولا على خوان، ويأكل ما تيسر، ولا يمتنع من مباح، وكان يحب الحلواء والعسل، ويعجبه الدباء، وهو اليقطين. وقال: **«نعم الإدام الخل، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»**(١)، وكان أحب الشاة إليه الذراع. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، يعني للعدم، وكان يأتي الشهر

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٨٢٠). والترمذي في السنن (١٨٣٩). والنسائي في السنن (الإيمان: ٢١). وابن ماجه في السنن (٣٣١٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠١). والدارمي في السنن (٢: ١٠١). والحاكم في المستدرك (٤: ٥٤).

والشهران لا يوقد في بيت من بيوته ناراً، وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، ويكافئ على الهدية، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويعود المريض، ويجيب من دعاه من غني، أو فقير، أو دني، أو شريف، ولا يحتقر أحداً، وكان يقعد تارة القرفصاء، وتارة متربّعاً، واتكأ في أوقات، وفي كثير من الأوقات أو في أكثرها محتبياً بيديه.

وكان يأكل بأصابعه الثلاث، ويلعقهن، ويتنفس في الشراب بالإناء ثلاثاً خارج الإناء، ويتكلم بجوامع الكلم، ويعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم، وكلامه بيّن يفهمه من سمعه، ولا يتكلم في غير حاجة، ولا يقعد ولا يقوم إلاّ على ذكر الله تعالىٰ.

وركب الفرس، والبعير، والحمار، والبغلة، وأردف معه خلفه على ناقة وعلى حمار، ولا يدع أحداً يمشي خلفه، وعصب على بطنه الحجر من الجوع، وكان يبيت هو وأهله الليالي طاوين. وفراشه من أدم حشوه ليف.

كان متقلّلاً من أمتعة الدنيا كلها وقد أعطاه الله تعالىٰ مفاتيح خزائن الأرض كلّها فأبى أن يأخذها، واختار الآخرة عليها، وكان كثير الذكر دائم الفكر جُلُّ ضحكه التبسّم، وضحك في أوقات حتى بدت نواجذه، وهي الأنياب.

ويحب الطيب، ويكره الريح الكريهة، ويمزح، ولا يقول إلا حقاً، ويقبل عذر المعتذر إليه، وكان كما وصفه الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٣]، وكانت معاتبته تعريضاً: «ما بال قوم يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله تعالىٰ»[1]، ونحو ذلك.

ويأمر بالرفق ويحثّ عليه، وينهى عن العنف ويحثّ على العفوّ والصفح ومكارم الأخلاق، ويحب التيمّن في طهوره وترجّله وتنعّله، وفي شأنه كله، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى، وإذا نام واضطجع، اضطجع على جنبه الأيمن مستقبلاً القبلة، وكان مجلسه مجلس حلم، وحياء، وأمانة، وصيانة، وصبر، وسكينة، ولا ترفع فيه الأصوات، ولا تؤبن فيه الحرم أي لا يذكر فيه النساء.

يتعاطفون فيه بالتقوى، ويتواضعون، ويوقر الكبار، ويرحم الصغار، ويؤثرون المحتاج، ويحفظون الغريب، ويخرجون أدلّة على الخير، وكان يتألّف أصحابه ويكرم كريم كل قوم ويوليه أمرهم، ويتفقد أصحابه، ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً، ولا يجزي بالسيئة

---

(١) رواه في شرح معاني الآثار (٤: ٤).

السيّئة، بل يعفو ويصفح، ولم يضرب خادماً، ولا امرأة ولا شيئاً قطّ إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

ودلائل كل ما ذكرته في الصحيح مشهورة، وقد جمع الله سبحانه وتعالىٰ له ﷺ كمال الأخلاق، ومحاسن الشيم، وآتاه علم الأوّلين والآخرين وما فيه النجاة والفوز، وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب، ولا معلّم له من البشر، وآتاه ما لم يُؤْت أحداً من العالمين، واختاره على جميع الأوّلين والآخرين صلوات الله عليه دائمة إلى يوم الدّين.

ثبت في الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط أف، ولا قال لشيء فعلته لِمَ فعلته، ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا.

[فصل في معجزاته ﷺ]

لرسول الله ﷺ معجزات ظاهرات وأعلام متظاهرات تبلغ الوفا وهي مشهورات، فمنها القرآن المعجزة الظاهرة والدلالة الباهرة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي أعجز البلغاء في أفصح الأعصار وأعياهم أن يأتوا بسورة مثله، ولو استعانوا بجميع الخلق، قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، فتحدّاهم ﷺ بذلك مع تكاثرهم، وفصاحتهم، وشدّة عدواتهم إلى يومنا هذا.

وأمّا المعجزات غيره فلا يمكن حصرها أبداً لأنها كثيرة جداً ومتجدّدة متزايدة، ولكن أذكر منها أمثلة: كانشقاق القمر، ونبع الماءِ من بين أصابعه ﷺ، وتكثير الماء، والطعام، وتسبيح الطعام، وحنين الجذع، وتسليم الحجر، وتكليم الذراع المسمومة، ومشي الشجرة إليه، واجتماع الشجرتين المتباعدتين ورجوعهما إلى مكانهما، ودرور الشاة الحائل، ورده عين قتادة بن النعمان بعد أن ندر وصارت في يده إلى مكانها، فلم تكن تعرف بعد ذلك. وتفله في عيني عليّ وكان أرمد فبرئ من ساعته، ومسحه رجل عبد الله بن عتبك فبرئت في الحال.

وإخباره بمصارع المشركين يوم بدر هذا مصرع فلان فلم يعدوا مصارعهم، وإخباره بقتله أبيّ بن خلف.

وإخباره بأن طائفة من أمته يغزون البحر وأن أم حرام منهم، فكان كذلك، وبأنه يفتح

على أمته ما زوى له من مشارق الأرض ومغاربها، وبأن كنوز كسرى تنفقها أمّته في سبيل الله عزّ وجلّ، وبأنه يخاف على أمته ما يفتح عليهم من زهرة الدنيا، وبأن خزائن فارس والروم تفتح لنا، وبأن سراقة بن مالك يسوّر بسواري كسرى، وبأن الحسن بن علي يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، وبأن سعد بن أبي وقاص يعيش حتى ينتفع به أقوام، ويضرّ آخرون.

وبأن النجاشي مات يومكم هذا وهو بالحبشة، وبأن الأسود العنسي قتل ليلتكم هذه وهو باليمن، وبأن المسلمين يقاتلون الترك صغار الأعين عراض الوجوه ذلف الأنوف، وبأن اليمن تفتح عليكم والشام والعراق، وبأن المسلمين يجندون ثلاثة أجناد: جنداً بالشام، وجنداً باليمن، وجنداً بالعراق.

وبأنهم يفتحون مصر أيضاً التي يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً، وبأن أويساً القرني يقدم عليكم في أمداد أهل اليمن كان به برص فبرئ منه إلاّ قدر درهم فقدم كذلك على عمر، بأن طائفة من أمّته على الحق، وبأن الناس يكثرون، وبأن الأنصار يقلون، وبأن الأنصار يلقون بعده إثرة.

وبأن الناس لا يزالون يسألون حتى يقولوا: هذا خلق الله الخلق... الحديث، وبأن رويفع بن ثابت تطول به الحياة، وبأن عمار بن ياسر يقتله الفئة الباغية، وبأن هذه الأمة ستفترق، وبأنه سيكون بينهم قتال، وبأنه ستخرج نار بأرض الحجاز وأشباه هذا، فوقعت كلها كما ذكر ﷺ واضحة جلية.

وقال لثابت بن قيس: «تعيش حميداً وتقتل شهيداً»[1]، فعاش حميداً واستشهد باليمامة، وقال لعثمان: تصيبه بلوى شديدة، وقال في رجل من المسلمين: يقاتل قتالاً شديداً، وإنه من أهل النار، فقتل نفسه.

وجاءه وابصة بن معبد يسأله عن البر والإثم، فقال: «جئت تسأل عن البرّ والإثم»[2]، وقال لعليّ، والزبير، والمقداد: «اذهبوا إلى روضة خاخ فإن هناك ظعينة معها كتاب»، فوجدوها فأنكرته، ثم أخرجته من عقاصها. وقال لأبي هريرة حين سرق الشيطان التمر: «إنه سيعود»[3]، فعاد وقال لأزواجه: «أطولكن يداً أسرعكن لحاقاً بي»، فكان كذلك.

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ٨٥).

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٥٥). وفيه: «تسألني».

(٣) رواه البغوي في شرح السنة (١٤: ٤٦١). وابن كثير في التفسير (١: ٤٥٢).

وقال لعبد الله بن سلام: «أنت على الإسلام حتى تموت»[1].

ودعا ﷺ لأنس بأن يكثر ماله وولده ويطول عمره، فكان كذلك عاش فوق مائة سنة، ولم يكن أحد من الأنصار أكثر مالاً منه، ودفن من أولاده الذكور لصلبه مائة وعشرين ابناً قبل قدوم الحجاج سوى غيرهم، وهذا مصرّح به في صحيح البخاري وغيره.

ودعا ﷺ أن يعزّ الله الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل، فأعزّه الله بعمر رضي الله عنه، ودعا على سراقة بن مالك فارتطمت به فرسه في جلد من الأرض وساخت قوائمها فيها فناداه بالأمان وسأله الدعاء له.

ودعا لعليّ أن يذهب الله عنه الحرّ والبرد، فلم يكن يجد حراً ولا برداً، ودعا لحذيفة ليلة بعثه يأتي بخبر الأحزاب أن لا يجد برداً فلم يجده حتى رجع، ودعا لابن عباس أن يفقّهه الله في الدين فكان كذلك.

ودعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلّط الله عليه كلباً من كلابه، فقتله الأسد بالزرقاء، ودعا بنزول المطروحين سألوه ذلك لقحوط المطر، ولم يكن في السماء قزعة، فثار سحاب أمثال الجبال ومطروا إلى الجمعة الأخرى حتى سألوه أن يدعو برفعه.

فدعا، فارتفع وخرجوا يمشون في الشمس، ودعا لأبي طلحة ولامرأته أم سليم أن يبارك الله لهما في ليلتهما، فكان كذلك فحملت فولدت عبد الله، فكان من أولاده تسعة كلّهم علماء.

ودعا لأم أبي هريرة رضي الله عنه بالهداية فذهب أبو هريرة فوجدها تغتسل وقد أسلمت.

ودعا لأم قيس بنت محصن أخت عكاشة بطول العمر فلا نعلم امرأة عمّرت ما عمرت، رواه النسائي في أبواب غسل الميت. ورمى الكفار يوم حنين بقبضة من تراب، وقال: «شاهت الوجوه»[2]، فهزمهم الله تعالى وامتلأت أعينهم تراباً.

وخرج على مائة من قريش ينتظرونه ليفعلوا به مكروهاً فوضع التراب على رؤوسهم ومضى ولم يروه.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٥: ٤٧). ومسلم في الصحيح (فضائل الصحابة: ١٤٨). وأحمد في المسند (٥: ٤٥٢). والبغوي في شرح السنة (١٤: ١٨٩). والسيوطي في الدر المنثور (١: ٣٣٠). وابن كثير في التفسير (١: ٤٦١). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧: ٤٥٠).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (الجهاد: ٢٨). وأحمد في المسند (١: ٣٠٣). والدارمي في السنن (٢: ٢٢٠). والحاكم في المستدرك (١: ١٦٣).

[فصل في أفراسه وسلاحه ﷺ]

كان له ﷺ أفراس، فأوّل فرس ملكه: السكب بفتح السين المهملة وأسكان الكاف وبالباء الموحدة، وكان أغرّ محجلاً طلق اليمنى وهو أول فرس غزا عليه، وفرس آخر يقال له: شنجة، وهو الذي سابق عليه فسبق، وفرس آخر يقال له: المرتجز، وهو الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له به خزيمة بن ثابت.

وقال سهل بن سعد: كان لرسول الله ﷺ ثلاثة أفراس: لزاز بكسر اللام وبزاءين، والظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء، واللحيف بضم اللام وفتح الحاء المهملة، وقيل: بالمعجمة، وقيل: النحيف بالنون.

فأمّا لزاز فأهداه له المقوقس، واللحيف أهداه له ربيعة بن أبي البراء فأثابه عليه، والضرب أهداه له فروة بن عمرو الجذامي.

وكان له فرس يقال له: الورد، أهداه له تميم الداري، ثم وهبه لعمر ثم وهبه عمر لرجل، ثم وجده يباع.

وكان له ﷺ بغلته: دلدل بضم الدالين المهملتين يركبها في الأسفار، وعاشت بعده ﷺ حتى كبرت وذهبت أسنانها، وكان يحشى لها الشعير، وماتت بينبع.

وروينا في تاريخ دمشق من طرق: أنها بقيت حتى قاتل عليها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في خلافته الخوارج.

وكان له ﷺ ناقته: العضباء، ويقال لها أيضاً: الجدعاء، والقصواء، هكذا روينا عن محمد بن إبراهيم التيمي: أن هذه الأسماء الثلاثة لناقة واحدة، وكذا قاله غيره، وقيل: هنّ ثلاث.

وكان له حمار يقال له: عفير بضم العين المهملة وفتح الفاء، وذكره القاضي عياض بالغين المعجمة، واتفقوا على تغليظه في ذلك. مات عفير في حجّة الوداع، وكان له في وقت عشرون لقحة، ومائة شاة، وثلاثة أرماح، وثلاثة أقواس، وستة أسياف، منها ذو الفقار تنفّله يوم بدر، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أُحد، ودرعان وترس، وخاتم، وقدح غليظ من خشب، وراية سوداء مربعة من نمرة، ولواء أبيض، وروي أسود.

واعلم أن أحوال رسول الله ﷺ وسيره وما أكرمه الله به، وما أفاضه على العالمين من آثاره ﷺ غير محصورة، ولا يمكن استقصاؤها لا سيما في هذا الكتاب الموضوع للإشارة إلى نبذ من عيون الأسماء، وما يتعلق بها، وفي ما ذكرته تنبيهاً على ما تركته، ولأن مقصودي

تشريف الكتاب بتصدير بعض أحوال رسول الله ﷺ في أوّله، وقد حصل ذلك ولله الحمد، وكيف لا يشرف كتاب صدر بأحوال الرسول المصطفى ﷺ، والحبيب المجتبى خيرة العالم، وخاتم النبيّين، وإمام المتقين، وسيّد المرسلين، هادي الأمّة ونبيّ الرحمة ﷺ، وزاده فضلاً وشرفاً لديه والحمد لله ربّ العالمين.

[فصل في خصائص رسول الله ﷺ]

وهذا فصل نفيس [في خصائص رسول الله ﷺ في الأحكام وغيرها] وعادة أصحابنا يذكرونه في أول كتاب النكاح؛ لأن خصائصه ﷺ في النكاح أكثر من غيرها، وقد جمعتها في الروضة مستقصاة ولله الحمد، وهذا الكتاب لا يحتمل بسطها، فأشير فيه إلى مقاصدها مختصرة إن شاء الله تعالىٰ. قال أصحابنا: خصائصه ﷺ أربعة أضرب:

الأول: ما اختصّ به ﷺ من الواجبات:

قالوا: والحكمة فيه زيادة الزلفى والدرجات العلُى، فلم يتقرب المتقرّبون إلى الله تعالىٰ بمثل أداء ما افترض عليهم، كما صرّح به الحديث الصحيح.

ونقل إمام الحرمين عن بعض أصحابنا أن ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين درجة، واستأنسوا فيه بحديث، فمن هذا الضرب صلاة الضحى، ومنه الأضحية، والوتر، والتهجّد، والسؤال، والمشاورة.

والصحيح عند أصحابنا أنها واجبات عليه ﷺ، وقيل: سنن، والأصح عند أصحابنا أن الوتر غير التهجّد، والصحيح أن التهجّد نسخ وجوبه في حقه ﷺ كما نسخ في حقّ الأمّة، وهذا هو المنصوص للشافعي رحمه الله.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، وفي صحيح مسلم عن عائشة ما يدلّ عليه. ومنه وجوب مصابرته العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف. ومنه قضاء دين من مات وعليه دين، لم يخلف وفاء، وقيل: كان يقضيه تكرّماً لا وجوباً، والأصح عند أصحابنا أنه كان واجباً، وقيل: يجب عليه ﷺ إذا رأى شيئاً يعجبه أن يقول: «لبيّك إن العيش عيش الآخرة»[1]، ومن هذا الضرب في النكاح أنه أُوجب عليه تخيير نسائه بين مفارقته واختياره، وقال بعض أصحابنا: كان هذا التخيير مستحباً، والصحيح وجوبه، فلما خيّرهن

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٤٨). وابن أبي شيبة في المصنف (٤: ١٠٧). وابن حجر في تلخيص الحبير (٢: ٢٤٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٣: ٣٣٩).

اخترنه، والدار الآخرة فحرم عليه التزوّج عليهنّ والتبدّل بهن مكافأة لهن على حسن صنيعهن. قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ثم نسخ لتكون المنّة لرسول الله ﷺ بترك التزوّج عليهن، فقال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية.

واختلف أصحابنا هل حرم طلاقهن بعد الاختيار؟ والأصح أنه لم يحرم، وإنما حرم التبدل، وهو غير مجرد الطلاق.

الضرب الثاني: ما اختص به من المحرمات عليه ليكون الأجر في اجتنابه أكثر. وهو قسمان:

أحدهما: في غير النكاح: فمنه الشعر والخط، ومنه أخذ الزكاة في صدقة التطوّع قولان للشافعي: أصحهما أنها كانت محرّمة عليه، وأمّا الأكل متكئاً، وأكل الثوم، والبصل، والكراث، فكانت مكروهة له غير محرمة في الأصح.

وقال بعض أصحابنا: محرمات، وكان يحرم عليه إذا لبس لأمَتَه أن ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل. وقيل: كان مكروهاً. والصحيح عند أصحابنا تحريمه.

وقال بعض أصحابنا تفريعاً على هذا: إنه إذا كان شرع في تطوّع لزمه إتمامه، وهذا ضعيف. وكان يحرم عليه مدّ العين إلى ما متع به الناس من زهرة الدنيا، وحرم عليه خائنة الأعين وهي الإيماء برأس أو يد أو غيرهما إلى مباح من قتل أو ضرب أو نحوهما على خلاف ما يظهر ويُشْعِر به الحال.

وكان لا يصلّي أولاً على من مات وعليه دين لا وفاء له، ويأذن لأصحابه في الصلاة عليه، واختلف أصحابنا: هل كان يحرم عليه الصلاة أم لا؟ ثم نسخ ذلك فكان يصلّي عليه ويوفي دينه من عنده.

القسم الثاني: في النكاح: فمنه إمساك من كرهت نكاحه والصحيح عند أصحابنا تحريمه، وقال بعضهم: كان يفارقها تكرّماً. ومنه نكاح الكتابية، والأصح عند أصحابنا إنه كان محرماً عليه ﷺ، وبه قال ابن سريج، وأبو سعيد الاصطخري، والقاضي أبو حامد المروزي. وقال أبو إسحاق المروزي: ليس بحرام.

ويجري الوجهان في التسرّي بالأمة الكتابية، ونكاح الأمة المسلمة، لكن الأصح في التسرّي بالكتابية الحل، وفي نكاح الأمة المسلمة التحريم.

وأمّا الأمة الكتابية فقطع الجمهور بأن نكاحها كان محرماً عليه، وطرد الحناطي الوجهين، وفرع الأصحاب هنا تفريعات لا أراها لائقة بهذا الكتاب.

الضرب الثالث: التخفيفات والمباحات وما أبيح له ﷺ دون غيره نوعان:

أحدهما: لا يتعلق بالنكاح، فمنه: الوصال في الصوم، واصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها، ويقال لذلك: المختار الصفي والصفية، وجمعها: صفايا.

ومنه خمس الخمس في الفيء والغنيمة وأربعة أخماس الفيء، ودخول مكّة بلا إحرام وإباحة القتال فيها ساعة دخلها يوم الفتح، وله أن يقضي بعلمه.

وفي غيره خلاف ويحكم لنفسه وولده، ويشهد لنفسه وولده، ويقبل شهادة من يشهد له، ويحيي الموات لنفسه، ولا ينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعاً، وذكر بعض أصحابنا في انتقاض وضوئه بلمس المرأة وجهين، والمشهور الانتقاض.

وفي إباحة مكثه في المسجد مع الجنابة وجهان لأصحابنا قال أبو العباس بن القاص في التلخيص يباح وقال القفال وغيره لا يباح وغلط إمام الحرمين وغيره صاحب التلخيص في الإباحة، وقد يحتجّ للإباحة بحديث عطية عن أبي سعيد قال النبيّ ﷺ: **«يا علي لا يحل لأحد يجنب المكث في المسجد غيري وغيرك»**[1]، قال الترمذي: حديث حسن. وقد يعترض على هذا الحديث بأن عطية ضعيف عند الجمهور، ويجاب بأن الترمذي حكم بأنه حسن، ولعلّه اعتضد بما اقتضى حسنه. وأبيح له أخذ الطعام والشراب من مالكهما المحتاج إليهما إذا احتاج هو ﷺ إليهما، ويجب على صاحبهما البذل له ﷺ لصيانة مهجته ﷺ. قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

واعلم أن معظم هذه المباحات لم يفعلها ﷺ، وإن كانت مباحة له، والله أعلم.

النوع الثاني: متعلّق بالنكاح: فمنه إباحة تسع نسوة، والصحيح جواز الزيادة له ﷺ، ومنه انعقاد نكاحه بلفظ الهبة على الأصح، والأصح انحصار طلاقه في الثلاث.

وقيل: لا ينحصر، وإذا عقد نكاحه بلفظ الهبة لا يجب مهر بالعقد، ولا بالدخول بخلاف غيره.

ومنه انعقاد نكاحه بلا ولي، ولا شهود. وفي حال الإحرام على الصحيح في الجميع، وإذا رغب في نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة على الصحيح، ويحرم على غيره خطبتها.

وفي وجوب القسم بين أزواجه وإمائه وجهان. قال الإصطخري: لا يجب، فيكون من الخصائص.

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٧: ٣٤٣).

وقال الآخرون: يجب، فليس منها. وبنى الأصحاب أكثر هذه المسائل ونظائرها على أصل عندهم، وهو أن نكاحه ﷺ هل هو كالنكاح في حقنا أم كالتسرّى؟ وأعتق صفية وتزوّجها، وجعل عتقها صداقها، فقيل: أعتقها وشرط أن ينكحها فلزمه الوفاء بخلاف غيره.

وقيل: جعل نفس العتق صداقاً، وصح ذلك بخلاف غيره، وقيل: أعتقها بلا عوض، وتزوّجها بلا مهر. لا في الحال، ولا في ما بعد. وهذا أصح، وذكر الأصحاب في هذا النوع أشياء كثيرة جداً حذفتها.

الضرب الرابع: ما اختص به ﷺ من الفضائل والإكرام: فمنه أن أزواجه اللاتي توفي عنهن محرمات على غيره أبداً، وفيمن فارقها في الحياة أوجه: أصحها تحريمه، وهو نص الشافعي رحمه الله في أحكام القرآن، وبه قال أبو علي بن أبي هريرة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

والثاني: يحل، والثالث: يحرم التي دخل بها فقط، فإذا قلنا بالتحريم ففي أمة يفارقها بوفاة أو غيرها بعد الدخول وجهان: ومنه أن أزواجه أمّهات المؤمنين سواء من توفيت تحته ومن توفي عنها، وذلك في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن وتحريم عقوقهن لا في النظر والخلوة وتحريم بناتهن وأخواتهن، فلا يقال: بناتهن أخوات المؤمنين، ولا آباؤهن وأمّهاتهن أجداد، وجدّات المؤمنين، ولا إخوانهن وأخواتهن أخوال وخالات المؤمنين.

وقال بعض أصحابنا: يطلق اسم الأخوة على بناتهن، واسم الخؤولة على إخوتهن وأخواتهن، وهذا ظاهر نص الشافعي رحمه الله في مختصر المزني. وهل كنّ أمّهات المؤمنات؟ فيه وجهان لأصحابنا، أصحهما: لا، بل هنّ أمّهات المؤمنين دون المؤمنات. وهو المنقول عن عائشة رضي الله عنها بناء على المذهب المختار لأهل الأصول أن النساء لا يدخلن في ضمير الرجال، وقال البغوي من أصحابنا: ويقال للنبيّ ﷺ أبو المؤمنين والمؤمنات.

ونقل الواحدي عن بعض أصحابنا: أنه لا يقال ذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، قال: ونصّ الشافعي رضي الله عنه على جوازه، أي أبوهم في الحرمة.

قال: ومعنى الآية ليس أحد من رجالكم ولد صلبه، وفي الحديث الصحيح في سنن أبي داود وغيره أن النبيّ ﷺ قال: «إنما أنا لكم مثل الوالد» في الشفقة، وقيل: في أن لا يستحيوا

من سؤاله عمّا يحتاجون إليه من أمر العوارف، وغيرها. وقيل في ذلك كلّه وغيره، وقد أوضحت ذلك كلّه في كتاب الاستطابة من شرح المهذب.

ومنه تفضيل نسائه على سائر النساء، وجعل ثوابهن وعقابهن ضعفين، وتحريم سؤالهن إلا من وراء حجاب، ويجوز في غيرهن مشافهة. وأفضل أزواجه خديجة، وعائشة. قال أبو سعيد المتولي: واختلف أصحابنا أيّتهما أفضل.

ومنه في غير النكاح أنه ﷺ خاتم النبيّين وخير الخلائق أجمعين، وأمّته أفضل الأمم، وأصحابه خير القرون، وأمّته معصومة من الاجتماع على ضلالة، وشريعته مؤيّدة وناسخة لجميع الشرائع، وكتابه معجز محفوظ عن التحريف والتبديل، وهو حجّة على الناس بعد وفاته ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلّت له الغنائم، وأعطي الشفاعة، والمقام المحمود، وأرسل إلى الناس كافّة، وهو سيّد ولد آدم، وأوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل شافع وأوّل مشفع وأول من يقرع باب الجنّة وهو أكثر الأنبياء تبعاً، وأعطي جوامع الكلم، وصفوف أمّته في الصلاة كصفوف الملائكة، وكان لا ينام قلبه.

ويرى من وراء ظهره كما يرى من أمامه. ولا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته، ولا أن يناديه من وراء الحجرات، ولا أن يناديه باسمه، فيقول: يا محمد، بل يقول: يا نبيّ الله، يا رسول الله. ويخاطبه المصلّي بقوله: السلام عليك أيها النبيّ ورحمة الله وبركاته، ولو خاطب آدمياً غيره بطلت صلاته، ويلزم المصلّي إذا دعاه أن يجيبه وهو في الصلاة ولا تبطل صلاته.

وكان بوله ودمه يتبرّك بهما، وكان شعره طاهراً. وإن حكمنا بنجاسة شعر الأمة.

واختلف أصحابنا في طهارة دمه وبوله وسائر الفضلات، وكانت الهدية حلالاً له بخلاف غيره من ولاة الأمور، فلا تحل له هدية رعاياهم على تفصيل مشهور. ولا يجوز الجنون على الأنبياء، ويجوز عليهم الإغماء لأنه مرض بخلاف الجنون.

واختلفوا في جواز الاحتلام، والأشهر امتناعه، وفاته ﷺ ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر وواظب عليها بعد العصر في اختصاصه بهذه الملازمة والمداومة وجهان لأصحابنا، أصحهما وأشهرهما: الاختصاص. وقال ﷺ: «تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»[1]. وفي جواز التكنّي بأبي القاسم خلاف أوضحته في الروضة وفي كتاب الأذكار. وقال ﷺ: «كل

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ٣٨). ومسلم في الصحيح (الآداب: ١). وابن ماجه في السنن (٣٧٣٥). وأحمد في المسند (٢: ٢٤٨).

سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»[١]. قيل: معناه أن أمّته ينسبون إليه يوم القيامة، وأمم سائر الأنبياء لا تنسب إليهم، وقيل: ينتفع يومئذٍ بالانتساب إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب. قال أصحابنا: ومن استهان أو زنا بحضرته كفر. كذا قالوه، وفي الزنا نظر. قال ابن القاص، والقفال المروزي: ومن الخصائص أنه ﷺ يؤخذ عن الدنيا عند تلقّيه الوحي ولا يسقط عنه الصلاة ولا غيرها.

ومنه: أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثّل بصورته، ولكن لا يعمل بما يسمع الرائي منه في المنام في ما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقرّ في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشكّ في الرؤية، لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه. ومنها أن الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء للحديث المشهور.

ومنها قوله ﷺ: «إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد»[٢]، قال أصحابنا وغيرهم: فتعمد الكذب عليه ﷺ من الكبائر، فإن استحلّه كفر وإلا فهو كسائر الكبائر لا يكفر بها.

وقال الشيخ أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين: يكفر بذلك، والصواب الأوّل وبه قطع الجمهور، والله أعلم.

واعلم أن هذا الضرب لا ينحصر، ولكن نبّهنا بما ذكرناه على ما سواه. ولنختم الفصل بكلامين:

أحدهما: قال أمام الحرمين: قال المحققون: ذكر الخلاف في مسائل الخصائص خبط لا فائدة فيه، فإنه لا يتعلّق به حكم ناجز تمسّ الحاجة إليه، وإنما يجري الخلاف في ما لا نجد بدأ من إثبات حكم فيه، فإن الأقيسة لا مجال لها، والأحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نصّ فيه، فالخلاف فيه هجوم على الغيب من غير فائدة.

الكلام الثاني: قال الصيمري: منع أبو علي بن خيران الكلام في الخصائص لأنه أمر انقضى. قال: وقال سائر أصحابنا لا بأس به وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم. هذا كلام الأصحاب والصواب الجزم بجواز ذلك، بل باستحبابه، ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيداً إن لم يمنع منه إجماع لأنه ربما رأى جاهل بعض الخصائص ثابتاً في الصحيح فعمل به أخذاً بأصل

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ١١٤). والحاكم في المستدرك (٣: ١٤٢). والطبراني في المعجم الكبير (٣: ٣٦).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٢: ١٠٢). ومسلم في الصحيح (المقدمة: ٤). وأحمد في المسند (٤: ٢٤٥). والبيهقي في السنن الكبرى (٤: ٧٢).

التأسي فوجب بيانها لتعرف، ولا مشاركة فيها وأيّ فائدة أعظم من هذه.

وأمّا ما يقع في أثناء الخصائص مما لا فائدة فيه اليوم فقليل جداً لا تخلو أبواب الفقه عن مثله للتدرّب ومعرفة الأدلّة، وتحقيق الشيء على ما هو عليه كما يقولون في الفرائض ترك مائة جدة ونحو ذلك، وبالله التوفيق.

فهذا آخر ما انتخبت من نبذ العيون المتعلقة بترجمة رسول الله ﷺ حبيب ربّ العالمين وخير الأوّلين والآخرين صلوات الله وسلامه وعلى سائر النبيّين وآل كل وسائر الصالحين، وحسبي الله ونعم الوكيل.

ومنهم الإمام العارف بالله سيدي الشيخ عبد العزيز الديريني الشافعي(١) المتوفى سنة ٦٩٤ هـ

فمن جواهره رضي الله عنه

[فضائله ﷺ]

ما ذكره في كتابه طهارة القلوب بعد قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥]، فضائل رسول الله ﷺ أكثر من أن تحصى، ومعجزاته ومناقبه ومحاسنه لا تستقصى.

فبالغ وأكثر لن تحيط بوصفه　　　وأين الثريّا من يد المتناول

نعم ذكره يزيد في الإيمان، ويضيء القلوب والأسرار بأنوار العرفان، فإن الله تعالىٰ جعل محبّته مشروطة بمحبته، وطاعته منوطة بطاعته، وذكره مقروناً بذكره، وبيعته مقصودة ببيعته، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤]، قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: إن الله ربي يقول لك: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: إذا ذكرت ذكرت معي»(٢)، ويقال: معناه جعلت تمام الإيمان بذكرك معي.

ويقال: معناه جعلتك ذكراً من ذكري، فمن ذكرك ذكرني، ومن أثبتك أثبتني، ومن أنكرك فما عرفني، ويقال: معناه لا يذكرك أحد بالرسالة، إلاّ وذكرني بالربوبية.

وقال رسول الله ﷺ: «أول نور خلقه الله نوري»، وروي: «أن الله تعالىٰ لما خلق العرش

---

(١) هو عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني فقيه شافعي من الزهاد نسبته إلى ديرين ولد سنة ٦١٢ هـ، توفي سنة ٦١٢ هـ.

(٢) رواه الطبري في التفسير (٣٠: ١٥١). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٥٤). وابن كثير في التفسير (٨: ٤٥٢).

كتب عليه: لا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله بالنور، فلما خرج آدم من الجنة رأى على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة مكتوباً اسم محمد مقروناً باسم الله تعالىٰ، فقال: يا رب هذا محمد من هو؟ فقال الله تعالىٰ: ولدك الذي لولاه لما خلقتك، فقال: يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السمٰوات والأرض لشفعناك».

[معجزاته ﷺ]

واعلم أن معجزات رسول الله ﷺ كثيرة وأعلاها قدراً وأوضحها ذكراً هذا القرآن العزيز الذي عجز الفصحاء عن معارضته، وأيست العقول عن الإتيان بشيء من مثله، فمن إعجازه حسن تأليفه والتئام كلمه، وفصاحته وإيجازه وبلاغته.

ومن إعجازه حسن تصرّفه وأسلوبه الذي لا يشبهه نظم ولا نثر، ومن إعجازه ما أخبر عن المغيبات المستقبلة فوقع كما أخبر.

ومن إعجازه ذكر قصص الماضين مع كون النبيّ ﷺ أمّياً لم يقرأ الكتب ولم يخالط علماء أهل الكتاب، وكذلك ما فيه من ذكر الملكوت الأعلى والملائكة، وذكر القيامة وما فيها، وذكر الجنّة والنار ونحو ذلك.

ومن إعجازه انقطاع الأطماع عن معارضته، وعجز العقول عن مقابلته مع فصاحة أهل زمانه وشدّة عداوتهم، وما ذاقوا في القتال من الأهوال والنزال ولم تخطر لهم المعارضة على بال.

ومن آيات رسول الله ﷺ انشقاق القمر بمكّة حين سألوه ذلك فانشق فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه ورآه أهل الآفاق كلهم كذلك، وفيه أنزل الله تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

ومن آياته أنه أسري به في ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكباً البراق، وجمعت له الأنبياء كلهم وصلّى بهم إماماً، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء، ففتحت له كل سماء وسلّم عليه من فيها من الملائكة حتى جاوزوا السمٰوات السبع ووصل إلى سدرة المنتهى، ثم جاوزها إلى أن وصل إلى مقام يسمع فيه صريف الأقلام، فوقف موقف الكرامة والزلفى وأقيم في مقام النجوى، فكان في قرب الإكرام قاب قوسين أو أدنى، فسمع خطاب العلي الأعلى، ورأى من آيات ربّه الكبرى، وفرضت عليه الصلوات الخمس، ثم رجع في بقية ليله إلى مكة، ورد بذلك القرآن وانتشرت بفضله الأخبار، واستمرّت على ذلك الآثار.

ومن آياته نبع الماء من بين أصابعه وتكثير قليله ببركته في أوقات كثيرة رويت بأحاديث صحيحة، أحدها أنهم كانوا بالزوراء عند سوق المدينة وجاءت صلاة العصر فوضع يده في إناء فتوضأ منه نحو ثلاثمائة رجل، قال أنس: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه.

وروى ابن مسعود قال: كنّا مع رسول الله ﷺ ليس معنا ماء، فقال: «اطلبوا من معه فضل ماء»[1]، فأتي بماء فصَب في إناء، ثم وضع كفه فيه فجعل الماءَ ينبع من بين أصابعه.

وروى جابر قال: عطش الناس يوم الحديبية فأتوا إلى النبيّ ﷺ فشكوا إليه ذلك، وكانت بين يديه ركوة فيها ماءَ قليل، فوضع يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون. قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنّا مائة ألف لكفانا، كنّا خمسة عشر مائة، يعني ألفاً وخمسمائة.

وروى جابر أيضاً: أن الناس عطشوا في غزوة بواط فأمر بجفنة فوضعت، والتمسوا فوجدوا قليلاً من الماء، فصبّه فيها، وبسط يديه فيها، وفرّق بين أصابعه، ثم فارت الجفنة واستدرت حتى امتلأت واستقى الناس حتى اكتفوا.

وروى معاذ بن جبل أن النبيّ ﷺ أتى عين تبوك وهي تبضّ بشيء من ماء فغرفوا منها شيئاً يسيراً، فغسل به وجهه، ويديه وأعاده فيها فانخرق من الماء ما له حسّ كحسّ الصواعق وجرت عيناً معيناً بماء كثير، ثم قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هٰهنا قد ملئ جناناً»[2]، وكان كذلك. وغرس سهماً من كنانته في قليب ليس فيه ماء فجرى بماء كثير حتى اكتفى الناس يوم الحديبية.

وروي أن أبا طالب قال للنبيّ ﷺ في بعض أسفاره: ليس معي ماء فضرب بقدمه الأرض، فخرج الماء. والأحاديث في هذا كثيرة صحيحة ذكرنا بعضها.

ومن آياته البركة في الطعام القليل حتى كفى الجمع الكثير، وبقي الزمان الطويل. دخل ﷺ على أبي طلحة وعندهم أقراص من شعير فأمر بها ففتت وعصروا عليها سمناً، وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»[3]، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٤٦٠). وابن عبد البر في التمهيد (١: ٢١٩). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٤٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ١٠). وأحمد في المسند (٥: ٢٣٨).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٣٥). ومسلم في الصحيح (الأشربة: ١٤٢). والترمذي في السنن (٣٦٣٠).

وأذن لعشرة كذلك حتى أكل القوم، وهم نحو ثمانين رجلاً. وصنع جابر يوم الخندق صاعاً من شعير، فأطعم منه ألف رجل، وخرجوا والطعام لم ينقص منه، وأعطى رجلاً نصف وسق من شعير، فقام به وأهله وضيفه زماناً طويلاً حتى كاله. وصنع أبو أيّوب الأنصاري للنبيّ ﷺ وأبي بكر الصدّيق من الطعام قدر كفايتهما ودعاهما، فأمر النبيّ ﷺ أن يدعو ثلاثين من الأنصار، فدعاهم فأكلوا حتى تركوه، قال: «ادع ستين»[١]، فدعاهم فأكلوا، ثم قال: «ادع تسعين»[٢]، قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً.

وروى سمرة بن جندب قال: أتي النبيّ ﷺ بقصعة فيها لحم فتعاقب القوم من غدوة إلى الليل يأكل منها، قوم بعد قوم، وأطعم جميع أهل الصفة من صحفة. قال أبو هريرة رضي الله عنه: وخرجنا وتركناها كما وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع، وسقاهم كلهم من قدح لبن، وخرجوا وتركوه بحاله.

وروي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ دعا بني عبد المطلب، وكانوا أربعين رجلاً منهم من يأكل الجذعة، ويشرب الفرق، فصنع لهم مداً من طعام فأكلوا منه حتى شبعوا، وبقي كما هو، ثم دعا بعس فسقاهم، فشربوا حتى تركوه، وكأنه لم يشرب. والعس: إناء يروي ثلاثة أو أربعة.

وروى أنس أن النبيّ ﷺ صنع طعاماً ودعا أصحابه فتوارد على الطعام نحو ثلاثمائة فأكلوا كلهم، ثم قال لي: «أرفع[٣] فلا أدري حين وضعت كان أكثر، أو حين رفعت.

وروى أبو هريرة أن النبيّ ﷺ في بعض أسفاره، وكان في مخمصة قال له: «هل من شيء»؟ قلت: نعم، شيء من التمر في المزود، فأخرج بيده قبضة فبسطها ودعا بالبركة فأكل منها الجيش حتى شبعوا كلهم، ثم قال: «خذ ما جئت به»[٤]، وأدخل يده وقبض منه فقبضت على أكثر مما جئت به، قال أبو هريرة: فلم أزل آكل منه وأطعم في حياة رسول الله ﷺ وخلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله تعالىٰ عنهم حتى قتل عثمان، فانتهب مني.

وجاع الناس في غزوة تبوك فأمرهم بجمع أزوادهم، فجمعوا تمرات يسيرة فأطعمهم

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٣٥). ومسلم في الصحيح (الأشربة: ١٤٢). والترمذي في السنن (٣٦٣٠).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٣٥). ومسلم في الصحيح (الأشربة: ١٤٢). والترمذي في السنن (٣٦٣٠).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (النكاح: ٩٤). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٨٢).

(٤) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة (١٥٥).

منها وملؤوا مزاودهم، وهي بحالها حين وضعت والأخبار في هذا الباب أيضاً كثيرة.

ومن آياته كلام الشجر وأجابتها دعوته. وروى ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما: أن النبيّ ﷺ وجد في بعض أسفاره أعرابياً فدعاه إلى الإسلام، فقال له: من يشهد على ما تقول؟ فقال النبيّ ﷺ: «هذه الشجرة»، ثم دعا الشجرة فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه، وقالت: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنك رسول الله ثلاث مرات، ثم رجعت إلى مكانها.

وعن بريدة الأسلمي أن أعرابياً سأل النبيّ ﷺ أن يريه آية، فقال له: «قل لتلك الشجرة أن رسول الله ﷺ يدعوك»[1]، قال: فجاءت تجرّ عروقها حتى وقفت بين يديه، وقالت: السلام عليك يا رسول الله، ثم أمرها فرجعت إلى مكانها.

وفي حديث جابر: أن النبيّ ﷺ دعا شجرتين متفرقتين فاجتمعتا، ثم أمرهما فرجعت كل واحدة إلى مكانها، والأخبار أيضاً في هذه كثيرة صحيحة.

ومن هذا الباب حنين الجذع، وذلك أن النبيّ ﷺ كان يستند إلى جذع ويخطب، فلما صنع له المنبر وخطب عليه حنّ له ذلك الجذع وتشقّق وسمع الناس له بكاء حتى بكى الناس ببكائه، فدعاه النبيّ ﷺ فجاءه يخد الأرض فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه، روى هذا الحديث بضعة عشر من أكابر الصحابة.

ومن آياته نطق الجمادات له وقد اشتهرت بذلك الأخبار، قال أنس: أخذ النبيّ ﷺ كفاً من حصى فسبح في يده حتى سمعنا التسبيح.

وقال ابن مسعود: كنّا نأكل الطعام مع النبيّ ﷺ ونحن نسمع تسبيحه، وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: كنّا مع النبيّ ﷺ بمكة فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا وقال: السلام عليك يا رسول الله.

ومن آياته ما روي عن عمر رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ كان في محفل من أصحابه إذ جاءه رجل من بني سليم بضب فطرحه بين يديه، وقال: لا أؤمن حتى يؤمن بك هذا الضب، فقال له النبيّ ﷺ: «يا ضب»، فقال بكلام فصيح حتى سمعه القوم كلهم: لبّيك وسعديك يا زين من وافى القيامة، قال: «من تعبد؟» قال: الذي في السماء عرضه وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله، وفي الجنّة رحمته، وفي النار عقابه. قال: «فمن أنا؟»[2] قال: رسول ربّ العالمين،

---

(١) رواه القاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٥٧٤).

(٢) رواه القاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٥٩٥). والسيوطي في دلائل النبوة (٦: ٣٧). وأبو نعيم في دلائل النبوة (١٣٤).

وخاتم النبيّين، قد أفلح من صدقك، وقد خاب من كذبك، فأسلم الأعرابي.

وروى أبو هريرة، وأبو سعيد وغيرهما: أن الذئب كلم راعياً وأخبره بمبعث النبيّ ﷺ فجاء فأسلم.

ومن المشهور كلام الذئب لأهبان بن أوس، وكان يرعى غنماً، فوقف عنده، وقال: العجب منك وأنت واقف عند غنمك وتركت نبياً لم يبعث الله قط نبياً أعظم منه قدراً، قد فتحت له أبواب الجنّة، وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب فتصير في جنود الله تعالىٰ، فذهب فأسلم.

وروى ابن وهب رضي الله تعالىٰ عنه: أن أبا سفيان وصفوان بن أمية وجدا ذئباً يطلب ظبياً حتى دخل الظبي الحرم، فوقف الذئب فتعجّبا منه، فقال لهما الذئب أعجب من ذلك: محمد بن عبد الله ﷺ بالمدينة يدعوكم إلى الجنّة وتدعونه إلى النار.

ومن المشهور إن جملاً شكا إلى النبيّ ﷺ أن أصحابه استعملوه زماناً طويلاً فلما كبر أرادوا نحره فشفع فيه، رواه جماعة من الصحابة.

ومن آياته كلام الظبية التي أطلقها من يد الصياد لترضع أولادها، فذهبت وهي تقول: أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأنك رسول الله. وكذلك كلام الحمار الذي أصابه يوم خيبر.

وروى الواقدي: أن النبيّ ﷺ وجّه ستة نفر من أصحابه في يوم واحد رسلاً إلى ملوك ستة، ذوي لغات شتّى فأصبح كل واحد منهم يتكلّم بلسان القوم الذي بعث إليهم.

ومن المشهور كلام الشاة المسمومة له حين صنعتها له يهودية بخيبر، وأتي بصبي في حجّة الوداع يوم ولد، فقال له: «من أنا»؟ فقال: رسول الله، فقال: «صدقت بارك الله فيك»[1]، فسمي مبارك اليمامة.

وكان ثابت بن قيس قد قتل باليمامة، ودفن فسمعه الناس حين وضع في قبره يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان البر الرحيم. ومن آياته إبراء ذوي العاهات.

روي أن قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أُحُد فخرجت على وجنته فردّها النبيّ ﷺ، فعادت أحسن ما كانت.

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٩٥). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٦١٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٥٤٠١).

وقال أبو قتادة: أصابتي في وجهي سهم فتفل فيه رسول الله ﷺ فما ضرب عليّ ولا قاج. وأتاه أعمى فسأله ردّ بصره فأمره ﷺ أن يصلّي ركعتين ويقول: اللّهمّ إني أسألك وأتوجّه إليك بمحمد نبي الرحمة أن ترد عليّ بصري، ففعل، فردّ الله تعالىٰ بصره.

وتفل في عين عليّ رضي الله عنه يوم خيبر وكان به رمد شديد، فبرئ من وقته. وكذلك تفل في جرح سلمة بن الأكوع وفي ضربة سيف في سعد بن معاذ، وكذلك معوذ بن عفراء قطعت يده يوم بدر فألصقها النبيّ ﷺ، وتفل فيها فعادت كما كانت.

ومن آياته إجابة دعائه في من دعا له فتلحق بركة دعائه الرجل وولده وولد ولده.

ومن آياته دعاؤه في الاستسقاء وغيره ونفوذ دعوته في ما دعا عليه، وهذا الباب أعظم من أن يحصى، وقد ورد فيه أخبار كثيرة في كتب الأئمّة المبسوطة نحو كتاب الشفاء في تعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عِياض رحمه الله تعالىٰ.

ومن آياته ما ورد من ذكره في كتب الله كالتوراة، والإنجيل وما بشّر به علماء أهل الكتاب قبل مبعثه وما نطقت به الكهان وهتفت به هواتف الجان، وقد جمع عبد الله بن ظفر كتاباً سماه خير البشر بخير البشر.

ومن فضائله ما وصفه الله تعالىٰ في كتابه العزيز من حسن أخلاقه، وما حلاه به من المكارم، وما خصّه به من المحاسن وادّخر له من الوسيلة والشفاعة يوم القيامة، والمقام المحمود، والحوض المورود، والكوثر وغير ذلك. فتأمّل تجد ذلك في كتاب الله العزيز كثيراً، فهو الشاهد لمن آمن به واهتدى، وعلى من جحد واعتدى، والبشير بالثواب لمن أطاع مولاه، والنذير بالعقاب لمن آثر هواه، والداعي إلى الله بإذنه إظهاراً للحجّة، والسراج المنير لمن آمن به واستضاء بنوره فأبصر المحجة، لم يزل نوره ﷺ من زمن آدم عليه الصلاة والسلام مستور الصورة منشور الذكر عرفه آدم فتوسّل به وأخذ ميثاق جميع الأنبياء له. أخذ صفوة آدم ونوح، في بعض درسه عِلْمُ إدريس، في ضمن وجده حُزْنُ يعقوب، في سر وجده صَبْرُ أيوب، في طي جوفه بُكَادُ داود، بعض غنى نفسه يزيد على مُلْكِ سليمان.

حاز خلّة الخليل، ونال تكلم موسى الكليم، وزاد رفعة على الملكوت الأعلى. فكان برهانه أوضح وأجلى، فهو واسطة العقد وزينة الدهر، يزيد على الأنبياء زيادة الشمس على البدر، والبحر على القطر، فهو صدرهم وبدرهم وقطب ولايتهم، عين كتيبتهم، واسطة قلادتهم، نقش فَصِّهم، بيت قصيدتهم، نقطة دائرتهم، شمس ضحاهم، هلال ليلهم.

تحرك لتعظيم هيبته السواكن فحنّ إليه الجذع، وسبح في كفه الحصى، وتزلزل الجبل،

وتكلم الذئب، والجمل نظر المشركون إلى صورته دون معناه، فقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. فرأوه بغير عينه. يا محمد هذا نقش ترهاتهم لا لون وجهك يا أيها المزمل، يا أيها المدثر، يا طيب ثمار، كن يا محمولاً عنه بقل، قم أنت إمام الأرض فاصعد إلى الملكوت الأعلى لتكون إمام أهل السماء. يا لها من ليلة فيها علت آية الأرض على آية السماء، فأقبلت رؤساء الملائكة يحيون الرئيس الأكبر، فنوره أنور، وبرهانه أزهر، وسره أظهر، وفضله وقدرته أعلى، وذكره أحلى، وصورته أجمل، ودينه أكمل، ولسانه أفصح، ودعاؤه أنجح، وعلمه أرفع، ونداؤه أسمع، وحوائجه أقضى، وشفاعته أمضى، نصره مؤيّد، واسمه محمد، جسمه أعبد، ورسمه أوحد، واسمه أحمد، هو حبيب المولى وهو بالمؤمنين أولى، صلّى الله عليه وسلّم وعلى آله وصحبه.

ومنهم الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس(١) المتوفى سنة ٧٣٤ هـ

فمن جواهره رضي الله عنه

[سيرته ﷺ]

تلخيص سيرته الكبرى المسماة عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، وهي في مجلدين اختصرها في ورقات سماها نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون ﷺ، وهي هذه بحروفها، قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، بعد حمد الله فاتح أبواب الندى، ومانح أسباب الهدى، والصّلاة والسلام على نبيّه محمد الذي ابتعثه الله محجّة لمن اهدى، وحجّة على من اعتدى، وآله وصحبه الذين أحيوا سنّته على طول المدى، فلما وضعت كتابي المسمّى عيون الأثر في فنون المغازي والسير ممتعاً في بابه، مغنياً عمّا سواه لقاصدي هذا العلم وطلابه، رأيت أن ألخص في هذه الأوراق منه ما قرب مأخذه ونقله، وسهل تناوله وحمله ليكون للمبتدي تبصّره، والمنتهي تذكره، وسميته نور العيون في تلخيص سيرة الأمين المأمون، فنقول: ومن الله نستمدّ توفيقنا، وإياه نسأل أن يسهل إلى كل خير طريقنا.

[ذكر نسب النبيّ ﷺ]

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. هذا هو المتفق عليه وفي ما بعد عدنان إلى آدم خلاف كثيرة. وأمّه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة.

ولد يوم الإثنين في شهر ربيع الأوّل من عام الفيل، قيل: ثانيه، وقيل: ثالثه، وقيل:

---

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري، أبو الفتح، مؤرخ، عالم بالأدب، من حفّاظ الحديث أصله من إشبيلية، ولد سنة ٦٧١ هـ وتوفي سنة ٧٣٤ هـ في القاهرة.

ثاني عشرة، وقيل غير ذلك. وليلة ميلاده ﷺ اضطرب إيوان كسرى حتى سمع صوته وسقطت منه أربع عشرة شرافة، وخمدت نار فارس، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة.

وأرضعته حليمة بنت أبي ذئب الهذلية، وعندها شُقَّ صدره وملئ حكمة وإيماناً بعد أن استُخرِج حظّ الشيطان منه. وأرضعته أيضاً ثويبة الأسلمية جارية أبي لهب، وحضنته أم أيمن بركة الحبشية، وكان ورثها من أبيه فلما كبر أعتقها وزوجها زيد بن حارثة، وتوفي أبوه وهو حمل، وقيل: له شهران، وقيل: سبعة، وقيل: مات أبوه وله ثمانية وعشرون شهراً.

وماتت أمه وهو ابن أربع سنين، وقيل: ستّ وكفله جدّه عبد المطلب، فلما بلغ ثمان سنين وشهران وعشرة أيام توفي عبد المطلب فوليه عمه أبو طالب. ولما بلغ اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام خرج مع عمه أبو طالب إلى الشام.

فلما بلغ بصرى رآه بحيرة الراهب، فعرفه بصفته فجاءه وأخذ بيده، وقال: هذا رسول ربّ العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين إنكم حين أقبلتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خَرّ ساجداً، ولا يسجدان إلاّ لنبيّ، وإنّا نجده في كتبنا، وقال لأبي طالب: لئن قدمت به الشام ليقتلنه اليهود، فردّه خوفاً عليه منهم، ثم خرج مرّة ثانية إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة في تجارة لها قبل أن يتزوّجها، فلما قدم الشام نزل تحت ظلّ شجرة قريباً من صومعة راهب، فقال الراهب: ما نزل تحت ظلّ هذه الشجرة قطّ إلا نبيّ.

وكان ميسرة يقول: إذا كان الهاجرة واشتدّ الحر نزل ملكان يظلانه. ولما رجع من سفره ذلك تزوّج خديجة بنت خويلد وعمره خمس وعشرون سنة وشهران وعشرة أيام، وقيل غير ذلك.

ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة شهد بنيان الكعبة ووضع الحجر الأسود بيده. ولما بلغ أربعين سنة ويوماً ابتعثه الله بشيراً ونذيراً وأتاه جبريل، بغار حراء، فقال: اقرأ. فقال: «ما أنا بقارئ»، قال ﷺ: «فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ فقلت: ما أنا بقارى، فقال في الثالثة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] إلى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٥]»[١].

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ١٣). ومسلم في الصحيح (الإيمان: ٧٣). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٥١). وعبد الرزاق في المصنف (٩٧١٩). والبغوي في شرح السنة (٧: ٢٦٨). والحاكم في المستدرك (٣: ١٨٣).

وكان مبدأ النبوّة في ما ذكر يوم الإثنين ثامن شهر ربيع الأول، ثم حاصره أهلَ مكّة في الشعب فأقام محصوراً دون الثلاث سنين هو وأهل بيته وخرج من الحصار وله تسع وأربعون سنة، وبعد ذلك بثمانية أشهر وإحدى وعشرين يوماً مات عمّه أبو طالب، وماتت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام.

ولما بلغ خمسين سنة وثلاثة أشهر قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، ولما بلغ إحدى وخمسين سنة وتسعة أشهر أسري به من بين زمزم والمقام إلى البيت المقدس، ثم أُتي بالبراق فركبه، وعرج به إلى السماء وفرضت الصلاة.

ولما بلغ ثلاثاً وخمسين سنة هاجر من مكّة إلى المدينة في يوم الإثنين لثمانٍ خلون من ربيع الأوّل، ودخل المدينة يوم الإثنين فأقام بها عشر سنين سواء وتوفّي ﷺ.

وفي بعض هذه التواريخ خلاف بين أهل النقل ذكرنا منه ما حضرنا في كتابنا المسمّى بعيون الأثر.

وكانت غزواته في هذه المدة خمساً وعشرين، وقيل: سبعاً وعشرين. قاتل منها في سبع: بدر، وأُحُد، والخندق، وبني قريظة، وبني المصطلق، وخيبر، وحنين، والطائف. وقيل: قاتل أيضاً بوادي القرى، والغابة. وكانت بعوثه نحواً من خمسين، وحجّ ﷺ بعد فرض الحجّ حجّة واحدة وقبل ذلك مرتين، وخرج في حجّة الوداع نهاراً بعد أن ترجل وادّهن وتطيّب فبات بذي الحليفة، وقال: «أتاني الليلة آت من ربّي، فقال: صلّ في هذا الوادي المبارك، وصلّ عمرة في حجة، فاحرم بهما قارناً»[1]. ودخل مكة يوم الأحد بكرة من كداء من الثنية العليا وطاف للقدوم فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً، ثم خرج إلى الصفا فسعى راكباً، ثم أمر من لم يسق الهدي بفسخ الحج إلى العمرة، ونزل بأعلى الحجون.

فلما كان يوم التروية توجه إلى منى فصلّى بها الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وبات بها وصلّى بها الصبح.

فلما طلعت الشمس سار إلى عرفة وضربت قبته بنمرة فأقام بها حتى زالت الشمس فخطب الناس وصلّى بهم الظهر والعصر بأذان وإقامتين، ثم راح إلى الموقف فلم يزل يدعو ويهلّل ويكبّر حتى زاغت الشمس إلى منى فرمى جمرة العقبة بسبع حصيات، وفي ثلاثة أيام التشريق كان يرمي في كل يوم منها الجمرات الثلاث ماشياً بسبع سبع يبدأ بالتي تلي الخيف،

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٢: ١٦٧). وأبو داود في السنن (١٨٠٠). وأحمد في المسند (١: ٢٤). والمنذري في الترغيب والترهيب (١: ١٥٩).

ثم بالوسطى، ثم جمرة العقبة، ويطيل الدعاء عند الأولى والثانية، ونحر يوم نزوله منى وأفاض إلى البيت، فطاف به سبعاً، ثم أتى السقاية فاستسقى، ثم رجع إلى منى، ثم نفر في اليوم الثالث، فنزل المحصب وأعمر عائشة من التنعيم، ثم أمر بالرحيل، ثم طاف للوداع وتوجه إلى المدينة. وأما عُمَرُه فأربع كلّها في القعدة.

[وأمّا صفته ﷺ]

فكان ربعة بعيد ما بين المنكبين أبيض اللّون مشرباً بحمرة يبلغ شعره شحمة أذنيه، ولم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة، ظاهر الوضاءة يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر، حسن الخلق معتدله، إن صمت فعليه الوفار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب، حلو المنطق واسع الجبين، أزج الحاجبين في غير قرن، أقنى العرنين، سهل الخدّين، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، بين كتفيه خاتم النبوّة يقول واصفه: لم أرَ قبله ولا بعده مثله.

[ومن أسمائه ﷺ]

قال ﷺ: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبيّ بعدي»[(١)].

وفي رواية: «وأنا المقفي، ونبي التوبة، ونبيّ الرحمة»[(٢)]، وفي صحيح مسلم: «ونبي الملحمة»[(٣)]، وسمّاه الله في كتابه بشيراً، ونذيراً، وسراجاً منيراً، ورؤوفاً رحيماً، ورحمة للعالمين، ومحمداً، وأحمد، وطه، ويس، ومزملاً، ومدثراً، وعبداً في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء:١]، وقوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:٧٢]، سمّاه عبد الله ونذيراً مبيناً في قوله: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩]، ومذكّراً في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]، وقد ذكر غير ذلك وأكثر هذه الأسماء صفات.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٦: ١٨٨). ومسلم في الصحيح (الفضائل: ١٢٤). وأحمد في المسند (٤: ٨٤). والترمذي في السنن (١٨٤:). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١). وابن حجر في فتح الباري (٨: ٦٤١). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ١٢٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ١٢٤). وأحمد في المسند (٤: ٣٩٥). والحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥: ١٠٠).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ١٢٤).

[ومن أخلاقه ﷺ]

سئلت عائشة رضي الله عنها قالت: كان خلقه القرآن يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، ولا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله، فيغضب لله، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد، وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم، ما سئل شيئاً فقال لا، ولا يبيت في بيته دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يأخذه وجاءَه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه، لا يأخذه مما آتاه الله إلا قوت أهله عاماً فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام. وكان أصدق الناس لهجة، وأوفاهم ذمّة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة، وأحلم الناس وأشدّهم حياء، بل أشدّ حياء من العذراء في خدرها، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جلّ نظره الملاحظة. وكان ﷺ أكثر الناس تواضعاً يجيب من دعاه من غني أو فقير أو حرّ أو عبد، وأرحم الناس، يصغي الإناء للهرة وما يرفعه حتى تروى رحمة لها.

وكان أعفّ الناس وأشدّهم إكراماً لأصحابه لا يمدّ رجليه بينهم، ويوسع عليهم إذا ضاق المكان، ولم تكن ركبتاه تتقدم ركبة جليسه.

من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبّه، له رفقاء يحفون به إذا قال، أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره ويبدأ من لقيه بالسلام، ويتجمّل لأصحابه ويتفقّدهم، ويسأل عنهم.

فمن مرض عاده، ومن غاب دعاه، ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء. ومن كان تخوّف أن يكون وجد في نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه في منزله.

ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافاتهم، ويتألف أهل الشرف، ويكرم أهل الفضل، ولا يطوي بشره عن أحد ولا يجفو عليه، ويقبل معذرة المعتذر إليه والقوي والضعيف عنده في الحق سواء، ولا يدع أحداً يمشي خلفه، ويقول: «خلوا ظهري للملائكة»[(١)]، ولا يدع أحداً يمشي معه، وهو راكب حتى يحمله، فإن أبى قال: «تقدمني»[(٢)] إلى المكان الذي يريد، يخدم من خدمه وله عبيد وإماء. لا يرتفع عليهم في مأكل ولا مشرب ولا ملبس. قال أنس: خدمته عشر سنين، فوالله ما صحبته في حضر ولا سفر لأخدمه إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له، وما قال لي: أفّ قط، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فعلت كذا؟ ولا لشيء لم أفعله إلا فعلت كذا، وكان ﷺ في سفر فأمر بإصلاح شاة، فقال رجل: يا رسول الله عليّ ذبحها،

---

(١) رواه الألباني في السلسلة (٨١). وأحمد في المسند (٣: ٣٩٨).
(٢) رواه الهيثمي في مورد الظمآن (٢٢٢٥).

وقال آخر: عليَّ سلخها، وقال آخر: عليَّ طبخها، فقال ﷺ: «وعليَّ جمع الحطب»، فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك، فقال: «قد علمت أنكم تكفونني، ولكن أكره أن أتميز عليكم فإن الله تعالىٰ يكره من عبده أن يراه متميّزاً بين أصحابه»[1]، وقام ﷺ فجمع الحطب.

وكان ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه، وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم عليه الصّلاة والسّلام حتى يقوم الذي جلس إليه إلا أن يستعجله أمر، فيستأذنه ولا يقابل أحداً بما يكره، ولا يجزي السيئة بمثلها، بل يعفو ويصفح.

وكان يعود المريض، ويحب المساكين، ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيراً لفقره، ولا يهاب ملكاً لملكه، يعظّم النعمة وإن قلّت، لا يذمّ منها شيئاً، فما عاب طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه. وكان يحفظ جاره، ويكرم ضيفه. وكان أحسن الناس تبسماً، وأحسنهم بشراً لا يمضي له وقت في غير عمل الله أو في ما لا بدّ منه، وما خيّر بين أمرين، إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون فيه قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس منه. يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويركب الفرس، والبغل، والحمار، ويردف خلفه عبده أو غيره، ويمسح وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه.

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة وإذا جاءه ما يحب يقول: «الحمد لله رب العالمين»[2]، وإذا جاءَه ما يكره، قال: «الحمد لله على كل حال»[3]، وإذا رفع الطعام من بين يديه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا من المسلمين»[4]، وأكثر جلوسه مستقبل القبلة، ويكثر الذكر، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويستغفر الله في المجلس الواحد مائة مرة.

وكان يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، وكان يصوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام في كل شهر وعاشوراء، وكان يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان، وكان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحي، وإذا نام نفخ ولا يغط، وإذا رأى في منامه ما يكره قال:

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٩٢). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (١٢٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤: ٥٧). والطبراني في المعجم الكبير (٥: ٥٠). والحاكم في المستدرك (٢: ٢٥٨). وابن حجر في فتح الباري (٩: ٥٤).

(٣) رواه الترمذي في السنن (٣٥٩٩). وابن ماجه في السنن (٣٨٠٣). وأحمد في المسند (٢: ١١٧). والحاكم في المستدرك (١: ٤٩٩).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (الذكر والدعاء: ٦٤). والترمذي في السنن (٣٣٩٦:). وأبو داود في السنن (الأدب: ١٠٦). وابن ماجه في السنن (٣٢٨٣). وأحمد في المسند (٣: ٣٢).

«هو الله لا شريك له»[(١)]، وإذا أخذ مضجعه قال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»[(٢)]، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[(٣)]، وكان لا يأكل الصدقة، ويأكل الهدية، ويكافئ عليها، ولا يتأنق في ما أكل، وكان يعصب على بطنه الحجر من الجوع وآتاه الله تعالىٰ مفاتيح خزائن الأرض، فلم يقبلها، واختار الآخرة وأكل الخبز بالخل، وقال: «نعم الإدام الخل»[(٤)]، وأكل لحم الدجاج، ولحم الحباري. وكان يحب الدباء والذراع من الشاة، وكان يأكل الزيت ويدهن به لأنه من شجرة مباركة. وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، ويأكل خبز الشعير بالتمر، والبطيخ بالرطب، والقثاء بالرطب، والتمر بالزبد، ويحب الحلو والعسل، ويشرب قاعداً وربما يشرب قائماً، ويتنفس ثلاثاً مبيناً للإناء، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه، وشرب لبناً، وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل: اللّهمّ بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً، فليقل: اللّهمّ بارك لنا فيه وزدنا منه»[(٥)]، وقال: «ليس شيء [يجزئ][(٦)] مكان الطعام والشراب غير اللبن»[(٧)].

وكان يلبس الصوف، وينتعل المخصوف، ولا يتأنق في ملبس وأحب اللباس إليه الحبرة من برود اليمن فيها حمرة وبياض وأحب الثياب إليه القميص، ويقول في لبس ثوب استجده: «اللّهمّ لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صنع له»[(٨)]، ويعجبه الثياب الخضر، وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، ثم يعقد طرفيه، ويلبس يوم الجمعة البردة الحمراء، ويختّم، ويلبس خاتماً من فضة نقشه محمد رسول الله في

---

(١) رواه في الأذكار النووية (١١٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (صلاة المسافرين: ٦٢). والترمذي في السنن (٣٣٩٨). وأحمد في المسند (٤: ٢٩٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٢: ١٨٢).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٨: ٨٥). ومسلم في الصحيح (الذكر والدعاء: ٥٩). وأبو داود في السنن (الأدب: ١٠٦). وابن ماجه في السنن (٣٨٨٠).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (١٦٢٢). وأحمد في المسند (٣: ٣٠١). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٨٠).

(٥) رواه أحمد في المسند (١: ٢٢٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٢٦). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٥٣١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٠٧٤٣).

(٦) وردت في الأصل «يجزي». ولم نجد هذا اللفظ بكل الأحاديث التي راجعناها.

(٧) رواه الترمذي في السنن (٣٤٥٥). وأحمد في المسند (١: ٢٢٥). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٥٣٢). وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ١١٢). والبغوي في شرح السنة (١١: ٣٨٨). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٢٦). والترمذي في الشمائل (١٠٥).

(٨) رواه التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٤٢). والبغوي في شرح السنة (١٢: ٤٠). والترمذي في الشمائل (٣٥). بمعناه.

خنصره الأيمن، وربما الأيسر، ويحب الطيب، ويكره الرائحة الكريهة، ويقول: **«إن الله جعل لذتي بالنساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة»**[١].

وكان يتطيّب بالغالية، والمسك، أو المسك وحده، ويتبخّر بالعود والكافور، ويكتحل بالإثمد، وربما اكتحل ثلاثاً باليمين، واثنين في الشمال، وربما اكتحل وهو صائم، ويكثر دهن رأسه ولحيته ويدهن غباً، ويكتحل وتراً، ويحب التيمّن في ترجّله وتنعّله في طهوره وفي شأنه كلّه، وينظر في المرآة ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره، والمكحلة، والمرآة، والمشط، والمقراض، والسواك، والإبرة، والخيط، ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل النوم، وبعده عنده القيام لورده، وعند صلاة الصبح.

وكان يحتجم، وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً. جاءته امرأة فقالت: يا رسول الله احملني على جمل، فقال: **«أحملك على ولد الناقة»**، قالت: لا يطيقني، قال: **«لا أحملك إلا على ولد الناقة»**، قالت: لا يطيقني، فقال لها الناس: **«وهل الجمل إلا ولد الناقة»**[٢].

وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن بعلي مريض وهو يدعوك، فقال: **«لعلّ زوجك الذي في عينه بياض»**، فرجعت وفتحت عين زوجها، فقال لها: ما لكِ؟ فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينك بياضاً، فقال لها: وهل أحد إلاّ وفي عينه بياض؟

وقالت له أخرى: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنّة، فقال: **«يا أمّ فلان إن الجنّة لا يدخلها عجوز»**، فولّت المرأة وهي تبكي، فقال عليه الصّلاة والسّلام: **«أخبروها أنها لا تدخل وهي عجوز، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]»**[٣].

ذكر زوجات ﷺ

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ثم سودة بنت زمعة رضي الله عنها كبرت عنده، فأراد أن يطلقها فوهبت يومها لعائشة، وقالت: لا حاجة لي في الرجال، وإنما أريد أن أحشر في زوجاتك، ثم عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، تزوجها بمكة قبل الهجرة بسنتين، وقيل: بثلاث، وهي بنت ست أو سبع، وبنى بها في المدينة، وهي بنت تسع، ومات عنها

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ١٢٠). بمعناه

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨: ١٦٣).

(٣) رواه ابن كثير في التفسير (٨: ٩). والبغوي في شرح السنة (٧: ١٩).

وهي بنت ثمان عشرة سنة، [وتوفيت][١] سنة ثمان وخمسين، وقيل غير ذلك، ولم يتزوج بكراً غيرها. تكنى أم عبد الله، ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

روي أنه طلقها، فنزل جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة. وفي خبر قال: رحمة لعمر.

وتزوّج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما، وهي بالحبشة وأصدقها عنه النجاشي أربعماية دينار، وولي نكاحها عثمان بن عفان، وقيل: خالد بن سعيد بن العاص، وتوفيت سنة أربع وأربعين.

وتزوج أم سلمة هند بنت أبي أمية رضي الله عنها وماتت سنة اثنتين وستين، وهي آخرهن موتاً، وقيل: ميمونة.

وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها، توفيت بالمدينة سنة عشرين وهي أولهن وفاة، وأول من حمل على نعش.

وتزوج جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، سبيت في غزوة بني المصطلق فوقعت لثابت بن قيس بن شماس، فكاتبها فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، وكانت امرأة مليحة، فقال لها رسول الله ﷺ: «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابك وأتزوجك»[٢]، فقبلت فقضى عنها، وتزوجها، وتوفيت سنة ست وخمسين.

وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها من ولد هارون عليه السلام، سبيت من خيبر فأعتقها وجعل عتقها صداقها، وتوفيت سنة خمسين.

وتزوج ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها خالة خالد بن الوليد وعبد الله بن عباس، وهي آخر من تزوج، وتوفيت سنة إحدى وخمسين.

وقيل: سنة ست وستين، فإن ثبت ذلك فهي آخر من مات منهن هؤلاء غير خديجة اللاتي مات عنهن.

وتزوج زينب بنت خزيمة أم المساكين رضي الله عنها سنة ثلاث من الهجرة، ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاث وماتت.

وتزوّج فاطمة بنت الضحاك وخيّرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها، ثم كانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول: أنا الشقية اخترت الدنيا.

---

(١) وردت في الأصل: «توفت» وهذه اللفظة يجب أن تَرِدَ بصيغة المجهول.

(٢) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٣٠٦).

وتزوَّج إساف أخت دحية الكلبي، وخولة بنت الهذيل، وقيل: بنت حكيم، وهي التي وهبت نفسها له، وقيل: تلك أم شريك، وأسماء بنت كعب الجونية، وعمرة بنت يزيد بن الجون الكلابية، وطلقها قبل الدخول، وامرأة من غفار فرأى بها بياضاً فألحقها بأهلها.

وتزوّج أميمة، فلما دخل عليها قالت: أعوذ بالله منك، فقال: **«منع الله عائذه، الحقي بأهلك»**[1]، وعالية بنت ظبيان، طلقها حين دخلت عليه، وبنت الصلت وماتت قبل أن يدخل عليها، ومليكة الليثية، قال بعضهم: وهي التي استعاذت فسرحها، وخطب امرأة من أبيها فوصفها، ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال ﷺ: **«ما لهذه عند الله من خير»**[2]، فتركها.

وكان صداقه لنسائه خمسمائة درهم لكل واحدة، هذا أصح ما قيل إلا صفية وأم حبيبة.

ذكر أولاده ﷺ

أوّلهم القاسم وبه كان يكنى، وعبد الله ويسمّى الطيب والطاهر، وقيل: الطيب غير الطاهر، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

مات البنون قبل الإسلام أطفالاً، والبنات أدركن الإسلام وكلهن من خديجة. وولد له بالمدينة إبراهيم من مارية، ومات وهو ابن سبعين ليلة، وقيل: سبعة أشهر.

وقيل: ثمانية أشهر وكلّهم ماتوا في حياته إلا فاطمة فتأخّرت بعده سبعة أشهر، وكانت زينب عند أبي العاص بن الربيع فولدت له علياً، مات صغيراً، وأمامة تزوجها علي، ثم خلف عليها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فولدت له يحيى، وكانت فاطمة عند علي فولدت له حسناً، وحسيناً، ومحسناً، فذهب محسن صغيراً.

وولدت رقية، وزينب، وأم كلثوم. ماتت رقية قبل البلوغ، وتزوج زينب عبد الله بن جعفر فولدت له علياً. وماتت وتزوج أم كلثوم عمر بن الخطاب، فولدت له زيداً، وخلف عليها بعده عوف بن جعفر، ثم أخوه محمد، ثم أخوه عبد الله.

وأمّا رقية فكانت عند عثمان بن عفان فولدت له عبد الله وتوفيت يوم جاء زيد بن حارثة بشيراً بالفتح يوم بدر، فتزوج أم كلثوم أختها، وماتت عنده في شعبان سنة تسع وكانت قبله عند عتيبة بن أبي لهب.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٣٩). والحاكم في المستدرك (٤: ٣٤).

(٢) رواه الربيع بن حبيب في المسند (٢: ٣٥).

ذكر أعمامه وعمّاته ﷺ

الحارث، وقثم، والزبير، وحمزة، والعباس، وأبو طالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى، وعبد الكعبة، وحجل واسمه المغيرة، وضرار، والغيداق، وصفية، وعاتكة، وأروى، وأمية، وبرة، وأم حكيم البيضاء. أسلم منهم حمزة والعباس وصفية.

ذكر مواليه ﷺ

زيد بن حارثة وأعتقه، وابنه أسامة وثوبان وأبو كبشة سليم شهد بدراً وأعتقه وتوفي يوم استخلف عمر وأنيسة وأعتقه وشقران واسمه صالح.

قيل: ورثه من أبيه، وقيل: اشتراه من عبد الرحمٰن بن عوف وأعتقه، ورباح نوبي وأعتقه، ويسار نوبي وقتله العرنيون، وأبو رافع أسلم وهبه له العباس فأعتقه حين بشّره بإسلام العباس وزوّجه سلمى مولاة له، فولدت له عبيد الله كتب لعلي، وأبو مويهبة وأعتقه، وفضالة مات بالشام، ورافع مولى سعيد بن العاص وأعتقه، ومدعم وهبه له رفاعة الجذامي قتل بوادي القرى، وكركرة نوبي أهداه له هوذة بن علي وأعتقه، وزيد جد جلال بن يسار، وعبيد، وطهمان، ومأبور القبطي من هدية المقوقس، وواقد، وأبو واقد، وهشام، وأبو ضمرة من الفيء وأعتقه، وحنين، وأبو عثيب واسمه أحمر، وأبو عبيد، وسفينة، وكان لأم سلمة فأعتقته، وشرطت عليه أن يخدم النبيّ ﷺ حياته، فقال: لو لم تشترطي عليّ ما فارقته، وكان اسمه رباحاً.

وقيل: مهران، وأبو هند وأعتقه، وأنجشة الحادي، وأبو لبانة وقد عدّوا أكثر من ذلك. وسلمى أم رافع وبركة حاضنته ورثها من أبيه، ومارية، وريحانة، وميمونة بنت سعد، وخضرة، ورروى.

وخدمه الأحرار ﷺ

أنس بن مالك، وهند وأسماء ابنا حارثة، وربيعة بن كعب الأسلميون، وعبد الله بن مسعود، وعقبة بن عامر، وبلال، ومخمر بن أخي النجاشي، وكبير بن شداح الليثي، وأبو ذرّ الغفاري.

وحرسه ﷺ

سعد بن معاذ يوم بدر، وذكوان بن عبد قيس، ومحمد بن مسلمة بأُحُد، والزبير يوم

الخندق، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأبو أيوب بخيبر، وبلال بوادي القرى. ولما نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧] ترك الحرس.

ذكر رسله ﷺ إلى الملوك

عمرو بن أمية إلى النجاشي واسمه أصحمة وهو العطية، فوضع كتاب رسول الله ﷺ على عينيه ونزل من سريره وجلس على الأرض وأسلم ومات في حياة النبيّ ﷺ في سنة تسع فصلّى عليه. ودحية بن خليفة الكلبي إلى ملك الروم قيصر وهو هرقل، فثبت عنده نبوّة النبيّ ﷺ فَهَمَّ بالإسلام فلم توافقه الروم فخافهم على ملكه فأمسك، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس فمزق الكتاب، فقال ﷺ: «مزق الله ملكه كل ممزق»[1].

وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس فقارب الإسلام، وأهدى للنبيّ ﷺ مارية، وشيرين، والبغلة الشهباء دلدل، وألف دينار، وأثواباً عشرين، وعمرو بن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي ملكي عمان فأسلما، وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم بينهم فلم يزل حتى توفي النبيّ ﷺ، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة، فأكرمه وبعث للنبيّ ﷺ: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله وأنا خطيب قومي وشاعرهم فاجعل لي بعض الأمر فأبى عليه السلام، ولم يسلم هوذة، وشجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء بالشام فرمى بالكتاب.

وقال: أنا سائر إليه فمنعه قيصر، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث الحميري في اليمن، والعلاء بن الحضرمي إلى المنذر ملك البحرين ابن ساوي فأسلم، وأبو موسى الأشعري بعثه إلى اليمن ومعه معاذ بن جبل فأسلم عامة اليمن وملوكهم من غير قتال.

وممن كتب له ﷺ

الخلفاء الأربعة، وعامر بن فهيرة، وعبد الله بن الأرقم، وأُبيّ بن كعب، وثابت بن قيس بن شماس، وخالد بن سعيد، وحنظلة بن الربيع، وزيد بن ثابت، ومعاوية، وشرحبيل بن حسنة. وكان عليّ، والزبير، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، والمقداد يضربون الأعناق بين يديه.

---

(١) رواه العجلوني في نصب الراية (٤: ٤٢١).

والنجباء من أصحابه: أبو بكر، وعمر، وعليّ، وحمزة، وجعفر، والزبير، والمقداد، وسلمان، وحذيفة، وابن مسعود، وعمّار، وبلال.

والعشرة المشهود لهم بالجنة: الخلفاء الأربعة، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين.

ذكر دوابه ﷺ

من الخيل عشرة على خلاف فيها، وهي السكب، وكان عليه يوم أحد وكان أغر محجلاً طليق اليمين، والمرتجز وهو الذي شهد له به خزيمة بن ثابت، ولزاز أهداه إليه المقوقس، واللّحيف أهداه له ربيعة بن أبي البراء، والظرب أهداه له فروة الجذامي، والورد أهداه له تميم الداري، والمرواح، وسبحة، والبحر اشتراه من تجار اليمن، فسبق عليه ثلاث مرات، فمسح على وجهه وقال ﷺ: «ما أنت إلا بحر».

ومن البغال ثلاث: الدلدل التي أهداها له المقوقس، وهي أوّل بغلة ركبت في الإسلام، وفضة أتهبها من أبي بكر، والأيلية أهداها له ملك أيلة. وكان له حمار يسمى يعفوراً.

وأما النعم فلم ينقل أنه اقتنى شيئاً من البقر، وكانت له عشرون لقحة بالغابة أرسلها سعد بن عبادة من نعم بني عقيل، وكانت له القصوى وهي التي هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل الوحي غيرها، وقيل: هي العضباء، والجدعاء، وهي التي سبقت فشقّ على المسلمين، فقال ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه»[1]، وقيل: المسبوقة وغيرها. وكان له شاة يختصّ بشرب لبنها تدعى غيثة، وديك أبيض.

ذكر سلاحه ﷺ

هي تسعة أسياف: ذو الفقار من غنائم بدر لبني الحجاج السهميين رأى عليه الصّلاة والسّلام في النوم في ذبابه ثلمة وتأوّلها هزيمة فكانت يوم أحد، وثلاثة أصابها من بني قينقاع، القلعي، والبتار، والحتف، وله المخذم، والرسوب، وآخر ورثه من أبيه، والعضب أعطاه إياه سعد بن عبادة، والقضيب وهو أوّل سيف تقلّد به ﷺ، وأربعة رماح: المثنى، وثلاثة من بني

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٨: ١٣١). والنسائي في السنن (٦: ٢٢٧). وأبو داود في السنن (٤٨٠٣). وأحمد في المسند (٣: ١٠٣).

قينقاع. وعنزة تحمل بين يديه في العيدين، ومحجن قدر الذراع، ومخصرة تسمى العرجون، وقضيب يسمّى الممشوق.

وكان له أربعة قسي وجعبة، وترس عليه تمثال عقاب أهدي له فوضع يده على العقاب فذهب، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان نصل سيف رسول الله ﷺ وقبضته فضة، وما بين ذلك حلق الفضة ودرع، تسمّى ذات الفضول لبسها يوم بدر وحنين، ويقال: كان عنده درع داود عليه السّلام التي لبسها يوم قتل جالوت.

وكان له مغفر يقال له السبوغ، ومنطقة من أديم مبشور فيها ثلاث حلق من فضة والإبزيم فضة، والطرف كان له لؤلؤ أبيض.

ذكر أثوابه وأثاثه ﷺ

ترك النبيّ ﷺ ثوبي حبرة وإزاراً يمانياً، وثوبين صحاريين وقميصاً صحارياً وآخر سحولياً وجبّة يمنية وخميصة وكساء أبيض وقلانس صغاراً متلألئة ثلاثاً أو أربعاً وملحفة.

وكانت له ربعة فيها مرآة ومشط عاج ومقراض وسواك، وكان له فراش من أدم حشوه ليف، وقدح مضبّب بفضة من ثلاثة مواضع، وقدح آخر، وتور من حجارة، ومحصب من شبه يعمل فيه الحنّاء والكتم، ويوضع على رأسه إذا وجد فيه حرارة، وقدح زجاج، ومغتسل من صفر، وقصعة، وصاع يخرج به زكاة الفطر، ومدّ، وسرير، وقطيفة، وخاتم فضة فصّه منه نقشه: محمد رسول الله ﷺ.

وقيل: إنه كان من حديد وملوي بفضة. وأهدى له النجاشي خفّين سادجين فلبسهما، وكان له كساء أسود وعمامة سوداء، يقال لها: السحاب فوهبها علياً، فكان ربما قال إذا رآه مقبلاً وعليه وهي على رأسه: «أتاكم عليّ في السحاب»[1]، وله ثوبان للجمعة غير ثيابه الذي كان يلبسها في سائر الأيام، ومنديل يمسح به وجهه من الوضوء.

ذكر نبذة من معجزاته ﷺ

فمنها القرآن وهو أعظمها، وشقّ الصدر وإخباره عن البيت المقدّس، وانشقاق القمر وأن الملأ من قريش تعاقدوا على قتله، فخرج عليهم فخفضوا أبصارهم وسقطت أذقانهم في صدورهم، وأقبل حتى قام على رؤوسهم فقبض قبضة من تراب، وقال: «شاهت

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٣٠). والشجري في الأمالي (٢: ٣). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٢: ٣٧٥).

الوجوه»[١]، وحصبهم فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى إلا قتل يوم بدر، ورمى يوم حنين بقبضة من تراب في وجوه القوم، فهزمهم الله تعالىٰ، ونسج العنكبوت في الغار.

وما كان من أمر سراقة بن مالك إذ تبعه في الهجرة فساخت قوائم فرسه في الأرض الجلد، ومسح على ظهر عناق لم ينزُ عليها الفحل فدرّت، وشاة أم معبد، ودعوته لعمر أن يعزّ الله به الإسلام، ودعوته لعليّ أن يذهب الله عنه الحرّ والبرد، وتفل في عينيه وهو أرمد فعوفي من ساعته، ولم يرمد بعد ذلك.

وردّ عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خدّه فكانت أحسن عينيه، ودعا لعبد الله بن عباس بالتأويل والفقه في الدين، ودعا لجمل جابر فصار سابقاً بعد أن كان مسبوقاً، ودعا لأنس بطول العمر وكثرة المال والولد، وفي تمر جابر فأوفى غرماءه وفضل ثلاثة عشر وسقاً، واستسقى ﷺ فمطروا أسبوعاً، ثم استصحى لهم فانجابت السحاب، ودعا على عتيبة بن أبي لهب فأكله الأسد بالزرقاء من الشام.

وشهدت له الشجرة بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الإسلام، فقال: هل من شاهد على ما تقول؟ فقال: «نعم، هذه الشجرة»[٢]، ثم دعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت له أنه كما قال ثلاثاً، ثم رجعت إلى منبتها وأمر شجرتين فاجتمعتا، وأمر إنساناً أن ينطلق إلى نخلات، فيقول لهن: أمركن رسول الله ﷺ أن تجتمعن، فاجتمعن، فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن أن يعدن إلى ما كنّ فيه، وجاءت شجرة حتى قامت عليه فاستيقظ فذكرت له فقال هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلّم عليّ فأذن لها. وسلم عليه الحجر والشجر ليالي بعث السلام عليك يا رسول الله، وقال: إني لأعرف حجراً بمكّة كان يسلّم عليّ قبل أن أبعث، وحنّ إليه الجذع، وسبّح الحصى في كفّه، وكذلك الطعام وأعلمته الشاة بسمها وشكا له البعير كثرة العمل وقلّة العلف، وسألته الظبية أن يخلصها من الحبل لترضع ولديها وتعود فتلفظت بالشهادتين.

وأخبر عن مصارع المشركين يوم بدر، فلم يعد أحد منهم مصرعه، وأخبر أن طائفة من أمته يغزون البحر، وأن أم حرام بنت ملحان منهم، فكان كذلك، وقال لعثمان تصيبه بلوى شديدة فكانت، وقتل، وقال للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة»[٣]، فكانت. وقال في الحسن: «إن ابني هذا سيد وإن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[٤]، وأخبر

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (الجهاد: ٢٨). وأحمد في المسند (١: ٣٠٣). والدارمي (٢: ٢٢٠). والحاكم في المستدرك (١: ١٦٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٤: ١٧٢). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ١٥٤). بمعناه.

(٣) رواه البغوي في شرح السنة (١٤: ١٧٤).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٢٣). والسيوطي في جمع الجوامع (٦٠٦٠).

بقتل العنسي الكذاب وهو بصنعاء ليلة قتله ومن قتله، وقال لثابت بن قيس: **«تعيش حميداً وتقتل شهيداً»**(١)، فقتل يوم اليمامة، وارتدّ رجل ولحق بالمشركين فبلغه أنه مات، فقال: **«إن الأرض لا تقبله»**(٢)، فكان كذلك. وقال لرجل يأكل بشماله: **«كل بيمينك»**(٣)، فقال: لا أستطيع، فقال: **«لا استطعت»**(٤)، فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد ذلك.

ودخل مكة عام الفتح والأصنام حول الكعبة معلّقة وبيده قضيب فجعل يشير إليها ويقول: **«جاء الحق وزهق الباطل»**(٥)، وهي تتساقط. وقصة مازن بن الغضوبة الطائي، وسواد بن قارب وأمثالهما.

وشهد الضب بنبوّته، وأطعم الناس من صاع شعير بالخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان، وأطعمهم من تمر قليل. وجمع فضل الأزواد على النطع فدعا لها بالبركة، ثم قسمها في العسكر فقامت بهم. وأتاه أبو هريرة بتمرات قد صفّهن بيده، وقال: ادع لي فيهن بالبركة ففعل، قال أبو هريرة: فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقاً في سبيل الله، وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمان عثمان. ودعا لأهل الصفة بقطعة ثريد، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فجعلت أتطاول ليدعو لي حين قام القوم وليس في القصعة إلا اليسير في نواحيها فجمعه رسول الله ﷺ فصار لقمة فوضعها على أصابعه، وقال: **«كل بسم الله»**(٦)، فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت. ونبع الماء من بين أصابعه حتى شرب القوم وتوضؤوا، وكانت جملة القوم ألفاً وأربعمائة. وأتي بقدح فيه ماء فوضع أصابعه فيه، وقال: **«هلموا فتوضؤوا منه أجمعون»**(٧)، وهم من السبعين إلى الثمانين.

وورد في غزوة تبوك على ماء لا يروي واحداً والقوم عطاش، فشكوا إليه فأخذ سهماً من كنانته فغرسه ففار الماء، وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفاً، وشكا إليه قوم ملوحة في مائهم

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ٨٥).

(٢) رواه البغوي في شرح السنة (١٣: ٣٠٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٠٤٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (٤: ٤٥). والدارمي في السنن (٢: ٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٧٧). والسيوطي في دلائل النبوة (٦: ٢٣٨).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤: ٤٥). والدارمي في السنن (٢: ٩٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٢٧٧). والسيوطي في دلائل النبوة (٦: ٢٣٨).

(٥) رواه البخاري في الصحيح (٣: ١٧٨). ومسلم في الصحيح (الجهاد: ٨٤). والترمذي في السنن (٣١٣٨). وأحمد في المسند (١: ٣٧٧). والبيهقي في السنن الكبرى (٦: ١٠١).

(٦) رواه الهيثمي في موارد الظمآن (٢١٤٨).

(٧) رواه أحمد في المسند (٣: ٢١٦). والسيوطي في دلائل النبوة (٤: ١٢٤).

فجاء في نفر من أصحابه حتى وقف على بئر، فتفل فيها فتفجر الماء العذب المعين، وأتته امرأة بصبي لها أقرح فمسح على رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه، فسمع أهل اليمامة بذلك فأتت امرأة إلى مسيلمة بصبي فمسح رأسه فتصلع وبقي الصلع في نسله، وانكسر سيف عكاشة يوم بدر فأعطاه جذلاً من حطب فصار في يده سيفاً، ولم يزل بعد ذلك عنده، وعزت كدية بالخندق عن أن يأخذها المعول فضربها فصارت كثيباً أهيل، ومسح على رجل أبي رافع وقد انكسرت فكانت كأنها لم يشكها قط، ومعجزاته ﷺ أكثر من أن يحصرها أو يجمعها ديوان.

ذكر وفاته ﷺ

توفّي ﷺ وقد بلغ ثلاثاً وستين، وقيل غير ذلك، يوم الإثنين حين اشتدّ الضحى لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل، ومرض أربعة عشر يوماً، ودفن ليلة الأربعاء. ولما حضره الموت كان عنده قدح فيه ماء فجعل يدخل يده فيه ويمسح وجهه، ويقول: «اللّهمّ أعنّي على سكرات الموت»[(١)]. وسجي ببرد حبرة، وقيل: إن الملائكة سبحته. ودهش أصحابه فأنكر عمر وفاته ﷺ، وأخرس عثمان، وأقعد عليّ ولم يكن فيهم أثبت من العباس وأبي بكر، ثم إن الناس سمعوا من باب الحجرة: لا تغسلوه فإنه طاهر مطهر، ثم سمعوا بعد ذلك: اغسلوه فإن ذلك إبليس، وأنا الخضر وعزّاهم. فقال: إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب.

واختلفوا في غسله، هل يكون في ثيابه أو يجرّد عنها، فوضع الله عليهم النوم، فقال قائل لا يُدْرَى من هو: اغسلوه في ثيابه، فانتبهوا وفعلوا ذلك والذين ولّوا غسله: علي، والعباس، وولداه: الفضل، وقثم، وأسامة، وشقران مولياه. وحضرهم أوس بن خولي من الأنصار، ومسحه علي فلم يخرج منه شيء، فقال: يا رسول الله لقد طبت حياً وميتاً. وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص، ولا عمامة، بل لفائف من غير خياطة، وصلّى عليه المسلمون أفراداً لم يؤمّهم أحد، وفرش تحته في القبر قطيفة حمراء كان يتغطّى بها شقران، وحفر له وألحد وأطبق عليه تسع لبنات، واختلفوا أيُلْحَدُ أم يضرح؟

وكان بالمدينة حفاران أحدهما يلحد وهو أبو طلحة وآخر يضرح، وهو أبو عبيدة. فاتفقوا أن من جاء منهم أولاً عمل عمله، فجاء الذي يلحد بلحد له وذلك في بيت عائشة، ودفن معه أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦: ٦٤). وابن ماجه في السنن (١٦٢٣). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ١٠٥). وابن حجر في فتح الباري (٨: ١٤٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (١٨٨٣٦).

ومنهم الإمام العلامة أبو عبد الله محمد بن الحاج العبدري المالكي(١) المتوفى سنة ٧٣٧ هـ

فمن جواهره رضي الله عنه

[اختصاص مولده ﷺ بيوم الإثنين]

قوله في كتابه: المدخل، فصل: فإن قال قائل: ما الحكمة في كونه ﷺ خصّ مولده الكريم بشهر ربيع الأول وبيوم الإثنين منه على الصحيح والمشهور عند أكثر العلماء، ولم يكن في شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن وفيه ليلة القدر، واختصّ بفضائل عديدة، ولا في الأشهر الحرم التي جعل الله لها الحرمة يوم خلق السمٰوات والأرض، ولا في ليلة النصف من شعبان، ولا في يوم الجمعة، ولا في ليلتها؟

فالجواب: من أربعة أوجه:

الوجه الأول: ما ورد في الحديث من أن الله تعالىٰ خلق الشجر يوم الإثنين وفي ذلك تنبيه عظيم، وهو أن خلق الأقوات، والأرزاق، والفواكه، والخيرات التي يتغذّى بها بنو آدم، ويحيون، ويتداوون، وتنشرح صدورهم لرؤيتها، وتطيب بها نفوسهم، وتسكن بها خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم بتحصيل ما يبقي حياتهم على ما جرت به العادة من حكمة الحكيم سبحانه وتعالىٰ، فوجده ﷺ في هذا الشهر في هذا اليوم قرّة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأمّته ﷺ.

الوجه الثاني: إن ظهوره ﷺ في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن إليه بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع، إذ إن فيه تفاؤلاً حسناً ببشارته لأمّته ﷺ، والتفاؤل له أصل أشار إليه ﷺ.

وقد قال الشيخ الإمام أبو عبد الرحمٰن الصقلي رحمه الله: لكل إنسان من اسمه نصيب هذا في الأشخاص، وكذلك في غيرها.

---

(١) هو محمد بن محمد بن علي بن أحمد، أبو عبد الله.

وإذا كان كذلك ففصل الربيع فيه تنشق الأرض عمّا في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالىٰ، وأرزاقه التي بها قوام العباد، وحياتهم، ومعايشهم، وصلاح أحوالهم، فينفلق الحب، والنوى وأنواع النبات، والأقوات المقدّرة فيها، فيبتهج الناظر عند رؤيتها وتبشّره بلسان حالها بقدوم ربيعها، وفي ذلك إشارة عظيمة إلى الاستبشار بابتداء نعم المولى سبحانه وتعالىٰ، ألا ترى أنك إذا دخلت بستاناً في هذه الأيام تنظر إليه كأنه يضحك لك، وتجد زهره كأن لسان حاله يخبرك بما لك من الأرزاق المدخرة والفواكه، وكذلك الأرض إذا ابتهج نوارها كأن يحدثك بلسان حاله كذلك أيضاً.

فمولده ﷺ في شهر ربيع فيه من الإشارات ما تقدم ذكر بعضه، وذلك إشارة ظاهرة من المولى سبحانه وتعالىٰ إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبيّ الكريم ﷺ، وأنه رحمة للعالمين، وبشرى للمؤمنين، وحماية لهم من المهالك والمخاوف في الدين، وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم في الدنيا لأجله ﷺ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، وكيف لا يكون ذلك، والخير كله في الاتباع وإدرار نعم المولى سبحانه وتعالىٰ إنما يكثر عند الامتثال لأمره واتّباع سنن أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه، ومخالفة العدوّ اللعين وجنوده.

ألا ترى أنه ﷺ حين خروجه إلى هذا الوجود لم يقدر اللعين إبليس وجنوده على القرار في هذه الأرض، ولا في الثانية، ولا في الثالثة، إلى أن نزلوا إلى الأرض السابعة فخلت الأرض منهم ببركة وجوده ﷺ فيها.

فانظر رحمنا الله تعالىٰ وإيّاك إلى خلوّ الأرض من هذا اللعين وجنوده، وقد ورد في شهر رمضان أنهم يقيّدون، فأين التقييد من نفيهم بالكلية إلى تخوم الأرض السابعة، وفي هذا إشارة عظيمة دالّة على كرامته عليه الصّلاة والسّلام عند ربّه، والاعتناء به وبمن تبعه.

فإن قيل: إن شهر رمضان تقيد الشياطين في جميعه، فلا شكّ أن نفيهم إلى الأرض السابعة السفلى في يوم مولده ﷺ أعظم من تقييدهم في شهر رمضان كله، إذ فيه ظهور مزية الوقت الذي خلت الأرض من العدو وجنوده فيه، فليفهم من يفهم والله الموفّق، فوقعت البركات وإدرار الأرزاق.

ومن أعظمها منّة الله تعالىٰ على عباده بهدايته ﷺ لهم، إلى صراطه المستقيم أسأل الله تعالىٰ أن يعرفنا بركة ذلك بمنّه ويرزقنا اتّباعه ديناً، ودنيا، وآخرة، بفضله لا ربّ سواه، آمين.

الوجه الثالث: ما في شريعته ﷺ من شبه الحال، ألا ترى أن فصل الربيع أعدل

الفصول، وأحسنها؛ إذ ليس فيه برد مزعج، ولا حر مقلق، وليس في ليله ونهاره طول خارق، بل كلّ معتدل، وفصله سالم من العلل والأمراض والعواض التي يتوقّعها الناس في أبدانهم في زمان الخريف، بل الناس تنتعش فيه قواهم وتصلح أمزجتهم وتنشرع[1] صدورهم لأن الأبدان يدركها فيه من إمداد القوة ما يدرك النبات حين خروجه، إذ منها خلقوا فيطيب ليلهم للقيام، ونهارهم للصيام لما تقدم من اعتداله في الطول والقصر، والحرّ، والبرد، فكان في ذلك شبه الحال بالشريعة السمحة التي جاء بها صلوات الله عليه وسلامه، من رفع الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا.

وقد نطق القرآن بذلك حيث يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

الوجه الرابع: إنه قد شاء الحكيم سبحانه وتعالىٰ أنه ﷺ، تتشرّف به الأزمنة والأماكن لا هو يتشرّف بها، بل يحصل للزمان والمكان الذي يباشره ﷺ الفضيلة العظمى، والمزية على ما سواه من جنسه، إلا ما استثني من ذلك لأجل زيادة الأعمال فيها وغير ذلك. فلو ولد ﷺ في الأوقات المتقدم ذكرها لكان ظاهره يوهم أنه يتشرّف بها، فجعل الحكيم جلّ جلاله مولده ﷺ في غيرها ليظهر عظيم عنايته سبحانه وتعالىٰ به، وكرامته عليه وقد تقدم ما في قوله ﷺ للسائل الذي سأله عن صوم يوم الإثنين، فقال ﷺ: «ذلك يوم ولدت فيه»[2]، ولما أن صرح ﷺ بقوله في يوم الإثنين ذلك يوم ولدت فيه، علم بذلك ما اختصّ به يوم الإثنين من الفضائل، وكذلك الشهر الذي ظهر فيه ﷺ، فإن كان يوم الجمعة فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالىٰ شيئاً إلاّ أعطاه إياه.

وقد قال الإمام أبو بكر الفهري المشهور بالطرطوشي رحمه الله تعالىٰ: معظم العلماء على أنها بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وقوى رحمه الله ذلك بحديث، قال في كتابه رواه مسلم في الصحيح، وذكر فيه: أن آدم خلق بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر إلى اللّيل، لأن آدم عليه السلام هو ساكن الدار وهو المراد بالخطاب؛ إذ أنّ الدار لا تراد لنفسها بل لساكنها.

---

(١) تنشرع: ترتوي وترتاح [لسان العرب، مادة: شرع].
(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٤: ٢٨٦).

وقال: وقد كانت فاطمة رضي الله عنها إذا صلّت العصر من يوم الجمعة تستقبل القبلة، وتقبل على الذكر والدعاء، ولا تكلّم أحداً حتى تغرب الشمس، وتقول: إن الساعة المذكورة هي في ذلك الوقت وتؤثر ذلك عن أبيها ﷺ، فإذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها آدم عليه السّلام لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالىٰ فيها شيئاً إلا أعطاه إياه، فلا شك أن من صادف الساعة التي ظهر فيها ﷺ إلى الوجود، وهو يسأل الله تعالىٰ شيئاً أنه قد نجح سعيه، وظفر بمراده إذ أن المعنى الذي فضل الله تعالىٰ به تلك الساعة في يوم الجمعة، هو خلق آدم عليه السلام، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد الأوّلين والآخرين ﷺ. قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»[1]، وقال ﷺ: «آدم ومن دونه تحت لوائي»[2]. انتهى.

ووجه آخر: أن يوم الجمعة أهبط آدم وفيه تقوم الساعة، ويوم الإثنين خير كله وأمن كله، فللّه الحمد والمنّة. فإن قال قائل: قد خصّ يوم الجمعة بصلاة الجمعة والخطبة، وغير ذلك مما هو مختصّ به، فالجواب ما تقدم من أنه ﷺ ما يخصّه في نفسه الكريمة يخفّف فيه الأمر عن أمّته، فلا يكلّفهم فيه زيادة عمل، لأن المولى سبحانه وتعالىٰ لما أن أخرجه إلى الوجود في هذا اليوم المعين، لم يكلف الأمّة فيه زيادة عمل إكراماً لنبيّه ﷺ بالتخفيف عن أمّته بسبب عناية وجوده فيه، قال الله سبحانه وتعالىٰ في محكم التنزيل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، فهو ﷺ رحمة للعالمين عموماً ولأمته خصوصاً، ومن جملة ذلك عدم التكليف كما تقدم.

وقد نقل الإمام أبو عبد الرحمٰن الصقلي رحمه الله تعالىٰ في كتاب: الدلالات، له ما هذا لفظه: أن الله عزّ وجلّ لم يخلق خلقاً أحبّ إليه من هذه الأمة، ولا أكرم عليه من نبيّها ﷺ، ثم النبيّين بعده، ثم الصدّيقين، والأولياء المختارين، وذلك أن الله تبارك وتعالىٰ خلق نور محمد ﷺ قبل خلق آدم بألفي عام، وجعله في عمود أمام عرشه يسبّح الله ويقدّسه، ثم خلق آدم عليه السّلام من نور محمد ﷺ، وخلق نور النبيّين عليهم السلام من نور آدم عليه السلام.

وقد أشار الفقيه الخطيب أبو الربيع في كتاب: شفاء الصدور له، إلى أشياء جليلة عظيمة، فمنها ما روي أنه لما شاء الحكيم، خلق ذاته ﷺ المباركة المطهرة، أمر سبحانه وتعالىٰ جبريل عليه السّلام أن ينزل إلى الأرض، وأن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢).

(٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٦: ٣٠١).

وبهاؤها ونورها، قال: فهبط جبريل عليه السلام، وملائكة الفردوس، وملائكة الرفيق الأعلى، وقبض قبضة من موضع قبر رسول الله ﷺ، وهي بيضاء منيرة، فعجنت بماء التسنيم وغمست في معين أنهار الجنّة، حتى صارت كالدرّة البيضاء، ولها نور وشعاع عظيم، حتى طافت بها الملائكة حول العرش، وحول الكرسي، وفي السمٰوات والأرض، وفي الجبال والبحار، فعرفت الملائكة وجميع الخلق محمداً ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السّلام.

فلما خلق الله آدم عليه السلام وضع في ظهره قبضة رسول الله ﷺ، فسمع آدم في ظهره نشيشاً كنشيش الطير، فقال آدم: يا ربّ ما هذا النشيش؟ قال: هذا تسبيح نور محمد ﷺ خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك، فخذه بعهدي وميثاقي، ولا تودعه إلا في الأرحام الطاهرة، فقال آدم: يا رب قد أخذته بعهدك وميثاقك ولا أودعه إلا في المطهرين من الرجال والمحصنات من النساء، فكان نور محمد ﷺ يتلألأ في ظهر آدم، وكانت الملائكة تقف خلفه صفّوفاً ينظرون إلى نوره ﷺ.

ويقولون: سبحان الله استحساناً لما يرون فلما رأى آدم ذلك، قال: أي رب ما بال هؤلاء يقفون خلفي صفوفاً؟ فقال الجليل سبحانه وتعالىٰ له: يا آدم ينظرون إلى نور خاتم الأنبياء الذي أخرجه من ظهرك، فقال: أي رب أرنيه، فأراه الله إياه، فآمن به وصلّى عليه مشيراً بإصبعه، ومن ذلك الإشارة بالإصبع بلا إلٰه إلاّ الله محمد رسول الله في الصلاة.

فقال آدم: ربّ اجعل هذا النور في مقدمي كي تستقبلني الملائكة ولا تستدبرني، فجعل ذلك النور في جبهته فكان يرى في غرّة آدم دائرة كدائرة الشمس، في دوران فلكها أو كالبدر في تمامه، وكانت الملائكة تقف أمامه صفوفاً ينظرون إلى ذلك النور.

ويقولون: سبحان الله ربنا استحساناً لما يرون، ثم إن آدم عليه السّلام قال: يا ربّ اجعل هذا النور في موضع أراه، فجعل الله ذلك النور في سبابته، فكان آدم ينظر إلى ذلك النور، ثم إن آدم قال: يا ربّ هل بقي من هذا شيء في ظهري؟ فقال: نعم بقي نور أصحابه، فقال: أي رب اجعله في بقية أصابعي، فجعل نور أبي بكر في الوسطى، ونور عمر في البنصر، ونور عثمان في الخنصر، ونور عليّ في الإبهام، فكانت تلك الأنوار تتلألأ في أصابع آدم ما دام في الجنّة، فلما صار خليفة في الأرض انتقلت الأنوار من أصابعه إلى ظهره.

وفيه أيضاً أن أوّل ما خلق الله نور محمّد ﷺ، فأقبل ذلك النور يتردّد ويسجد بين يدي الله عزّ وجلّ، فقسمه الله تعالىٰ على أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول العرش، ومن الثاني القلم، ومن الثالث اللّوح، ثم قال للقلم: أجرِ واكتب، فقال: يا رب، ما أكتب؟ قال: ما أنا خالقه إلى يوم القيامة، فجرى القلم على اللّوح، وكتب حتى أتى على آخر ما أمره الله

سبحانه وتعالىٰ به، وأقبل الجزء الرابع يتردّد بين يدي الله تعالىٰ، ويسجد لله عزّ وجلّ فقسمه الله أربعة أجزاء، فخلق من الجزء الأول العقل، ومن الثاني المعرفة، وأسكنها في قلوب العباد، ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار، والجزء الرابع جعله الله حول العرش، حتى خلق آدم عليه السّلام، فأسكن ذلك النور فيه، فنور العرش من نور محمّد ﷺ، ونور القلم من نور محمّد ﷺ، ونور اللّوح من نوره ﷺ، ونور النهار من نوره ﷺ، ونور العقل من نوره ﷺ، ونور المعرفة ونور الشمس، ونور القمر، ونور الأبصار من نوره ﷺ.

وقد ورد في هذا المعنى كثير، فمن أراده فليقف عليه في كتاب: الشفاء لأبي الربيع، ولأجل هذا المعنى قال آدم عليه السّلام للنبيّ ﷺ في ما نقل: يا أبا معناي ويا ابن صورتي.

وقد روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[1]، فلئن كان شهر رمضان اختصّ بليلة القدر، وعظيم قدرها المشهور المعروف، وأن فيها يفرق كل أمر حكيم على الراجح، وأن قيامها يعدل عبادة ألف شهر، وليس فيها ليلة القدر في أشقّ العبادات، وهو الجهاد في سبيل الله تعالىٰ، فعلم ذلك كلّه حصل لنا بإخباره ﷺ، وفضلية الأوقات تلقّيناها منه ﷺ، فهو ﷺ قطب دائرة الكون، والذي خلق الوجود لأجله، والذي فضّلت الأوقاته ببركته، والذي خصّت أمّته بليلة القدر من أجله، والذي يؤيّد ما نحن بسبيله ما ورد من مناظرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لعبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث يقول: أأنت القائل مكة خير من المدينة؟ فقال له رضي الله عنه: هي حرم الله وأمنه وفيها بيته، فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه: لا أقول في حرم الله ولا في بيته شيئاً، أأنت القائل إلى آخره ثلاث مرات؟ ومن المنتقي: قال محمد بن عيسى: ولو أقرّله بذلك لضربه يريد لأدبه على تفضيل مكّة على المدينة لاعتقاده تفضيل المدينة على مكّة، أو هو يرى ترك الأخذ في تفضيل إحداهما على الأخرى، إلا أن الوجه الأول أظهر لما شهر من أخذ الصحابة في ذلك دون نكير، فهذا تصريح من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن المدينة أفضل من مكّة. ومن كتاب: مسند موطأ مالك بن أنس لأبي القاسم عبد الرحمٰن الغافقي الجوهري، بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «افتتحت القرى بالسيف، وافتتحت المدينة بالقرآن»[2].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٩). وابن أبي شيبة في المصنف (١٤: ٢٩٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩١٧).

(٢) رواه في ميزان الاعتدال (٢٧٠٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٨٠٣).

ومنه بإسناده إلى عمرة بنت عبد الرحمٰن قالت: تكلم مروان يوماً على المنبر، فذكر مكّة وأطنب في ذكرها، ولم يذكر المدينة فقام رافع بن خديج فقال: ما لك يا هذا ذكرت مكة فأطنبت في ذكرها، ولم تذكر المدينة؟ وأشهد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون»[1] اهـ. مع أنه قد خصّص بعض العلماء عموم هذا الحديث وما أشبهه، فقال: إنها خير من مكة في كثرة الرزق وبركة الثمار، وهذا يردّه قوله ﷺ: «لا يصبر على لأوائها وشدّتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»[2]، ومعنى: لأوائها هو الجوع والشدّة على ما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالىٰ، ومن حيث المعنى فبعيد أن يحمل قوله ﷺ على كثرة الثمار؛ إذ هو عليه الصّلاة والسّلام المشرع والمبين عن الله تعالىٰ مراده، وما هو الأفضل عند ربّه والأعلى، والأخص وكيف يمكن أن يخصّص عموم الحديث والمدينة قد اشتملت واختصّت بالنبيّ ﷺ حياً وميتاً، على ما تقدم وما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالىٰ، وقد نقل الإمام رزين رحمه الله تعالىٰ في كتابه، الذي جمع فيه الكتب الصحاح.

وذكر في باب فضل المدينة على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام، ما هذا لفظه عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ كان جالساً، وقبر يحفر بالمدينة فأطلع رجل في القبر، فقال: بئس مضجع المؤمن، فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما قلت»، فقال الرجل: إني لم أرد هذا إنما أردت القتل في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «ولا مثل القتل في سبيل الله، ما على الأرض بقعة أحب إليّ أن يكون قبري بها منها»[3] ثلاثاً، انتهى.

فانظر رحمنا الله تعالىٰ وإيّاك إلى ما احتوى عليه هذا الحديث من الفوائد الجمّة، والأسرار البيّنة، وذلك أن المدينة بحلوله ﷺ فيها حصلت هذه الخاصية العظمى، ألا ترى أنه ﷺ عاب قول القائل: بئس مضجع المؤمن بقوله ﷺ: «بئس ما قلت»، فمفهومه أن ذلك خير مضجع المؤمن، ثم أكّد ذلك ﷺ بجوابه، حين قال الرجل: إنما أردت القتل في سبيل الله، فقال ﷺ: «ولا مثل القتل في سبيل الله»، وقد جاء في القتل في سبيل الله من الفضائل ما هو معلوم، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠] الآية.

ومن ذلك قوله ﷺ: «وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيا فأقتل، ثم أحيا

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ٥٦).
(٢) رواه أحمد في المسند (٢: ١٣٣). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤: ٤٢٨).
(٣) رواه مالك في الموطأ (٤٦٢). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ٧٩).

فأقتل»[١] ، وفضائله كثيرة متعدّدة مشهورة، ثم إنه ﷺ فضّل الدفن فيها لنفسه الكريمة، ولغيره على القتل في سبيل الله تعالىٰ، على مافيه من الفضائل والخصوصية العظمى، هذا وهو ﷺ على ظهرها، فكيف بعد أن حلّ في جوفها، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين، فلا يمكن أن تحصر فضيلة ذلك ولا يقدّر قدرها. ومن الموطأ: أن مولاة لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما أتته في الفتنة، فقالت: إني أردت الخروج يا أبا عبد الرحمٰن اشتدّ علينا الزمان، فقال لها عبد الله بن عمر: اقعدي لكاع، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يصبر على لأوائها وشدّتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»[٢].

قال الباجي: قال عيسى بن دينار: هو شك من المحدث، ولأواؤها هو الجوع والشدّة، وتعذّر الكسب، والشدّة يحتمل أن يريد بها اللأواء ويحتمل أن يريد بها كل ما يشتدّ بساكنها، وتعظم مضرّته، وقوله: شفيعاً، الشفاعة على قسمين عند كثير من أهل السنّة، وهي شفاعة في زيادة الدرجات لمن دخل الجنّة، وشفاعة في الخروج من النار خاصّة، وقوله: أو شهيداً، يحتمل أن يريد به أنه شهيد له بالمقام الذي فيه الأجر، ويقتضي ذلك أن لشهادته فضلاً في الأجر وإحباطاً للوزر، فإنه لا شكّ أن سكناه في المدينة والبقاء بها يثبت له، ويوجد ثابتاً في جملة حسناته، إلا أن شهادة النبيّ ﷺ زيادة في الأجر، وكذلك قوله ﷺ في قتلى أحُد: «أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة»[٣]، والله أعلم.

وهذا الحديث يقتضي أن فضيلة استيطان المدينة، والبقاء بها باقية بعد النبيّ ﷺ. وهذا المعنى قريب مما جاء في الصائم من قوله تعالىٰ على لسانه نبيّه ﷺ : «كل عمل ابن آدم له إلا الصّوم، فإنه لي وأنا أجزي به»[٤]، وإذا كان له سبحانه وتعالىٰ وهو المجازي عليه فلا يقدّر قدره ولا تحيط به العقول، وفي ما نحن بسبيله شبه من ذلك؛ لأن بحلوله ﷺ في البلد عمّت ببركته لجميع من دفن فيها ومن لم يدفن، فبركته للأحياء معلومة، وكذلك للأموات، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن مات بها». فلم يكتفِ ﷺ في فضيلتها بما بينه، وصرّح به أول الحديث، حتى قال: «ما على الأرض بقعة أحب أن يكون قبري بها»[٥] ثلاثاً. وذلك يقتضي العموم في المدينة كلها.

---

(١) رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٤ : ٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢ : ١٣٣). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤ : ٤٢٨).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٢ : ١١٤). والنسائي في السنن (٤ : ٦٢). والترمذي في السنن (١٠٣٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣ : ٢٧٣). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٤ : ١٨٨). وابن حجر في فتح الباري (٤ : ١٠٧).

(٥) رواه الترمذي في السنن (٣٩١٧). وابن أبي شيبة في المصنف (١٢ : ١٧٩). والمنذري في الترغيب =

ثم انظر رحمه الله تعالىٰ وإيّاك إلى بعض سر تكراره ذلك ثلاثاً؛ إذ أنه ﷺ كان من عادته الكريمة إذا أراد أن يلقي أمراً له بال وخطر كرّره ثلاثاً، فهذا دليل واضع على الاعتناء بالمدينة وما قاربها وما خصّهاالله تعالىٰ به من الفضائل العميمة، والبركات الشاملة العظيمة؛ إذ أنه عزّ وجلّ يقول في كتابه العزيز حاكياً عن حاله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، فما يفضله عليه الصّلاة والسّلام ويعظّمه إنما هو من جهة ربّه سبحانه وتعالىٰ، فأي بلد وأي بقعة تصل إلى هذا المقام، ومنها ما ذكر صاحب البيان والتقريب فيه والقاضي في المعونة، وتداخل كلامهما من قوله ﷺ: «**على أنقاب المدينة ملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون، ولا الدجال**»[1]، ولم يأت مثل ذلك في مكة، ومنها قوله ﷺ: «**والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**»[2]، ولم يذكر ذلك في مكّة، ومنها قوله ﷺ: «**المدينة كالكر تنفي خبثها وينصع طيبها**»[3]، ولم يأت مثل ذلك في مكّة، وأوضحها قوله ﷺ: «**اللّهمّ إن إبراهيم دعا لمكّة، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك إبراهيم لمكّة ومثله معه**»[4]، ودعاء النبيّ ﷺ أفضل من دعاء إبراهيم؛ لأن فضل الدعاء على قدر فضل الداعي، ومنها قوله ﷺ: «**اللّهمّ حبّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشدّ، وصححها لنا وبارك لنا في مدّها وصاعها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة**»[5]، ولا يجوز أن يسأل ربّه أن يحبّب إليه إلا دون على الأعلى.

ومنها ما استقرّ عند السلف رضي الله عنهم، حتى قال عمر رضي الله عنه منكراً على من يخاطبه: أأنت القائل مكة خير من المدينة ثلاثاً، وقد تقدم. ومنها قوله ﷺ: «**لا يخرج من المدينة أحد رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه**»[6]، ومنها قوله ﷺ: «**أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون: يثرب وهي المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد**»[7]، ولا معنى لقوله ﷺ: «**تأكل القرى**» الأرجحان فضلها عليها، وزيادتها على غيرها، ومنها قوله ﷺ: «إن

= والترهيب (٢: ٢٢٣).

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٨). ومسلم في الصحيح (٤٧٥). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٧). والتبريزي في مشكاة المصابيح (٢٧٤١). دون «يحرسونها».

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ٥٦).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (الحج: ٤٨٧). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٨١٣٦).

(٤) رواه أحمد في المسند (٥: ٢٢٠). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٨٧).

(٥) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٣٠). ومسلم في الصحيح (الحج: ٤٨٠). وأحمد في المسند (٦: ٥٦).

(٦) رواه أحمد في المسند (٢: ٤٣٩).

(٧) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٦). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٧).

الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»[١]، وتخصيصه إياها بذلك لفضلها على جميع البقاع التي لا يوجد هذا المعنى فيها، ولأن رسول الله ﷺ مخلوق منها، وهو خير البشر فتربته أفضل الترب، ولأن فضل الهجرة إليها يوجب كون المقام بها طاعة وقربة، والمقام بغيرها ذنباً ومعصية، وذلك دالّ على فضلها على سائر البقاع، انتهى كلامهما.

فلما أن علم ﷺ أن أحب البقاع إلى ربّه هذه البقعة أحب أن يدفن فيها، إذ أنه ﷺ لم يعلم له شيء قط يفضله لنفسه الكريمة، بل بحسب ما فضّله ربّه عزّ وجلّ، وقد تقدم قوله ﷺ جواباً لنسائه حين تكلمن معه في تفضيله عائشة رضي الله عنها عليهنّ رضي الله عنهنّ، فأجابهن ﷺ بقوله: «إنه لم يوح إليّ في فراش إحداكن إلا في فراشها»، فكان ﷺ يفضّل الأشياء بحسب ما فضّلها الله تعالىٰ، وهذا التنبيه كاف.

ومذهب علماء المدينة رحمهم الله تعالىٰ أنها أفضل من مكّة، وأن الصلاة في مسجده ﷺ أفضل من الصّلاة في مسجد مكّة بدون الألف، وأنها تفضل غيرها من المساجد بالألف إلى المسجد الأقصى، فإن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة؛ للحديث الوارد فيه وهو مشهور معروف، ويقول علماء المدينة.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالىٰ: إن المدينة أفضل من مكة، وإن كانت مكّة شرّفها الله تعالىٰ فاضلة في نفسها، وقد جاء في تفضيل مكة النصوص الكثيرة، وكفى بها من الفضيلة أنها مطلع شمس النبيّ ﷺ، وفيها نبئ، وأوحى الله تعالىٰ إليه، ومنها أسري به إلى قاب قوسين أو أدنى إلى غير ذلك مما اختصّت به، فحصلت لها الفضيلة العظمى به ﷺ، وبمن قبله من انبياء عليهم الصّلاة والسّلام لكن جرت حكمة الحكيم أن جعل نبيّه ﷺ متبوعاً وأن الأشياء كلها تتشرّف به، ويعلو قدرها وفضلها بسببه كما تقدم، فلو أقام النبيّ ﷺ بمكة وظهر أمره بها حتى انتقل منها إلى ربّه لكان قد يتوهّم أنه تشرّف بمكّة، فكان انتقاله ﷺ إلى المدينة ليخصّه الله تعالىٰ ببلده وحده، وحرم، ومسجد، وروضة، ووفود تسير إليه ﷺ، وهذا جارٍ على قاعدة الفرض الذي لا يتمّ الإسلام إلاّ به، وهو شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، فلو اقتصر أحد على الشهادة لله تعالىٰ بالوحدانية ولم يقرّ له ﷺ بالرسالة لم يصح له إسلام ولا إيمان، فلم يصحّ التوحيد إلا مع الإقرار له ﷺ بالرسالة، فما جعل الله عزّ وجلّ من المواضع المنسوبة إليه سبحانه وتعالىٰ، وفضلها بذلك جعل لنبيّه ﷺ مقابلتها، فالوفود تسير من كل الآفاق إلى البيت العتيق، وكذلك تسير إلى زيارته ﷺ، ولما أن جعل سبحانه وتعالىٰ البيت

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٨٦).

العتيق حرماً، جعل لنبيّه ﷺ حرماً يقابله، ولما أن جعل المسجد الحرام له فضيلة في الصلاة فيه، جعل مسجد نبيّه ﷺ كذلك في تضعيف الأجور، ولما أن كان الحجر الأسود يشهد للامسه يوم القيامة وإذا شهد للامسه دخل الجنّة، جعل لنبيّه ﷺ في مقابلته روضة من رياض الجنّة.

قال القاضي أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله في كتاب «المعونة» له: وقد علم أنه خصّ ذلك الموضع فيها لفضله على بقيّتها، فكان بأن يدلّ على فضلها على سواها أولى، انتهى. وقد تقدّم هل هي بنفسها في الجنّة أو العمل فيها يوجب روضة من رياض الجنّة؟ فإن قال قائل: قد أخرج البزار من حديث أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة»**[1].

قال: ولا نعلم هذا الحديث يروى عن رسول الله ﷺ من وجه من الوجوه بهذا اللفظ، إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد وإسناده حسن.

فالجواب: أن مالكاً رحمه الله تعالىٰ قاعدة مذهبه أنه يأخذ بعمل أهل المدينة، وإن عارضه الحديث الصحيح، وقد تقدم قول علماء المدينة في ذلك، لأنهم لا يتركون العمل بالحديث إلا لأمر أوجب ذلك عندهم، فكان العمل عند مالك رحمه الله أقوى لأنه عنده كالإجماع، مع أن الحديث لم يخرجه من اشترط الصحة، وإذا كان ذلك كذلك، فالرجوع إلى العمل أرجح، فإن قال قائل: قد شرع الجزاء في الصيد في حرم مكة ولم يشرع ذلك في حرمة المدينة؟

فالجواب: أن العلماء قد اختلفوا في ذلك، فعلى القول الأول بوجوب الجزاء فلا فرق، وعلى القول الثاني بعدم الجزاء فالجواب أنه ﷺ أخبرهم بما يحصل لهم به من رفع الدرجات، ولم يكلّفهم عملاً لأن تكليف العمل قد يقع بعضهم أو أكثرهم في تركه، فيؤول أمرهم إلى الخسران، نعوذ بالله من ذلك فرفع عنهم ﷺ ما يقع من بعضهم من التقصير، ألا ترى أنه ﷺ لم يزل يسأل ربّه عزّ وجلّ في التخفيف عن أمّته حتى رد الخمسين إلى خمس ببركة شفاعته وشفقته ورحمته وسؤاله في الرفق بهم، فإن قال قائل: فالوفود تسير إلى مكّة لأداء فرض الحج بخلاف زيارته ﷺ.

(١) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٦: ٣٠). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٢١٦). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٥٣).

فالجواب ما تقدم من أنه ﷺ ينظر أبداً ما فيه الأفضل لأمّته فيرشدهم إليه وما كان فيه تكليف يرفعه عنهم مكتفياً بالإشارة إليه، فتجده ﷺ في كل ما يخصّ نفسه الكريمة يخفّفه عن أمّته، نسأل الله تعالىٰ أن لا يحرمنا من بركات هذا النبيّ الكريم على ربّه وشمول عنايته، أنه ولي ذلك والقادر عليه. ومما يؤيّد ما ذكر قوله عزّ وجلّ في كتابه العزيز: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤]، فكل مقام أو مكان أو شيء من الأشياء أقيم فيه ﷺ فهو أفضل من الأوّل، وإن كان الأول في الفضيلة بحيث المنتهى، ثم كذلك إلى ما لا نهاية له، ولا يشكّ، ولا يرتاب أن حاله ﷺ عند انتقاله إلى ربّه أعلى مقاماته وأتمّها إذ هو الختام، والختام يكون أعلى مما قبله وأعظم منه، فلئن كانت مكّة موضع شمس مشرقة ﷺ، فالمدينة موضع شمس مغربة ﷺ، وفيها حل وأقام.

ولهذا المعنى قال ﷺ: «الإيمان يأرز ما بين مكة والمدينة»[1]، أراد، والله أعلم، أن ما بين مطلعه ﷺ ومغربه، وإذا كان ذلك كذلك فما نحن بسبيله مثله، أعني بذلك ما ورد في فضل شهر رمضان من النصوص الكثيرة، وما وقع في شهر مولده ﷺ من ظهور الآيات والمعجزات الظاهرة البيّنة من إخماد نار فارس، وانشقاق إيوان كسرى، ومنع الشياطين من استراق السمع، ونزول إبليس وجنوده إلى الأرض السابعة على ما تقدم ذكره. على أنه لو لم يقع شيء مما تقدم لاكتفي في فضيلته لوجوده ﷺ فيه، ويؤيّد ذلك قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]، ومعنى لعمرك لحياتك فأقسم سبحانه وتعالىٰ بحياته ﷺ، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: لا تنعقد اليمين بمخلوق إلا بالنبيّ ﷺ. وقال تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد:١ - ٢]، قال بعض المفسّرين: لا بمعنى التأكيد.

وكان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله تعالىٰ يقول: إنما تكون لا للتأكيد إذا عدمت الفائدة التي يحمل عليها لفظة لا، والفائدة موجودة، وذلك أن قوله تعالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد:١]، معناه: أي قدر وأي خطر لهذا البلد حتى يقسم به، وأنت حل به، وإنما القدر والخطر لك فأنت الذي يقسم به لعظيم جاهك، وحرمتك عندنا.

فانظر رحمنا الله وإيّاك إلى سر هذا المعنى الذي ذكره الشيخ الجليل رحمه الله في معنى الآية الكريمة؛ إذ أن المراد بالبلد في الآية الكريمة، مكّة اتفاقاً، ومكّة قد تضافرت النصوص على تفضيلها، فإذا كانت مكّة بهذه المثابة من الفضيلة العظمى، ومع ذلك لا يقسم بها مع

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٢٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٨٦).

وجوده ﷺ فيها؛ إذ أنه ﷺ كالشمس لا تظهر الكواكب معها بل هو ﷺ الذي كسيت الأكوان من بهاء نوره، عليه أفضل الصّلاة والسّلام، ألا ترى إلى قول من مدحه ببعض صفاته الجميلة، حيث يقول:

إلى العرش والكرسي أحمد قد دنا ونورهما من نوره يتلالا

وإذا كان ذلك كذلك، فموضع مقامه ﷺ دائماً لا يوازيه غيره، وإن شهدت له الأدلّة بالفضيلة العظمى على ما تقدم، وبهذا المعنى وما شابهه يعلم الفضل بين ما هو فاضل وبين ما هو أفضل، فإنك إذا قلت مثلاً الشمس أكثر ضوءاً من البدر السالم من كل ما يعتريه، فهو كلام صحيح؛ إذ أن الشمس قد شاركها البدر في بعض الضياء، لكن للشمس زيادة ضياء أضعاف ذلك فظهرت فضيلة الشمس على البدر بتلك الزيادة، وإذا فضلت على البدر فعلى غيره من باب أولى والبدر يفضل على ما دونه في الضياء والجرم، وإذا كان ذلك كذلك فالمدينة التي هي موضع مقامه ﷺ حياً وميتاً التي قد خصّت به ﷺ أكرم من غيره بوجوده ﷺ فيها.

ألا ترى أن مكّة مع عظيم قدرها لم يقسم بها لأجل حلوله إذ ذاك بها، فكيف يمكن أن تفضل موضعاً حلّ فيه وأقام به حياً وميتاً، فكيف يفضله غيره وكل ما ذكر ظاهر بيّن في وجود الفضيلة، إذ لا فرق في الاحترام لرفيع جنابه العزيز ﷺ بين حياته وموته؟ وقد رأيت لبعض العلماء أنه قال من فضائل النبيّ ﷺ أنه قال: «ما من نبي دفن إلا وقد رفع بعد ثلاث غيري، فإني سألت الله عزّ وجلّ أن أكون في ما بينهم إلى يوم القيامة»، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣].

ثم انظر رحمنا الله تعالىٰ وإياك إلى قوله ﷺ: «من مات بأحد الحرمين كنت له شفيعاً يوم القيامة»[(١)]، فسوّى ﷺ بينهما في الشفاعة لهما، ثم لم يقتصر ﷺ على ذلك حتى خصّص المدينة بالذكر، وحضّ على محاولة ذلك بالاستطاعة، فقال ﷺ: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها»[(٢)]، والاستطاعة هي بذل المجهود في ذلك، فزيادة عنايته ﷺ بإفراد المدينة بالذكر دليل على تمييزها، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»[(٣)]، فجعل ﷺ حياته ومماته كليهما سببين في الفضيلة في تعدّي نفعه وبركته ﷺ لأمّته أوّلها ووسطها وآخرها، فنصّ ﷺ على عموم نفعه في الحالتين معاً، كيف لا!

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٩١٦). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٧: ٢٥٤).
(٢) رواه السيوطي في اللآلىء المصنوعة (٢: ٧٢). بمعناه.
(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ١٧٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٠٣).

وهو سيّد الأوّلين والآخرين وسيّد من وطئ الحصى، وكان من ربّه في القرب والتداني مع التنزيه والتقديس، كقاب قوسين أو أدنى.

ثم نرجع إلى معنى كلام سيدي الشيخ الجليل أبي محمد المرجاني رحمه الله تعالىٰ قال: ثم أقسم سبحانه وتعالىٰ به ﷺ وبأمّته، فقال تعالىٰ: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد:٣]، لأن الوالد في حقيقة المعنى هو ﷺ وأمّته أولاده؛ إذ أنه ﷺ كان سبباً للإنعام عليهم بالحياة السرمدية، والخلود في جنّات النعيم، وسلامتهم مما كانوا فيه من الخطر العظيم، وقد ورد عنه ﷺ أنه قال: «إنما أنا لكم بمثابة الوالد»[1]، انتهى. وهذا ظاهر. قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، فحقّه ﷺ أعظم من حقوق الوالدين، قال ﷺ: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[2]، فقدّم نفسه على غيره، والله عزّ وجلّ قد قدّمه في كتابه على نفس كل مؤمن، ومعنى ذلك إذا تعارض له حقان حق لنفسه وحقّ للنبيّ ﷺ، فآكدهما عليه وأوجبهما حق النبيّ ﷺ، ثم يجعل حق نفسه تبعاً للحقّ الأوّل، ثم كذلك في تتبّع الحرمات، والسكنات، وإذا تأمّلت الأمر في الشاهد وجدت نفعه ﷺ لك أعظم من الآباء والأمّهات وسائر الخلق أجمعين، إذ أن حقيقة أمره ﷺ أنه وجدك غريقاً في بحار الضلال والذنوب والخطايا الموجبة لغضب المولى سبحانه وتعالىٰ فأنقذك وأنقذ آباءك وأبناءك ومن مشى على مشيك، وغاية أمر أبويك أنهما أوجداك في الحس فكانا سبباً لإخراجك إلى دار التكليف ومحل البلايا والمحن، فأوّل ذنب يوقعه المرء فيها استحقّ به النار، ويبقى بعد ذلك في المشيئة إن شاء الله عزّ وجلّ آخذ بالعدل وإن شاء عفا بالفضل، فببركته ﷺ وبركة أتباعه أنقذك الله الكريم، مما قد كان حلّ بك ونزل بساحتك ممّا لا طاقة لك به، فتنبّه لعظيم قدره ورفيع مقداره عند ربّه، وعظيم إحسانه وجوده عليك ﷺ، قال الله سبحانه وتعالىٰ في صفته: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨].

ألا ترى قوله ﷺ: «حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم»[3]. فخيره ﷺ في حياته بيّن جداً، ألا ترى أن من رآه أو أدركه وهو مؤمن لا يفوقه غيره أبداً في فضيلة مزية رؤيته ﷺ ووقوع ذلك النظر الكريم عليه وغير ذلك.

وأمّا موته ﷺ فمال أمّته تعرض عليه ﷺ، وكذلك على الآباء والأمّهات والأقارب في كل

---

(١) رواه أبو داود في السنن (الطهارة: ٤). والنسائي في السنن (١: ٣٨). وابن ماجه في السنن (٣١٣).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٢: ١٣٩). ومسلم في الصحيح (الزكاة: ٩٥). وأحمد في المسند (٢: ٤).

(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ١٧٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣: ٣١٩).

إثنين وخميس، فما رآه ﷺ من الأعمال حسناً سرّ به ودعا لصاحبه، وما كان غير ذلك استغفر لصاحبه، وهذا منه ﷺ زيادة في التلطّف بك، والإحسان إليك بخلاف الآباء والأمّهات، فإنهم يسرّون أو يحزنون ليس إلاّ، ولا يقدرون على غير ذلك، اللّهمّ بحرمته ﷺ عندك عرّفنا قدر هذه النعمة التي مننت علينا بدوامها، ولا تعرفها لنا بزوالها عنّا، إنك ولي ذلك والقادر عليه آمين.

فإن قال قائل: فهذا الشهر لم نجد فيه زيادة في الأعمال، كما نجد في غيره من الشهور والليالي والأيام الفاضلة؟

فالجواب: أن تلك الأزمنة حصلت لها الفضيلة بزيادة الأعمال الفاضلة فيها، وهذا الشهر حصل له التشريف بظهور من جاء في الأعمال والخيرات التي حصلت بها الفضيلة لتلك الأوقات على يديه، وبسببه ﷺ هذا وجه ظاهر بيّن لا يرتاب فيه.

ووجه ثان: وهو أنه ﷺ كما وصفه الله عزّ وجلّ في كتابه العزيز، حيث يقول في صفته ﷺ: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف:١٢٨]، فكان دأبه ﷺ طلب التخفيف عن أمّته مهما قدر على ذلك، ووجد السبيل إليه فعله.

فلما أن كان هذا الشهر اختصّ بظهوره ﷺ فيه لم يكلّف أمّته زيادة عمل فيه، بل أشار إلى ذلك بالتنبيه عليه.

ووجه ثالث: وهو أن أهل الآفاق قد حرم عليهم الصوم في أيام التشريق، وما ذلك إلا أن الحاج ضيف الله تعالىٰ، فوقعت الضيافة لأهل الأقاليم كلّها كرامة لهم، فكيف بالزمن الذي ظهر فيه من شرع ذلك على يديه صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال بعض الصحابة رضي الله عنهم يخاطب النبيّ ﷺ: فلولا أنت ما صمنا ولا صلّينا ولا حججنا بيت ربنا، فكان عدم تكليف الأعمال الشاقّة غالباً وعدم الزيادة على المعتاد من العبادات؛ لأن أمّته ﷺ في الشهر الذي ولد فيه في ضيافة وجوده ﷺ.

ولما كان تحريم صوم أيام التشريق على أهل الآفاق كرامة للحجاج الذين هم أضياف الله تعالىٰ، وكان ذلك على يد الخليل وولده الكريم إسماعيل صلوات الله عليهما وسلامه، والضيافة ثلاث كما هو معلوم، وكان شهر ربيع الأول هو الشهر الذي ظهر فيه ﷺ في الوجود كانت الضيافة الشهر كلّه، لكن ترك عليه الصّلاة والسّلام أمّته رحمة بهم في عدم التكليف لهم بتحريم الصوم عليهم والفطر، لأنه رحمة للعالمين خصوصاً للمؤمنين كما سبق، وشأن الرحمة التوسعة، ألا ترى إلى عدم وجوب جزاء الصيد بالمدينة، وقد تقدم فليفهم من يفهم والله الموفق.

ومن جواهر الإمام ابن الحاج أيضاً

[أحوال النبي ﷺ]

قوله رضي الله عنه في كتابه «المدخل» المذكور في آخر الكلام على آداب المريد: وينبغي أن نختمه بذكر شيء من أحوال النبيّ ﷺ تبرّكاً بذكر آثاره وأحواله، ولكي يكون سلماً للمريد في اتّباعه ﷺ في تصرّفاته وحركاته، وسكناته، وإشاراته، فمن ذلك ما ذكره الباجي رحمه الله تعالىٰ في كتابه المسمى بـ«سنن الصالحين وسنن العابدين».

قال مالك: إن رجلين كانا جالسين يتحدّثان، وكعب الأحبار قريب منهما، فقال أحدهما لصاحبه: إني رأيت في المنام كأن الناس جمعوا ليوم القيامة، فرأيت النبيّين لهم نوران نوران ولأتباعهم نور نور.

قال: ورأيت النبيّ ﷺ ما من شعرة في جسده ولا رأسه إلاّ وفيها نوران، ورأيت أتباعهم لهم نوران نوران، فقال له كعب: اتّق الله وانظر ما تحدّث به، فقال: إنما هي رؤيا رأيتها، فقال كعب: والذي نفسي بيده إنه في كتاب الله المنزل لكماذكرت، ومنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبيّ ﷺ يقول، وهو يبكي:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه، فلما كثروا واتخذت منبراً لتسمعهم، فحنّ الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن، فأمّتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته، فقال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء، وذكرك في أوّلهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودّون أن يكونوا أطاعوك، وهم بين أطباقها يعذّبون يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول.

بأبي أنت وأمّي يا رسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تتفجّر منه الأنهار، فما ذاك بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلّى الله عليك.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحاً غدوها شهر

ورواحها شهر، فما ذاك بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة، ثم صلّيت الصبح من ليلتك بالأبطح صلّى الله عليك.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لئن كان عيسى ابن مريم أعطاه الله تعالىٰ إحياء الموتى، فما ذاك بأعجب من الشاة المسمومة حين كلّمتك وهي مسمومة، فقالت: لا تأكلني فإني مسمومة.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا، فلقد وُطِئ ظهرك وأُدمي وجهك وكسرت رباعيّتك، فأبيت أن تقول إلا خيراً، فقلت: **«اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**(١).

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد اتّبعك في أحداث سنك وقصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كبر سنّه وطول عمره، فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلاّ القليل.

بأبي أنت وأمي يا رسول الله لو لم تجالس إلا كفوء لك ما جالستنا، ولو لم تنكح إلا كفوءاً لك ما نكحت إلينا، ولو لم تؤاكل إلا كفوءاً لك ما آكلتنا ولبست الصوف، وركبت الحمار، ووضعت طعامك بالأرض، ولعقت أصابعك تواضعاً منك صلّى الله عليك.

ومن كتاب «التفسير» للطبري رحمه الله تعالىٰ: كان النبيّ ﷺ يلبس الصوف، وينتعل المخصوف، ولا يتأنّف من ملبس يلبس، ما وجده مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبّة صوف، وكان ﷺ يلبس النعال السبتية، ويتوضّأ فيها.

وكان ﷺ لنعليه قبالان، وأوّل من عقد عقداً واحداً عثمان، وكان ﷺ أحبّ اللّباس إليه الحبرة، وهي برود اليمن، فيها حمرة وبياض.

وكان ﷺ أحب اللباس إليه القميص، وكان ﷺ إذا استجدّ ثوباً سمّاه باسمه، عمامة كان أو قميصاً أو رداء، ويقول: **«اللّهمّ لك الحمد كما ألبستنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرّه وشرّ ما صنع له»**(٢).

وكان ﷺ يعجبه الثياب الخضر، وكان ﷺ يلبس الكساء الصوف وحده، فيصلّي فيه

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢١٤). وأحمد في المسند (١: ٤٤١). والمنذري في الترغيب والترهيب (٣: ٤١٩).

(٢) رواه التبريزي في مشكاة المصابيح (٤٣٤٢). والبغوي في شرح السنة (١٢: ٤٠). والترمذي في الشمائل (٣٥).

وربما لبس الإزار الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلّي فيه، وكان ﷺ يلبس القلانس تحت العمائم، ويلبسها دون العمائم، ويلبس العمائم دونها، ويلبس القلانس ذات الآذان في الحرب، وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه، وصلّى إليها، وربما أمسى بلا قلنسوة، ولا عمامة ولا رداء راجلاً، يعود المرضى، كذلك في أقصى المدينة، وكان ﷺ يعتمّ ويسدل طرف عمامته بين كتفيه.

وعن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: عمّمني رسول الله ﷺ بعمامة، وسدل طرفها بين كتفيّ، وقال: «إن العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين»[1]، وكان ﷺ يلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتمّ، وكان ﷺ يلبس خاتماً من فضّة فصّه منه، نقشه محمد رسول الله في خنصره الأيمن، وربما لبسه في الأيسر، ويجعل فصّه مما يلي بطن كفّه، وكان ﷺ يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة، وكان ﷺ يقول: «إن الله تعالىٰ جعل لذّتي في الدنيا النساء والطيب، وقرّة عيني في الصّلاة»[2].

وكان ﷺ يتطيّب بالغالية وبالمسك، حتى يرى وبيصه في مفارقه، ويتبخّر بالعود ويطرح فيه الكافور، وكان ﷺ يعرف في الليلة المظلمة بطيب ريحه، وكان ﷺ يكتحل بالإثمد في كل ليلة ثلاثاً، في كل عين، وربما اكتحل ثلاثاً في اليمنى واثنتين في اليسرى، وربما اكتحل وهو صائم، وكان ﷺ يقول: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر وينبت الشعر»[3]، وكان ﷺ يكثر دهن رأسه ولحيته، وكان ﷺ يترجّل غباً، وكان ﷺ ينظر في المرآة، وربما نظر في الماء في ركوة في حجرة عائشة، وسوّىٰ جمته.

وكان ﷺ لا تفارقه قارورة الدهن في سفره، والمكحلة، والمرآة، والمشط، والمقراض، والسواك، والخيوط، والإبرة فيخيط ثيابه، ويخصف نعله.

وكان ﷺ يستاك بالأراك، وكان ﷺ إذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك في الليلة ثلاث مرات، قبل النوم وبعده، عند القيام لورده وعند الخروج لصلاة الصبح.

وكان ﷺ يحتجم في الأخدعين، وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم، وكان ﷺ يحتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠: ١٤). وابن حجر في المطالب العلية (٢١٥٨).

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٢: ٢٠). وابن حبان في المجروحين (٣: ١٣٥). والقيسراني في تذكرة الموضوعات (١٦٠).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧: ٣٧٩). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ٤١١). وابن حجر في فتح الباري (١٠: ١٥٧).

وكان ﷺ يمزح، ولا يقول إلا حقاً، دخل يوماً على أم سليم وقد مات نغر[1] ابنها من بني أبي طلحة فقال له: «يا أبا عمير ما فعل النغير وهو طائر صغير؟»[2]، وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله احملني على جمل، فقال: «أحملك على ولد الناقة»[3]، وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض، فقال: «لعل زوجك الذي في عينيه بياض»، فرجعت المرأة وفتحت عيني زوجها لتنظر إليهما، فقال: ما لك؟ فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضاً، فقال: ويحك وهل أحد إلاّ وفي عينيه بياض.

وجاءته أخرى فقالت: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنّة؟ فقال: «يا أم فلان إن الجنّة لا يدخلها عجوز»، فولّت المرأة وهي تبكي، فقال ﷺ: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧]»[4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: سابقت رسول الله ﷺ فسبقته، فلما كثر لحمي سابقته فسبقني، ثم ضرب كتفي وقال: «هذه بتلك».

وجاء ﷺ إلى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر، وكان ﷺ يحبه فوضع يده على عينيه، وما كان يعرف أنه رسول الله ﷺ حتى قال: «من يشتري هذا العبد»، فجعل يمسح ظهره برسول الله ﷺ ويقول: إذن تجدني كاسداً يا رسول الله، فقال ﷺ: «لكنك عند ربك لست كاسداً»[5].

ورأى رسول الله ﷺ حسيناً مع صبية في الطريق، فتقدم رسول الله ﷺ أمام القوم، وطفق الحسين يفرّ هارباً هٰهنا وهٰهنا، ورسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى فوقه رأسه، وكان ﷺ يدخل على عائشة، والجواري يلعبن عندها فإذا رأينه تفرّقن فيسيرهن إليها، وقال لها يوماً وهي تلعب بلعبتها: «ما هٰذه يا عائشة»، فقالت: خيل سليمان بن داود، فضحك وطلب الباب فابتدرته واعتنقته، فقال: «ما لك يا حميراء»، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ادع الله أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، فرفع يديه حتى رؤي بياض إبطيه، فقال: «اللّهمّ اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة، لا

---

(١) نغر: بلبل [لسان العرب، مادة: نغر].

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٨: ٣٧). والترمذي في السنن (١٩٨٩:). وابن ماجه في السنن (٢٧٣).

(٣) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٨: ١٦٣).

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ٤١٩). والطبري في التفسير (١٧: ٨٠). وابن كثير في التفسير (٨: ٩).

(٥) رواه الهيثمي في موارد الظمآن (٢٢٧٦). والترمذي في الشمائل (١٢١).

تغادر ذنباً ولا تكسب بعدها خطيئة ولا إثماً»، ثم قال ﷺ: «أفرحت يا عائشة؟»، فقالت: أي والذي بعثك بالحق، فقال: «أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين أمتي وإنها لصلاتي لأمتي بالليل والنهار في من مضى منهم، ومن بقي، ومن هو آت إلى يوم القيامة، وأنا أدعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي».

وكان ﷺ يكرم ضيفه، ويبسط رداءه له كرامة، وجاءته ظئرة التي أرضعته يوماً فبسط لها رداءه، وقال: «مرحباً بأمي»، وأجلسها عليه.

وكان ﷺ أكثر الناس تبسماً، وأحسنهم بشراً مع أنه متواصل الأحزان، دائم الفكرة لا يمضي له وقت في غير عمل لله، أو في ما لا بدّ له أو لأهله أو لأمته منه، وكان ﷺ يخصف نعله، ويرفع ثوبه، ويخدم في مهنته أهله، ويقطع اللحم معهن، ويركب الفرس، والبغلة، والحمار، ويردف خلفه عبده أو غيره، ويمسح وجه فرسه بطرف كمّه أو بطرف ردائه، وكان ﷺ يتوكّأ على العصا، وقال: «التوكأ على العصا من أخلاق الأنبياء»[1].

ورعى ﷺ الغنم، وقال: «ما من نبي إلاّ وقد رعاها»[2]، وعقّ ﷺ عن نفسه بعد ما جاءته النبوّة، وكان لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه يوم السابع، وأن يتصدّق عنه بزنة شعره فضّة.

وكان ﷺ يحب الفأل ويكره الطيرة، ويقول: «ما منّا إلا من يجد في نفسه، ولكن الله يذهبه بالتوكّل»[3].

وكان ﷺ إذا جاءه ما يحب قال: «الحمد لله ربّ العالمين»[4]، وإذا جاءه ما يكره قال: «الحمد لله ربّ العالمين على كل حال»[5]، وإذا رفع الطعام من يديه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين»[6]، وروى فيه: «الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً فيه غير مودع، ولا مستغنٍ عنه ربنا»[7]، وإذا عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه وحمد الله،

---

(١) رواه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩١٦).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٢٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (١: ٤٣٨).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤: ٥٧). والطبراني في المعجم الكبير (٥: ٥٠). والحاكم في المستدرك (٢: ٢٥٨).

(٥) رواه الترمذي في السنن (٣٥٩٩). وابن ماجه في السنن (٣٨٠٣). وأحمد في المسند (٢: ١١٧). والحاكم في المستدرك (١: ٤٩٩).

(٦) رواه مسلم في الصحيح (الذكر والدعاء: ٦٤). والترمذي في السنن (٣٣٩٦). وابن ماجه في السنن (٣٢٨٣).

(٧) رواه البخاري في الصحيح (٧: ١٠٦). ومسلم في الصحيح (المساجد: ١٤٩). والترمذي في السنن (٣٤٥٦).

وكانﷺ أكثر جلوسه مستقبل القبلة، وإذا جلس في المجلس احتبى بيديه، وكانﷺ يكثر الذكر، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة، وكان ﷺ ينام أوّل الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتي فراشه، فإذا سمع الأذان وثب قائماً، فإن كان جنباً أفاض عليه الماء، وإلا توضأ وخرج إلى الصّلاة.

وكان ﷺ يصلّي في سبحته قائماً وربما صلّى قاعداً، قالت عائشة: لم يمت رسول الله ﷺ حتى كان أكثر صلاته جالساً، وكان ﷺ يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو في الصّلاة، وكان ﷺ يصوم الإثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء، وقلّما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه في شعبان.

وكان ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظاراً للوحي، وإذا نام نفخ ولا يغطّ غطيطاً، وكان ﷺ إذا رأى في منامه ما يروعه قال: «هو الله ربي لا شريك له»[١]، وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خدّه الأيمن، وقال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»[٢]، وكان ﷺ يقول: «اللّهمّ باسمك أموت وأحيا»[٣]، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٤].

وكان ﷺ إذا تكلم يبيّن كلامه حتى يحفظ من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه ويخزن لسانه ولا يتكلّم في غير حاجة، ويتكلّم بجوامع الكلم فصلاً لا فضولاً ولا تقصيراً.

وكان ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر، وكان يتمقل بقول بعضهم:

[ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً] ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد[٥]

وكان ﷺ جلّ ضحكه التبسّم، وربما ضحك من شيء معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة، وما عاب ﷺ طعاماً قطّ إن اشتهاه أكله وإن لم يشتهه تركه.

---

(١) رواه في الأذكار النووية (١١٢).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٣٩٨). ومسلم في الصحيح (الصلاة: ٦٢). وأحمد في المسند (٤: ٢٩٠).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٨: ٨٥). وأبو داود في السنن (٥٠٤٩:). ومسلم في الصحيح (٢٠٨٣).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٨: ٨٥). وأبو داود في السنن (الأدب: ١٠٦). وابن ماجه في السنن (٣٨٨٠).

(٥) هذا البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي من معلقته الشهيرة وقد أكملنا الشطر الأول منه وأثبتناه.

وكان ﷺ لا يأكل متكئاً ولا على خوان، وكان ﷺ يأكل الهدية ويكافئ عليها، ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف في مأكل، يأكل ما وجد، إن وجد تمراً أكله، وإن وجد خبزاً أكله، وإن وجد لبناً اكتفى به، ولم يأكل خبزاً مرققاً حتى مات ﷺ.

قال أبو هريرة: خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير، وكان يأتي على آل محمد الشهر والشهران لا توقد في بيت من بيوته نار، وكان قوتهم التمر والماء، وكان ﷺ يعصب على بطنه الحجر من الجوع، هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الأرض فأبى أن يقبلها واختار الآخرة، وأكل ﷺ الخبز بالخل، وقال: «نعم الإدام الخل»[1]، وأكل ﷺ لحم الدجاج، وكان ﷺ يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة، وقال ﷺ: «إن أطيب اللحم لحم الظهر»[2]، وقال ﷺ: «كلوا الزيت وادّهنوا به فإنه من شجرة مباركة»[3].

وكان ﷺ يعجبه الثفل، يعني ما بقي من الطعام، وكان ﷺ يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن، وأكل ﷺ خبز الشعير بالتمر، وقال: «هذا إدام هذا»[4]، وأكل ﷺ البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد، وكان ﷺ يحب الحلواء والعسل، وكان ﷺ يشرب قاعداً وربما شرب قائماً، ويتنفس ثلاثاً، وإذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ بمن عن يمينه، وشرب ﷺ لبناً وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل: اللّهمّ بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبناً فليقل: اللّهم بارك لنا فيه وزدنا منه»[5]، وقال ﷺ: «ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن»[6].

زاد الباجي رحمه الله: وكان عليه الصّلاة والسّلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالىٰ، كان أحلم الناس وأعدل الناس وأعفّ الناس، لم تمسّ يده قط امرأة إلا امرأة يملك رقبتها أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه.

أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم، فإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٣٨٢٠). والترمذي في السنن (١٨٣٩). وابن ماجه في السنن (٣٣١٦).
(٢) رواه أحمد في المسند (١: ٢٠٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ٣٦). والبغوي في شرح السنة (١١: ٢٩٩).
(٣) رواه الترمذي في السنن (١٨٥١). وابن ماجه في السنن (٣٣٢٠). وأحمد في المسند (٣: ٤٩٧).
(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥: ٤١). والبخاري في التاريخ الكبير (٨: ٣٧٢).
(٥) رواه أحمد في المسند (١: ٢٢٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥: ٢٢٦). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٥٣١).
(٦) رواه الترمذي في السنن (٣٤٥٥). وأحمد في المسند (١: ٢٢٥). والسيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٥٣١). وفيه: «يجزىء».

لم يأوِ إلى منزله، حتى يعطيه من يحتاج إليه، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر، ويضع سائر ذلك في سبيل الله تعالىٰ، لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه، ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام، أشدّ الناس حياءً لا يثبت بصره في وجه أحد يجيب دعوة العبد والحر، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، وتستتبعه الأمة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه، لا يغضب لنفسه ويغضب لربّه، منديله باطن قدمه، يشهد الجنائز، أشدّ الناس تواضعاً، وأسكتهم من غير كبر، وأبلغهم من غير عي، لا يهوله شيء من أمر الدنيا.

يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألّف أهل الشرف بالبرّ لهم، يصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم، لا يجفو على أحد، يقبل معذرة المعتذر.

يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله تعالىٰ دعاءً مستوياً، قد جمع الله تعالىٰ له السيرة الفاضلة والسياسة التامّة، وهو أمّي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحاري، فعلّمه الله جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأوّلين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا.

قال الباجي رحمه الله: وذكر العتبي قال: كنت عند حجرة النبيّ ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[النساء: ٦٤]، وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفراً ذنبي مستشفعاً بك، ثم أنشأ الأعرابي يقول:

يا خير من دفنت بالأرض أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف. قال العتبي: فغلبتني عيناي، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقال لي: «يا عتبي، الحق الأعرابي فبشّره إن الله قد غفره له».

ومن كتاب الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذ عني هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلّم من يعمل بهن»[١].

قال أبو هريرة: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعدّ خمساً، فقال: «اتّق المحارم تكن أعبد

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦: ٢٩٥).

الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب»[١].

ومنه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك»[٢].

ومنه: أن رسول الله ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء من أمتي»[٣]، قيل: يا رسول الله ومن الغرباء من أمّتك؟ قال: «الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنّتي»[٤].



(١) رواه التبريزي في مشكاة المصابيح (٥١٧١). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٤٤). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٣٥٢).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٢٤٠٦). وابن حجر في فتح الباري (١٠: ٤٤٧). وأبو نعيم في حلية الأولياء (٢: ٩).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (الإيمان: ٢٣٢). وابن ماجه في السنن (٣٩٨٦). والقرطبي في التفسير (٤: ١٧٢).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٨: ٢١). بمعناه.

ومنهم الإمام المحقق أحد أكابر الصوفية الشيخ عبد الكريم الجيلي الشافعي[1] اليمني في كتابيه الإنسان الكامل والكمالات الإلهية

فمن جواهره رضي الله عنه

[قصيدة يمدح فيها النبي ﷺ]

قوله في الباب الستين من كتابه «الإنسان الكامل»: اعلم أن هذا الباب عمدة أبواب هذا الكتاب، بل جميع الكتاب من أوّله إلى آخره شرح لهذا الباب، فافهم معنى هذا الخطاب، ثم إن أفراد هذا النوع الإنساني كل واحد منهم نسخة للآخر بكماله لا يفقد في أحد منهم مما في الآخر شيء، إلا بحسب العارض، كمن تقطّع يداه ورجلاه أو يخلق أعمى.

لما عرض له في بطن أمّه، ومتى لم يحصل العراض فهم كمرآتين متقابلتين يوجد في كل واحدة منهما ما يوجد في الأخرى، ولكن منهم من تكون الأشياء فيه بالقوة، ومنهم من تكون فيه بالفعل، وهم الكمل من الأنبياء والأولياء، ثم إنهم متفاوتون في الكمال، فمنهم الكامل والأكمل، ولم يتعيّن أحد منهم بما تعيّن به محمد ﷺ في هذا الوجود من الكمال الذي قطع له بانفراده فيه، شهدت له بذلك أخلاقه وأحواله وأفعاله وبعض أقواله، فهو الإنسان الكامل، والباقون من الأنبياء والأولياء الكمّل صلوات الله عليهم، ملحقون به لحوق الكامل بالأكمل، ومنتسبون إليه انتساب الفاضل إلى الأفضل، ولكن مطلق لفظ الإنسان الكامل حيث وقع في مؤلّفاتي إنما أريد به محمّداً ﷺ، تأدّباً لمقامه الأعلى ومحلّه الأكمل الأسنى، ولي في هذه التسمية له إشارات وتنبيهات على مطلق مقام الإنسان الكامل لا يسوغ إضافة تلك الإشارات.

ولا يجوز إسناد تلك العبارات إلاّ لاسم محمد ﷺ؛ إذ هو الإنسان الكامل بالاتّفاق، وليس لأحد من الكمل ما له من الخلق والأخلاق، وفيه قلت هذه القصيدة المسمّاة، بالدرة الوحيدة في اللجّة السعيدة:

---

(١) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، من علماء المتصوفين، ولد سنة ٧٦٧ هـ، وتوفي سنة ٨٣٢ هـ.

قلب أطاع الوجدَ فيه جنانهُ وعصى العواذلَ سرُّه ولسانهُ
عقد العقيق من العيون لأنه فقد العقيق ومن همُ أعيانه
ألف السهاد وما سها فكأنما نظم السُّهى في هُدبه إنسانه
يبكي على بعد الديار بمدمع سل عنه سلعاكم روت غدرانه
فحنينه رعد ونار زفيره برق ومزن المنحنى أجفانه
فكأن بحر الدمع يقذف درّه حتى نفذن وقد بدا مرجانه
ولئن تداعى فوق أيك طائر داعي الحمامَ بأنّه خفقانه
ويزيده شجواً حنين مطية رفلت بها نحو الحمى ركبانه
يا سائق العيس المعمّم في السرى قف للذي تحدوكم أشجانه
بلّغ حديثاً قد روته مدامعي إذ عنعنته مسلسلاً فيضانه
أسند لهم ضعفي وما قد صح من متواتر الخبر الذي جريانه
يرويه عن عبراته عن مقلتي عن أضلعي عمّا روت نيرانه
عن مهجتي عن شجوها عن خاطري عن عشقتي عما حواه جنانه
عن ذلك العهد القديم عن الهوى عمّن همُ روحي وهم سكانه
واسأل سلمت أحبتي بتلطف المسـ ـكين عندهمُ وهم سلطانه
واستنجد العرب الكرام تعطّفاً لمضيّع في هجرهم أزمانه
لا يوحشنك عزّهم وعلوّهم تلك الديار لوفدها أوطانه
كلا ولا تنس الحديث فحبّهم قصص الصبابة لم يزل قرآنه
ما آيسوا المقطوع من إيصالهم بل آنسوه بأنهم خلانه
قد كنت أعهد منهمُ حفظ الودا د فليت شعري هل هم أخوانه
ولقد أنزه عن خيانة عهدنا شأن الحبيب وإن يكن هو شأنه
حيا الإله أحبتي وسقاهم غيثاً يجود بوبله سكبانه
يحيي به الربع الخصيب ولم يزل حياً تميس بوُرقه أغصانه
عجباً لذاك الحي كيف يهمه قحط السنين وأحمد نيسانه
أو كيف يظمأ وفده ولديهم بحر يموج بدره طفحانه
شمس على قطب الكمال مضيئة بدر على فلك العلى سيرانه
أوج التعاظم مركز العزّ الذي لرحى العلا من حوله دورانه
ملك وفوق الحضرة العليا على الـ ـعرش المكين مثبّت إمكانه
ليس الوجود بأسره إن حققوا إلا حُباباً طفحته دِنانه

الكــل فيــه ومنــه كــان وعنــده تفنـى الـدهـور ولـم تـزل أزمـانـه
فـالخلـق تحـت سمـا عـلاه كخـردل والأمـر يبـرمـه هنـاك لسـانـه
والكـون أجمعـه لـديـه كخـاتـم فـي إصبـعٍ منـه أجـلّ أكـوانـه
والملـك والملكـوت فـي تيـاره كـالقطـر بـلْ مـن فـوق ذاك مكـانـه
وتطيعـه الأمـلاك مـن فـوق السمـا واللـوح ينفـذ مـا قضـاه بنـانـه
فلكـم دعـا بـالنخلـة الصمـا فجـا ءت مثلمـا جـاءت لـه غـزلانـه
نـاهيـك شـق البـدرِ منـه بـإصبـع والبـدر أعلـى أن يـزول قـرانـه
شهـدت بمكنتـه الكِيَـان وخيـر بيـ ـنـة يكـون الشـاهـديـن كيـانـه
هـو نقطـة التحقيـق وهـو محيطـه هـو مـركـز التشـريـع وهـو مكـانـه
عُقـد اللـوا بمحمـد وثنـائـه فـالـدهـر دهـر والأوان أوانـه
ولـه الـوسـاطـة وهـي عيـن وسيلـة هـي للفتـى يجلـى بهـا رحمـانـه
ولـه المقـام وذلـك المحمـود مـا لـم يـدر مـن شـأنٍ تعـالـى شـأنـه
ميكـال طسـت مـوجـة مـن بحـره وكـذاك روح أمينـه وأمـانـه
وبقيـة الأمـلاك مـن مـائيـة كـالثلـج يعقـده الصبـا وحـرانـه
والعـرش والكـرسـيّ ثـم المنتهـى مجـلاه ثـم محلـه ومكـانـه
وطـوى السمٰـوات العـلا بعـروجـه طـيّ السجـل كمـدلـج ركبـانـه
أنبـا عـن المـاضـي وعـن مستقبـل كشـف القنـاع وكـم أضـا بـرهـانـه
وأتـت يـداه بمـال قيصـره ففـرقـ ـهـا وكسـرى سـاقـط إيـوانـه
ولكـم لـه خلـق يضـيء بنـوره يُهـدي بـذكـراه الهـدى جيـرانـه
ولكـم تطهـر فـي التـزكّـي وانتفـى حتـى انتقـى مـا لا يـرام عيـانـه
أنبـا عـن الأسـرار إعـلانـاً ولـم يفـش السـريـرة للـورى إعـلانـه
نظـم الـدراري فـي عقـود حـديثـه متنثـرات فـوقهـا عقيـانـه
حتـى يبلـغ فـي الأمـانـة حقّهـا مـن غيـر هتـك رامـه خـوّانـه
اللّـه حسبـي مـا لأحمـد منتهـى ويمـدحـه قـد جـاءنـا فـرقـانـه
حـاشـاه لـم تـدرك لأحمـد غـايـة إذ كـل غـايـات النهـى بـدآنـه
صلّـى عليـه اللّـه مهمـا زمـزمـت كلـم علـى معنـى يـريـح بيـانـه
والآل والأصحـاب والأنسـاب والأقطـ ـاب قـوم فـي العـلا إخـوانـه

[النبي ﷺ القطب الذي تدور عليه الأفلاك]

اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود، من أوّله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوّع في ملابس فيسمّى به باعتبار لباس، ولا يسمّى باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسام وله في كل زمان اسم، ما يليق بلباسه في ذلك الزمان.

فقد اجتمعت به ﷺ وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبيّ ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ٧٩٦، ثم أطال الكلام في ذلك بما لا يفهم، أكثره أمثالي، فلذلك لم أنقله هنا، ومن شاءه فليراجعه في كتابه المذكور.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي

[الصفات المحمدية]

قوله في خطبة كتابه المسمى بكتاب «الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية»، وهو كتاب نفيس وحجمه نحو ستة كراريس: الحمد لله الذي جعل محمداً ﷺ مظهر الكمال، وحلاه من أوصفه بكل ما تعرف به إلينا من الجمال والجلال، وخصّه بالوسيلة في مقام قاب قوسين أو أدنى، ثم دلاه بعدما أدناه ليظهره في العالم بأسمائه الحسنى، ومكّنه من القرب المقدس في المكانة العليا، وأحلّه من الجوار المؤنس في المستوى الأزهى، وجعله في العالم أنموذج حضرة الحضرات، ومرآة ظهور الأسماء والصفات، وأنزل عليه آياته الكريمة ظهراً وبطناً، وعرّفه بحقائق الأشياء صورة ومعنى، فله الحمد سبحانه، أن جعله النسخة العظمى لمطلق العدم والوجود، وفتح على يديه أبواب خزائن الكرم والجود، أحمده حمده لنفسه، بما يستحقه من كمالات قدسه، وأشكره شكراً متصلاً بالعليا، متواتراً مع النعمى، بالغاً من الغاية نهاية المكانة الزلفى، جامعاً لمتفرّقات المدح والثنا، مفصحاً عما يستحقه لذاته وأسمائه وصفاته التي كلّها حسن وحسنى، وأثني عليه بالحال والقال، ثناء من قام مقام الافتقار بين يديه، فوكله في ثنائه عليه.

فقال متأدباً في حضرة قدسك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، إلى أن قال رضي الله عنه: ولله در ذي نفس أبية، وشيم مرضية، قد امتطى نجيب الجدّ والاجتهاد،

وسلك إلى الله طريق الفحول الأفراد، والحبيب المقرّب المبجّل المكرّم، نور الأنوار، ومعدن الأسرار، وطراز حلة الفخار، وتاج مملكة التمكين والاقتدار، واسطة عقد النبوّة، ولجّة زاخر الكرم والفتوّة، درّة صدفة الوجود، ومنبع الفضائل والجود، الجامع لحقائق الضدّين من معاني الجمال والجلال، الملحوظ بنظر العناية من ذات المتعال، المخصوص من الأزل بالأكملية على كل كمال، بحر الحقائق الرحمانية، ساحل الرقائق الإمكانية، زبدة خلاصة الكلمة الإنسانية، مالك مملكة الموجودات الأكوانية، مستخلف الخلفاء في قطبة المرتبة السلطانية، سيّد كل من يطلق عليه اسم العالم، الموجود في أعلى مراتب، وبين الماء والطّين آدم، صاحب لواء الحمد محمد رسوله الأعلم، وعبده الأكرم، ﷺ، وعلى إخوانه المضافين إليه من الأنبياء والمرسلين، المبعوثين بحكم النيابة عنه لتمهيد قواعد الدين.

ثم ذكر رضي الله عنه أنه برزت إليه الإشارة الإلٰهية بوضع هذا الكتاب في أول ربيع الأول من سنة ٨٠٣ من تاريخ الهجرة النبويّة على صاحبها أفضل الصّلاة والسّلام، وهو يومئذٍ بمدينة غزة المحروسة، وقد رتّب هذا الكتاب على مقدمة وأربعة أبواب، قال في المقدمة:

اعلم أن محمداً ﷺ هو النسبة التي بين العبد والربّ، فآدم ومن دونه إنما يستحق الاتّصاف بالصفات الإلٰهيّة لكونه نسخة من محمد ﷺ، فينبغي لك أيها الأخ أن تعرف أولاً صحة كونه النسبة التي بين الله وبينك، ثم ينبغي لك ثانياً أن تعرف ما لله من صفات الكمال، وما يستحقه في قدسه الكبير المتعال، ثم ينبغي لك ثالثاً أن تعرف اتّصاف محمدٍ ﷺ بتلك الأسماء والصفات الإلٰهية حتى تسلك طريقه القويم، وصراطه المستقيم، فالحق تعالىٰ يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وإنك لمحتاج أيها الأخ في سلوك طريقه إلى معرفة نفسك، فهذه أربعة معارف لا بدّ لك منها، أي من تحققها، ولأجل ذلك فتحت هذا الكتاب على أربعة أبواب:

الباب الأول: في معرفة أن محمداً ﷺ هو النسبة بين الله وبين عبده.

الباب الثاني: في معرفة ما لله تعالىٰ من الأسماء والصفات.

الباب الثالث: في معرفة اتّصاف محمد ﷺ بالصفات الإلٰهيّة.

الباب الرابع: في معرفة ما في الإنسان من الأمور الكمالية وبيان كيفية الاتّصال إلى ذلك.

[الباب الأول]

في معرفة أن محمد ﷺ هو النسبة التي بين الله وعبده:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، اعلم أن هذه الرحمة

هي التي عمّت الموجودات كلّها، فإليها الإشارة في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ﴾ [الأعراف:١٥٦]، يعني: أن محمداً ﷺ هو الواسع لكل ما يطلق عليه اسم الشيئية من الأمور الحقّية، والأمور الخلقية، ولأجل ذلك ذكره الله تعالىٰ في آخر الآية فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٦ - ١٥٧]، تنبيهاً على أنه من اتّبع محمّداً ﷺ في طريقه المخصوص به دون سائر الأنبياء، فسوف يلحق بمقامه المحمديّ.

وهذا معنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾، ويؤتون الزكاة أي يصيرون رحمة، فافهم واعلم أن الرحمة رحمتان: رحمة عامة ورحمة خاصّة، فالرحمة الخاصّة هي التي يدرك الله بها عباده في أوقات مخصوصة، والرحمة العامّة هي حقيقة محمد ﷺ، وبها رحم الله حقائق الأشياء كلها، فظهر كل شيء في مرتبته من الوجود، وبها استعدّت قوابل الموجودات لقوابل الفيض، فلذلك أوّل ما خلق الله روح محمد ﷺ.

كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه: ليرحم الله به الموجودات الكونية، فيخلقها على نسخته ويستخرجها من نشأته، فخلق منه العرش والكرسي، وسائر العلويّات والسفليات، لتكونَ مرحومة به؛ إذ هي من نشأته الكريمة مخلوقة على أنموذج نسخته العظيمة، ولذلك سبقت رحمة الله غضبه لأن العالم كلّه على نسخة الحبيب، والحبيب مرحوم، وحكم الرحمة في الوجود لازم، وحكم الغضب عارض؛ لأن الرحمة من صفات الذات، والغضب من صفات العدل، والعدل فعل، وفرق كبير بين صفات الذات، وبين صفات الفعل.

ولذلك المعنى تسمّى الله بالرحمٰن الرحيم، ولم يتسمّ بالغضبان، ولا الغضوب، وجاز أن يقال: إن الله لم يزل رحماناً رحيماً، ولم يجز أن يقال إن الله لم يزل غضباناً ولا غضوباً على الإطلاق، وسر ذلك كلّه، إنما هو سبق الرحمة الغضب لكون الوجود للحبيب، كالمرآة للصورة، أو كالصفة للذات أو كالبعض بالنسبة إلى الكل، فعمّت الرحمة جميع الموجودات بنسبته ﷺ، وقال لسان الحال:

حظيت بك الأكوان يا خير الورى ... وكذا الفروع بأصلهن تطيب

أنت الحبيب وكلها لك نسخة ... وجميع ما هو للحبيب حبيب

اعلم أن الله لما أراد أن يظهر من تلك الكنزية المخفية، وأحب أن يخلق هذا العالم الكوني لمعرفته، كما ورد في قوله تعالىٰ في الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق»، وكانت الموجودات في ذلك التجلّي الأزلي، موجودة في علمه

أعياناً ثابتة قد علم من قوابلها، أنها لا تستطيع معرفته لعدم النسبة بين الحدوث، والقدم، والمحبة مقتضية لظهوره عليهم حتى يعرفوه، فخلق من تلك المحبة حبيباً اختصّه لتجليات ذاته.

وخلق العالم من ذلك الحبيب لتصح النسبة بينه وبين خلقه فيعرفوه بتلك النسبة، فالعالم مظهر تجليات الصفات، والحبيب ﷺ مظهر تجليات الذات، وكما أن الصفات فرع عن الذات كذلك العالم فرع عن الحبيب، فهو ﷺ واسطة بين الله وبين العالم، والدليل على ما قلناه قوله ﷺ: «أنا من الله ـ أي مخلوق من نوره تعالىٰ أي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وإضافته لله للتشريف ـ والمؤمنون مني»(١).

ولنا دليل آخر وهو قوله ﷺ لجابر: «إن الله خلق روحه ﷺ ثم خلق العرش والكرسي والسفليات جميعاً منه»، وقد رتب خلق هذه الأشياء في الحديث ترتيباً واضحاً لا إشكال في أنها فروع له، وهو أصلها ويدل على ما أردناه قوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»(٢)، لأنه يعلم من ذلك أنه كان واسطة بين الله وبين آدم، حتى صح ظهور آدم، وكمل وجوده؛ إذ النبوة المحمدية إنما هي نبوة التشريع، وهي عبارة عن الواسطة بين الله تعالىٰ وبين العبد، فتخصيص الحديث بذكر آدم دليل واضح، بأن رسول الله ﷺ كان واسطة بين الله تعالىٰ وبين آدم، حتى بعث آدم نبياً لأجل النسبة المحمدية، وإذا كان آدم معه ﷺ بهذه المثابة، فما قولك في ذريته إذ ذاك من باب أولى.

ولهذا أخذ الله الميثاق على النبيّين أن يؤمنوا به وينصروه، فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وتنكير الرسول هنا للتعظيم باتفاق المفسرين لا لكونه غير معروف، وقوله تعالىٰ للأنبياء: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ دليل على أنهم لم يدركوا الكمالات المحمدية بالكشفة حتى تكون لهم مشهودة، وسبب ذلك أن الفرع لا سبيل له أن يحيط بالأصل، فأخذ الله الميثاق عليهم أن يؤمنوا بكمالاته إيماناً بالغيب ليكون ذلك سبباً لهم إلى المعارف الذاتية، فيحصلوا بذلك في

---

(١) رواه علي القاري في الأسرار المرفوعة (١١٩). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٢٣٧). والسيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (٢٤).

(٢) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٢٦). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩١).

مراتب الأكملية، ويلتحقوا به ﷺ لعلمه تعالىٰ أنهم لا يدركون ذلك إلاّ بواسطة محمد ﷺ، وسرّ هذا الأمر أنه ﷺ مظهر الذات، والأنبياء مظهر الأسماء والصفات وبقية العالم العلوي والسفلي مظاهر أسماء الأفعال ما خلا أولياء أمّة محمد ﷺ، فإنهم كالأنبياء مظاهر الأسماء والصفات؛ لقوله ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»[1].

فإذا علمت أنه ﷺ كان سبباً بين الله تعالىٰ وبين أنبيائه، فعلمك بكونه سبباً بين الله وبين الملائكة يكون بالطريق الأولى لما ذهب إليه الجمهور، وأن خواص بني آدم أفضل من خواص الملائكة، فإذا صحّ أنه ﷺ نسبة بين الله تعالىٰ وبين خواص الأنس والملك فمن طريق الأولى أن يصح كونه نسبة بين الله تعالىٰ، وبين عوامهما وبقية الموجودات، عطفاً على هذين الجنسين، فعلم بما أوردناه أنه ﷺ لو لم يكن موجوداً، لما كان شيء من الموجودات يعرف ربه، بل لم يكن العالم موجوداً، لأن الله تعالىٰ، ما أوجد العالم إلاّ لمعرفته.

فلو أنه علم من قوابلهم عدم المعرفة لعدم النسبة لما كان يوجدهم بل أوجد النسبة أولاً، ثم أوجدهم من تلك النسبة لكي يعرفوه بها، ولو لم تكن النسبة لم يكونوا وإلى ذلك أشار الحديث القدسي في قوله تعالىٰ للنبيّ ﷺ: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[2].

ولما كان ﷺ علّة لوجود العالم، وسبباً لرحمته وواسطة بين الله وبينهم، كان له مقام الوسيلة في الآخرة، لأن الخلق توسّلوا به إلى معرفة الله وتوسّلوا به في الوجود، لأنهم خلقوا منه وتوسّلوا به في كل خير ظاهر وباطن، فهو صاحب الوسيلة، قال رحمه الله تعالىٰ: وقد تكلمنا طرفاً في معنى كونه واسطة بين الله وبين الخلق، وأوضحناه في كتابنا الموسوم، بالكهف والرقيم، في شرح بسم الله الرحمٰن الرحيم، ويكفي من هذا الباب هذا المقدار في هذا الكتاب، والله يقول الحق وإليه المرجع والمآب،

[الباب الثاني]

ثم إنه رحمه الله تعالىٰ ذكر الباب الثاني من الكتاب في معرفة ما لله تعالىٰ من الأسماء والصفات، وعدّها وشرحها واحداً واحداً.

---

(١) رواه الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٦٦). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٤٧). والعجلوني في كشف الخفا (٢: ٨٣).

(٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (٢: ٢٣٢). والألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨٢). والفتني في تذكرة الموضوعات (٨٦).

[الباب الثالث]

ثم قال: الباب الثالث في اتّصاف محمد ﷺ بالأسماء، والصفات الإلٰهية.

تنبيه: يقول جامعه يوسف النبهاني عفا الله عنه: اعلم أن اتّصاف رسول الله ﷺ بالأسماء والصفات الإلٰهية إنما هو على الوجه الذي يليق به ﷺ لا على الوجه الذي يليق بالله تعالىٰ من أوصاف الألوهية المختصّة به عزّ وجلّ، فإن هذا لا يجوز أن يتّصف به النبيّ ﷺ ولا أحد من الخلق، ولكن الله تعالىٰ من فضله قد خلع على سيد خلقه حبيبه الأعظم، وعبده الأكرم سيّدنا محمد ﷺ كثيراً من أسمائه الحسنى، وصفاته العليا تشريفاً له ﷺ بما اختصّه به بين الأنام، وقد نظمّت أسماءه الشريفة ﷺ بمزدوجة سميتها أحسن الوسائل في نظم أسماء النبيّ ﷺ، جمعت فيها ما قدرت على جمعه من الكتب المعتمدة، وذلك ثمانمائة ونحو الثلاثين اسماً، ثم أفردتها مع شرح ما يلزمه الشرح منها في كتاب سمّيته: الأسمى في ما لسيدنا محمد ﷺ من الأسما، ورتبته على الحروف وهما مطبوعان، وذكرت في كتاب الأسمى فوائد أخرى لم يمكن ذكرها في النظم، وجعلت له خاتمة، وها أنا أذكر هاهنا لتمام الفائدة.

قلت فيها: ذكر القاضي عياض في الشفاء نحو ثلاثين اسماً من أسماء الله الحسنى، التي شرف بها حبيبه محمداً ﷺ فسمّاه بها، وقد تقدّمت مع أسماء كثيرة أخرى لم يذكرها القاضي عياض، أبلغتها واحداً وثمانين اسماً سبق ذكرها مجتمعة ومفرّقة في حروفها، وذكر أيضاً، أنه تعالىٰ سمّى ببعض أسمائه الحسنى بعض النبيّين كرامة منه تعالىٰ، خلعها عليهم كتسمية إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم، وإبراهيم بجليم، ونوح بشكور، وعيسى ويحيى ببر، وموسى بكريم وقوي، ويوسف بحفيظ وعليم، وأيوب بصابر، وإسماعيل بصادق الوعد.

كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم، ويعد أن ذكر جميع ذلك في فصل مستقل دفع وهم من يتوهم، مشابهة المخلوق للخالق، إذا تسمّى باسم من أسمائه تعالىٰ، فقال: وهٰهنا أذكر نكتة أذيل بها هذا الفصل، وأختم بها هذا القسم، وأزيح الإشكال بها، في ما تقدم عن كل ضعيف الوهم، سقيم الفهم، تخلصه من مهاوي التشبيه، وتزحزحه عن شبه التمويه، وهو أن يعتقد أن الله جلّ اسمه في عظمته، وكبريائه وملكوته وحسن أسمائه وعليّ صفاته، لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا تشبه به، وإنما جاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي؛ إذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق.

فكما أن ذاته تعالىٰ لاتشبه الذوات، كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، إذ صفاتهم لا تنفكّ عن الإعراض، وهو تعالىٰ منزّه عن ذلك، بل لم يزل بصفاته وأسمائه، وكفى في هذا قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ٤٢]، لله در من قال من العلماء العارفين

المحققين: التوحيد إثبات ذات غير مشبّهة للذوات ولا معطلة من الصفات، وزاد هذه النكتة الواسطي بياناً وهي مقصودنا، فقال: ليس كذاته تعالىٰ ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة، إلاّ من جهة موافقة اللفظ اللفظ، وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حديثه، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة.

وهذا كله مذهب أهل الحق والسنّة والجماعة رضي الله عنهم، وقد فسّر الإمام أبو القاسم القشيري قوله هذا ليزيده بياناً، فقال: هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد، وكيف تشبه ذاته تعالىٰ ذات المحدثات، وهي بوجودها مستغنية، وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب أنس، أو دفع نقص حصل، ولا لخواطر وأغراضاً وجدولاً بمباشرة، ومعالجة ظهر، وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه.

وقال الإمام أبو المعالي الجويني: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره فهو مشبه، ومن اطمأن إلى النفي المحض فهو معطل، وإن قطع بموجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد، وما أحسن قول ذي النون المصري: التوحيد أن تعلم أن قدرة الله تعالىٰ في الأشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج، وعلّة كل شيء صنعه ولا علّة لصنعه، وماتصوّر في وهمك فالله بخلافه، وهذا كلام عجيب نفيس محقّق. والفصل الأخير وهو قوله: وما تصور في وهمك فالله بخلافه، هو تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى:٤٢].

والثاني وهو قوله: وعلة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:٢٣].

والثالث: وهو قوله: حقيقة التوحيد أن تعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج، وصنعه لها بلا مزاج، أي ممازجة شيء بشيء، تفسير لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، ثبتنا الله تعالىٰ وإياك على التوحيد والإثبات والتنزيه، وجنبنا طرق الضلالة والغوية من التعطيل والتشبيه بمنّه وفضله ورحمته، انتهى كلام القاضي عياض.

وقال ملا علي القاري في شرحه على الشفا، في الفصل الذي قبل هذا: لا يتصور اشتراكُ المخلوق مع الخالق في نعت من النعوت، بحسب الوصف الحقيقي، وإنما يكون بملاحظة المعنى المجازي والعرفي، فالله سميع بصير عليم حيّ قادر مريد متكلم، وقد أثبت هذه الصفات أيضاً لبعض المخلوقات، ولكن بينهما بون بيّن، ولا يخفى مثل هذا على ديّن.

قال: وقد أفرد المصنف القاضي عياض كما سيأتي فصلاً في بيان هذا الفصل، لئلا يعدل أحد عن مقام العدل، انتهى.

كلام ملا علي القاري، والفصل الذي أشار إليه هو ما ذكرته هنا، والله أعلم وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

انتهت خاتمة كتابي المذكور وبها يندفع كل إشكال يخطر في بال أحد من جهة وصف النبيّ ﷺ بأسماء الله تعالىٰ، وصفاته عزّ وجلّ. ولنرجع إلى تكميل كلام الشيخ عبد الكريم الجيلي، قال رضي الله عنه الباب الثالث في اتّصاف محمد ﷺ بالأسماء والصفات الإلٰهية، قال الله تعالىٰ لنبيّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، والخلق هو الوصف فالأوصاف العظيمة هي أوصاف الله تعالىٰ.

وسئلت عائشة رضي الله عنها، فقالت: كان خلقه ﷺ القرآن. إشارة عن حقيقة التحقيق بالكمالات الإلٰهية، لأن القرآن إنما هو عبارة عن كمالات الله تعالىٰ، وأيضاً القرآن كلام الله تعالىٰ، والكلام صفة المتكلم، وهو خلق محمد ﷺ، يعني وصفه، فهو متّصف بأوصاف الله تعالىٰ، وقد انفرد ﷺ بكمال ذلك دون كل موجود، والدليل على ذلك ما صح بالإسناد عن رسول الله ﷺ، برواية ابن وهب رضي الله عنه أنه ﷺ قال **«قال الله تعالىٰ: يا محمد سل، فقلت: يا رب وما أسأل؟ اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلّمت موسى تكليماً، واصطفيت نوحاً، وأعطيت سليمان ملكاً، لا ينبغي لأحد من بعده، قال الله تعالىٰ: ما أعطيتك خيراً من ذلك، أعطيتك الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوّ السماء، وجعلت الأرض طهوراً لك ولأمّتك، وغفرت لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك، ولم أصنع ذلك لأحد قبلك، وجعلت قلوب أمّتك مصاحفها، وخبأت لك شفاعتك، ولم أخبئها لأحد غيرك»**[1]، هذا الحديث صحيح الإسناد معتمد على روايته، وفيه إشارة عظيمة إلى كمال تحقّقه ﷺ بالكمالات الإلٰهية، وتصريح ظاهر بانفراده بجميع ذلك، دون غيره؛ لقوله تعالىٰ: **«وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لغيرك»**.

وقوله: **«ما أعطيتك خيراً من ذلك»**، يعني أن هؤلاء النبيّين المذكورين تجلّيت عليهم بصفاتي، وتجلّيت عليك بذاتي، والدليل على أن محمداً ﷺ ذاتي، ومن دونه صفاتيّ، هو أن الله تعالىٰ لم يسمّ أحداً غيره من الأنبياء بأسمائه الذاتية على الإطلاق، وسمّى محمداً ﷺ بها فسمّاه بالحق، وسمّاه بالنور صريحاً وغيره من الأنبياء لم يسمّهم إلاّ بأسماء الصفات؛ كما قال تعالىٰ في إبراهيم عليه السلام، أنه حليم، وفي يحيى عليه السلام أوْنه بر، وغيرهما كذلك.

ولم يتسمّ بالحق والنور إلاّ محمد ﷺ وهما اسمان ذاتيان، وقوله تعالىٰ: **«أعطيتك**

---

(١) رواه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٦: ١٩).

الكوثر»، يعني المعرفة الذاتية الإلٰهية التي يستمد منها كل من سواه، وقوله: «جعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جو السماء» إشارة إلى الجمعية التي في المكانة العليا، وأما قوله: «وجعلت لك الأرض طهوراً ولأمتك»، فالأرض عبارة عن النفس البشرية التي بلغت منه ﷺ في غاية الطهارة، حتى قيل فيه زاغ البصر، وما طغى وقد صعق موسى عليه السلام من تجلّي الربوبية، وقيل في إبراهيم عليه السلام: قد صدقت الرؤيا على سبيل العتاب والصعق من آثار البشرية، وأخذ الرؤيا على ظاهرها كذلك، وما في الأنبياء نبي إلاّ وقد ظهرت البشرية عليه، إلاّ محمداً ﷺ، فإن بشريته معدومة لا أثر لها بخلاف غيره من الأنبياء والأولياء، فإنهم وإن زالت عنهم البشرية، فإنما زوالها عبارة عن انستارها، كما تنستر النجوم عند ظهور الشمس، فإنها وإن كانت مفقودة العين، فهي موجودة الحكم حقيقة، وبشريته ﷺ مفقودة؛ لقوله: «لم يؤمن من الشياطين إلا شيطاني».

أو كما قال مما هذا معناه، وعن هذه الطهارة ضرب الله له المثل في بدايته بإخراج الدم من جوفه، حين شقّ الملك صدره بحرا، وقوله تعالىٰ: «وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفوراً لك»، فإنه عبارة عن عدم البقاء بالخليقة فيه من جميع الوجوه لتحقّقه ﷺ بالكمالات الحقية من كل الوجوه، فمن لا بقية له من وجوده لا ذنب له لأن الله قد غفر له، وقوله تعالىٰ: «ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، دليل واضح أن رسول الله ﷺ كان متحققاً بالله تعالىٰ في سائر أحواله، من الطفولية والشبوبية والكهولية، فلم يغفل عن الله تعالىٰ طرفة عين حتى، ولا في الأرحام والأصلاب، لأنه كان نبياً وهو في الأرحام والأصلاب، والنبيّ لا يغفل عن الله تعالىٰ، وغيره لم يكن نبياً إلاّ بعد كماله، وظهوره في العالم الدنيوي، فظهر من الكلام وعلوّ رتبة محمد ﷺ، وقوله تعالىٰ: «لم أصنع ذلك لأحد قبلك»، يعني: أن الكمالات التي تحقق بها رسول الله ﷺ لم يتقدمه أحد من المتحقّقين بذلك، فكل متحقّق بالكمالات الإلٰهية، فهو بعد محمد ﷺ لا قبله، وقوله تعالىٰ: «وجعلت قلوب أمتك مصاحفها»، إشارة إلى أن الكل بأجمعهم، من أمّته ﷺ فمن تقدم منهم بالزمان سمّي رسولاً نبيّاً، ومن تأخّر منهم بالزمان سمّي وليّاً، وكلهم من أتباعه ﷺ، ولم يكن ذلك إلاّ له ﷺ وحده.

وكون قلوبهم مصاحف، يعني بذلك تجليات الحق تعالىٰ لهم على قلوبهم، ومن ثم كانت معارج الأنبياء والأولياء جميعهم بأرواحهم، وعرج به ﷺ إلى العرش، فهو تجلى عليه بروحه وجسمه وسائر هيكله، وبقية الكمل تجلّى عليهم بأرواحهم، فنهاية ما تبلغ إليه أرواحهم هو ما بلغ إليه جسمه، ولروحه من وراء ذلك ما لا يكون لغيره ﷺ.

وقوله تعالىٰ: «وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبيّ غيرك»، هي الخصوصية الذاتية التي خصّص بها رسول الله ﷺ من دون غيره، قال رحمه الله تعالىٰ: ولانفراده ﷺ بجوامع الكلمات الإلٰهية دلائل كثيرة، وتلك الدلائل على ثلاثة أنواع:

فمنها: دلائل ثبتت بالكتاب، ومنها: دلائل بحديثه الذي هو وحي يوحى، ومنها: دلائل عقلية أيّدت بالكشف الصريح الذي هو من الله تعالىٰ بلا واسطة يلقيه إلى الكمل من أوليائه.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً

[فضله وسيادته ﷺ على الخلق أجمعين]

قوله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسماً فذلك قوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾ [الواقعة:٤١]، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً، وذلك قوله: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة:٨ - ٩]، ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ [الحجرات:١٣] الآية، فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً، فذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[الأحزاب:٣٣]»[١] الآية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله متى وجبت لك النبوّة؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[٢]. وفي حديث أنس: «أنا أكرم ولد آدم على ربي، ولا فخر»[٣].

وفي حديث ابن عباس: «أنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر»[٤]، وعن عائشة

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٥١). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٥٠). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٢٥).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٩). وابن أبي شيبة في المصنف (١٤: ٢٩٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩١٧).

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور (٦: ١١٩). والبغوي في شرح السنة (٤: ١٧٨). والقرطبي في التفسير (٣: ٢٦٣).

(٤) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٧). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٥٣٠). وابن كثير في التفسير (٢: ٣٧٥).

رضي الله عنها عنه ﷺ: «أتاني جبريل فقال: قلبت مشارق الأرض ومغاربها، فلم أرَ رجلاً أفضل من محمد ﷺ، ولم أرَ بني أب أفضل من بني هاشم»[١]. وعن أنس رضي الله عنه: أتي بالبراق، ليلة أسري به فاستصعب عليه، فقال جبريل عليه السّلام: أبمحمد تفعل هذا، فما ركبك أحد أكرم على الله منه فارفضّ عرقاً.

وقال أبو ذرّ وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، أنّه قال: «أعطيت ستاً»[٢] ـ وفي بعض الروايات ـ «خمساً لم يعطهن نبي قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهور، فإيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأُحلّت لي الغنائم ولم تحل لنبيّ قبلي، وبعثت إلى الناس كافّة، وكان النبيّ يبعث إلى قومه، وأعطيت الشفاعة»[٣]، وفي رواية، «وأوتيت جوامع الكلم»[٤]، وفي رواية، «وختم بي النبيين»، وفي رواية، «فأنا أول من تنشق عنه الأرض».

وعن العرباض بن سارية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني عبد الله وخاتم النبيّين، وإن آدم لمنجدل في طينته ودعوة إبراهيم، وبشارة عيسى عليه وعليهم الصّلاة والسّلام»[٥].

وحكى أبو محمد مكي وأبو الليث السمرقندي وغيرهما أن آدم عند معصيته، قال: اللّهمّ بحق محمد اغفر لي خطيئتي.

وفي رواية لما دعا آدم قال الله: «من أين عرفت محمداً؟»، فقال آدم: «لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، فعلمت أن ليس أحد أعظم قدراً عندك منه، حيث جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه أنه: وعزّتي وجلالي لآخر النبيّين من ذرّيتك، ولولاه ما خلقتك»:

وفي حديث عبد الله بن مسعود قال: إن الله نظر إلى قلوب العباد، فاختار منها قلب محمد ﷺ، فاصطفاه لنفسه، الحديث.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢١٧).

(٢) رواه في مناهل الصفا (٢٩).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد: ٣). والنسائي في السنن (النحل: ٤٦). وأحمد في المسند (٣: ٣٠٤).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٠). وابن كثير في التفسير (٤: ٧٢).

(٥) رواه أحمد في المسند (٤: ١٢٧). والطبراني في المعجم الكبير (١٨: ٢٥٢). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٨٠).

وفي حديث الإسراء التصريح ظاهر بعلوّ مرتبته، حيث عين لكل نبي اسماً، وذكر عبوره عن ذلك، وعروجه عن سائر مقامات النبيّين عليه وعليهم الصّلاة والسّلام، وعروجه عن سائر مقامات الملائكة، حتى توقف كل من الأنبياء دون مرماه، وكونه أم النبيّين وصلّى بهم إشارة ظاهرة على انفراده بالكمالات لموضع الإمام من المأموم، ولذا قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: أكمل الله لمحمد الشرف على أهل السمٰوات والأرض، وعن أنس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي، ولا فخر»**(١).

وفي رواية عنه رضي الله عنه لفظ هذا الحديث: وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شفيعهم إذا جلسوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربّي»(٢).

نكتة: لواء الحمد عنوان ثنائه على الله بما أثنى به الله على نفسه، ولا يكون ذلك إلاّ للذات وهي الحقيقة المحمدية ﷺ.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم هذا المقام غيري»**(٣)، فهذا تصريح ظاهر بشموله وحيطته للكمالات ظاهراً وباطناً، وفي حديث أبي سعيد عنه ﷺ أنّه قال: **«أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، ما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلاّ تحت لوائي، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض»**(٤).

ودليل ظاهر على أكملته ﷺ ما ورد في الحديث، أنّه قال: **«أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة»**، ثم قال: **«إنهما في أمتي»**.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب النبيّ ﷺ ينتظرونه فخرج

---

(١) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٨). وابن كثير في التفسير (٧: ١٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٥١٢).

(٢) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٨). وابن كثير في التفسير (٧: ١٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٥١٢).

(٣) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٨). وابن كثير في التفسير (٧: ١٢). والعراقي في المغني عن حمل الأسفار (٤: ٥١٢).

(٤) رواه مسلم في الصحيح (الفضائل: ٣). والترمذي في السنن (٣١٤٨). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٣٩٩).

حتى إذا دنا منهم، سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم، فقال بعضهم عجباً: إن الله اتّخذ إبراهيم من خلقه خليلاً، وقال آخر: ماذا بأعجب من كلام موسى كلّمه الله تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج ﷺ فقال: «سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتّخذ إبراهيم خليلاً، وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روح الله وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحميد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح فأدخلها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوّلين والآخرين ولا فخر»[١]، وهذا حديث جامع معرف بكماله وتقديمه على كل مخلوق ﷺ.

والأحاديث الواردة في الكمالات المحمديّة كثيرة لا تحصى، ويكفي هذا القدر من ذكر ذلك، لأن الأمة مجمعون على ذلك، وما ذكرنا هذا المقدار من المعنى إلاّ ليعرف أهل الله ما هم عليه من النبيّ ﷺ، فإن للحقائق سكرة، وللتوحيد فطمة، وللقلوب جموحاً، فإذا تأمّل الفقير إلى مقامات هؤلاء النبيّين الكمل، والملائكة الفضل، وكيف تأخروا عنه ﷺ مع علوّ مكانتهم، وعظم شأنهم، فوقعوا دونه في الحقيقة التوحيدية، وعجزوا عن بلوغ شأوه، وقصر مساعيهم عن نيل مثاله ﷺ تأدب حينئذٍ، ولزم حدّه من الفقر، والتذلّل بين يدي سيد العالم الذي هو مطلوب كل فقير.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً

[الدلائل العقلية]

قوله: النوع الثالث في الدلائل العقلية المؤيّدة، عند الخواص بالكشف الصريح، وعند العوام بالخبر الصحيح ليعلم من ذلك تفرّده ﷺ في الكمالات، وأنه أفضل العالم وأشرف الخلق بالإجماع، لكونه مخلوقاً من نور الذات الإلٰهية وما سواه فإنما هو مخلوق من أنوار الأسماء والصفات، فلأجل ذلك كان ﷺ أوّل مخلوق خلقه الله تعالىٰ، فكما أن الذات مقدّمة على الصفات فمظهرها أيضاً مقدم على مظهر الصفات، وقد أخبر عن نفسه في حديث جابر رضي الله عنه، فقال: «أوّل ما خلق الله روح نبيك يا جابر، ثم خلق العرش منه، ثم خلق العالم بعد ذلك منه»[٢]، وقد رتّب خلق العالم في ذلك الحديث منه أعلاه وأسفله، والسرّ في ذلك

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٧). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٥٣).
(٢) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٠). وفيه: «نور».

أن الذات سابقة الوجود في الحكم على الصفات، وإلاّ فلا مفارقة بين الصفات والذات، لأن السبق إنما هو في الحكم لا في الزمان، لأن الصفات لا بدّ لها من ذات أقدم في الوجود، فكان رسول الله ﷺ أقدم في الوجود، لأنه ذات محض، والعالم جميعه صفات تلك الذات، وهذا معنى خلق الله العالم منه، وروح محمد ﷺ هو المعبّر عنها بالقلم الأعلى، وبالعقل الأول لبعض وجوهه، ومن هذا المعنى ورد قوله ﷺ: «**أوّل ما خلق الله القلم**».

وقد قال: «**أوّل ما خلق الله روح نبيك يا جابر**»[1]، ولو لم تكن الأشياء الثلاثة عبارة عن وجود واحد هو روح محمد ﷺ، لكان التناقض لازماً في هذه الأخبار الثلاثة، وليس الأمر كذلك بل هي جميعها عبارة عنه، كما يعبّر عن قلم الكتابة تارة باليراعة، وتارة بالآلة، وتارة بالقلم، كل ذلك لوجوهه من غير زيادة ولا نقص، فرسول الله ﷺ هو الذاتي الوجود، وما سواه فصفاتيّ الوجود، وذلك أن الله تعالىٰ لما أراد أن يتجلّى في العالم، اقتضى كمال الذات أن يتجلّى بكماله الذاتي في أكمل موجودياته من العالم، فخلق محمد ﷺ من نور ذاته، لتجلّى ذاته لأن العالم جميعه لا يسع تجليه الذاتي، لأنهم مخلوقون من أنوار الصفات، فهو في العالم بمنزلة القلب الذي وسع الحق.

وإلى هذا أشار ﷺ بقوله: «**إن يَس قلب القرآن**»[2]، ويَس اسمه أراد بذلك أن النبيّ بين القلوب والأرواح، وسائر العوالم الوجودية، بمنزلة القلب من الهيكل، وبقية الموجودات كالسماء والأرض، لم تسع الحق، قال تعالىٰ على لسان نبيّه: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[3]، فالأنبياء والأولياء والملائكة وسائر المقرّبين من سائر الموجودات، ليس عندهم وسع المعرفة الذاتية، ومحمد ﷺ الذي هو قلب الوجود، هو الذي عنده الوسع الذاتي للمعرفة الثانية، وإلى ذلك أشار ﷺ بقوله: «**لي وقت مع ربي لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل**»[4]، فجعلهم بمنزلة السماء والأرض فكلاهما لم يسعا الحق بالذات، ويسعان الحق بالصفات ووسعه القلب الذي هو يَس، لأن القلب يسع من المعرفة الإلٰهية ما ضاقت عنه السمٰوات والأرض، فوسع النبيّ ﷺ تجلّيه الذاتي الذي ضاقت الموجودات عنه، وهذه المسألة لقننيها رسول الله ﷺ بحججها التي ذكرتها في هذا المكان، وبعد أن أمليتها في هذا الكتاب أشار إلى ربّي، وذكر تلقينه لي في هذا الموضع، وأسند ذلك إليه كما وصفته، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، ولما كان ﷺ ذاتياً متّسعاً للخلق للتجلي

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٣١٠). وفيه: «نور».
(٢) رواه أحمد في المسند (٥: ٢٦).
(٣) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٢٣٤). وعلي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٦٠).
(٤) رواه علي القاري في الأسرار المرفوعة (٢٩٩).

الذاتي، كان متّصفاً متحقّقاً بسائر الأسماء، والصفات ومستوعباً لسائر الكمالات، من جميع الوجوه، والنسب والاعتبارات، فحاز ﷺ الكمالات الوجودية الحقية والخلقية، ولم يجتمعا لكمالهما في موجود سواه، من أجل ذلك جعلت هذا النوع منقسماً على فصلين:

الأول: في استيعابه ﷺ الكمالات الحقية والخلقية، خُلُقاً وخَلْقاً.

والثاني: في استيعابه ﷺ الكمالات الحقية، صورة ومعنى، ظاهراً وباطناً، تواضعاً وتحقّقاً، ذاتاً وصفات، جمالاً وجلالاً وكمالاً.

[استيعاب الكمالات]

في استيعابه الكمالات الخلقية خُلقاً وخَلقاً، وقد ذكر أصحاب السير من عجائب ذلك ما يضيق المحل عن ذكره، وفي ذلك كفاية المتأمّل، وإنما أردت التبرّك بذكر شيء من ذلك، فإن في كل صفة من صفاته الخلقية أسراراً جميلة ومعاني جليلة لا يمكن شرحها، ومجمل ذلك، أن هيئته الظاهرة الهيكلية، أم الكمالات الحسية الوجودية، العلوية والسفلية، وهيئته المعنوية الوجودية، أم الكمالات المعنوية للعلوية والسفلية، فكل كمال تشهده بالمحسوسات، فهو من فيض صورته الظاهرة، وكل كمال تعقله من المعنويات، فهو من فيض معانيه الباطنة، فهو في المثل معدن كمالات العالم باطنها وظاهرها، فمحسوسات العالم تستمد من ظاهره، ومعقولات العالم تستمد من باطنه، فهو هيولي الصورة والمعاني الوجودية، فعالم الشهادة فيض ظاهره، وعالم الغيب فيض باطنه، وعالم الغيب عبارة عن حقيقته ﷺ، ومن أجل ذلك جعلنا هذا الفصل منقسماً إلى قسمين:

القسم الأول: في هيكله وخَلقه المحسوس الظاهر.

والقسم الثاني: في أخلاقه ﷺ، فهي لو كانت ظاهرة، فهي من القسم المعنوي الباطن.

[القسم الأول: في هيكله وخلقه المحسوس الظاهر]

اعلم أنه ﷺ كان في اعتدال الخلقة في كمال لأمر مرمى بعده وفي حسن وجمال، لا زيادة عليه، لأن الأمر الإلهي إنما أبرزه للكمال لا للنقصان، ولأجل ذلك قال رسول الله ﷺ: «بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»[1]، فكان الوجود قبل بعثته ناقصاً فهو المكمل للوجود

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠: ١٩٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٦٩). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ١٧١).

بالمحسوسات الضرورية والمحمودات الشرعية، فتكميله بالموجودات الضرورية؛ كقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١]، وتكميله بالمحمودات الشرعية قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، فما كان كمال الوجود إلاّ به صورة ومعنى ﷺ، ولما كان ﷺ الوجود كان كل شيء فيه على غاية من الكمال، فلا نقص فيه بوجه من الوجوه، لأنه كمال محض حتى فضلاته ﷺ كانت طاهرة، والدليل على ذلك أن المرأة لما شربت بوله لم ينهها هو، ولا أحد من أصحابه، فلو لم تكن طاهرة لكان ذلك الفعل محل النهي، فهو ﷺ مخلوق في أحسن تقويم، من غير أن يرجع أسفل سافلين كغيره، ومن أجل ذلك كان على أكمل نظام وأجمل حلية، فظهر ﷺ في نهاية من حسن الصورة، واعتدال الخلقة، وكمال الأعضاء وتنابلها، ولطافة البشرة، ورقة الحاشية، وزيادة البهجة، وحسن الصوت، وبشاشة الوجه، وسواد الشعر، وبياض اللون المشرب بالحمرة، وطيب الرائحة، وفصاحة الكلام، وطيب المكالمة، وحسن العشرة في سائر حركاته وسكناته، وتوسط القامة بين الطويل والقصير، وتماسك الخلقة، وتسوية البطن والصدر، وبعد المنكبين وذرع المشية، وحسن الالتفات، وخفض الطرف.

فكان كاملاً في جميع ما ينسب إليه من خَلقه وخُلقه، وقد روينا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قال: سألت خالي هند بن أبي هند عن حلية رسول الله ﷺ، وكان وصافاً وأنا أرجو أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به، فقال: كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع، وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر انفرقت عقيقته فرق، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه إذ هو وفره، أزهر اللون واسع الجبين، أزج، الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما، عرق يدره الغضب، أقنى العرنين، له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أثم، كثّ اللحية أدعج سهل الخدين، ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان، دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء الصدر والبطن مسيح الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة، بشعر يجري كالخط عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعاً، ويخطو تكفؤاً ويمشي هوناً، ذريع المشية إذا مشى، كأنما ينحط من صبب، وإذا

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠: ١٩٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٦٩). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦: ١٧١).

التفت التفت جميعاً، خافض الطرف، نظره إلى الأرض، أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام.

قلت له: صف لي منطقه، قال: كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان، دائم الفكرة، ليس له راحة، ولا يتكلم في غير حاجة، طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم شيئاً، لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه، ولا يقام لغضبه إذا تُعرّض للحق بشيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

إذا أشار أشار بكفّه كلها، وإذا تعجّب قلبها، وإذا تحدث اتصل بها، فضرب بأبهامه اليمنى راحة اليسرى.

وإذا غضب أعرض وأشاح، وإذا فرح غضّ طرفه، جل ضحكه التبسّم، ويفتر عن مثل حب الغمام.

وهذا حديث جامع من تأمّله علم يقيناً أن هذه الصورة الكاملة المعتدلة أكمل صورة وأحسنها، ولو أخذنا في شرح ما قالت الحكماء في كتب الفراسة على ما يقتضي كل عضو يكون هذا صفته لأتى ذلك في مجلدات كثيرة، ولكن اكتفينا من ذلك جميعه بذكر هذه الصورة، ما لا يحصل بدون ذلك، ومتى تعقل العبد هذه الصورة في قلبه.

وكان دائم الملاحظة لها حصلت له السعادة الكبرى، وانفتح بينه وبين النبيﷺ طريق الاستمداد من غير واسطة، حتى إنه إذا تصفّى وتزكى وتطهر، وتخلص من خواطره النفسية والعقلية وما دونها، فإنه يرتقي في ذلك إلى أن تفاجئه الصورة المحمديّة في عالم لأرواح، فتظهر له كما هي عليه ويناجيها فتكلمه، فيأخذ من رسول الله ﷺ كما يأخذ منه أصحابه، ومتى كان هذا العبد من أهل التوحيد الخالص، فإنه يشهد بعد ذلك كمالاته المعنوية، وبها يتقوّى بالاتّصاف بما يقدر له منها، ولا يزال كذلك حتى يشهده في الملكوت الأعلى، ثم يشهده في الأفق المبين، فإذا شهده في الأفق المبين انطبع بالخاصية المحمديّة في قابلية الولي، كمالات محمدية من المقام المحمدي فيها يكمل وجوده ويتحقّق في صفات معبوده.

فمن لا يرى رسول الله ﷺ بالأفق الأعلى والمستوى الأزهى لم يكن من أهل المقام المحمديّ، فإنه يراه على قدر قابلية نفسه، لا على ما هو عليه ﷺ، فإنه لا يطيق أن يراه على ما هو عليه أحد سواه ﷺ، وذلك سر اتّصافه بصفات الله المعبّر عنها بقولنا: لا يعلم ما هو إلاّ هو، فافهم.

[القسم الثاني: في أخلاقه ﷺ]

فإنه كان جامعاً لمكارم الأخلاق، حاوياً لها على الإطلاق، لأنه مفطور على أكمل الأخلاق الضرورية، ومخلوق على أكمل الأخلاق الكسبية.

فالأخلاق الضرورية منها ما هو ضروري محض، ليس للعبد فيه اختيار، وقد كان كامل الأخلاق الضرورية المخلوقة عليها ذاته في جبلته ﷺ، مثل قوة عقله وزيادة حظّه من الإدراك القلبي، وصحة قياسه الفكري، وصدق ظنونه، وصحة فهمه وفصاحة لسانه، وحلاوة منطقة، وقوة حواسه وأعضائه، واعتدال حركاته الضرورية المتلعقة بالكسب، مثل غذائه، ونومه، ويقظته، وملبسه، ومسكنه، ومنكحه، وحاله، ومعاملته للناس، وأمثال ذلك، فقد وردت الأحاديث الصحيحة الصريحة بكماله في جميع ذلك، حتى تواترت الأخبار بأنه كان من ذلك على أكمل حالة وأحسن حلية، فهو الغاية القصوى في كمال هذه الأوصاف الضرورية.

وأما المكتسبة، فإنها إنما كانت فيه جبلة فطر عليها، وما جعلناها مكتسبة إلاّ باعتبارها من حيث هي، فإنها قد يكتسبها المرء، أمّا هو ﷺ، فإن جميع أوصافه كلّها هي أوصاف جبلية فطر عليها، لم يتّصف يوماً من الدهر بنقيض كمالها، ولم يتخلّق بضد حسنها وجمالها، بل كان حاوياً بالطبع لجميع الأوصاف المحمودة، عقلاً وشرعاً، كالعلم، والحلم، والصبر، والسكون، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفو، والعفّة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والصدق، والوفاء بالعهد، وعرض الحسب، وطول الحياء، والمودّة، والرحمة، وحسن الأدب والمعاشرة، والهداية للخلق، وحبّ الخير لكل أحد، وإعطاء الحكمة حقها في سائر أموره كلّها، ولولا خشية البسط لتكلّمنا على أوصافه التي وردت بها الشرائع، وإنها والله لتجل عن الإحصاء بطريق الحصر، فإنه لا يستوفي حصر ذلك أحد، بعلم ولا إدراك، وكثير من كريم أخلاقه لم يتفطن لها أهل العلوم، وهي مذكورة عندهم في الكتب بالأحاديث الصحيحة، عن ثقات الرواة، وقد تحقّق بمعرفتها الكمل كشفاً، وقد يعرف ذلك بطريق التتبّع لأقواله وأفعاله وأحواله، ونسبة بعضها من بعض، وكيف يحصرها العلماء، وتحويها الكتب، وهي من فوق الحصر ووراء الغاية والنهاية، فمن تأمّل في ذلك تيقّن أن جميع الكمالات إنما تكون لأكمل المخلوقات وحده، لأن كل نبيّ لا بدّ له من جميع الكمالات البشرية الشرعية على مقدر مقامه عند الله، لأن القائل: «آدم ومن دونه تحت لوائي، ولا فخر»[1]، فله من كل وصف نهاية ما عليه مما تقتضيه مرتبة ذلك الوصف من الوجود،

---

(١) رواه أحمد في المسند (١: ٢٨١). والعجلوني في كشف الخفا (١: ١٦).

فشجاعته نهايتها، وكرمه كذلك، وجميع أوصافه بالغة نهاية المراتب، فلا كشجاعته شجاعة، ولا كسخائه سخاء، ولا كأوصافه صفة لأحد، إذ كل أحد يتّصف بشيء من الصفات المحمودة على قدر قابلية نفسه، واتّصافه إنما هو على قدر قابليته لذاته، وكم بين قابلية محمد ﷺ وبين قوابل العالم.

ومن جواهر الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً

[اتصاف النبي ﷺ بالأسماء الإلهية]

ما ذكره من اتّصاف النبيّ ﷺ بأسماء الله تعالىٰ، وذكرها اسماً اسماً، وقد أخذت من كلامه ما وقع عليه اختياري. قال رحمه الله تعالىٰ:

الله: قال الله تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠].

تنبيه: يقول جامعه الفقير يوسف النبهاني، عفا الله عنه: قد ذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه، هنا كلاماً يجوز اعتقاد ظاهره، وقد قال العلماء: إن اسم الله للتعلق لا للتخلق، ومعنى هاتين الآيتين، وما أشبههما ظاهر، وهو كقوله ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني»(١)، ولا يطلق على الأمير أنه رسول الله، كما لا يجوز أن يطلق على رسول الله أنه الله، بل هو عبد الله ورسوله، جعله واسطة خلقه في تبليغ أوامره ونواهيه، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، ومن بايعه فقد بايع الله كما هو واقع في أمراء الملوك الذين يؤمّرونهم على الناس، فمن أطاع الأمير في ما أمره به الملك، فقد أطاع الملك، ومن عصا فقد عصى الملك، ومع ذلك لا يطلق على الأمير أنه ملك ولو أطلق ذلك لا يرضى به الملك، وهذا من الظهور بالمكان، الذي لا يحتاج لإقامة برهان، والله أعلم.

ثم رأيته رضي الله عنه ذكر في موضع آخر من كتابه هذا، الكمالات الإلٰهية أنه بينما كان جالساً أمام الحجرة النبويّة، إذ كشف عنه الحجاب، فرأى النبيّ ﷺ في الأفق الأعلى، بصفة إلٰهية لا يشكّ فيها، ومكتوب حول سورة، قل هو الله أحد، فلما رجع إلى حسّه نظر، فإذا في الحائط المقابل، له قد كتبت سورة، قل هو الله أحد، ولئلا يطلع أحد من القاصرين على كلامه فيضلّ، أو ينسب الشيخ إلى الضلال حاشاه من ذلك، أردت أن أشرحه شرحاً يزيل كل اشتباه، ويزيد كل مسلم إيماناً بأن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبد الله ورسوله.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٩: ٧٧). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٣).

فأقول: اعلم أنه لا أحد من المسلمين يشكّ في أن القرآن كلام الله تعالىٰ، وأنه كله حق وهدى، وقد قال الله تعالىٰ فيه: [﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾][1] [القصص: ٢٩ - ٣٠]، ونحن على يقين من أن الله تعالىٰ منزّه عن أن يكون هو نفس النار، ولكن الله تعالىٰ تجلّى فيها لموسى لكونه كان في طلبها، لاصطلاء زوجته في أيام البرد الشديدة، فكانت أحب الأشياء إليه، فلذلك تجلّى له تعالىٰ فيها، كما في الفصوص للشيخ الأكبر.

وكذلك يقال هنا: لما كان النبيّ ﷺ هو أحب الأشياء للشيخ عبد الكريم الجيلي، تجلى له الله تعالىٰ فيه ﷺ، كما تجلّى لموسى في النار، وإنما هي نور، فاعلم ذلك وتذكّر قول النبيّ ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم»[2]، فإنه إذا أعتقد أحد ظاهر كلام الشيخ، وأنه ﷺ هو الله كما تعتقد النصارى بالمسيح، فهو كافر بلا شك، وحاشا الشيخ عبد الكريم الجيلي أن يعتقد ذلك، وإنما هي مشاهدات وتجلّيات يتجلّى بها الحق على خاصّة عباده لا ندرك نحن حقائقها، ونعلم يقيناً أنهم مثلنا لا يشكّون بأن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، وأنه أمكن في العبودية من جميع عبيد الله تعالىٰ، ولذلك صار أحبّهم إليه.

وقد شرحت هذا المعنى في كتابي: شواهد الحق، بعبارة نقلتها على ظهر كتابي هذا جواهر البحار، لتكون كالمقدمة له، ولتحقيق عبوديته ﷺ لله تعالىٰ مع ما هو مذكور في كتابي هذا عن الأئمّة العارفين من علوّ قدره ﷺ إلى درجة لا يمكن أن تتصورّها عقولنا القاصرة، ومع ذلك فقد أقروا واعترفوا بأنهم لم يدركوا حقيقته المحمدية ﷺ على ما هي عليه عند ربّه عزّ وجلّ، ثم بعد كتابتها رأيت في كتاب: المرائي النبوية، لسيدي أبي المواهب الشاذلي، وهو كتاب جمع فيه أكثر من مائة رؤيا، رأى فيها النبيّ ﷺ، ما نصّه:

الرؤيا العاشرة وهي يوم الجمعة الموفي عشرين من ذي القعدة، عام أحد وخمسين وثمانمائة، رأيته عليه الصّلاة والسّلام في الدار، بعد صلاة الضحى، فقال ﷺ: **«أنا النبي أنا الأبطحى، أنت الزمزمي، أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وسيادتي بالعبودية، وقد خيّرني ربي أن أكون ملكاً مطاعاً أو عبداً، فاخترت العبودية، وهي شرفي وهي الصلة بيني وبين**

---

(١) وردت في الأصل: ﴿وإذ قال موسى لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلّي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا الله﴾ هذه الآيات بهذا الترتيب غير واردة في القرآن أصلاً والأرجح أن المؤلف كان يكتب الآيات حفظاً وقد سها في بعضها، وقد أشرنا إليها في مكانها.

(٢) رواه الدارمي في السنن (٢: ٣٢٠).

ربي»[1] ثم ساق الرؤيا، ورؤياه ﷺ حق، وجميع ما ذكره فيها هو وارد في الأحاديث المرويّة عنه ﷺ فاعلم ذلك، وإيّاك أن تسيء الظن بأحد من أولياءالله تعالىٰ، بسبب ما تراه في بعض عباراتهم من المخالفة لذلك بحسب الظاهر، قد أودعوا تلك العبارات أسراراً، وقصدوا بها معاني شريفة لا يدركها أمثالنا رضي الله عنهم وأرضاهم، ونفعنا ببركاتهم في الدنيا والآخرة.

وأما الرحمٰن: فإنه ﷺ كان متحقّقاً بالرحمانية، لسريان وجوده في جميع الموجودات لأنه هيولى العالم، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ خلق العالم منه، فهو ﷺ سار في جميع الموجودات سريان الحياة في كل حي، فهو حياة العالم وهو الرحمة العظمى التي عمّت الموجودات، ولذلك قال الله تعالىٰ في حقّه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وأما الرحيم: فقد كان ﷺ متحقّقاً بذلك، وهو صفة الملكية، فنزل بها إلى مقام العبودية كمالاً وتمكيناً، وقد أخذ الله تعالىٰ له العهد على الأنبياء، كما يؤخذ العهد للملك على غلمانه، وحواشيه.

وأما القدوس: فقد ذكر القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ في كتابه: الشفا أن من أسماء النبيّ ﷺ اسمه القدوس، سمّاه الله تعالىٰ به في الإنجيل.

وأما السلام: فإنه ﷺ كان متحقّقاً متجلياً به، والدليل على ذلك ارتفاع المسخ والخسف بعد بعثته، فإنه ﷺ كان سبب سلامة العالم من ذلك، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣]، فهو ﷺ سلامة محضة، وهو السلام المطلق.

وأما المؤمن والمهيمن: فقد قال تعالىٰ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٢٨٥].

قال القاضي عياض: والمهيمن مصغر من الأمن، وقلبت الهمزة هاء، ثم قال: والنبيّ ﷺ أمين، ومهيمن ومؤمن، وقد سمّاه الله تعالىٰ بذلك كلّه، وسمي المؤمن لأنه أمان العالم، وذو الإيمان المطلق، وقد شهد الله تعالىٰ له بذلك، فقال: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥] الآية.

وأما العزيز: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠).

وأما الجبار: فقد قال القاضي عياض، رحمه الله في كتابه الشفا: وسمّي النبيّ ﷺ في كتاب داود بجبار، فقال: تقلّد أيها الجبار سيفك ناموسك، وشريعتك مقرونة بهيبة يمينك، معناه في حق النبيّ ﷺ.

أما لإصلاحه بالهداية والتعليم، يعني من جبر الكسر، أو لقهر أعدائه ولعلوّ منزلته على البشر، وعظيم خطره، ونفى الله تعالىٰ عنه جبرية الكبر التي لا تليق به، فقال: وما أنت عليهم بجبار.

وأما المتكبر: فإنه كان متّصفاً بذلك، والدليل على ما قلناه كونه قد اتّصف بأسماء الله الحسنى، فلا كبر بأعظم من صفات الله تعالىٰ.

واعلم أن التكبّر عن الله بالله محمود، وما ورد من ذمّ الكبر فإنما هو في التكبّر على الله، فافهم موضع الحمد من الذمّ.

وأما الخالق: فإنه ﷺ كان متّصفاً بصفة الخالقية، والدليل على ذلك نبع الماء من بين أصابعه، فإنها صفة خالقية.

وأما البارئ: فإنه كان متصفاً به، والدليل على ذلك تكثير الطعام، حتى إنه أطعم نيفاً وألف رجل يوم الخندق، من صاع شعير.

وأما المصور: فإنه كان ﷺ متصفاً بذلك، والدليل على ذلك قوله للأعرابي: «كن زيداً»، فإذا هو زيد، يعني في قصة أبي ذر في غزوة تبوك، حينما رأى النبيّ ﷺ راكباً من بعيد، فقال له: «كن أبا ذر»، فكانه.

وأما الغفار: فإنه كان متصفاً به، والدليل على ذلك غفرانه للأعرابي الذي جامع في رمضان، وأسقط عنه الكفارة، وقد رويناه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: بينما نحن جلوس عند النبيّ ﷺ، إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، فقال: «ما لك»، قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم.

وفي رواية: أصبت امرأتي في رمضان، فقال رسول الله ﷺ: «هل تجد رقبة تعتقها؟»، قال: لا، قال: «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين»، قال: لا، قال: «هل تجد طعام ستين مسكيناً»، قال: لا، فمكث النبيّ ﷺ فبينما نحن على ذلك إذا أتى النبيّ ﷺ بفرق فيه تمر، والفرق المكتل، فقال: «أين الأعرابي»؟، فقال: ها أنا، قال: «خذ هذا فتصدّق به»، فقال: على أفقر مني يا رسول الله، فوالله ما بين لابتيها ـ يعني المدينة ـ أهل بيت أفقر من بيتي، فضحك ﷺ حتى بدت نواجذه، أي أنيابه، ثم قال:

«أطعمه أهلك»[١]، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، جعل استغفار الرسول شرطاً للمغفرة والتوبة، ولم يكتف باستغفارهم الله تعالىٰ، بل قيّده بمجيئهم إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لهم، وسرّ هذا أنه متّصف بصفة المغفرة ﷺ.

وأما القهار: فإنه كان ﷺ متصفاً به، والدليل على ذلك أنه قهر بنوره جميع أنوار الأنبياء، أي سترها كما تقهر الشمس أنوار النجوم، فنسخت شريعته شرائع الأنبياء، فهو القهار الحقيقي، ومن قهره نصره بالرعب مسيرة شهر، كماورد في الحديث.

وأما الوهاب: فإنه ﷺ كان متصفاً به، كما روينا عن محمد بن المنكدر، قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً، فقال: لا.

وأما الرزاق: فقد كان متّصفاً بهذه الصفة أيضاً، والدليل على ذلك إنزال الغيث الذي هو سبب لأرزاق جميع الحيوانات، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، فرفع رسول الله ﷺ يديه، وقال: «اللّهمّ أغثنا، اللّهم أغثنا، اللّهم أغثنا»[٢]، قال أنس: فوالله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، وما بيننا وبين سلع من باب ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء انتشرت ثم أمطرت، قال أنس: فوالله ما رأينا الشمس سبتاً، قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنّا، قال: فرفع النبيّ ﷺ يديه، ثم قال: «اللّهم حوالينا لا علينا، على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر»[٣]، قال: فأقلعت فخرجنا نمشي في الشمس.

وأما الفتاح: فقد قال تعالىٰ: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الأنفال: ١٩]، يعني محمداً، وقد كان ﷺ متّصفاً بالصفة الفتاحية، فإنه فتح أبواب السمٰوات، وفتح الله به أعيناً عمياً وقلوباً غلفاً، وقد ورد مثل ذلك ما حكاه لنفسه في الأحاديث المروية عنه ﷺ.

وأما العليم: قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال في حقه ﷺ:

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٥١٦).
(٢) رواه البخاري في الصحيح (٢: ٣٥). ومسلم في الصحيح (٦١٣). والنسائي في السنن (٣: ١٦١).
(٣) رواه البخاري في الصحيح (٢: ١٥). والنسائي في السنن (٣: ١٦٠). وابن ماجه في السنن (١٢٦٩).

﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، كان ﷺ متّصفاً بصفة العلم الإحاطي، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «فعلمت علم الأوّلين والآخرين، وعلم الأولين والآخرين علم الكون بأسره»، فهذا دليل معرفته ﷺ بالمخلوقات كلّها، أولها وآخرها، دنياها وأخراها. وأما دليل علمه بالله، فالحديث المروي عن النبيّ ﷺ وهو قوله للكمل من أمّته: «أنا أعرفكم بالله وأشدكم خوفاً له»[1].

وأما القابض والباسط: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين، والدليل على ذلك ما روت أسماء بنت عميس رضي الله عنها أنه قبض على الشمس فوقفت حتى صلّى عليّ رضي الله عنه، ففي رواية صحيحة الإسناد عنها: أنه ﷺ كان يوحى إليه، ورأسه في حجر علي رضي الله عنه فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «أصلّيت يا عليّ»، فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم إنّه كان في طاعتك، وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس»[2]، قالت: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعدما غربت، ووقعت على الجبال والأرض، وذلك بالصهباء في خيبر.

أخرجه الطحاوي في مشكل الحديث، فهذا دليل عظيم على اتّصافه بالقبض والبسط، فإنه قبض على الشمس أن تغيب، وبسط في النهار حتى زاد، ووقعت الشمس على الجبال والأرض، وفي بسطه لعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه في ولده، وماله، ولأنس وغيرهما ما يغني المتأمّل عن زيادة الاستدلال، فافهم.

وأماالخافض والرافع: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين، لأنه خفض أعلام الشرك ورفع رايات الهدى، وقد مدحه العباس بن مرداس بهاتين الصفتين، فأقرّه ولم ينكر عليه، حين قال له في قصيدته:

ومن تضع اليوم لا يرفع

وأما المعز والمذل: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين، والدليل على ذلك تمكينه ﷺ من التصرف الكلّي في الوجود، وقد شهد الله له أنه مطاع في الملكوت الأعلى، فقال في حقّه: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠ -٢١]، يعني: عند ذي العرش، فإذا شهد الله أنه مطاع في الملكوت الأعلى، فما قولك في الملك الأسفل، وهو في تسخيره العالم العلوي الذي في طوعه وتحت أمره.

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٣١).

(٢) رواه القرطبي فيالتفسير (١٥: ٩٧). وابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٩٠). والألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧١).

وأما السميع: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على ما ما روي عنه ﷺ، أنه سمع صريف الأقلام، وقد علمت أنها جفت من الأزل، بما هو كائن إلى الأبد، فسماعه لصريفها إنما هو بالصفة السمعية المحيطة بما كان، وبما هو كائن.

وأما البصير: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على ذلك ما أخبرنا عنه ﷺ من معاينته لعجائب القدرة المتعلقة بأمر الدنيا وبأمر الآخرة معاينة مشاهدة، والأحاديث في هذا الباب كثيرة لا تحصى، كحديثه الذي ذكر فيه رؤيته للجنّة والنار.

والحديث الذي ذكر فيه رؤيته لعجائب الملكوت الأعلى، والحديث الذي ذكر فيه موت النجاشي والصلاة عليه، وقد قال تعالىٰ في حقه ﷺ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧].

وأما الحكم والعدل: فإنه ﷺ كان متّصفاً بهاتين الصفتين حقيقة، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] لأنه حكم وعدل، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، وقال: فاحكم بينهم ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥]، وكل ذلك دليل على أنه متّصف بحقيقة هذين الاسمين الصفتين، فهو الحكم العدل.

وأما اللطيف: فإنه ﷺ كان متصفاً بذلك، فلولا لطفه لما عرج به إلى السماء بجسده حتى بلغ العرش، وهذا غاية اللطف، وأيضاً فقد سرى بلطفه في الموجودات، وقد ذكرنا آنفاً ما يدلّ عليه، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، يعني ما أنت فظ غليظ القلب، بل أنت لطيف رحيم.

وأما الخبير: فقد سمى به الله محمداً ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩]، يعني: فاسأل محمداً ﷺ عن الله تعالىٰ، فهو خبير به، هكذا ذكره المفسّرون.

وأما الحليم: فقد كان رسول الله ﷺ متصفاً بصفة الحلم، غاية الاتّصاف وحقيقته بحيث إنه شهد له بذلك العالم بأسره..

قد روت عائشة رضي الله عنها في حديث تقول فيه: وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلاّ أن تنتهك حرمات الله فينتقم لله..

وروي أن رسول الله ﷺ لما كسرت رباعيته، وشجّ رأسه ووجهه شق ذلك على أصحابه شديداً، وقالوا: لو دعوت عليهم، فقال ﷺ: «إني لم أبعث لعاناً، ولكنني بعثت داعياً

ورحمة، اللّهمّ أهدِ قومي فإنهم لا يعلمون»[١].

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه، فقال: رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً، فأبيت أن تقول إلاّ خيراً، فقلت: «اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[٢].

وأما العظيم: فقد سمى به الله محمداً ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]، وقد كان رسول الله ﷺ متّصفاً بصفة العظمة، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ شهد له بها، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

وأما الغفور: فإن رسول الله ﷺ كان متّصفاً بهذه الصفة حقّ الاتّصاف، والدليل على ذلك أحاديث مشهورة كثيرة لا تحصى، وفي ما روي عن غورث بن الحارث كفاية للمتأمل، فإنه عمد إلى رسول الله ﷺ ليقتله، ورسول الله ﷺ تحت شجرة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلاّ وهو قائم، والسيف صلتاً في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقال: «الله»، فسقط السيف من يده، فأخذه النبيّ ﷺ، فقال: «من يمنعك مني»[٣]، فقال: كن خير آخذ فتركه وعفا عنه، فجاء الرجل إلى قومه فقال: جئتكم من عند خير الناس.

وقال القاضي عياض: ومن عظم عفوه، عفوه ﷺ عن اليهودية التي سمّته في الشاة، بعد اعترافها على الصحيح من الرواية، وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم حين سحره، وقد علم به وأوحى الله إليه بشرح أمره ولا عتب عليه فضلاً عن معاقبته، وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته ﷺ قولاً وفعلاً، بل قال لمن أشار بقتل بعضهم: لا يتحدث أن محمداً يقتل أصحابه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنت مع النبيّ ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فجبذه أعرابي برداى جبذة شديدة، حتى أثرت الحاشية في صفحة عاتقه ﷺ، ثم قال: يا محمد احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحمل من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبيّ ﷺ وقال: «المال لله وأنا عبد الله»، ثم قال ﷺ: «ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (٢٠٠٧). وابن كثير في التفسير (٥: ٣٨٠). والطبراني في المعجم الكبير (١٩: ١٨٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢١٤). وأحمد في المسند (١: ٤٤١). والطبري في التفسير (١: ١٣).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٦٥). والحاكم في المستدرك (٣: ٢٩). والسيوطي في دلائل النبوة (٣: ١٦٨).

بي»، قال: لا، قال: «لم؟»[١]، قال: لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة، فضحك النبيّ ﷺ، ثم أمر أن يحمل على بعير شعير، وعلى الآخر تمر ﷺ.

وأما الشكور: فقد قال الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء:٣]، في حق محمد ﷺ.

وأما العلي: فإنه ﷺ كان متصفاً بهذه الصفة، فكان العلوّ له مكاناً ومكانة.

أمّا علوّ المكان فلأنه رقى العرش بجسمه، ولأنهﷺ قال: «الوسيلة أعلى درجة في الجنّة ولا تكون إلاّ لرجل واحد، وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل»[٢]، ورجاؤه أمر حقيقي، أي محقّق الحصول، والدليل على ذلك أن الله وعده بها، وأن الله لا يخلف الميعاد، فهذا علوّ المكان. وعلوّ المكانة هو ما هو عليه في نفس الأمر، والدليل على ذلك ظهور ذاته بالكمالات، والصفات القدسية، وتحقّقه بها صورة ومعنى، حتى تمكن في جميعها إلى أن شهد الله لتمكّنه فيها، حيث قال: ﴿ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٠ - ٢١]، فالعندية هي المكانة، فقد جمع رسول الله ﷺ علوّ المكان والمكانة.

وأما الكبير: فإنهﷺكان متحقّقاً به، ظاهراً وباطناً، ومتّصفاً بالكبرياء، ومعنى اتّصافه بها هو أن الله تعالىٰ خلق جميع الموجودات منه ﷺ، فهو كل الوجود، ولا شيء بأكبر من كلية الوجود بأسره.

وأما الحفيظ: فهو متحقق بهذا الاسم لأن الله تعالىٰ خلق منهﷺ فكل شيء من العالم في مرتبة من مراتب الوجود، فهو ﷺ الحافظ لظهوره في المراتب الوجودية، صورة ومعنى.

وأما المغيث: وهو بدل المقيت في الرواية المشهورة، فإنه كان ﷺ متحقّقاً به متصفاً بصفات الإغاثة، لأن الله تعالىٰ أغاث الوجود به، منها أنه ﷺ بعث على حين فترة من الرسل بعد أن خبط بنو إسرائيل في الدين، وبدّلوا كلام الله تعالىٰ، فأغاث الناس وجاءهم بالحق المبين، ومنها أنه ﷺ لما بعث ارتفع المسخ والخسف من العالم بعد أن كان شاع ذلك، وكثر في أقطار الأرض، فكان ﷺ غياثاً للعالم من الهلاك، ومنها أنه ﷺ أغاث أهل الحقائق بسلوكهم، لأنه ظهر بالتحقيق الإلهي فصار ذلك لأهل الحقائق أنموذجاً يسلكون على منواله، وقال تعالىٰ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١]، يعني بتحققه بالحقائق الإلهية فتقتدون به فيها وتقتفون أثره، ومنها أنه ﷺ أغاث العالم بفعله، فسقاهم الغيث في حين الجدب والمحل، كما تقدم بالحديث.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٢٦١).

(٢) رواه القاضي عياض في كتاب الشفا (١: ٤٣٥).

وأما **الحسيب**: فإنه كان متّصفاً به ﷺ، إذ لا حسب أرفع من حسبه، وأيّ حسب أعلى من الاتّصاف بالأسماء والصفات الإلٰهية، تحققاً وتخلقاً، ظاهراً وباطناً، وأما الحسب الظاهر، فلا حاجة إلى ذكره لعدم الخلاف في عظم حسبه وعلوّه، قال ﷺ: «**أنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله، ولا فخر**»[1]، فكان ﷺ قرشياً، ووليّاً ونبياً، ورسولاً مطلقاً إلى كافة خلق الله، ولم يكن ذلك لغيره.

وأما **الجليل**: فإنه كان متحققاً بالجلال، والدليل على أن الله تعالىٰ أمرنا أن نتأدّب معه ولا نرفع أصواتنا فوق صوته لجلال قدره ﷺ.

وأما **الكريم**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به متصفاً بصفات الكرم، ظاهراً وباطناً، ذاتاً وصفات وأفعالاً، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ سمّاه به، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠].

وأما **الرقيب**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، متصفاً بصفة الرقيبية. والدليل على ذلك أنه قال ﷺ: «**تنام عيني ولا ينام قلبي**»[2]، وهذا من كمال المراقبة، وقوله: «**تعرض عليَّ أعمال أمتي حسناتها حتى إماطة الأذى عن الطريق، وسيّئاتها حتى البصاق في المسجد**»[3]، فهذا دليل واضح لكونه رقيباً على الحوادث الكونية، وأما قوله: «**ولا ينام قلبي**»، فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك ما ورد من أوصافه، أنه كان يجيب من دعاه، وهذه إجابة مطلقة.

وأما **الواسع**: فإنه كان ﷺ متحقّقاً به، والدليل على ذلك أنه وسع الحق تعالىٰ، ووسع خلقه، ووسع علمه. أما وسعه للحق، فإنه صاحب القلب المشار إليه بقوله تعالىٰ: «**وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»، ولا أوسع من قلبه ﷺ، فإنه البحر المحيط الذي كل القلوب قطرة من قطراته.

وأمّا وسعه للخلق، فلأنه الرحمة التي قال الله تعالىٰ فيها: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وهذه مسألة صرّح بها طائفة من فحول العلماء، فهو الواسع لكل شيء.

أمّا وسعه للعلم الإلٰهيّ، فلقوله: «**علمت علم الأولين الآخرين**» ﷺ.

وأما **الحكيم**: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، وموصوفاً بهذه الصفة، لأنه الذي أعطى المراتب

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ١٠٤). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ١٣٣). وفي الدر المنثور (٥: ١٩٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٣٢). وأحمد في المسند (٢: ٢٥١).

(٣) رواه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩٧٥).

الوجودية حقها من نفسه، فكان مسمى كل اسم، على حسب ما يقتضيه ذلك الشيء في نفسه، فهو متحقق بحقائق الموجودات.

وأما الودود: فإنه ﷺ كان متصفاً به، والدليل على ذلك أن مقامه الحب، فهو المحب المطلق، والحب هو الوداد.

وأما المجيد: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على ذلك اتصافه بالأسماء والصفات الإلٰهية، فلا مجد أعظم من أسماء الله تعالىٰ، وصفاته هذا من جهة الباطن.

وأمّا من جهة الظاهر فأيّ مجد أعظم من مجده ﷺ، وقد قرن الله اسمه مع اسمه، وأوتي الوسيلة والشفاعة، ونسخ دينه جميع الأديان، وفي أمّته مثل موسى وعيسى عليه وعليهما الصلاة والسّلام.

وأما الباعث: فإنه ﷺ كان متّصفاً به، والدليل على أنه قال عليه الصّلاة والسّلام: «وأنا الحاشر يحشر الناس على قدمي»[1]، والحاشر هو الباعث، إذ المعنى واحد.

وأما الشهيد: فإنه ﷺ كان متصفاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ [النساء:٧٩]، ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩] فهو الشهيد المطلق للحق والخلق.

وأما الحق: فإنه ﷺ كان متحققاً به، متّصفاً بهذه الصفة الحقية، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس:١٠٨]، يعني محمداً، وقال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الأنعام:٥]، يعني محمداً، ذكره القاضي عياض رحمه الله في كتابه. وأيضاً أن الله تعالىٰ قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر:٨٥]، وقد ورد في الحديث من رواية جابر أن الله تعالىٰ أوّل ما خلق روح محمد ﷺ، ثم خلق منه العرش والكرسي، والسماء والأرض، وجميع الموجودات.

وأما الوكيل: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ بالمؤمنين من أنفسهم﴾ [الأحزاب:٦]، فإذا كان هو أولى بهم من أنفسهم، فبالضرورة يكون أولى بالتصرف في ما يملكونه منهم، فهو الوكيل المطلق عليهم، ولا يحتجّ بقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٥٤]، فإن هذه الوكالة هي المخصوصة من جهة مخاصبتهم وعقابهم والشدّة عليهم، لأنه أرسل رحمة لا نقمة ﷺ.

وأما القوي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:٢٠].

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١).

وأما المتين: فإنه ﷺ كان متحققاً به لأنه ذو الكمال الذي لا يتناهى، وقد بيّنّا في شرح الأسماء، في الباب الذي قبل هذا الباب، أن المتين هو ذو الكمال الواسع الذي لا يتناهى، ولا شكّ أنه ﷺ موصوف بهذه الصفة.

وأما الولي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، ولا ولاية أعظم من ولايته، لما اتفق عليه الجمهور، أن كل نبي وليّ، وكل رسول نبيّ ولا عكس، فما كل نبيّ رسول ولا كل وليّ نبي، واعلم أن كل نبي أو رسول، ولايته على قدر نبوّته ورسالته، ولهذا قال المحقّقون: إن الولاية أفضل من النبوّة، يريدون بذلك في الرجل الواحد، يعني أن ولاية النبيّ أفضل من نبوّته، ومن هنا قال بعضهم:

مقـــام النبـــوّة فـــي بـــرزخ . فـدون الـولـيّ وفـوق الـرسـول

فالولاية عبارة عن الوجه الإلهيّ الذي للنبيّ، والرسالة عبارة عن الوجه الذي بين النبيّ وبين الخلق، ولأجل ذلك كانت الرسالة أنزل من النبوّة، والنبوّة أنزل من الولاية، فافهم.

وأما الحميد: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك ما ورد أن الله تعالىٰ أعطاه لواء الحمد، وهوعبارة عن الثناء على الله تعالىٰ بما أثنى الله به على نفسه، ولذلك شقّ اسمه من الحمد، فهو أحمد، ومحمد، ومحمود، وحامد، وله لواء الحمد، وأنزل الله عليه الحمد، وأوتي ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، قيل: إنه سورة الحمد ولهذا المعنى إشارات شريفة يعرفها أهلها.

وأما المحصي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله ﷺ: «تعرض عليّ أعمال أمتي حتى إماطة الأذى عن الطريق»[١]، فهذا عين الإحصاء.

وأما المبدئ: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه ﷺ أبدى غرائب مكنونات الغيب، وأخبرنا عنها، ماضياً ومستقبلاً، وحالاً، وأظهرها بعد أن كانت مستورة باطنة مجهولة غير معروفة.

وأما المعيد: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك أنه دعا الخلق إلى الحق، وأرجعهم إلى الله تعالىٰ، بعد أن ضلّوا عنه، فهو معيد لهم ﷺ.

وأما المحيي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه أحيا الميت، وقد تواترت

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٦١).

بذلك الأخبار، وأحيا الدين بعد اندماره، وأحيا الأرض الميتة، ودلائل ذلك من حيث أفعاله كثيرة لا تحصى.

وأما المميت: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على أنه لما رمى يوم بدر تلك الحصيات في وجه المشركين، لم يعش أحد ممن أصابه شيء من ذلك، هكذا ورد في الأخبار عنه ﷺ.

وأما الحي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه المادة الوجودية للعالم الكوني، فهو الحياة السارية في الموجودات الأبدية الأزليّة.

وأما القيوم: فإنه كان متحققاً به متصفاً بهذه الصفة القيومية، لأنه كان جامعاً لحقائق الأسماء قائماً بها، وجامعاً للصفات الخلقية قائماً بها، فهذه هي القيومية، فافهم.

وأما الماجد: فإنه ﷺ كان من مجده وعلوّ شأنه متحققاً بالكمالات الإلٰهية، والكمالات الخلقية.

وأما الواجد: فإنه ﷺ كان واجداً حقيقياً، وجد الكمالات الألٰهية، أي التي تنبغي له عنده، كما وجد جميع المقتضيات عنده، فلا وجدان أعظم من وجدانه ﷺ.

ولم يذكر اسم الواحد وهو ﷺ واحد، في الفضل بين سائر المخلوقات، لا نظير له فيهم، فهو سيّد عبيد الله وواحدهم.

وأما الصمد: فإنه ﷺ كان متحققاً موصوفاً بهذه الصفة، والدليل على ذلك أنه الموجود الذي صمدت إليه الحقائق بذواتها، ورجعت إليه لكونه حقيقة الحقائق الوجودية.

وأما صمديته من حيث عدم الأكل والشرب، فمشهورة وقد طوى رسول الله ﷺ حتى قيل: إنه لم يعد إلى الأكل، وفي رواية: لم يأكل رسول الله ﷺ مدة شهرين طعاماً، وفي قوله: «لست كأحدكم»[1] كفاية.

وأما القادر والمقتدر: فقد كان ﷺ متحققاً بهما، إذ لا خلاف في أنه ﷺ كان كلما استعجزته قريش بطلب معجزة جاء بها على حسب ما طلبته منه، وذلك مثل ما ورد أنهم طلبوا منه ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر فرقتين، فرقة فوق الجبل، وفرقة بقرن الجبل، حتى رؤي جبل حراء بين فرقتي القمر، فقال ﷺ: «اشهدوا»[2].

وأما المقدم والمؤخر: فإنهما من الأسماء الفعلية، ومتى صح أنه ﷺ كان متصفاً

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٢: ٢٢٢).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٥١). والترمذي في السنن (٢١٨٢).

بالقدرة، فبالضرورة يصح اتّصافه بجميع الأسماء الفعلية، وقد أقرّ ﷺ عباس بن مرداس السلمي على قوله: ومن تضع اليوم لا يرفع، ولم ينكر.

وأمّا الأول والآخر: فإنه ﷺ كان متحققاً بهما، لأنه أصل الوجود؛ إذ هو حقيقة الحقائق، وهو آخر الوجود بالظهور، إلى هذا أشار ﷺ بقوله: «نحن الآخرون والأولون»[(١)]، وقوله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يدخل الجنة، وأول شافع، وأوّل مشفع»[(٢)].

وأما الظاهر والباطن: فإنه ﷺ كان متحققاً بهما أمّا الظاهر فلأنه عين كل موجود، لأنه منه خلق. وأمّا الباطن، فلأنه حقيقة الحقائق، وهي غير مشهودة.

وأما الوالي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، متصفاً بصفة الولاية الكبرى، فهو والي الوجود وحاكمه الأكبر، لأنه المعطى منه، لكل حقيقة من الحقائق، مرتبة من المراتب، على ما يقتضيه شؤون وجوده ﷺ، وهذا عين الولاية الكبرى والحكم النافذ، فهو ﷺ الوالي الحقيقي، لأنه قطب الوجود المطلق، عليه تدور رحى الحقائق كلها ﷺ.

وأما المتعالي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك ما شهد الله تعالىٰ له به، فقال في حقه: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٨ - ٩]، وقد وصف الله تعالىٰ نبيّه محمداً ﷺ بأنه بالأفق الأعلى.

وأما البر: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، وموصوفاً بهذه الصفة، إذ لا خلاف في أنه براً شفوقاً رحيماً.

وأما التواب: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك أنه كان يبايع الخلق على التوبة فهو التواب، ولولاه لما تاب مسيء من ذنب.

وأما المنتقم: فإنه ﷺ كان متحققاً به، ودليل ذلك ماروت عائشة رضي الله عنها أنه كان لا ينتقم إلاّ لله ﷺ، وقد أمر برجم اليهوديين لما زنيا، وبقطع السارقة المخزومية وغير ذلك، وكان ﷺ كامل الرحمة، ولو كان منتقماً.

وأما العفو: فإنه ﷺ كان متحققاً به، وقد سمّاه الله تعالىٰ بذلك، فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وفي ما ورد من عفوه وصفحه عن الجرائم العظيمة كفاية.

---

(١) رواه الربيع بن حبيب في المسند (١: ٥٧). وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١: ٢٨١).

(٢) رواه الترمذي في السنن (٣١٤٨). وابن ماجه في السنن (٤٣٠٨). وأحمد في المسند (١: ٢٨١). والحاكم في المستدرك (٢: ٤٦٥).

وأما الرؤوف: فالله تعالىٰ قد سماه به فقال: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] ﷺ.

وأما مالك الملك: فإنه ﷺ كان متحققاً به موصوفاً بصفة المالكية للملكة الوجودية، والدليل على ذلك أن الله تعالىٰ خلق العالم من أجله، فهو مالك الملك وسيّده، وقد قال: «أنا سيد ولد آدم، ولا فخر»[١]، وقد سخر الله العالم لآدم وأولاده، فقال تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية:١٣]، جميعاً منه وهو سيد العالم أجمع، ومالك الملك وآخذ العهد من الأنبياء، في القدم دليل واضح على أنه الملك، لأن العهد لا يؤخذ إلاّ على الأتباع، والخدم للمتبوع المالك.

وأما ذو الجلال والإكرام: فإنه ﷺ كان متحققاً به لجلالة قدره.

وأما المقسط: فإنه ﷺ كان متحققاً به، لأن القسط هو العدل، وهو ﷺ قد فرق الله به بين الحق والباطل، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ [النساء:٦٥].

وأما الجامع: فإنه ﷺ كان متحققاً به لأن جمع الكمالات.

وأما الغني: فإنه ﷺ كان كذلك غنياً بالذات، والدليل على ذلك ما روي أن جبريل عليه السلام أتاه بمفاتيح خزائن الأرض، فقال له: ربك يقرئك السلام، ويقول لك: خذ هذه، فقال له: «بل أفطر يوماً وأصوم يوماً»[٢]، ولم يأخذ شيئاً.

وأما المغني: فإن رسول الله ﷺ كان متحققاً به، وقد أغنى قريشاً بعد فقرهم وجهدهم، والأنصار وغيرهم من المهاجرين، حتى ملكوا البلاد، وحكموا على العباد، وفرّقوا خزائن كسرى وقيصر.

وأما المانع: فقد كان ﷺ متصفاً به، ومنعه لا يكون إلاّ في محله، فهو عين الجود.

وأما الضار والنافع: وهما من أسماء الأفعال، فقد كان ﷺ متحققاً بهما لتحققه بصفات القدرة.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٤٠).

(٢) رواه ابن كثير في التفسير (٣: ١٦٢). والطبراني في المعجم الكبير (٧: ٨).

وأما النور والهادي: فإن الله تعالىٰ سمّاه بهما في قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وأما البديع: فإنه ﷺ كان متحققاً به، وقد ابتدع واخترع من عجائب القدرة ما يعجز الكون عن الإفصاح به، والكتب مشحونة بذلك.

وأما الباقي: فإنه ﷺ كان متحققاً به، والدليل على ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، فإذا كان الشهداء أحياء فما قولك في سيد الشهداء ﷺ فقد مات مسموماً شهيداً.

وأما الوارث والرشيد: فإنه ﷺ كان متحقّقاً بهذين الاسمين، متّصفاً بهاتين الصفتين.

وأما الصبور: فإنه ﷺ كان متحقّقاً به، والدليل على ذلك أن قريشاً فعلوا به ما فعلوا من شجّ رأسه وكسر رباعيته وأمثال ذلك، فلم يدع عليهم، ولا انتقم منهم، بل قال: «اللّهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[(١)].

تنبيه: قد ذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله تعالىٰ هذه الأسماء الحسنى وطبقها على أوصاف النبيّ ﷺ كما ترى، وذكر بعضها في محلين، وزاد عليها أسماء خارجة عن التسعة والتسعين، ومن جملة ما ذكره طٰه ويٰس، وأنقل كلامه عليهما هنا لما فيه من الفائدة.

قال رحمه الله تعالىٰ: فقد ذهبت طائفة من العلماء إلى أنهما من أسماء الله تعالىٰ، وذهبت طائفة منهم إلى أنهما من أسماء رسول الله ﷺ، وعلى الحقيقة أنهما اسمان لله تعالىٰ، واسمان لمحمد ﷺ، وهذان الاسمان ذاتيان، ولا وصفية فيهما، ومن ذلك أسماؤه التي في أوائل السور، وهي الحروف المقطعات.

ذهبت طائفة من العلماء إلى أنها أسماء الله تعالىٰ، وذهبت طائفة إلى أنها أسماء رسول الله ﷺ، وذهبت طائفة إلى أنها أسماء القرآن.

وذهب بعضهم أن بعضها أسماء محمد ﷺ، وبعضها أسماء الله، وبعضها أسماء القرآن، وذهبت طائفة أن كل حرف من ذلك اسم، فقالوا في طه: إن الطاء اسم الطاهر، والهاء اسم الهادي، وكذلك البواقي، وعلى الحقيقة أن الجميع أسماء الله تعالىٰ، وهي بعينها أسماء محمد ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢١٤). وأحمد في المسند (١: ٤٤١). والطبري في التفسير (١: ١٣).

ومنهم الإمام شرف الدين إسماعيل بن المقري اليمني(١) الشافعي المتوفى سنة ٨٣٩ هـ(٢)

صاحب كتاب الروض، الذي اختصره من روضة الإمام النووي، وشرحه شيخ الإسلام، زكريا الأنصاري، وحشى هذا الشرح الشهاب الرملي، وقد ذكروا خصائص النبيّ ﷺ، كعادة الفقهاء في كتاب النكاح، وجعلوها أنواعاً أربعة: الواجبات، كصلاة الضحى، والوتر، والأضحية. والمحرمات: كالزكاة، والصدقة. والمباحات: كالوصال في الصوم، والرابع: الفضائل، والإكرام، وها أنا أذكر هذا القسم الرابع، بأجمعه بعباراتهم في المتن، والشرح، والحاشية، فأجعل المتن بين قوسين، والشرح خارجاً عنهما، وافصل بينهما وبين الحاشية بخط مع ذكر أرقام هندية في الجانبين.

فمن جواهرهم رضي الله عنهم

[الفضائل والإكرام]

قولهم: الرابع: **الفضائل والإكرام**(٣): وهي تحريم زوجاته على غيره ولو مطلقات. ولو باختيارهن لفراقه وفاقاً للجمهور(٤)، خلافاً لما في الشرح الصغير(٥)، وسواء كن موطوءات أم لا، لآية: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥٣]، قيل: نزلت في طلحة بن

---

(١) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشرجي الحسيني الشاوري اليمني، باحث من أهل اليمن ولد سنة ٧٥٥ هـ وتوفي سنة ٨٣٩ هـ.

(٢) ورد في الأعلام للزركلي تاريخ الوفاة ٨٣٧ هـ.

(٣) قوله: وهو تحريم زوجاته على غيره ﷺ: أما سائر الأنبياء، فلا تحرم أزواجهم بعد موتهم على المؤمنين، قاله القضاعي في عيون المعارف، قال شيخنا - يعني شيخ الإسلام زكريا -: الأقرب عدم حرمتهن على الأنبياء، وحرمتهن على غيرهم. بخلاف زوجاته ﷺ فحرام على غيره حق على الأنبياء.

(٤) قوله: خلافاً لما في الشرح الصغير، وقال القاضي حسين: إنه لا خلاف فيه، وإلا لما تمكنت من غرضها في زينة الدنيا، ولما كان التخيير مفيداً أو عبادة العباب تحريم نكاح، مفارقته على غيره ولو باختيارها فراقه، وقبل الدخول اهـ. وهذا هو المعتمد.

(٥) قوله: سواء أكن موطوءات أم لا ، وقال في الشرح الصغير : الأظهر تحريم المدخول بها فقط.

عبيد الله وهو غير أحد العشرة، فإنه قال: إن مات لأتزوجن عائشة، ولأنهن أمهات المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، ولأنهن أزواجه ﷺ في الجنّة، ولأن المرأة في الجنة لآخر أزواجها، كما قاله ابن القشيري.

وسراري: أي وتحريم سراريه، أي إمائه الموطوءات على غيره، إكراماً له ﷺ، بخلاف غير الموطوءات، وقيل: لا تحرم الموطوءات أيضاً، والترجيح من زيادته، وبما رجحه جزم الطاوسي والبارزي مع تقييدهما ذلك بالموطوءات، ولو عبّر المصنف بسراريه لسلم من إيهام عطفهن على مطلقات[1].

وتفضيل زوجاته على سائر النساء: على ما يأتي تفصيله، قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا﴾ [الأحزاب:٣٢]، وثوابهن[2] وعقابهن مضاعف. قال تعالىٰ: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ﴾ [الأحزاب:٣٠] الآيتين.

وهنّ أمّهات المؤمنين: أي مثلهن لا في حكم الخلوة والنظر والمسافرة، والظهار، والنفقة، والميراث، بل في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهنّ وطاعتهن إكراماً له ﷺ، ولقوله تعالىٰ: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ فقط، أي يقال لهن أمّهات المؤمنين لا أمّهات المؤمنات[3]، ولا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين ولا لآبائهن وأمّهاتهن أجداد المؤمنين، وجداتهم ولا لإخوتهن وأخواتهن أخوال المؤمنين، وخالاتهم.

كهو في الأبوة: أي كما أنه ﷺ أب للرجال والنساء، وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب:٤٠]، فمعناه ليس أحد من رجالكم ولد صلبه.

وتحريم سؤالهن إلا من وراء حجاب: قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]، وأمّا غيرهن فيجوز أن يسأل مشافهة.

قال النووي في شرح مسلم: قال القاضي عياض: خصصن بفرض الحجاب عليهن بلا

---

(١) قوله: وتفضيل زوجاته على سائر النساء: يستثنى من إطلاقه سيدتنا فاطمة فهي أفضل منهن لقوله ﷺ: «فاطمة بضعة مني» ولا يعدل ببضعة من رسول الله ﷺ أحد، وفي الصحيحين: «أما ترضين أن تكوني خير نساء هذه الأمة».

(٢) قوله: وعقابهن مضاعف: بحدهن مثلاً حد غيرهن، لكمالهن وفضلهن كما جعل حد الحر مثلى حد العبد، قاله في البيان قال الناشري، وليكن على ذكرك أن فرش الأنبياء محفوظة عن الفاحشة، وما علمه رسول الله ﷺ إلا بعد قصة الإفك.

(٣) قوله: ولا يقال لبناتهن أخوات المؤمنين إلخ: لأمرين: أحدهما أنه لو جاز ذلك لما جاز التزوج بهن، والثاني: أن التسميه ر تكون بالقياس، وإنما طريقها التوقيف ولم يرد.

خلاف في الوجه والكفّين، فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا إظهار شخوصهن، وإن كن مستترات، إلاّ لضرورة خروجهن للبراز.

فائدة: ذكر البغوي عن الخطابي، عن سفيان بن عيينة، أنه قال: كان نساء رسول الله ﷺ في معنى المعتدات، وللمعتدة السكنى، فجعل لهن سكنى البيوت ما عشن، ولا يملكن رقابها.

وأفضلهن خديجة: لما رواه النسائي بإسناد صحيح، أنه ﷺ قال: «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»[١]، ولما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالت له: قد رزقك الله خيراً منها: «لا والله ما رزقني خيراً منها، آمنت بي حين كذّبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس»[٢].

وسئل ابن داود: أيّهما أفضل؟ فقال: عائشة أقرأها النبيّ ﷺ السلام من جبريل، وخديجة أقرأها جبريل من ربّها السلام على لسان محمد، فهي أفضل[٣]. فقيل له: فمن أفضل خديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني»[٤]، ولا أعدل ببضعة رسول الله ﷺ أحداً.

ثم عائشة: لخبر «فضل عائشة على النساء[٥] كفضل الثريد على سائر الطعام»[٦]، وخبر سأل عمرو بن العاصي النبيّ ﷺ: أيّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»[٧]، رواهما البخاري، وهما مخصوصان بما مرّ وقضيّة كلامه أن كلاً من خديجة وعائشة أفضل من فاطمة، ويخالفه ما مرّ آنفاً[٨].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٣: ١٦٠). وابن كثير في التفسير (٨: ٢٠٠). وابن حجر في فتح الباري (٧: ١٠٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٦: ١١٨). وابن حجر في فتح الباري (٧: ١٣٧).

(٣) قوله: فقيل له فمن أفضل خديجة أم فاطمة إلخ. وقال الإمام مالك لا أفضل على بضعة، من النبي ﷺ أحداً. وفي الصحيحين: «أما ترضين أن تكوني خير نساء هذه الأمة».

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٥: ٢٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٦٤). والحاكم في المستدرك (٣: ١٥٨).

(٥) قوله: كفضل الثريد على سائر الطعام. قيل: لم يرد عين الثريد، وإنما أراد الطعام المتخذ، من اللحم والثريد معاً، لأن الثريد غالباً لا يكون إلا من لحم، نهاية.

(٦) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٠٠). والترمذي في السنن (٣٨٨٧). والنسائي في السنن (٧: ٦٨). وابن ماجه في السنن (٣٢٨١).

(٧) رواه البخاري في الصحيح (٥: ٦).

(٨) قوله: وقد سئل السبكي عن ذلك، فقال الذي نختاره إلخ: أشار إلى تصحيحه قوله: واختار السبكي =

وقد سئل السبكي عن ذلك فقال: الذي نختاره وندين الله به أن فاطمة أفضل ثم أمّها خديجة، ثم عائشة، واحتجّ لذلك بما تقدم بعضه، وبقوله ﷺ لفاطمة عندما سارّها ثانياً، عند موته ﷺ: «**أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنّة إلاّ مريم**»[١]. وأمّا خبر الطبراني: «**خير نساء العالمين، مريم بنت عمران، ثم خديجة بنت خويلد، ثم فاطمة بنت محمد، ثم آسية امرأة فرعون**»[٢]، فأجيب عنه: بأن خديجة إنما فضلت على فاطمة باعتبار الأمومة لا باعتبار السيادة. واختار السبكي أن مريم أفضل من خديجة، لهذا الخبر وللاختلاف في نبوّتها، وقيل: عائشة أفضل من خديجة، والترجيح من زيادة المصنف.

وهو ﷺ خاتم النبيّين: قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ولا يعارضه ما ثبت من نزول عيسى عليه الصّلاة والسّلام آخر الزمان لأنه لا يأتي بشريعة ناسخة، بل مقرّرة لشريعة نبيّنا ﷺ عاملاً بها.

وسيد ولد آدم: رواه الشيخان، ونوع الآدمي أفضل الخلق، فهو ﷺ أفضل الخلق. وأمّا قوله: «**لا تفضلوا بين الأنبياء**»[٣]، وقوله: «**لا تفضلوني على يونس**»[٤] ونحوهما، فأجيب عنها بأنه نهي عن تفضيل، يؤدي إلى تنقيص بعضهم، فإن ذلك كفراً وعن تفضيل في نفس النبوّة التي لا تتفاوت لا في ذوات الأنبياء المتفاوتين بالخصائص، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣][٥]، أو نهى عن ذلك تأدّباً وتواضعاً، أو نهى عنه قبل علمه، أنه أفضل الخلق، ولهذا لما علم قال: «**أنا سيد ولد آدم**»[٦]، وتبع كأصله وغيره الخبر في التعبير بسيد ولد آدم، ومرادهم أنه ﷺ سيد آدم وسائر الخلق، كما مرّ.

= أن مريم أفضل من خديجة، أشار إلى تصحيحه أيضاً قوله: وقيل: عائشة أفضل من خديجة، قال المحققون كل مسألة أن كلف فيها بالعلم، فلا يجوز الأخذ فيها بالظن والإيجاز كالتفاضل، بين فاطمة وخديجة وعائشة.

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٥: ٢٢٦).

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٩٣).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٩٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٤٣٩). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٠٤).

(٤) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٢٦٥). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ١٠٥).

(٥) قوله: أو نهى عن ذلك تأدباً وتواضعاً، أو لئلا يؤدي إلى الخصومة.

(٦) رواه الحاكم في المستدرك (٢: ٦٠٤). والقاضي عِياض في كتاب الشفا (١: ٩٠). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ٥٧٢).

وأوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة، رواه الشيخان. وأما خبر: «فإذا موسى متعلق بقائمة العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي، أم كان ممّن استثنى الله»[1]، فيحتمل أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه أوّل من تنشقّ عنه الأرض[2].

وأول من يقرع باب الجنّة وأول شافع وأوّل مشفّع: أي من تجاب شفاعته، رواه مسلم: وأمته خير الأمم لآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وشهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ الرسل إليهم رسالتهم الآية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

معصومة لا تجتمع على ضلالة: ويحتجّ بإجماعها لخبر: «لا تزال [طائفة][3] من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»[4]، رواه الشيخان.

وصفوفهم كصفوف الملائكة: رواه مسلم.

وشريعته مؤيّدة وناسخة لغيرها: من الشرائع لما مرّ أنه ﷺ خاتم النبيّين، وقد أمر بترك شرائع غيره من الأنبياء.

ومعجزته باقية، وهي القرآن: عبارة الأصل يعني الروضة، وكتابه ﷺ معجز محفوظ عن التحريف والتبديل، وأقيم بعده حجة على الناس، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت، فعدول المصنف عنها، إلى ما قاله المفيد لحصر بقاء معجزته في القرآن. قد يقال: إن أراد به المعجزة الكبرى، فمسلم وإلا فممنوع؛ إذ له ﷺ معجزات أخر، باقية لقوله: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله»[5]، وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم»[6]، وقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها»[7]،

---

(١) قوله: فيحتمل أنه قاله قبل أن يعلم أنه أول من تنشق عنه الأرض. لا يتأتى هذا الاحتمال في الحديث لأنه إخبار عما يقع منه يوم القيامة.

(٢) قوله: وأول من يقرع باب الجنة لم يتعرض لأمته هل هي أول الأمم دخولاً الجنة، وسئل ابن الصلاح عن دخول الأنبياء الجنة هل كل نبي بأمته أو الأنبياء جميعهم، ثم أممهم فأجاب، الظاهر أن الأنبياء يدخلونها وأول من يدخلها نبينا ﷺ، وأن أمته تدخل أول الأمم. قلت أخرج الدارقطني في الإفراد عن عمر مرفوعاً «حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي».

(٣) أثبتناها لأن الأصل في الحديث وجودها.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩: ٣٨٣). دون: «ولا من خالفهم».

(٥) رواه البخاري في الصحيح (٤: ٢٣٤). وأحمد في المسند (٢: ٢٣٧).

(٦) رواه البخاري في الصحيح (٢: ٤١). وأحمد في المسند (٢: ٢٥٧).

(٧) رواه البخاري في الصحيح (٦: ٧٣). وأبو داود في السنن (٤٣١٢).

وقوله ﷺ: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة»[١]، ومنها ما يظهر من كرامات أحد من أمته ﷺ، بناء على أن كرامات أولياء أمة، كل نبي معجزات، له وهو الحق، ويجاب بأنه أراد معجزته التي ظهرت، وبقيت هذه الأشياء لم تظهر بعده، وإنما تظهر في المستقبل، وكان سكوته حجة على جواز ما رأى، ولم ينكره بخلاف سكوت غيره ﷺ.

ونصره بالرعب مسيرة شهر، وجعله له الأرض مسجداً، وترابها طهوراً، وأحلت له الغنائم:

رواها الشيخان إلاّ قوله: «وترابها طهور»[٢] فمسلم. ومعنى اختصاصه ﷺ بما عدا الأولى أن أحداً من الأنبياء لا يشاركه فيه، وإلاّ فأمّته مشاركة له فيه.

ولم يورث[٣]، وتركته صدقة على المسلمين: لا يختصّ بها الوارث، لخبر الصحيحين: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة»[٤]، ومعنى اختصاصه به أن أحداً من الأمم لا يشاركه فيه، وإلاّ فالأنبياء يشاركونه فيه، كما صرّح به في الخبر، وأمّا قوله تعالىٰ: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وقوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، فالمراد الإرث في النبوّة والعلم والدين.

وأكرم بالشفاعات الخمس يوم القيامة:

الأولى: العظمى في الفصل بين أهل الموقف، حين يفزعون إليه بعد الأنبياء.

الثانية: في إدخال خلق الجنّة بغير حساب[٥].

الثالثة: في ناس استحقوا دخول النار، فلا يدخلونها.

---

(١) رواه السيوطي في الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة (١٨٠).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٥). وأحمد في المسند (٤: ٤١٦).

(٣) قوله: «وتركته صدقة على المسلمين» قال الجلال البلقيني، الصواب الإنفاق منه على زوجاته، كما أجمع عليه الصحابة. وقال النحوي في كتابه: الخصائص، هل يرث النبي ﷺ لم أر فيه نقلاً، لكن كتاب: مشكل الحديث، في أواخره قال: ومن الدليل على أن رسول الله ﷺ لا يورث أنه لا يرث بعد أن أوحى الله تعالى إليه، وإنما كانت وراثة أبويه قبل أن يوحي إليه ا هـ. وفي شرح المصابيح في باب الفرائض عن عائشة رضي الله عنها، أن مولى النبي ﷺ مات، ولم يدع ولداً ولا حمياً. فقال عليه الصلاة والسلام: «أعطوا ميراثه رجلاً من أهل قريته» قال الشارح: إنما أمر أن يعطى رجلاً، من أهل قريته تصدقاً منه، أو ترفعاً أو لأنه، كان لبيت المال ومصرفه، لصحاح المسلمين وصدقاتهم، فإن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، يرثون ولا يورثون وقوله: قال القلعي إلخ، أشار إلى تصحيحه.

(٤) رواه ابن حجر في فتح الباري (١٢ : ٨). وابن عبد البر في التمهيد (٨: ١٧٥).

(٥) قوله الثالثة في ناس استحقوا دخول النار إلخ: قال القاضي عياض وغيره ويشركه فيها من يشاء الله.

الرابعة: في ناس دخلوا النار، فيخرجون.

الخامسة: في رفع درجات ناس في الجنّة، وكلها ثبتت في الأخبار.

وخصّ منها:

بالعظمى ودخول خلق من أمّته الجنّة بغير حساب.

وهي الثانية، قال في الروضة: ويجوز أن يكون خصّ بالثالثة، الخامسة أيضاً.

قال القاضي عياض: إن شفاعته لإخراج من في قلبه مثقال حبة من إيمان مختصّة به ﷺ.

قال شيخ الإسلام السراج ابن الملقن[1]: ومن شفاعته ﷺ أن يشفع لمن مات بالمدينة، رواه الترمذي وصححه[2]، ومنها تخفيف العذاب عمّن استحق الخلود في النار، كأبي طالب، وهاتان نبّه عليهما القاضي عياض، وفي العروة الوثقى للقزويني: أنه ﷺ يشفع لجماعة من صلحاء المؤمنين فيتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات، وذكر بعضهم أنه ﷺ يشفع في أطفال المشركين حتى يدخلوا الجنّة.

وأرسل إلى الكافة[3] من الإنس والجن، رواه الشيخان. ورسالة غيره خاصّة. وأمّا عموم رسالة نوح بعد الطوفان فلانحصار الباقين فيمن كان معه في السفينة.

وهو أكثر الأنبياء اتّباعاً، وكان لا ينام قلبه: لخبر الصحيحين: «أن عيني تنامان ولا ينام قلبي»[4]، وفي البخاري في خبر الإسراء عن أنس، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، ويؤخذ منه أنهم يشاركونه في هذا.

قال في المجموع في باب الأحداث: فإن قيل: هذا مخالف للحديث الصحيح، أنه ﷺ نام في الوادي عن صلاة الصبح، حتى مالت الشمس، ولو كان ﷺ غير نائم القلب، لما ترك صلاة الصبح، فجوابه من وجهين:

---

(١) قوله ومن شفاعاته أن يشفع لمن مات بالمدينة إلخ، وأن يشفع في التخفيف، من عذاب القبر، لخبر القبرين في الصحيحين وغيرهما.

(٢) قوله: ومنها تخوف العذاب، عمن استحق الخلود في النار إلخ. وجعل ابن دحية منه التخفيف، عن أبي لهب في كل يوم إثنين، لسروره بولادة النبي ﷺ، وإعتاقه ثويبة حين بشرته.

(٣) قوله من الإنس والجن: لا الملائكة خلافاً لابن حزم، واستدل: قوله تعالى ﴿لتكون للعالمين نذيراً﴾ والعالم كل موجود سوى الله تعالى.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (٢: ٦٧). والنسائي في السنن (٣: ٢٣٤). والترمذي في السنن (٤٣٩). وأحمد في المسند (٦: ١٠٤).

أحدهما: وهو المشهور أن القلب يقظان، يحس بالحدث وغيره مما يتعلق بالبدن، ويشعر به القلب، وليس طلوع الشمس والفجر من ذلك، لأنه إنما يدرك بالعين وهي نائمة.

والثاني: حكاه الشيخ أبو حامد عن بعض أصحابنا قال: كان للنبي ﷺ نومان:

أحدهما: ينام قلبه وعينه. **والثاني:** عينه قلبه[١]، فكان نوم الوادي من النوع الأول.

ويرى من خلفه كما يرى من أمامه، كما في الصحيحين دوّن، والأخبار الواردة فيه مقيّدة بحالة الصلاة، فهي مقيدة لقوله: **«لا أعلم ما وراء جداري هذا»**[٢] كذا قيل، فإن أراد قائله أنها مقيدة لمفهومه فظاهر، وإلاّ ففيه نظر؛ إذ ليس فيها أنه ﷺ كان يرى من وراء الجدار، وقياس الجدار على جسده ﷺ فاسد، كما لا يخفى لكن روي أنه كان بين كتفيه ﷺ عينان مثل سم الخياط، فكان يبصر بهما ولا تحجبهما الثياب.

وتطوّعه قاعداً كقائم: أي كتطوّعه قائماً ولو بلا عذر، وتطوع غيره كذلك بلا عذر على النصف كما مر، روى ذلك مسلم.

ولا تبطل صلاة من خاطبه بالسلام: في نحو قوله: السلام عليك أيها النبي، كما مرّ في شروط الصّلاة.

ويحرم رفع الصوت فوق صوته: الآية ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات: ٢]، قال شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر: وأما خبر ابن عباس وجابر في الصحيح: أن نسوة كن يكلمنه عالية أصواتهن، فالظاهر أنه كان قبل النهي، انتهى.

وذكره القاضي عياض احتمالاً، فقال: يحتمل أن يكون قبل النهي، ويحتمل أن علوّ الصوت كان بالهيئة الاجتماعية لا بانفراد كل منهن[٣]. قلت: ويحتمل أنه لم يبلغهن النهي.

قال القرطبي: وكره بعضهم رفعه عند قبره ﷺ.

(و) يحرم نداؤه من وراء الحجرات: الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ [الحجرات: ٤]، أي حجرات نسائه ﷺ[٤].

---

(١) قوله: فكان نوم الوادي، من النوع الأول وهذا باطل بقوله: «ولا ينام قلبي» إذ كل نومه ﷺ، كان بعينه دون قلبه لأنه ذكر ذلك، على وجه يقتضي تعميم الأحوال.

(٢) رواه الشوكاني في مجمع الفوائد (٣٢٧).

(٣) قوله: قلت ويحتمل، أنه لم يبلغن النهي: لا يتأتى هذا الاحتمال، لأنه ﷺ لم ينههن، وهو ﷺ لا يقر على منكر.

(٤) قوله ونداؤه باسمه: شمل نداءه بعد وفاته، أما لو قال: يا محمد الشفاعة أو الوسيلة أو نحوها، مما =

ونداؤه باسمه، كيا محمد؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣][1]، ولما فيه من ترك التعظيم بل ينادى بوصفه كيا نبيّ الله. وأمّا خبر أنس أن رجلاً من أهل البادية جاء، فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك... الحديث، فلعلّه كان قبل النهي عن ذلك[2]، أو لم يبلغه النهي[3].

قال الشافعي رحمه الله: ويحرم التكنّي بكنيته ﷺ، وهي أبو القاسم ولو لغير من اسمه محمد لخبر الصحيحين: «تسموا باسمي، ولا تكنوا بكنيتي»[4]، وقال مالك رحمه الله: يجوز مطلقاً.

والنهي عن التكنّي بكنيته على هذا.

مختص بزمنه: لما ثبت في الحديث من سبب النهي، وهو أن اليهود تكنّوا بكنيته ﷺ، وكانوا ينادون: يا أبا القاسم، فإذا التفت النبيّ ﷺ، قالوا: لم نعنك إظهاراً للإيذاء، وقد زال ذلك المعنى. قال في الروضة: وهذا أقرب المذاهب بعد أن حكي عن الشافعي ما قدمته عنه، وعن الرافعي ترجيح المنع في من اسمه محمد وضعفه، وما قال إنه أقرب أخذاً من سبب النهي، ضعفه البيهقي مع أنه مخالف لقاعدة أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، بل

= يقتضي تعظيمه فلا يحرم، كما يقتضيه التعليل، فإنهم عللوا تحريم ندائه المذكور، بقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ وبما فيه من ترك تعظيمه، وكل من العلتين منتف في مسألتنا، والقاعدة أن الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً وقوله المذكور يقتضي زيادة تعظيمه ﷺ. وقال النووي في أذكاره في باب صلاة قضاء الحاجة: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك، بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي إلى آخره.

(١) قوله: ولما فيه من ترك التعظيم إلخ: قال شيخنا المذكور آنفاً، وعلى هذا ينادى بكنيته، وأما ما وقع من ذلك، لبعض الصحابة، فإما أن يكون قبل أن يسلم قائله أو قبل نزول الآية، وما اقتضاها كلامه، من أن النداء بالكنية لا تعظيم فيه ممنوع إذ التكنية تعظيم الاتفاق، ولهذا احتيج إلى الجواب عن حكمة تكنية عبد العزى، في قوله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ مع أنه لا يستحق التكنية لأنها تعظيم، من أن سبب النهي عن التكني بكنيته ﷺ أن اليهود كانوا يقولون، يا أبا القاسم فإذا التفت قالوا: لم نعنك، فبتقدير تسليم دلالته على ندائه، بكنيته لا يخفى على من اطلع على السيرة النبوية، أن نزول آية النور متأخر عن ذلك، لأن نزول سورة النور، كان بعد غزوة المريسيع، سنة ست، وذلك بعد أن أذل الله اليهود، وأراح منهم المدينة، وقوله فيما تقدم، وعلى هذا فلا ينادى بكنيته، أشار إلى تصحيحه.

(٢) قوله ولم يبلغه النهي: هذا الاحتمال الثاني، يرد بمثل ما مر.

(٣) قوله: قال الشافعي: رحمه الله تعالى ويحرم التكني بكنيته إلخ: أشار إلى تصحيحه.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (١: ٣٨). وأحمد في المسند (٤٩٦٥).

الأقرب ما رجّحه الرافعي، وقال الأسنوي: إنه الصواب لما فيه من الجمع بين خبر الصحيحين السابق، وخبر: «**من تسمّى باسمي فلا يكتن بكنيتي، ومن تكنّى بكنيتي فلا يتسمّ باسمي**»[١]، رواه ابن حبان وصححه، وصحح البيهقي إسناده[٢].

وتجب إجابته في الصلاة: على من دعاه، وهو فيها (لا تبطل) لخبر البخاري أنه ﷺ لما نادى أبا سعيد بن المعلى فلم يجبه، لكونه في الصلاة، قال له: «**ما منعك أن تستجب وقد سمعت قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]**»[٣]، وشمل كلامه كأصله الإجابة بالفعل، وإن كثر[٤]، فتجب ولا تبطل بها الصلاة. قال الأسنوي: وهو المتجه.

وكان يتبرّك ويستشفى ببوله ودمه: روى الدارقطني أن أم أيمن شربت بوله، فقال: «**إذاً لا تلج النار بطنك**»[٥]، لكنه ضعيف.

وروى ابن حبان في الضعفاء: **أن غلاماً حجم النبيّ ﷺ، فلما فرغ من حجامته شرب دمه، فقال: «ويحك ما صنعت بالدم»**[٦]، قال: غيّبته في بطني، قال: «**اذهب فقد أحرزت نفسك من النار**»[٧]، قال شيخنا المذكور آنفاً: وكأن السر في ذلك ما صنعه الملكان من غسلهما جوفه ﷺ.

ومن زنا بحضرته واستخفّ به كفر: قال في الروضة: وفي الزنا نظر[٨].

---

(١) رواه أبو داود في السنن (٤٩٦٦). وأحمد في المسند (٢: ٣١٣).

(٢) قوله: وتجب إجابته في الصلاة إلخ: أما سائر الأنبياء فلا تجب إجابتهم.

(٣) رواه أحمد في المسند (٤: ٣٤).

(٤) قوله: فتجب ولا تبطل به الصلاة. أشار إلى تصحيحه.

(٥) رواه الدارقطني في السنن.

(٦) رواه ابن حجر في تلخيص الحبير (١: ٣٠).

(٧) رواه ابن حجر في تلخيص الحبير (١: ٣٠).

(٨) قوله: وأولاد بناته ينسبون إليه، سئل ابن ظهيرة عن أولاد بناته ﷺ غير فاطمة هل لهم رتبة الشرف، وهل يكونون، وأولاد فاطمة سواء في جميع الأحكام أم لا، فأجاب بأن الشرف، إنما هو في ولد فاطمة، دون سائر بناته مع أنه ليس لأحد منهن عقب إلا فاطمة والشرف مختص بأولاد الذكور، الحسن والحسين، ومحسن فأما محسن فمات صغيراً في حياة النبي ﷺ، والعقب للحسن والحسين، وإنما اختصا بالشرف هما، وذريتهما لأمور كثيرة، منها كون أمهما أفضل بناته ﷺ، وكونها سيدة نساء العالم، وسيدة نساء أهل الجنة، وقال ﷺ: «إنها بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها» وكونها أشبه بناته به في الخَلق والخُلق، حتى في الجنة، ومنها إكرامه لها حتى إنها إذا جاءت إليه، قام لها وأجلسها في مجلسه ﷺ وكل ذلك لسر أودعه الله فيها، ومنها كونهما شاركا النبي ﷺ في نسبه، =

وأولاد بناته ينسبون إليه: في الكفاءة وغيرها، بخلاف أولاد بنات غيره؛ لقوله ﷺ للحسن بن علي: «إن ابني هذا سيد»[1]، وقوله حين بال عليه وهو صغير: «لا تزرموا ابني هذا»[2].

قال في الأصل: وقال ﷺ: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي»[3]، قيل: معناه أن أمّته ينتسبون إليه يوم القيامة، وأمم سائر الأنبياء لا ينتسبون إليهم، وقيل: ينتفع يومئذ بالانتساب إليه ﷺ ولا ينتفع بسائر الأسباب.

وتحلّ له الهدية: مطلقاً بخلاف غيره من الحكام، وولاة الأمور لانتفاء التهمة عنه دونهم.

وأعطي جوامع الكلم: ومنه القرآن، وأوتي الآيات الأربع من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهنّ أحد قبله ولا بعده ﷺ.

وكان يؤخذ عن نفسه: عبارة الروضة: عن الدنيا. عند تلقي. الوحي ولا يسقط عند التكليف: قال في الروضة: وفاته ﷺ ركعتان بعد الظهر فقضاهما بعد العصر، ثم واظب عليهما بعد العصر، وهو مختصّ بهذه المداومة على الأصحّ.

ولا يجوز الجنون على الأنبياء:

بخلاف الإغماء يجوز عليهم، قال الأسنوي: يشترط كونه في لحظة أو لحظتين[4]، قاله القاضي عن الداركي.

(ولا) يجوز الاحتلام عليهم: لأنه من الشيطان.

ورؤيته في النوم حقاً: فإن الشيطان لا يتمثّل به ﷺ، كما ثبت ذلك في الصحيحين، ولا يعمل بها في ما يتعلق بالأحكام، لعدم ضبط النائم، لا للشك في رؤيته.

ولا تأكل الأرض لحوم الأنبياء: للخبر الصحيح فيه.

والكذب عليه عمداً كبيرة: للخبر الصحيح «أن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد»[5]،

= فإنهما هاشميان، ومحبته لهما، وكونهما سيدا شباب أهل الجنة.

(١) رواه ابن حجر في فتح الباري (١٣ : ٦٦).

(٢) رواه ابن حجر في فتح الباري (١٣ : ٦٥).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧ : ١١٤). والحاكم في المستدرك (٣: ١٤٢).

(٤) قوله: قاله له القاضي عن الداركي: وهو ظاهر وإن قال ابن العماد إنه باطل.

(٥) رواه البخاري في الصحيح (٢ : ١٠٢). وأحمد في المسند (٤ : ٢٤٥).

قال في الروضة: ولا يكفر فاعله على الصحيح، وخصائصه ﷺ لا تنحصر في ما ذكره.

فمنها ما قدمته[١]، ومنها أن الماء الطهور نبع من بين أصابعه، وأن له أن يقتل بعد الأمان على ما قاله ابن القاصّ.

لكن غلّطوه فيه، وأنه صلّى بالأنبياء ليلة الإسراء، ليظهر أنه إمام الكل في الدنيا والآخرة.

وكان أبيض الإبط بخلاف غيره، فإنه أسود الشعر، وكان لا يجوز عليه الخطأ إذ ليس بعده نبي يستدرك خطأه بخلاف غيره من الأنبياء، ويبلغه سلام الناس بعد موته، ويشهد لجميع الأنبياء بالأداء يوم القيامة.

وكان إذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل، ويشهد لذلك أنه سأل الله أن يجعل في جميع أعضائه وجهاته نوراً، وختم بقوله: «واجعلني نوراً»، ولا يقع منه الإيلاء ولا الظهار، لأنهما حرامان، وهو معصوم، ويستحيل اللعان في حقّه.

---

(١) قوله: ومنها أن الماء الطهور، نبع من بين أصابعه إلخ. ومنها كل موضع صلى فيه، وضبط موقفه فهو نص، بمعنى لا يجتهد فيه بتيامن، ولا تياسر بخلاف بقية المحاريب، ومنها وجوب الصلاة عليه في التشهد الأخير، ومنها أنه قد عرض عليه، الخلق كله من آدم إلى من بعده. كما علم آدم أسماء كل شيء، ذكره الإسفرائيني في تعليقه، قاله في الذخائر، ومنها كان لا يتثاءب، أخرجه البخاري في تاريخه الكبير، مرسلاً وفي كتاب الأدب تعليقاً، وقال سلمة بن عبد الملك، ما تثاءب نبي قط وأنها من علامات النبوة، ومنها سئل الحافظ عبد الغني عما كان يخرج منه ﷺ اتبتلعه الأرض، فقال قد روى ذلك من وجه غريب، والظاهر يؤيده فإنه لم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه ولا ذكره، وأما البول فقد شاهده غير واحد، وشربته أم أيمن، ومنها أن من حكم عليه، وكان في قلبه حرج، من حكمه كفر بخلاف غيره من الحكام، ذكره الإصطخري في أدب القضاء، ومنها أنه لم يصل عليه جماعة، وإنما صلى الناس عليه أرسال الرجال، حتى إذا فرغوا دخل النساء حتى إذا فرغن دخل الصبيان، ولم يكن هذا إلا عن توقيف. وروى أنه أوصى بالصلاة فرادى، رواه الطبراني مسنداً والترمذي. ومن خصائصه ﷺ دون، غيره من الأنبياء أن الشيطان لا يتمثل به، ذكره القضاعي كما قاله ابن النحوي في خصائصه، وقال ابن أبي جمرة: هل جميع الأنبياء والرسل لا يتمثل الشيطان على صورهم، أو هذا خاص به ﷺ، أليس في الحديث ما يدل على الخصوص قطعاً ولا على العموم قطعاً، ولا هذه الأمور مما تؤخذ بالقياس، ولا بالعقل، وما يعلم من علو مكانتهم عند الله تعالى، يشعر بأن العناية تعمهم، لأنهم عصموا من تعرض الشيطان، وحزبه فأشعر بأن الشيطان لا يتمثل بصورهم، وقال في كتاب آكام المرجان في أحكام الجان: لا شك أنه لم يجز للشيطان، أن يتمثل على صورة النبي ﷺ فأحرى أن لا يتمثل بالله عز وجل، وأجدر بأن تكون رؤياه تعالى في المنام حقاً، ولا أن تكون تخليطاً من الشيطان، هذا على قول طائفة منهم، أبو بكر بن العربي المالكي، وذهبت طائفة أخرى من العلماء، إلى أن العصمة من تصور الشيطان، وتمثيله إنما هي في حق محمد ﷺ، لأنه بشر يجوز عليه التصور، فصرف الله الشيطان، أن يتمثل به لئلا يخلط رؤياه بالرؤيا الكاذبة، يعني وأما الله تعالى، فهو منزه عن الصورة فيعلم بتصوره أنه ليس هو الله تعالى فلا يقع الالتباس.

ونقل الفخر الرازي أنه كان لا يقع عليه الذباب، ولا يمتصّ دمه البعوض. (وذكر الخصائص مستحب، والله أعلم).

قال في الروضة: بل لا يبعد القول بوجوبه لئلاّ يرى جاهل بعض الخصائص في الخبر الصحيح، فيعمل به أخذاً بأصل التأسي، فوجب بيانها لتعرف، فأي فائدة أهم من هذه، فبطل قول من منع الكلام فيها معلّلاً بأنه أمر انقضى، فلا معنى للكلام فيها.

ومنهم خاتمة الحفاظ الشيخ جلال الدين السيوطي(١) المتوفى سنة ٩١١ هـ

فمن جواهره رضي الله عنه

[الخصائص الكبرى]

ما ختم به كتابه الخصائص الكبرى، التي ذكر فيها كثيراً من معجزاته وآياته وفضائل وشمائله وغير ذلك مما يتعلّق بأحواله الشريفة ﷺ.

وختمها بذكر الخصائص التي فضّله الله بها ﷺ على جميع الأنبياء، ولم يعطها نبياً قبله، وهي وحدها تعتبر مؤلفاً جامعاً نافعاً لا نظير له في بابه، فإني لم أرَ من استوعبها كاستيعابه، وها أنا أذكرها بنصها، فأقول: قال رحمه الله تعالىٰ: قال أبو سعيد النيسابوري: في شرف المصطفى الفضائل التي فضل بها النبيّ ﷺ على سائر الأنبياء ستون خصلة، انتهى.

قال رحمه الله: قلت: ولم أقف على من عدّها، وقد تتبّعت الأحاديث والآثار فوجدت القدر المذكور وثلاثة أمثاله معه.

وقد رأيتها أربعة أقسام قسم اختص به في ذاته في الدنيا، وقسم اختصّ به في ذاته في الآخرة، وقسم اختصّ به في أمّته في الدنيا، وقسم اختصّ به في أمّته في الآخرة. وها أنا أوردها مفصّلة في أبواب:

باب

اختصاصه بأنه أوّل النبيّين خلقاً: وتقدّم نبوّته فكان نبياً وآدم منجدل في طينته، وتقدم أخذ الميثاق عليه، وأنّه أوّل من قال: «بلى»(٢) يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله، وكتابة اسمه الشريف على العرش، والسمٰوات والجنان وسائر ما

---

(١) هو عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، إمام، حافظ، مؤرخ، وأديب ولد سنة ٨٤٩ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ.

(٢) رواه مسلم في الصحيح (١٤١٢). والألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٣).

في الملكوت، وذكر الملائكة له في كل ساعة، وذكر اسمه في الأذان في عهد آدم، وفي الملكوت الأعلى، وأخذ الميثاق على النبيّين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به وينصروه، والتبشير به في الكتب السابقة، ونعته فيها ونعت أصحابه وخلفائه وأمّته، وحجب إبليس عن السماوات لمولده، وشقّ صدره في أحد القولين، وجعل خاتم النبوّة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وبأن له ألف اسم، وباشتقاق اسمه من اسم الله، وبأنه سمّي من أسماء الله بنحو سبعين اسماً، وبإظلال الملائكة له في سفره، وبأنه أرجح الناس عقلاً، وأنه أوتي كل الحسن، ولم يؤت يوسف إلاّ شطره، وبغطّه عند ابتداء الوحي، وبرؤيته جبريل في صورته التي خلق عليها في ما ذكره البيهقي، وبانقطاع الكهانة بمبعثه، وحراسة السماء من استراق السمع، والرمي بالشهب، في ما ذكره ابن سبع، وإحياء أبويه له حتى آمنا به، وقبول شفاعته في الكفار لتخفيف العذاب، كما في قصة أبي طالب وقصة القبرين، وبوعده بالعصمة من الناس، وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السمٰوات السبع، والعلوّ إلى قاب قوسين، ووطئه مكاناً ما وطئه نبيّ مرسل، ولا ملك مقرّب، وإحياء الأنبياء له وصلاته إماماً بهم وبالملائكة، واطّلاعه على الجنّة والنار في ما ذكره البيهقي، ورؤيته من آيات ربه الكبرى، وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى، ورؤيته الباري تعالىٰ مرتين، وقتال الملائكة معه، فهذا نحو أربعين خصيصة، تقدمت أحاديثها في الأبواب السابقة.

باب

اختصاصه بأن كتابه معجز: ومحفوظ من التبديل، والتحريف على الدهور، وجامع لكل شيء، ومستغنٍ عن غيره، ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب، وزيادة وميسرة للحفظ، ونزل منجماً، ونزل على سبعة أحرف، ومن سبعة أبواب، وبكل لغة، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢]، وقال تعالىٰ: [﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾][1] [النحل: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [النمل: ٧٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ [الفرقان: ٣٢] الآيتين.

---

(١) في الأصل: ﴿ وأنزلنا إليك ﴾ في حين أن الآية الصحيحة كما أوردناها في المتن.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً»(١).

وأخرج البيهقي عن الحسن في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [فصلت:٤٢] الآية، قال: حفظه الله من الشيطان، فلا يزيد فيه باطلاً، ولا ينقص منه حقاً. وأخرج البيهقي عن يحيى بن أكثم قال: دخل يهودي على المأمون، فتكلم فأحسن الكلام، فدعاه المأمون إلى الإسلام فأبى، فلما كان بعد سنة جاءنا مسلماً، فتكلم على الفقه، فأحسن الكلام فقال له المأمون: ما كان سبب إسلامك؟

قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، فعمدت إلى التوراة، فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها، ونقصت وأدخلتها الكنيسة، فاشتريت مني، وعمدت إلى الإنجيل فكتبت ثلاث نسخ، فزدت فيها، ونقصت، وأدخلتها البيعة فاشتريت مني، وعمدت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ، فزدت فيها ونقصت، وأدخلتها الوراقين، فتصفحوها فلما أن وجدوا فيها الزيادة والنقصان، رموا بها فلم يشتروها، فعلمت أن هذا كتاب محفوظ، فكان هذا سبب إسلامي.

قال يحيى بن أكثم: فحججت تلك السنة، فلقيت سفيان بن عيينة، فذكرت له الحديث، فقال: لي مصداق هذا في كتاب الله، قلت: في أيّ موضع؟

قال: في قول الله في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٤٤]، فجعل حفظه إليه فضاع، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، فحفظه الله علينا فلم يضع.

وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن الحسن البصري قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب، أودع علومها أربعة، منها: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، ثم أودع علوم التوراة والإنجيل والزبور في القرآن.

وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود قال: من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأوّلين والآخرين.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: أنزل في هذا القرآن كل علم،

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (١: ٣٥). وابن كثير في التفسير (٦: ٢٩٧).

وبيّن لنا فيه كل شيء، ولكن علمنا يقصر عمّا بيّن لنا في القرآن. وأخرج أبو الشيخ في كتاب العظمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لو أغفل شيئاً لأغفل الذرة والخردلة والبعوضة»(١).

وأخرج الحاكم، والبيهقي، عن ابن مسعود، عن النبيّ ﷺ قال: «كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال»(٢).

وأخرج الشيخان عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف فراجعه، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف»(٣).

وأخرج مسلم عن أبي بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فأرسل إليّ أن اقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمتي، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف»(٤).

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وابن جرير عن أبي ميسرة قال: نزل القرآن بكل لسان. وأخرج ابن أبي شيبة عن الضحاك مثله.

وأخرج ابن المنذر في تفسيره عن وهب بن منبه، قال: ما من اللغة شيء إلاّ منها في القرآن، قيل: وما فيه من الرومية قال: فصرهن يقول قطعهن. قال الإمام الرازي: فضل القرآن على سائر الكتب المنزلة بثلاثين خصلة، لم تكن في غيره.

باب

واختص ﷺ بأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة، وهي القرآن ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها. عدّ هذه الأشياء الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام، وبأنه أكثر الأنبياء معجزات، فقد قيل إنها تبلغ ألفاً، وقيل ثلاث آلاف، ذكر ذلك البيهقي.

قال الحليمي: وفيها مع كثرتها معنى آخر وهو أنه ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الأجسام، وإنما ذلك في معجزات نبيّنا ﷺ خاصة.

قلت: وممّا يعدّ في خصائصه ﷺ أنه جمع له كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات

---

(١) رواه السيوطي في الحاوي للفتاوي (٢: ٢٨٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (١: ٥٥٣). وابن حجر في فتح الباري (٩: ٢٩).

(٣) رواه البخاري في الصحيح (٤: ١٣٧). وأحمد في المسند (١: ٢٦٤).

(٤) رواه أحمد في المسند (٥: ١٢٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٠٧٦).

وفضائل، ولم يجمع ذلك لغيره، بل اختصّ بكل نوع واحد. وعدّ ابن عبد السلام من خصائصه: تسليم الحجر، وحنين الجذع.

قال: ولم يثبت لواحد من الأنبياء مثل ذلك. وعدّ أيضاً نبع الماء من بين الأصابع، وقد عد هذه غيره، وعدّ غيره أيضاً انشقاق القمر.

باب

اختصاصه ﷺ بأنه خاتم النبيّين وآخرهم بعثاً، وبأن شرعه مؤيّد إلى يوم القيامة، وناسخ لجميع الشرائع قبله، وأنه لو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتّباعه: قال تعالىٰ: [﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾](1) [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣].

أورد ابن سبع هاتين الآيتين استدلالاً على أن شرعه ناسخ لكل شرع قبله. وأخرج أبو نعيم عن عمر بن الخطاب قال: أتيت النبيّ ﷺ ومعي كتاب أصبته من بعض أهل الكتاب، فقال: «والذي نفسي بيده، لو أن موسى كان حياً اليوم، ما وسعه إلاّ أن يتبعني»(2).

باب

ومن خصائصه: أن في كتابه الناسخ والمنسوخ، [قال:](3) قال تعالىٰ: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وليس في سائر الكتب مثل ذلك. ولذا كان اليهود ينكرون النسخ، والسرّ في ذلك أن الكتب نزلت دفعة واحدة، فلا يتصوّر أن يجتمع فيها الناسخ والمنسوخ، لأن شرط الناسخ أن يتأخر نزوله عن المنسوخ. ومن خصائصه: أنه أعطي من كنز تحت العرش، لم يعط منه أحد غيره ﷺ

باب

اختصاصه بعموم الدعوة للناس كافة، وبأنه أكثر الأنبياء تابعاً، وبإرساله إلى الجنّ

---

(١) وردت في الأصل: ﴿أما كان محمد﴾ في حين أن الآيةالصحيحة كما أوردناها في المتن.

(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (١ : ١٩٨).

(٣) زيادة اقتضاها المعنى.

بالإجماع، وإلى الملائكة في قوله، وبإتيانه الكتاب وهو أميّ لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وأخرج الشيخان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصّة، وبعثت إلى الناس عامة»**[1].

وأخرج البخاري في تاريخه، والبزار، والبيهقي، وأبو نعيم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي من الأنبياء: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ولم يكن من الأنبياء أحد يصلّي حتى يبلغ محرابه، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، يكون بين يديّ إلى المشركين فيقذف الله الرعب في قلوبهم، وكان النبيّ يبعث إلى خاصّة قومه، وبعثت أنا إلى الجنّ والإنس، وكان الأنبياء الخمس، يعزلون الخمس فتجيء النار تأكله، وأمرت أنا أن أقسمه في فقراء أمتي، ولم يبق نبي إلاّ أعطي سؤله، وأخّرت أنا دعوتي شفاعة لأمتي»**[2].

وأخرج ابن أبي حاتم، وعثمان بن عيد الدارمي في كتاب: الرد على الجهمية، عن عبادة بن الصامت: **أن النبيّ ﷺ** خرج فقال: **«إن جبريل أتاني فقال: أخرج فحدث بنعمة الله التي أنعم بها عليك، فبشرني بعشر لم يؤتها نبي قبلي، إن الله بعثني إلى الناس جميعاً، وأمرني أن أنذر الجنّ ولقنني كلامه، وأنا أميٌّ وقد أوتي داود الزبور، وموسى الألواح، وعيسى الإنجيل، وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخّر، وأعطاني الكوثر، وأيّدني بالملائكة، وآتاني النصر، وجعل بين يديّ الرعب، وجعل حوضي أعظم الحياض، ورفع لي ذكري في التأذين، ويبعثني يوم القيامة مقاماً محموداً، والناس يكونون مهطعين مقنعي رؤوسهم، ويبعثني في أول زمرة تخرج من الناس، وأدخل الجنّة بشفاعتي سبعين ألفاً من أمتي لا يحاسبون، ويرفعني في أعلى غرفة من جنات النعيم، ليس فوقي إلاّ الملائكة الذين يحملون العرش، وآتاني السلطان، وطيب الغنيمة لي ولأمتي، ولم تكن لأحد قبلنا»**[3].

وأخرج أبو يعلى، والطبراني، والبيهقي عن ابن عباس قال: **إن الله فضل محمداً على**

---

(١) رواه ابن حجر في فتح الباري (١: ٥٣٣).
(٢) رواه ابن حجر في فتح الباري (١: ٥٣٣).
(٣) رواه ابن حجر في تلخيص الحبير (٢: ٢٣٩). بمعناه.

أهل السماء، وعلى الأنبياء، قالوا: يا ابن عباس، ما فضله على أهل السماء؟ قال: إن الله قال لأهل السماء: ﴿ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ [الأنبياء:٢٩]، وقال لمحمد: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ١ - ٢]، فقد كتب له براءة، قالوا: فما فضله على الأنبياء؟ قال: إن الله قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال لمحمد: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبا:٢٨]، فأرسله إلى الإنس والجن.

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا رسول من أدركت حياً، ومن يولد بعدي».

وأخرج ابن سعد عن خالد بن معدان قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت إلى الناس كافة، فإن لم يستجيبوا لي فإلى العرب، فإن لم يستجيبوا لي فإلى قريش، فإن لم يستجيبوا لي فإلى بني هاشم، فإن لم يستجيبوا لي فإليّ وحدي»(١).

وأخرج مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تابعاً»(٢).

وأخرج البزار عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «يأتي معي من أمّتي يوم القيامة مثل السيل والليل، فتحطم الناس حطمة، فتقول الملائكة لما جاء مع محمد أكثر مما جاء مع سائر الأنبياء من الأمم».

وأخرج مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما صدق نبي من الأنبياء ما صدقت، إن من الأنبياء من لم يصدّقه إلاّ الرجل الواحد»(٣).

فصل: الإجماع على أنه ﷺ مبعوث إلى جميع الإنس والجنّ، وأمّا بعثه إلى الملائكة فاختلف فيها، والذي رجحه السبكي أنه مبعوث إليهم، ويستدلّ له بما أخرجه عبد الرزاق عن عكرمة، قال: صفوف أهل الأرض، على صفوف أهل السماء، فإذا وافق آمين في الأرض، آمين في السماء غفر للعبد.

باب

اختصاصه بأنه بعث رحمة للعالمين، حتى الكفار بتأخير العذاب، ولم يعاجلوا بالعقوبة

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٣٠٤). وابن كثير في التفسير (٢: ١١٢).

(٢) رواه مسلم في الصحيح (الإيمان: ٣٣٠). والبيهقي في السنن الكبرى (٩: ٤).

(٣) رواه الهيثمي في موارد الظمآن (٢٣٠٥). والسيوطي في دلائل النبوة (٧: ١٣٠).

كسائر الأمم المكذّبة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣] الآية.

وأخرج أبو نعيم عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني رحمة للعالمين، وهدى للمتقين»[1].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ألا تدعو على المشركين؟ قال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً»[2].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، والطبراني والبيهقي، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، قال: «من آمن تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن عوفي، مما كان يصيب الأمم في عاجل الدنيا من العذاب، ومن الخسف والمسخ والقذف».

باب

اختصاصه ﷺ بإقسام الله تعالىٰ بحياته: قال تعالىٰ: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وأخرج أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس، قال: ما خلق الله وما ذرأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما حلف الله بحياة أحد قطّ إلاّ بحياة محمد ﷺ، فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما حلف الله بحياة أحد إلاّ بحياة محمد ﷺ»[3]، قال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، وحياتك يا محمد ﷺ.

باب

اختصاصه ﷺ بإسلام قرينه، وبأن أزواجه عون له: أخرج البزار عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فضّلت على الأنبياء بخصلتين، كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه، حتى أسلم»[4]، ونسي الراوي الخصلة الأخرى.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣: ٢٦٨). والطبراني في المعجم الكبير (٨: ٢٣٢).

(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١٠٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٩٩٧).

(٣) رواه السيوطي في الدر المنثور (٤: ١٠٣).

(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٢٥). وابن حجر في فتح الباري (١: ٤٣٩).

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلت على آدم بخصلتين: كان شيطاني كافراً فأعانني الله عليه حتى أسلم، وكن أزواجي عوناً لي، وكان شيطان آدم كافراً، وزوجته عوناً على خطيئته»(١).

وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلاّ ومعه قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة»، قالوا: وإيّاك يا رسول الله؟ قال: «وإياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلاّ بخير»(٢).

وأخرج الطبراني من حديث المغيرة بن شعبة مثل. وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمٰن بن زيد: أن آدم عليه السلام ذكر محمداً رسول الله ﷺ، فقال: إن أفضل ما فضل به عليَّ ابني صاحب البعير، أن زوجته عون له على دينه، وكانت زوجتي عوناً لي على الخطيئة.

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ أن الله فضل مخاطبته على مخاطبة الأنبياء قبله تشريفاً وإجلالاً، وذلك أن الأمم كانوا يقولون لأنبيائهم: راعنا سمعك فنهى الله هذه الأمة أن يخاطبوا نبيهم بهذه المخاطبة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤].

باب

قال العلماء: ومن خصائصه ﷺ أن الله لم يناده في القرآن باسمه، بل قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ [الأنفال: ٦٤] ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ [المائدة: ٤١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ [المدثر: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل: ١]، بخلاف سائر الأنبياء، فإنه خاطبهم بأسمائهم؛ كقوله: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ ﴾ [البقرة: ٣٥] ﴿ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ ﴾ [هود: ٤٨] ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾ [هود: ٧٦] ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤] ﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي ﴾ [المائدة: ١١٠] ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [ص: ٢٦] ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ [مريم: ٧] ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ [مريم: ١٢].

---

(١) رواه السيوطي في دلائل النبوة (٥: ٤٨٨)، وفي الدر المنثور (١: ٥٤).

(٢) رواه الدارمي في السنن (٢: ٣٠٦). وأحمد في المسند (١: ٣٩٧).

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ تحريم ندائه باسمه على الأمة بخلاف سائر الأنبياء،فإن أممهم كانت تخاطبهم بأسمائهم، قال تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨] ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٢]، وقال تعالىٰ لهذه الأمة: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور:٦٣].

وأخرج أبو نعيم من طريق الضحاك عن ابن عباس في الآية، قال: كانوا يقولون يا محمد، يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبيّه، فقالوا: يا نبيّ الله، يا رسول الله.

وأخرج البيهقي عن علقمة والأسود في الآية، قال: لا تقولوا يا محمد، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبيّ الله.

وأخبر أبو نعيم مثله عن الحسن وسعيد بن جبير. وأخبر عن قتادة في الآية، قال: أمر الله أن يهاب نبيّه، وأن يعظّم ويفخّم ويسود.

باب

اختصاصه ﷺ بأن الميت يسأل عنه في قبره: أخرج أحمد والبيهقي عن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «أما فتنة القبر فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح أجلس، فيقال له: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله»[1] الحديث.

قال الحكيم الترمذي: سؤال المقبور خاص بهذه الأمة، وكذا قال ابن عبد البرّ، والمسألة مبسوطة في كتاب البرزخ.

واختصّ ﷺ بأن عورته لم ترَ قط، ولو رآها أحد طمست عيناه. واختصّ ﷺ باستئذان ملك الموت عليه.

وقد أوردت في كتاب البرزخ أحاديث دخول ملك الموت على إبراهيم، وموسى، وداود، بغير استئذان.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦: ١٤٠). والسيوطي في الدر المنثور (٤: ٨٣).

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم نكاح أزواجه من بعده: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء، بل قصة سارة مع الجبار، وقول إبراهيم له: هذه أختي، وأنه همّ أن يطلقها ليتزوّجها الجبار قد يستدلّ به على أن ذلك لم يكن لسائر الأنبياء.

وأخرج الحاكم والبيهقي عن حذيفة أنه قال لزوجته: «إن سرك أن تكوني زوجتي في الجنّة فلا تزوجي بعدي»، فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا، فلذلك حرم على أزواج النبيّ ﷺ أن ينكحن بعده، لأنهن أزواجه في الجنّة. ومما قيل في تعليل ذلك: أنهنّ أمّهات المؤمنين، وأن في ذلك غضاضة ينزّه عنها منصبه الشريف، وأنه ﷺ حيّ في قبره، ولهذا حكى الماوردي وجهاً أنه لا يجب عليهن عدة الوفاة، وفيمن فارقها في الحياة كالمستعيذة، والتي رأى بكشحها بياضاً أوجه.

أحدها: يحرمن أيضاً، وهو الذي نصّ عليه الشافعي، وصححه في الروضة لعموم الآيات، وليس المراد بمن بعده بعدية الموت، بل بعدية النكاح.

وقيل: لا، والثالث وصححه إمام الحرمين، والرافعي في الشرح الصغير، وتحريم المدخول بها فقط، لما روي أن الأشعث بن قيس نكح المستعيذة في زمان عمر فهمّ عمر برجمه، فأخبر أنها لم تكن مدخولاً بها، فكفّ.

والخلاف جار أيضاً فمن اختارت الفراق، لكن الأصح فيها عند إمام الحرمين والغزالي الحلّ، وقطع به جماعة لتحصل فائدة التخيير، وهو التمكّن من زينة الدنيا، وفي أمة فارقها بعد وطئها أوجه.

ثالثها: تحرم إن فارقها بالموت كمارية ولا تحرم إن باعها في الحياة.

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ: أن من تقدمه من الأنبياء كانوا يدافعون عن أنفسهم ويردّون على أعدائهم؛ كقول نوح: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: ٦١]، وقول هود: ﴿يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ [الأعراف: ٦٧] وأشباه ذلك، ونبيّنا ﷺ تولّى الله تبرئته عمّا نسبه إليه أعداؤه وردّ عليهم بنفسه، فقال: ﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢]، وقال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٢ - ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ [يس: ٦٩] إلى غير ذلك من الآيات.

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ أنه جمع له بين القبلتين والهجرتين، وأنه جمعت له الشريعة والحقيقة، ولم يكن للأنبياء إلاّ إحداهما، بدليل قصة موسى مع الخضر، وقوله: إني على علم من علم الله لا ينبغي لك أن تعلمه، وأنت على علم من علم الله لا ينبغي لي أن أعلمه، وقد كنت قلت هذا الكلام أولاً استنباطاً من هذا الحديث، من غير أن أقف عليه من كلام أحد من العلماء، ثم رأيت البدر بن الصاحب أشار إليه في تذكرته، ووجدت من شواهده حديث السارق الذي أمر بقتله، والمصلّي الذي أمر بقتله، وقد تقدم في باب الأخبار بالمغيبات زيادة إيضاح لهذا الباب، فقد أشكل فهمه على قوم، ولو تأمّلوا لاتّضح لهم المراد بالشريعة الحكم بالظاهر، وبالحقيقة الحكم بالباطن.

وقد نصّ العلماء على أن غالب الأنبياء عليهم السلام، بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطّلعوا عليه من بواطن الأمور وحقائقها، بعث الخضر عليه السلام ليحكم بما اطلع عليه من بواطن الأمور وحقائقها ولكون الأنبياء لم يبعثوا بذلك أنكر موسى عليه السلام قتله الغلام، وقال له: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤]، لأن ذلك خلاف الشرع، فأجابه بأنه أمر بذلك وبعث به، فقال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢]، وهذا معنى قوله له: إنك على علم إلى آخره.

قال الشيخ سراج الدين البلقيني في شرح البخاري: المراد بالعلم التنفيذ، والمعنى لا ينبغي لك أن تعلمه لتعمل به، لأن العمل به مناف لمقتضى الشرع، ولا ينبغي أن أعلمه فأعمل بمقتضاه، لأنه مناف لمقتضى الحقيقة، قال: فعلى هذا لا يجوز للولي التابع للنبيّ ﷺ إذا اطلع على حقيقة أن ينفذ ذلك بمقتضى الحقيقة، وإنما عليه أن ينفذ الحكم الظاهر، انتهى.

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة: قال أبو حيان في تفسيره، الجمهور على أن الخضر نبي، وكان علمه معرفة بواطن أوحيت إليه، وعلم موسى الحكم بالظاهر، فأشار إلى أن المراد في الحديث بالعلمين الحكم بالباطن والحكم بالظاهر لأمر آخر.

وقد قال الشيخ تقي الدين السبكي: إن الذي بعث به الخضر شريعة له، فالكل شريعة. وأمّا نبيّنا ﷺ فإنه أمر أولاً أن يحكم بالظاهر دون ما اطّلع من الباطن والحقيقة كغالب الأنبياء، ولهذا قال: «نحن نحكم بالظاهر»[1]، وفي لفظ: «إنما أقضي بالظاهر، والله يتولّى

---

(١) رواه الشوكاني في الفوائد المجموعة (٢٠٠).

السرائر»[١]، وقال: «إنما أقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق آخر، فإنما هي قطعة من النار»[٢].

وقال للعباس: «أما ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فإلى الله»[٣]، وكان يقبل عذر المتخلفين عن غزوة تبوك، ويكل سرائرهم إلى الله.

وقال في تلك المرأة: «لو كنت راجماً أحداً من غير بيّنة لرجمتها»[٤]، وقال أيضاً: «لولا القرآن لكان لي ولها شأن»[٥]، فهذا كله صريح في أنه إنما يحكم بظاهر الشرع بالبيّنة أو الاعتراف دون ما أطلعه الله عليه من بواطن الأمور وحقائقها، ثم إن الله زاده شرفاً وأذن له أن يحكم بالباطن، وما اطّلع عليه من حقائق الأمور فجمع له بين ما كان للأنبياء، وما كان للخضر خصوصيّة خصّه بها، ولم يجمع الأمران لغيره.

وقد قال القرطبي في تفسيره: أجمع العلماء على بكرة أبيهم أنه ليس لأحد أن يقتل بعلمه إلاّ النبيّ ﷺ، وشاهد ذلك حديث المصلّي، والسارق اللذين أمر بقتلهما، فإنه اطّلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل، ولو تفطن الذين لم يفهموا إلى استشهادي بهذين الحديثين في آخر الباب، لعرفوا أن المراد الحكم بالظاهر والباطن فقط لا شيء آخر لا يقوله مسلم، ولا كافر ولا مجانين المارستان.

وقد ذكر بعض السلف أن الخضر إلى الآن ينفذ الحقيقة، وأن الذين يموتون فجأة هو يقتلهم، فإن صح ذلك فهو في هذه الأمة بطريق النيابة عن النبيّ ﷺ، فإنه صار من أتباعه، كما أن عيسى عليه السلام لما ينزل بحكم بشريعة النبيّ ﷺ نيابة عنه ويصير من أتباعه وأمّته.

باب

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ومن خصائصه ﷺ أن الله كلم موسى بالطور، وما بالوادي المقدس، وكلم نبيّنا ﷺ عند سدرة المنتهى، وجمع له بين الكلام والرؤية وبين المحبة والخلة.

---

(١) رواه العجلوني في كشف الخفا (١: ٢٢٣).
(٢) رواه ابن كثير في التفسير (٢: ٣٥٨).
(٣) رواه ابن كثير في التفسير (٣: ٢٩٩).
(٤) رواه ابن ماجه في السنن (٢٥٥٩). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٤٠٧).
(٥) رواه ابن ماجه في السنن (٢٥٥٩). والبيهقي في السنن الكبرى (٧: ٤٠٧).

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي ربي عزّ وجلّ: نحلت إبراهيم خلّتي، وكلمت موسى تكليماً، وكلمتك يا محمد كفاحاً».

وأخرج ابن عساكر عن سلمان، قال: قيل للنبيّ ﷺ: كلّم الله موسى تكليماً، وخلق عيسى من الروح القدس، واتخذ إبراهيم خليلاً، واصطفى آدم، فما أعطيت من الفضل؟ فهبط جبريل فقال: إن ربك يقول: «إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً، فقد اتّخذتك حبيباً، وإن كلمت موسى في الأرض تكليماً، فقد كلّمتك في السماء، وإن كنت خلقت عيسى من الروح القدس، فقد خلقت اسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة، ولقد وطئت في السماء، موطناً لم يطأه أحد قبلك، ولا يطؤه أحد بعدك، وإن كنت اصطفيت آدم، فقد ختمت بك الأنبياء، وما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك، وقد أعطيتك الحوض والشفاعة، والناقة، والقضيب، والتاج، والهراوة، والحجّ، والعمرة، وشهر رمضان، والشفاعة لها لك حتى ظلّ عرشي في القيامة عليك ممدود، وتاج الحمد على رأسك معقود، وقرنت اسمك مع اسمي، فلا أذكر في موضع حتى تذكر معي، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرّفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا».

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أعطى موسى الكلام، وأعطاني الرؤية، وفضّلني بالمقام المحمود، والحوض المورود»[1].

وأخرج ابن عساكر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي قرّبني ربي حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى، وقال لي: يا محمد هل غمّك أن جعلتك آخر النبيّين؟ قلت: لا، قال: فهل غمّ أمّتك أن جعلتهم آخر الأمم؟ قال: لا، قال: أخبر أمّتك أني جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم، ولا أفضحهم عند الأمم».

باب

قال الشيخ عزّ الدين: ومن خصائصه ﷺ أن الله كلّمه بأنواع الوحي، وهي ثلاثة: الرؤيا الصادقة، والكلام بغير واسطة، والتكليم بواسطة جبريل.

باب

اختصاصه ﷺ بالنصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه، وإيتائه جوامع الكلم،

---

(١) رواه السيوطي في جمع الجوامع (٤٦٣٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٩٢٠٦).

ومفاتيح خزائن الأرض، وعلم كل شيء، إلا الخمس، قيل: والخمس أيضاً.

وبيّن له في أمر الدجال ما لم يبيّن لنبي قبله، وتسميته أحمد وهبوط إسرافيل عليه ﷺ، عدّ هذه الأخيرة ابن سبع، وجمع له بين النبوّة والسلطان. أخرج أحمد، وابن أبي شيبة والبيهقي، عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء: نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، [وجعلت لي الأرض مسجداً]**[1] **وجعل لي التراب طهوراً، وجعلت أمّتي خير الأمم»**[2].

وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: **«فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم به النبيين»**[3].

وأخرج البزار عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي: نصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي الغنائم»**، وذكر خصلتين ذهبتا عني، وأخرجه أبو نعيم، فذكرهما: **«أرسلت إلى الأبيض الأسود والأحمر، وجعلت لي الأرض مسجداً والتراب طهوراً»**[4].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: نصر رسول الله ﷺ بالرعب على عدوّه مسيرة شهرين.

وأخرج الطبراني عن السائب بن يزيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضّلت على الأنبياء بخمس: بعثت إلى الناس كافّة، وذخرت شفاعتي لأمتي، ونصرت بالرعب شهراً أمامي، وشهراً خلفي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي»**[5].

وأخرج أبو نعيم عن عبادة بن الصامت، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **«إن جبريل أتاني فبشّرني أن الله أيّدني بالملائكة وآتاني النصر، وجعل بين يديّ الرعب، وآتاني السلطان والملك، وطيب لي ولأمتي الغنائم، ولم تكن لأحد قبلنا»**.

---

(١) زيادة أثبتناها زيادة على النص لأن هذا الحديث لم يرد عن أحد دونها.

(٢) رواه أحمد في المسند (١: ٩٨). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ٢١٣).

(٣) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٥). والترمذي في السنن (١٥٥٣).

(٤) رواه البخاري في الصحيح (١: ١١٩). ومسلم في الصحيح (المساجد:٣). وأحمد في المسند (٣: ٣٤).

(٥) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٥٩).

قال الغزالي في الإحياء: لأجل اجتماع النبوّة والملك والسلطنة لنبيّنا ﷺ، كان أفضل من سائر الأنبياء، فإنه أكمل الله به صلاح الدين والدنيا، ولم يكن السيف والملك لغيره من الأنبياء.

وأخرج البيهقي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠]، قال: أخرجه الله من مكة مخرج صدق، وأدخله المدينة مدخل صدق، قال: وعلم نبيّ الله أن لا طاقة له بهذا الأمر إلاّ بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله وحدوده وفرائضه ولإقامة كتاب الله، فإن السلطان عزّة من الله جعلها بين أظهر عباده، لولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، وأكل شديدهم ضعيفهم.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالرعب، وأعطيت جوامع الكلم، وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت بين يديّ»[(١)]، قال أبو هريرة: فقد ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتشلونها.

قال ابن شهاب: بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الوحي قبله في الأمر الواحد والأمرين، أو نحو ذلك.

وأخرج الطبراني بسند حسن، والبيهقي في الزهد، عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم وجبريل على الصفا، فقال يا جبريل: «ما أمسى لآل محمد سفة من دقيق، ولا كفة من سويق»[(٢)]، فلم يكن كلامه بأسرع من أن سمع هدة من السماء، فأتاه إسرافيل، فقال: إن الله سمع ما ذكرت، فبعثني إليك بمفاتيح خزائن الأرض، وأمرني أن أعرض عليك أن أسير معك جبال تهامة زمرداً وياقوتاً وذهباً وفضّة، فإن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبده، فأومأ إليه جبريل تواضع، فقال: «نبياً عبداً»[(٣)] ثلاثاً.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبيّ قبلي، ولا يهبط على أحد بعدي، وهو إسرافيل، قال: أنا رسول ربك إليك، أمرني أن أخيّرك إن شئت نبياً عبداً، وإن شئت نبياً ملكاً، فنظرت إلى جبريل فأومأ إليَّ أن تواضع، فلو أني قلت نبياً ملكاً، لسارت الجبال معي ذهباً»[(٤)].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١: ٤٣٣). والسيوطي في دلائل النبوة (٥: ٤٧).
(٢) رواه الشجري في الأمالي (٢: ١٧٠).
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٧: ٤٨). والطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٣٤٨).
(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢: ٣٤٨). والهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ١٩).

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق، جاءني به جبريل عليه قطيفة من سندس»**[١].

وأخرج ابن سعد وأبو نعيم عن أبي أمامة عن النبيّ ﷺ، قال: **«عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً، فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرّعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»**[٢].

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عائشة، قالت: دخلت عليَّ امرأة من الأنصار، فرأت فراش رسول الله ﷺ عباء مثنية، فانطلقت فبعثت إليَّ بفراش حشوه الصوف، فدخل عليّ رسول الله ﷺ فقال: **«ما هذا يا عائشة»**؟ قلت: يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت عليّ فرأت فراشك، فذهبت فبعثت إليّ بهذا، فقال: **«ردّيه»**، فلم أردّه وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: **«ردّيه يا عائشة، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضّة»**[٣].

وأخرج ابن أبي شيبة في مسنده، وأبو يعلى عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت فواتح الكلام، وجوامعه وخواتمه»**[٤].

وأخرج أحمد والطبراني بسند صحيح، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: **«أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس»**[٥] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

وأخرج أحمد وأبو يعلى، عن ابن مسعود، قال: أوتي نبيّكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير الخمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

وأخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بعث نبيّ إلاّ حذّر أمّته الدجال، وأني قد بيّن لي في أمره ما لم يبيّن لأحد لأنه أعور، وأن ربكم ليس بأعور»**[٦].

---

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٤: ١٩٧). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٩٤).
(٢) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٣: ٥٢).
(٣) رواه أبو داود في السنن (١٥٦٥). والحاكم في المستدرك (١: ٣٩٠).
(٤) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٧: ١١٣). والمتقي الهندي في كنز العمال (٢٢٣٤٤).
(٥) رواه أحمد في المسند (٢: ٨٥). والسيوطي في الدر المنثور (٥: ١٦٩).
(٦) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٨٧٦٩).

ذهب بعضهم إلى أنه ﷺ أوتي الخمس أيضاً، وعلم وقت الساعة والروح وأنه أمر بكتم ذلك.

باب

قال ابن سبع: من خصائصه ﷺ: أنه كان يبيت جائعاً، ويصبح طاعماً، وأنه لم يكن أحد يغلبه بالقوّة، وأنه كان إذا أراد الطهور ولم يجد الماء مدّ أصابعه، فيتفجّر منها الماء، حتى يقضي طهوره. وأن الله جمع له بين المحبة والخلّة والكلام، وكلّمه بموضع لم يطأه ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، وأن الأرض كانت تطوى له.

باب

اختصاصه ﷺ بشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وهو اقتران اسمه باسم الله تعالىٰ، وبوعده بالمغفرة، وهو يمشي حياً صحيحاً، وبأنه حبيب الرحمٰن، وسيّد ولد آدم، وأكرم الخلق على الله، فهو أفضل من سائر المرسلين والملائكة، وعرض عليه أمّته بأسرهم حتى رآهم، وعرض عليه ما هو كائن في أمّته حتى تقوم الساعة، وخصّ ﷺ بالبسملة، والفاتحة، وآية الكرسي، وخواتيم سورة البقرة، والمفصل، والسبع الطوال.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٢ - ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢].

وأخرج البزار بسند جيّد عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلي: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأحلّت لي الغنائم، وجعلت أمّتي خير الأمم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الكوثر، ونصرت بالرعب، والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم ومن دونه»[1].

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ومن خصائصه ﷺ: أنه أخبره الله بالمغفرة، ولم ينقل أنه أخبر أحداً من الأنبياء بمثل ذلك، بل الظاهر أنه لم يخبرهم، بدليل قولهم في الموقف: نفسي نفسي. وقال ابن كثير في تفسيره في آية الفتح: هذا من خصائصه ﷺ التي لم يشاركه فيها غيره.

---

(١) رواه مسلم في الصحيح (المساجد: ٥). والترمذي في السنن (١٥٥٣). وأحمد في المسند (٢: ٤١٢).

وأخرج الطبراني والبيهقي وأبو نعيم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته إياها، قلت: يا رب إنه قد كان قبلي رسل منهم من كان يحيي الموتى، ومنهم من سخّرت له الريح، قال: ألم أجدك يتيماً فآويتك، ألم أجدك ضالاً فهديتك، ألم أجدك عائلاً فأغنيتك، ألم أشرح لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ألم أرفع لك ذكرك، قلت: بلى يا ربّ»**[1].

وأخرج ابن سعد، عن مجمع بن جارية، قال: لما كنا بفتحنا رأيت الناس يركضون، وإذا هم يقولون: أنزل على رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١]، فلما نزل بها جبريل قال: يهنيك يا رسول الله، فلما هنّأه جبريل هنّأه المسلمون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو يعلى، وابن حبان، وأبو نعيم عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤]، قال: **«قال لي جبريل: قال الله: إذا ذكرت ذكرت معي»**[2].

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في الآية، قال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد، ولا صاحب صلاة إلاّ ينادي أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وأخرج أبو نعيم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«لما فرغت مما أمرني الله به من أمر السمٰوات، قلت: يا رب، إنه لم يكن نبي قبلي إلاّ وقد أكرمته، وجعلت إبراهيم خليلاً، وموسى كليماً، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أوَ ليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كلّه، إذ لا أذكر إلاّ ذكرت معي، وجعلت صدور أمّتك أناجيل يقرؤون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمّة، وأنزلت إليك كلمة من كنز عرشي لا حول ولا قوّة إلاّ بالله»**[3].

وفي حديث الإسراء السابق أن محمداً ﷺ أثنى على ربّه، فقال: **«الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس، وأنزل عليّ الفرقان فيه تبيان كل شيء، وجعل أمّتي خير أمّة أخرجت للناس، وجعل أمتي وسطاً، وجعل أمّتي هم الآخرين وهم الأوّلين، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحاً وخاتماً، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد.**

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٢٥٣).
(٢) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٩: ٦٥١).
(٣) رواه ابن كثير في البداية والنهاية (٦: ٣٢١).

وفيه قال تبارك وتعالىٰ له: سل، فقال: «إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيته ملكاً عظيماً، وكلمت موسى تكليماً، وأعطيت داود ملكاً عظيماً، وألنت له الحديد، وسخّرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً، وسخرت له الجنّ والإنس والشياطين والرياح، وأعطيته ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص، وأعذته وأمّه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيل، فقال له ربّه تبارك وتعالىٰ: قد اتخذتك حبيباً، وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمٰن، وأرسلتك إلى الناس كافّة، وجعلت أمّتك هم [الآخرين وهم الأوّلين][(١)]، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أوّل النبيّين خلقاً وآخرهم بعثاً، وأعطيتك سبعاً من المثاني، ولم أعطها نبياً قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك، وجعلتك فاتحاً وخاتماً»[(٢)]، وقال رسول الله ﷺ: «فضّلني ربي بست: قذف بي في قلوب عدوّي الرعب من مسيرة شهر، وأحلّ لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعل لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت فواتح الكلام وجوامعه، وعرضت عليّ أمتي فلم يخف على التابع والمتبوع منهم»[(٣)].

وأخرج الطبراني عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت عليّ أمتي البارحة لدى هذه الحجرة، أوّلها وآخرها»[(٤)]، فقال: يا رسول الله، عرض عليك من خلق، فكيف من لم يخلق؟ فقال: «صوّروا لي في الطين حتى إني لأعرف بالإنسان منهم من أحدكم بصاحبه»[(٥)].

وأخرج الدارقطني والطبراني في الأوسط، عن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل عليّ آية لم تنزل على نبيّ من بعد سليمان غيري، بسم الله الرحمٰن الرحيم»[(٦)].

وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس، قال: أغفل الناس آية من كتاب الله لم تنزل على أحد سوى النبيّ ﷺ، إلاّ أن يكون سليمان بن داود، بسم الله الرحمٰن الرحيم.

وأخرج أبو عبيد وابن الضريس، كلاهما في فضائل القرآن، عن عليّ بن أبي طالب، قال: آية الكرسي أعطيها نبيّكم من كنز تحت العرش، ولم يعطها أحد قبل نبيّكم.

---

(١) وردت في الأصل: «هم الآخرون وهم الأولون» بالرفع وهي يجب وقوعها بالنصب.
(٢) رواه مسلم في الصحيح (الصلاة: ٤٣). والبيهقي في السنن الكبرى (١: ١٦٩).
(٣) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١: ٧٢).
(٤) رواه ابن عبد البر في التمهيد (٥: ٢٦٥).
(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣: ٢٠٢).
(٦) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (١: ٣٤).

وأخرج أبو عبيد عن كعب، قال: إن محمداً أعطي أربع آيات لم يعطهن موسى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، حتى ختم البقرة، فتلك ثلاث آيات، وآية الكرسي.

وأخرج أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب، عن حذيفة: أن النبيّ ﷺ قال: **«أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبيّ قبلي»**(١).

وأخرج أحمد عن أبي ذر مرفوعاً مثله.

وأخرج الطبراني عن عقبة بن عامر، قال: تزوّدوا في الآيتين من آخر سورة البقرة ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، إلى خاتمتها، فإن الله اصطفى بها محمداً ﷺ.

وأخرج الحاكم عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، من كنز تحت العرش، والمفصل نافلة»**(٢).

وأخرج مسلم عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ أتاه ملك، فقال: **«أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبيّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة»**(٣).

وأخرج البيهقي عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل»**(٤).

وأخرج ابن جرير وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: هي السبع الطوال، لم يعطهن أحد إلاّ النبيّ ﷺ، وأعطي موسى منهن اثنتين.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: أوتي رسول الله ﷺ سبعاً من المثاني، والطول، وأوتي موسى ستاً.

وأخرج ابن مردويه، عن ابن عباس، في قوله تعالىٰ: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: السبع الطول، وأعطي موسى ستاً، فلما ألقى الألواح ذهبت اثنتان، وبقي أربع.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله: ﴿سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: ذخرت لنبيّكم ﷺ، لم تذخر لنبيّ سواه.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١: ٢١٣). وابن حجر في فتح الباري (١: ٤٣٩).
(٢) رواه ابن كثير في التفسير (١: ٥٠٧). والسيوطي في الدر المنثور (١: ٥).
(٣) رواه البغوي في شرح السنة (١: ٢٥).
(٤) رواه أحمد في المسند (٤: ١٠٧). والمنذري في الترغيب والترهيب (٢: ٣٦٨).

وأخرج البيهقي في الشعب، وابن عساكر عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتّخذ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نجيّاً، واتّخذني حبيباً» ـ ثم قال ـ «وعزّتي وجلالي، لأوثرنّ حبيبي على خليلي، ونجيي»(١).

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد، وأبو نعيم عن ثابت البناني، قال: قال رسول الله ﷺ: «موسى صفيّ الله وأنا حبيب الله»(٢).

وأخرج أبو نعيم في المعرفة عن عبد الرحمٰن بن غنم، قال: كنّا جلوساً عند النبيّ ﷺ في المسجد، فإذا سحابة، فقال رسول الله ﷺ: «نزل عليّ ملك، فقال: لم أزل أستأذن ربي في لقائك حتى إذا كان هذا أوان أذن لي إني أبشرك أنه ليس أحد أكرم على الله منك»(٣).

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود قال: إن محمداً ﷺ أكرم الخلق على الله يوم القيامة.

وأخرج البيهقي عن عبد الله بن سلام قال: إن أكرم خليقة الله على الله أبو القاسم ﷺ.

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ التفرقة بينه وبين الأنبياء في الخطاب، فإن الله تعالىٰ قال لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]، وقال لنبيّنا ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ [النجم:٣]، منزّهاً له عن ذلك بعد الإقسام عليه، وقال عن موسى: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ [الشعراء:٢١]، وقال عن نبيّنا ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الانفال:٣٠] الآية، فكنى عن خروجه وهجرته بأحسن العبارات، وكذا نسب الإخراج إلى عدوّه بقوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [التوبة:٤٠]، وقوله: ﴿مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد:١٣]، ولم يذكره بالفرار الذي فيه نوع غضاضة، انتهى.

باب

ومن خصائصه ﷺ: أن الله فرض على من ناجاه أن يقدم بين يدي نجواه صدقة، ولم يعهد ذلك لأحد من الأنبياء، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة:٥٨].

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣١٨٩٣). والسيوطي في الدر المنثور (٢: ٢٣١).
(٢) رواه الترمذي في السنن (٣٦١٦). والبغوي في شرح السنة (١٣: ٢٠٤).
(٣) رواه السيوطي في الحبائك في الملائك (١٠٥).

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في الآية، قال: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف على نبيه، فلما قال ذلك ضنّ كثير من الناس، وكفّوا عن المسألة، فأنزل الله بعد هذا: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ [المجادلة: ١٢] الآية، فوسّع الله عليهم ولم يضيق. وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد، قال: كان من ناجى النبيّ ﷺ تصدّق بدينار، وكان أول من صنع ذلك عليّ بن أبي طالب، ثم نزلت الرخصة: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المجادلة: ١٣].

باب

قال أبو نعيم: ومن خصائصه ﷺ أن الله فرض طاعته على العالم فرضاً مطلقاً لا شرط فيه ولا استثناء، فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وأن الله تعالىٰ أوجب على الناس التأسّي به قولاً وفعلاً مطلقاً بلا استثناء، فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، واستثنى في التأسي بخليله، فقال: لـ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ [الممتحنة: ٤] ـ إلى أن قال ـ ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ [الممتحنة: ٤]، قال: ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالىٰ قرن اسمه باسمه في كتابه عند ذكر طاعته، ومعصيته، وفرائضه، وأحكامه، ووعده، ووعيده تشريفاً وتعظيماً، فقال تعالىٰ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النور: ٦٢]، ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]، ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٣]، ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٤]، ﴿شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٤]، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأنفال: ١٣]، و﴿مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٦٣]، ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١٦]، ﴿يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣]، ﴿مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٢٩]، ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩]، ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٥٩]، ﴿أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة: ٧٤]، ﴿كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٩٠]، ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

باب

قال ابن سبع: من خصائصه ﷺ أن الله سبحانه وتعالىٰ وصفه في كتابه عضواً عضواً،

فقال في وجهه: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:١٤٤]، وقال في عينيه: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ ﴾ [الحجر:٨٨]، وفي لسانه: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ ﴾ [مريم:٩٧]، وفي يده وعنقه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء:٢٩]، وفي صدره وظهره: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [الشرح:١ -٣]، وفي قلبه: ﴿ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [البقرة:٩٧]، وفي خلقه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

باب

ومن خصائصه ﷺ ما أخرجه البزار والطبراني، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أيّدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء: جبريل وميكائيل، واثنين من أهل الأرض: أبي بكر وعمر**»[١].

وما أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله قال: كان النبيّ ﷺ إذا مشى مشى أصحابه أمامه، وتركوا ظهره للملائكة.

وما أخرجه الحاكم وابن عساكر، عن عليّ أن النبيّ ﷺ قال: «**كل نبي أعطي سبعة رفقاء، وأعطيت أربعة عشر**»[٢]، قيل لعليّ: من هم؟ قال: أنا وحمزة وابناي، وجعفر، وعقيل، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، والمقداد، وسلمان، وعمار، وطلحة، والزبير.

وأخرج الدارقطني في المؤتلف، عن جعفر بن محمد، قال: ما مرّ نبي إلاّ وخلف في أهل بيته دعوة مستجابة، وقد خلف فينا رسول الله ﷺ دعوتين مجابتين، أما واحدة فلشدائدنا، وأما الأخرى فلحوائجنا، فأمّا التي لشدائدنا: يا دائماً لم يزل يا إلٰهي، وإله آبائي، يا حيّ يا قيّوم، وأمّا التي لحوائجنا: يامن يكفي من كل شيء، ولا يكفي منه شيء، يا الله، يا ربّ محمد، اقضِ عني الدين.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم التكنّي بكنيته، قيل والتسمّي باسمه، ولم يثبت ذلك لأحد من الأنبياء:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تجمعوا اسمي وكنيتي، أنا أبو القاسم الله يعطي، وأنا أقسم**»[٣].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١: ١٧٩).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣: ١٩٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (٣: ٤٥). والسيوطي في دلائل النبوة (١: ٦٣).

وأخرج أحمد عن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة الأنصاري، عن عمّه، قال: قال النبيّ ﷺ: **«لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي»**[١].

وأخرج عن أنس أن النبيّ ﷺ كان بالبقيع، فنادى رجل: يا أبا القاسم، فالتفت إليه النبيّ ﷺ، فقال: لم أعنك، فقال: **«سمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي»**[٢].

وأخرج الحاكم عن جابر، قال: ولد لرجل من الأنصار غلام، فسمّاه محمداً، فغضب الأنصار، وقالوا: حتى تستأمر النبيّ ﷺ، فذكروا ذلك له، فقال: **«تسمّوا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم»**[٣].

قال الشافعي: وليس لأحد أن يكتني بأبي القاسم، سواء كان اسمه محمداً أم لا.

قال الرافعي: ومنهم من حمله على كراهية الجمع بين الاسم والكنية، وجوّز الإفراد. وذهب مالك إلى جواز التكنّي بعده، وأن النهي مختصّ بحياته، لزوال المعنى، وهو الإيذاء بالالتفات. عند [الظن بأنه][٤] المنادى.

وفي الخصائص للشيخ سراج الدين بن الملقن: شذّ آخرون فمنعوا التسمية باسم النبيّ ﷺ جملة كيف ما تكنى، حكاه الشيخ زكي الدين المنذري.

قال السيوطي: قلت: أخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم، أن عمر بن الخطاب جمع كل غلام اسمه اسم نبي، فأدخلهم الدار ليغيّر أسماءهم فجاء آباؤهم، فأقاموا البيّنة أن رسول الله ﷺ سمّى عامتهم، فخلى عنهم قال: أبو بكر وكان أبي فيهم.

باب

اختصاصه ﷺ بفضل التسمّي باسمه، ووجوب توقيره، وتعظيمه واحترامه:

أخرج البزار وابن عدي وأبو يعلى والحاكم، عن أنس أن النبيّ ﷺ قال: **«تسمون أولادكم محمداً ثم تلعنونهم»**[٥].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢: ٤٣٣). والهيثمي في مجمع الزوائد (٨: ٤٨).
(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣: ٨٦). وأحمد في المسند (٣: ١٧٠).
(٣) رواه البخاري في الصحيح (١: ٣٨). وابن ماجه في السنن (٣٧٣٥). وأحمد في المسند (٢: ٢٤٨).
(٤) في الأصل: «ظن أنه».
(٥) رواه القاضي عِياض في كتاب الشفا (٢: ٤٧٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٥٢٠٠).

وأخرج البزار عن أبي رافع: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمّيتم محمداً فلا تضربوه ولا تحرموه»[١].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ولد له ثلاثة، فلم يسمّ أحدهم محمداً، فقد جهل»[٢].

وأخرج مثله من حديث واثلة.

وأخرج ابن أبي عاصم من طريق ابن أبي فديك، عن جهم بن عثمان، عن ابن حبيب، عن أبيه أن النبيّ ﷺ قال: «من تسمّى باسمي، يرجو بركتي غدت عليه البركة وراحت إلى يوم القيامة»[٣].

باب

اختصاصه ﷺ بجواز أن يقسم على الله به:

أخرج البخاري في تاريخه، والبيهقي في الدلائل والدعوات، وصححه أبو نعيم في المعرفة، عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضريراً أتى النبيّ ﷺ، فقال: ادع الله أن يعافيني، فقال: «إن شئت أخّرت ذلك، وهو خير لك، وإن شئت دعوت الله»، قال: فادعه، فأمره أن يتوضّأ فيحسن الوضوء، ويصلّي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهم إني أسألك، وأتوجّه إليك، بنبيّك محمد ﷺ، نبيّ الرحمة، يا محمدّ إني أتوجه بك إلى ربّي في حاجتي هذه، فيقضيها لي، اللّهمّ شفعه فيّ»[٤]، ففعل الرسول، فقام وقد أبصر.

وأخرج البيهقي وأبو نعيم في المعرفة، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان ابن حنيف، فشكى إليه ذلك، فقال له: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلّ ركعتين، ثم قل: اللّهمّ إني أسألك بنبيّك محمد ﷺ، نبيّ الرحمة، يا محمد إني أتوجّه بك إلى ربك، فيقضي لي حاجتي واذكر حاجتك، ثم رح حتى أروح، فانطلق الرجل وصنع ذلك، ثم أتى باب عثمان، فجاء البواب فأخذ بيده فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال له: جازاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتى كلمته، قال: ما كلمته

---

(١) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٤٥١٩٧). والعجلوني في كشف الخفا (١: ٩٤).

(٢) رواه ابن الجوزي في تذكرة الموضوعات (١: ١٥٥). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٣: ٨٩٠).

(٣) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٤٥٢٢١).

(٤) رواه أحمد في المسند (٤: ١٣٨). والحاكم في المستدرك (١: ٣١٣).

ولكني رأيت النبيّ ﷺ وجاءه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له: «أو تصبر»، قال: يا رسول الله ليس لي قائد وقد شقّ عليّ، فقال: «ائت الميضأة فتوضأ وصلّ ركعتين، ثم قل: **اللّهمّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد ﷺ نبيّ الرحمة يا محمد إني أتوجّه بك إلى ربّي، فيجلي لي عن بصري، اللّهمّ شفّعه فيّ وشفّعني في نفسي**»[1]، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا حتى دخل الرجل كأن لم يكن به ضرر.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ينبغي أن يكون هذا مقصوراً على النبيّ ﷺ، لأنه سيّد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خصّ به ﷺ تنبيهاً على علوّ درجته ومرتبته، انتهى.

باب

قال الماوردي في تفسيره: قال ابن أبي هريرة: كان ﷺ لا يجوز عليه الخطأ، ويجوز على غيره من الأنبياء لأنه خاتم النبيّين، فليس بعده من يستدرك خطأه بخلافهم، فلذلك عصمه الله منه. وقال الإمام الحق أنه لا يخطئ اجتهاده

باب

اختصاصه ﷺ بتفضيل بناته وزوجاته على سائر نساء العالمين، وأن ثواب زوجاته وعقابهن مضاعف: قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٠] الآيتين.

وأخرج الترمذي عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير نسائها مريم، وخير نسائها فاطمة**»[2].

وأخرج الحارث بن أبي أسامة عن عروة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مريم خير نساء عالمها، وفاطمة خير نساء عالمها**»[3].

وأخرج أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، إلاّ ما كان من مريم بنت عمران**».

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٩: ١٨). والسيوطي في دلائل النبوة (٦: ١٦٧).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١: ٤١٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠١). بمعناه.
(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١: ٤١٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠١). بمعناه.

وأخرج أبو نعيم عن عليّ، عن النبيّ ﷺ، أنه قال: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك»[(١)].

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فاطمة حصّنت فرجها فحرمها الله وذرّيتها على النار»[(٢)].

قال ابن حجر: ومما يستدلّ به على تفضيل بناته على أزواجه ما أخرجه أبو يعلى، عن ابن عمر: أن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «تزوج حفصة خير من عثمان، وتزوج عثمان خيراً من حفصة»[(٣)].

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة يؤتون أجرهم مرتين، أزواج رسول الله ﷺ»[(٤)] الحديث.

قال العلماء: الأجر مرتين في الآخرة، وقيل: أحدهما في الدنيا، والآخر في الآخرة. واختلف في مضاعفة العذاب، قيل: عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة، وغيرهن إذا عوقب في الدنيا لم يعاقب في الآخرة، لأن الحدود كفارات.

وقال مقاتل: حدّان في الدنيا، قال سعيد بن جبير: وكذا عذاب من قذفهن يضاعف في الدنيا، فيجلد مائة وستّين.

وفي الشفا للقاضي عياض، عن بعضهم: أن ذلك خاص بغير عائشة، وإن قاذفها يقتل، وقيل: يقتل من قذف واحدة من سائرهن.

قال صاحب التلخيص: قال تعالىٰ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، وعمل غيره إنما يحيط بالموت على الكفر، قال: وقال تعالىٰ فيه: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ [الإسراء: ٧٤] الآية.

باب

اختصاصه ﷺ بتفضيل أصحابه على جميع العالمين، سوى النبيّين:

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١١: ٤١٥). والهيثمي في مجمع الزوائد (٩: ٢٠١). بمعناه.
(٢) رواه المتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٢٣٨). وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (١: ٢٩٩).
(٣) رواه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢: ٤٤١). وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٥: ١٧١٤).
(٤) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٧٧).

أخرج ابن جرير في كتاب السنّة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيّين والمرسلين، واختار من أصحابي أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير، واختار أمّتي على سائر الأمم، واختار من أمّتي أربعة قرون، القرن الأول والثاني والثالث تترى، والقرن الرابع فرداً»**(١).

قال الجمهور: كل من الصحابة أفضل من كل من بعده، وإن رقي في العلم والعمل.

باب

اختصاصه ﷺ بتفضيل بلديه على سائر البلاد، وبأن الدجال والطاعون لا يدخلهما، وبفضل مسجده على سائر المساجد، وبأن البقعة التي دفن فيها أفضل من الكعبة، ومن العرش:

أخرج أحمد عن عبد الله بن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: **«صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة في غيره من المساجد إلاّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة»**(٢).

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عدي أن رسول الله ﷺ قال لمكة: **«والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله»**(٣).

وأخرج الحاكم أن رسول الله ﷺ قال: **«اللهمّ إنك أخرجتني من أحب البقاع إليّ، فأسكنّي في أحب البقاع إليك»**(٤).

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة، على كل نقب منهما ملك، لا يدخلهما الطاعون ولا الدجال»**(٥).

قال العلماء: محل الخلاف في التفضيل بين مكة والمدينة في غير قبره ﷺ، أما هو فأفضل البقاع بالإجماع، بل وأفضل من الكعبة، بل ذكر ابن عقيل الحنبلي أنه أفضل من العرش.

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤: ٢٦٠). والمتقي الهندي في كنز العمال (٤٣٤١٩).
(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠: ١٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٦٧٠٨).
(٣) رواه النسائي في السنن (٥: ٢١٣). وأحمد في المسند (٢: ١٦).
(٤) رواه الترمذي في السنن (٣٩٢٥). وابن ماجه في السنن (٣١٠٨).
(٥) رواه أحمد في المسند (١: ١٨٤). وابن حجر في فتح الباري (٤: ٩٥).

باب

اختصاصه ﷺ في شرعه بإحلال الغنائم، وجعل الأرض كلها مسجداً، والتراب طهوراً، وهو التيمّم، وبالوضوء في أحد القولين:

تقدّمت الثلاثة الأول في عدة من الأحاديث السابقة، وفي آثار تقدّمت في باب ذكره ﷺ في التوراة والإنجيل.

أخرج الطبراني عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: **«فضلت بأربع: جعلت لي الأرض مسجداً، وأحلّت لي الغنائم»**.

قال الحليمي: يستدلّ لأن الوضوء من خصائص هذه الأمّة بحديث الصحيحين: **«أن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء»**[(١)]، وردّ بأن الذي اختصّت به الغرّة والتحجيل لا أصل الوضوء، وفي الحديث: **«هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي»**[(٢)].

قال ابن حجر: والجواب أن هذا حديث ضعيف، وعلى تقدير ثبوته يحتمل أن يكون الوضوء من خصائص الأنبياء دون أممهم، إلاّ هذه الأمّة.

قال السيوطي: قلت: هذا الاحتمال قد ورد ما يؤيّده، فقد تقدّم في باب ذكره في التوراة والإنجيل في صفة أمّته ﷺ، يوضؤون أطرافهم، رواه أبو نعيم عن ابن مسعود مرفوعاً، والدارمي عن كعب الأحبار، والبيهقي عن وهب: **«افترضت عليهم أن يتطهّروا في كل صلاة، كما افترضت على الأنبياء»**.

ثم رأيت الطبراني أخرج في الأوسط بسند فيه ابن لهيعة، عن بريدة، قال: دعا رسول الله ﷺ بوضوء فتوضأ واحدة واحدة، فقال: **«هذا الوضوء الذي لا يقبل الله الصّلاة إلاّ به»**[(٣)].

ثم توضأ اثنتين، فقال: **«هذا وضوء الأمم قبلكم»** ـ ثم توضأ ثلاثاً ثلاثاً فقال ـ **«هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي»**، وفي هذا تصريح بكون الوضوء للأمم السابقة، ثم فيه خصوصية لنا عنهم وهو التثليث كما كان للأنبياء.

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٢: ٨٣).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (١: ٤٦).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١: ٨٠).

باب

اختصاصه ﷺ بمجموع الصلوات الخمس، ولم تجمع لأحد وبأنه أوّل من صلّى العشاء ولم يصلّها نبيّ قبله:

أخرج الطحاوي عن عبيد الله بن محمد بن عائشة، قال: إن آدم لما تيب عليه عند الفجر، صلّى ركعتين، فصارت الصبح، وفدى إسحاق عند الظهر، فصلّى إبراهيم أربعاً، فصارت الظهر، وبعث عزيز فقيل له: كم لبثت؟ قال: يوماً، فرأى الشمس فقال: أو بعض يوم، فصلّى أربع ركعات، فصارت العصر، وغفر لداود عند المغرب، فقام فصلّى أربع ركعات فجهد فجلس في الثالثة، فصارت المغرب ثلاثاً، وأوّل من صلّى العشاء الآخرة نبيّنا ﷺ.

وأخرج البخاري عن أبي موسى، قال: أعتم النبيّ ﷺ ليلة بالعشاء، حتى انهارّ الليل، ثم خرج فصلّى فلما قضى صلاته، قال لمن حضره: **«أبشروا، إن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلّي هذه الساعة غيركم»**، أو قال: **«ما صلّى هذه الساعة أحد غيركم»**.

وأخرج أحمد والنسائي، عن ابن مسعود، قال: أخّر رسول الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة، فقال: **«أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم»**.

وأخرج أبو داود وابن أبي شيبة في المصنف، والبيهقي في سننه، عن معاذ بن جبل، قال: أخّر رسول الله ﷺ صلاة العتمة ليلة حتى ظنّ الظانّ أن قد صلّى ثم خرج، فقال: **«أعتموا بهذه الصلاة، فإنكم فضّلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلها أمّة قبلكم»**.

باب

اختصاصه ﷺ بالجمعة والتأمين، واستقبال الكعبة، والصف في الصلاة كصفّ الملائكة، وتحية السلام:

أخرج مسلم عن حذيفة وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«أضلّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأوّلون يوم القيامة، المقضيّ لهم قبل الخلائق»**.

وأخرج ابن عساكر من طريق الربيع بن أنس، قال: ذكر لنا عن أصحاب النبيّ ﷺ، في

ما سمعوا من علماء بني إسرائيل، أن يحيى بن زكريا أرسل بخمس كلمات، وأنه من يعمل بهنّ حتى يموت، فإنه لا حساب عليه يوم القيامة، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، والصّلاة، والصدقة، والصيام، وذكر الله، وأن الله أعطى محمداً ﷺ هؤلاء الخمس، وزاد معه خمساً آخر: الجمعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد.

وأخرج أحمد والبيهقي في سننه، عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال: **«إنهم لا يحسدونا على شيء، كما حسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلّوا عنها، وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلّوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين»**.

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين»**.

وأخرج الطبراني في الأوسط، عن معاذ بن جبل أن النبيّ ﷺ قال: **«إن اليهود لم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: ردّ السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم في المكتوبة: آمين»**.

وأخرج الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت ثلاث خصال: أعطيت صلاة في الصفوف، وأعطيت السلام، وهو تحية أهل الجنّة، وأعطيت آمين ولم يعطها أحد ممن كان قبلكم، إلاّ أن يكون الله أعطاها هارون، فإن موسى كان يدعو ويؤمّن هارون»**.

وأخرج ابن أبي شيبة، والبيهقي، وأبو نعيم عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«فضلت على الناس بثلاث: جعلت الأرض كلها لنا مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهوراً، وجعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وأوتيت هؤلاء الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعط منه أحد قبلي ولا يعطى منه أحد بعدي»**.

باب

اختصاصه ﷺ بالأذان والإقامة: أخرج سعيد بن منصور عن أبي عمير بن أنس، قال: أخبرني عمومة لي من الأنصار، قالوا: أهتمّ النبيّ ﷺ بالصلاة، كيف يجمع الناس لها، فقيل له: أنصب راية عند حضور الصلاة، فلم يعجبه ذلك، فذكر له القمع، فلم يعجبه ذلك، وقال: **«هو من أمر اليهود»**، فذكر له الناقوس فلم يعجبه ذلك، وقال: **«هو من أمر النصارى»**، فانصرف عبد الله بن زيد، وهو مهتمّ فأري الأذان في منامه.

باب

اختصاصه ﷺ بالركوع في الصلاة، وبالجماعة فيها: ذكر جماعة من المفسّرين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، أن مشروعية الركوع في الصلاة خاص بهذه الملّة، وأنه لا ركوع في صلاة بني إسرائيل، ولذا أمرهم بالركوع مع أمّة محمد ﷺ. قال السيوطي: قلت: وقد يستدلّ له بما أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، عن عليّ قال: أوّل صلاة ركعنا فيها العصر، فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «**بهذا أمرت**»، ووجه الاستدلال أنه صلّى قبل ذلك صلاة الظهر، وصلّى قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل وغير ذلك، فكون الصلاة السابقة بلا ركوع قرينة لخلوّ صلاة الأمم السابقة منه. وذكر ابن فرشتة في شرح المجمع، في قوله ﷺ: «**من صلّى صلاتنا واستقبل القبلة فهو منّا**»، أراد بقوله: صلاتنا، الصلاة بالجماعة، لأن الصلاة منفرداً موجودة فيمن قبلنا.

باب

اختصاصه ﷺ بقوله: «**اللّهمّ ربنا لك الحمد**»: أخرج البيهقي في سننه عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لم يحسدنا اليهود بشيء حسدنا بثلاث: التسليم، والتأمين، واللّهمّ ربّنا لك الحمد**»[1].

باب

اختصاصه ﷺ بالصلاة في النعلين: أخرج سعيد بن منصور عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلّوا في نعالكم، ولا تشبّهوا باليهود**».

وأخرجه أبو داود والبيهقي في سننه، بلفظ: «**خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلّون في خفافهم، ولا في نعالهم**».

باب

اختصاصه ﷺ بكراهة الصلاة في المحراب: وقد كان لمن قبلنا، كما قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ [آل عمران:٣٩].

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد (١ : ٢٣١).

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف، عن موسى الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال أمّتي بخير ما لم يتخذوا في مساجدهم مذابح، كمذابح النصارى»**.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبيد بن أبي الجعد، قال: كان أصحاب محمد ﷺ، يقولون: إن من أشراط الساعة أن تتخذ المذابح في المساجد، يعني الطاقات.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن ابن مسعود، قال: **«اتقوا هذه المحاريب»**. وأخرج ابن أبي شيبة، عن أبي ذرّ، قال: إن من أشراط الساعة أن تتّخذ المذابح في المساجد.

وأخرج ابن أبي شيبة عن عليّ أنه كره الصلاة في الطاق. وأخرج مثله عن الحسن، وإبراهيم النخعي، وسالم بن أبي الجعد، وأبي خالد الوالدي.

وأخرج الطبراني والبيهقي في سننه، عن ابن عمر مرفوعاً: **«اتقوا هذه المذابح»**، يعني المحاريب.

باب

اختصاصه ﷺ بالحوقلة[1] والاسترجاع[2] عند المصيبة، وافتتاح الصلاة بالتكبير: تقدّم حديث الحوقلة في باب شرح الصدر، ورفع الذكر.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أعطيت أمتي شيئاً لم يعطه أحد من الأمم، أن يقولوا عند المصيبة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون»**.

وأخرج عبد الرزاق وابن جرير في تفسيرهما، عن سعيد بن جبير، قال: **«لم يعط أحد الاسترجاع غير هذه الأمّة، ألا تسمعون إلى قول يعقوب: يا أسفا على يوسف»**.

وأخرج عبد الرزاق في المصنف، عن أبي العالية أنه سئل: بأيّ شيء كان الأنبياء يستفتحون الصلاة؟ قال: بالتوحيد، والتسبيح، والتهليل.

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمّته يغفر لهم الذنوب بالاستغفار، وبأن النوم لهم توبة، ويأكلون صدقاتهم في بطونهم ويثابون عليها، يعجل لهم الثواب في الدنيا مع ادّخاره في الآخرة، وما دعوا به استجيب لهم.

---

(١) الحوقلة: لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

(٢) الاسترجاع: إن الله وإن إليه راجعون.

أخرج الفريابي عن كعب، قال: «**أعطيت هذه الأمة ثلاث خصال لم يعطها إلاّ الأنبياء: كان النبي يقال له بلّغ ولا حرج، وأنت شهيد على قومك وادع أجبك**»، وقال لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقال: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، وقال: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وأخرج النسائي والحاكم والبيهقي وأبو نعيم، عن أبي هريرة في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص:٤٦]، قال: نودوا يا أمة محمد أستجيب لكم، قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني.

وأخرج أبو نعيم عن عمرو بن عبسة قال: سألت النبيّ ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [غافر:٤٦]، ما كان النداء؟ وما كانت الرحمة؟ قال: كتاب كتبه الله قبل أن يخلق خلقه بألفي عام، ثم نادى: يا أمة محمد سبقت رحمتي غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إلٰه إلاّ الله، وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنّة.

وأخرج أحمد والحاكم عن ابن مسعود مرفوعاً: «**الندم توبة**»، قال بعضهم: كون الندم توبة من خصائص هذه الأمة.

باب

اختصاصه ﷺ بساعة الإجابة، وبليلة القدر، وبشهر رمضان، وبالخصال الخمس فيه، وبعيد الأضحى، وبالنحر، وكان لأهل الكتاب الذبح وباللحد، وكان لأهل الكتاب الشق، وبالسحور وبتعجيل الفطر، وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلاً إلى الفجر، وبيوم عرفة في ما ذكره القونوي في شرح التعرف، وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين: قال النووي في شرح المهذب: ليلة القدر مختصّة بهذه الأمة، زادها الله شرفاً، لم تكن لمن كان قبلنا، قال مالك في الموطأ: بلغني أن رسول الله ﷺ أري أعمار الناس قبله، أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمّته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله ليلة القدر خيراً من ألف شهر، له شواهد بيّنتها في التفسير المسند.

وأخرج الديلمي عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله وهب لأمتي ليلة القدر، لم يعطها من كان قبلكم**».

وأخرج ابن جرير عن عطاء في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا

كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ [البقرة:١٨٣ -١٨٤]، قال: «كتب عليهم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وكان هذا صيام الناس قبل ذلك، ثم فرض الله شهر رمضان».

وأخرج ابن جرير عن السدي، في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة:١٨٣]، قال: الذين من قبلنا هم النصارى كتب عليهم رمضان، وكتب عليهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا بعد النوم، ولا ينكحوا النساء شهر رمضان، فاشتدّ على النصارى صيام رمضان، فاجتمعوا فجعلوا صياماً في الفصل بين الشتاء والصيف، وقالوا: نزيد عشرين يوماً نكفّر بها ما صنعنا، فلم يزل المسلمون يصنعون كما تصنع النصارى، حتى كان من أمر أبي قيس بن صرمة، وعمر بن الخطاب ما كان، فأحلّ الله له الأكل والشرب والجماع، إلى طلوع الفجر.

وأخرج الأصبهاني في الترغيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت أمتي في رمضان خمس خصال لم يعطهن أمة كانت قبلهم: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من رائحة المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفّد مردة الشياطين، فلا يصلون فيه إلى ما كانوا يصلون إليه، ويزيّن الله جنّته في كل يوم، فيقول: يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصيروا إليك، ويغفر لهم في آخر ليلة من رمضان»، فقالوا: يا رسول الله هي ليلة القدر؟ قال: «لا، ولكن العامل إنما يوفى أجره عند انقضاء أجله».

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «أمرت بعيد الأضحى جعله الله لهذه الأمة».

وأخرج مسلم عن عمرو بن العاص، عن النبيّ ﷺ، قال: «فضل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر».

وأخرج أبو داود، وابن ماجه، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر، إن اليهود والنصارى يؤخرون».

وأخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر في تفسيرهما، عن مجاهد وعكرمة، قال: كان لبني إسرائيل الذبح، وأنتم لكم النحر، ثم قرأ: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ [البقرة:٧١]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ [الكوثر:٢].

وأخرج الأربعة، عن ابن عباس، أن النبيّ ﷺ قال: «اللّحد لنا والشق لغيرنا».

وأخرج أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي، أن النبيّ ﷺ قال: «اللّحد لنا والشقّ لأهل الكتاب».

وأخرج مسلم عن أبي قتادة، أن النبيّ ﷺ سئل عن صوم يوم عاشوراء، فقال: «**يكفّر السنة الماضية**»، وسئل عن صوم يوم عرفة، فقال: «**يكفّر السنة الماضية والباقية**».

قال العلماء: إنما كان كذلك لأن يوم عرفة سنّة النبيّ ﷺ، ويوم عاشوراء سنّة موسى، فجعل سنّة نبيّنا تتضاعف على سنة موسى في الأجر، ويقرب من ذلك ما أخرجه الحاكم عن سلمان، قال: قلت: يا رسول الله، قرأت في التوراة بركة الطعام الوضوء قبله، فقال ﷺ: «**بركة الطعام الوضوء قبله وبعده**».

وقد روى الحاكم في تاريخ نيسابور، عن عائشة مرفوعاً: «**الوضوء قبل الطعام حسنة، وبعده حسنتان**».

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم الكلام في الصلاة، وإباحة الكلام في الصوم، على العكس مما كان لمن قبلنا: أخرج سعيد بن منصور في سننه، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة والناس يتكلّمون في الصّلاة في حوائجهم، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، قال: كل أهل دين يقومون فيه، يعني يتكلّمون، فقوموا أنتم لله مطيعين. وقال ابن العربي في شرح الترمذي: كان من قبلنا من الأمم صومهم الإمساك عن الكلام مع الطعام والشراب، فكانوا في حرج، فأرخص الله لهذه الأمة بحذف نصف زمانها وهو اللّيل، وحذف نصف صومها وهو الإمساك عن الكلام، ورخّص لها فيه.

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمته خير الأمم، وآخر الأمم، ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا، وأنهم ميسّرون لحفظ كتابهم في صدورهم، وأنهم اشتق لهم اسمان من أسماء الله تعالىٰ، المسلمون والمؤمنون، وسمّي دينهم الإسلام، ولم يوصف بهذا الوصف إلاّ الأنبياء دون أممهم:

قال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر:١٧]، وقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج:٧٨]، وفي هذا أخرج أحمد

والترمذي، وحسّنه وابن ماجه والحاكم، عن معاوية بن حيدة، أنه سمع النبيّ ﷺ يقول في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، قال: «إنكم تتمون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله».

وأخرج ابن أبي حاتم، عن أبي بن كعب، قال: «لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة»، فمن ثم قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأخرج ابن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في المصنف، عن مكحول قال: كان لعمر على رجل من اليهود حق، فأتاه يطلبه، فقال: لا والذي اصطفى محمداً على البشر لا أفارقك، فقال اليهودي: والله ما اصطفى الله محمداً على البشر، فلطمه عمر، فأتى اليهودي النبيّ ﷺ فأخبره، فقال: «أما أنت يا عمر، فأرضه من لطمته، بل يا يهودي آدم صفي الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى نجيّ الله، وعيسى روح الله، وأنا حبيب الله، بل يا يهودي، تسمّى الله اسمين، سمّى بهما أمتي هو السلام وسمّى أمتي المسلمين، وهو المؤمن، وسمى أمتي المؤمنين، بل يا يهودي ضلّيتم يوماً ذخر لنا اليوم، ولكم غد وبعد غد للنصارى، بل يا يهودي، أنتم الأوّلون ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بل يا يهودي إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها، وهي محرمة على الأمم حتى تدخلها أمّتي».

باب

اختصاص ﷺ بالعذبة في العمامة، والاتزار في الأوساط، وكلاهما سيما الملائكة:
أخرج الديلمي من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتزروا كما رأيت الملائكة تأتزر عند ربها إلى أنصاف سوقها».

وأخرج الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالعمائم وارخوها خلف ظهوركم، فإنها سيما الملائكة».

وأخرج ابن عساكر عن عائشة، قالت: عمّم رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن بن عوف، وترك من عمامته مثل ورق العشرا، ثم قال: «رأيت أكثر الملائكة معتمّين».

وذكر ابن تيمية أن أصل العذبة أنه ﷺ لما رأى ربّه واضعاً يده بين كتفيه، أكرم ذلك الموضع بالعذبة، لكن قال العراقي: لم نجد لذلك أصلاً.

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمّته وضع الله عنهم الإصر الذي كان الأمم قبلهم، وأحلّ لهم كثيراً

مما شدّد على من قبلهم، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، ورفع على عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس، وأن من همّ منهم بسيئة لم تكتب سيئة بل تكتب حسنة، ومن هم بحسنة كتبت حسنة، فإن عملها كتبت عشراً، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وقرض موضع النجاسة، وربع المال في الزكاة، وما دعوا به استجيب لهم، وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية ونكاح أربع، ورخص لهم في نكاح غير ملّتهم، وفي نكاح الأمة وفي مخالطة الحائض سوى الوطء، وفي إتيان المرء على أي شقّ شاؤوا، وحرّم عليهم كشف العورة، والتصوير، وشرب المسكر:

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره، عن ابن سيرين، قال: قال أبو هريرة لابن عباس: إن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨]، أما علينا من حرج أن نزني أو نسرق؟ قال: بلى، ولكن الإصر الذي على بني إسرائيل وضع عنكم.

وأخرج الفريابي في تفسيره، عن محمد بن كعب، قال: «ما بعث الله من نبي ولا أرسل من رسول أنزل عليهم الكتاب إلا أنزل الله عليه هذه الآية» ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] الآية، فكانت الأمم تأبى على أنبيائها ورسلها، ويقولون: نؤاخذ بما نحدث به أنفسنا، ولم تعمله جوارحنا، فيكفرون ويضلّون، فلما نزلت على النبيّ ﷺ اشتدّ على المسلمين ما اشتدّ على الأمم قبلهم، فقالوا: يا رسول الله، أنؤاخذ بما نحدث به أنفسنا، ولم تعمله جوارحنا؟ قال: «نعم، فاسمعوا وأطيعوا واطلبوا إلى ربكم»، فذلك قوله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥] الآية، فوضع الله عنهم حديث النفس، إلاّ ما عملت الجوارح ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦] من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة:٢٨٦] من شر.

وأخرج مسلم والترمذي عن ابن عباس، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، فدخل في قلوبهم منه شيء لم يدخل من شيء قبله، فقالوا للنبيّ ﷺ، فقال: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا»، فألقى الله الإيمان في قلوبهم، فأنزل الله: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾ [البقرة:٢٨٥] إلى آخر السورة.

وأخرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تتكلّم أو تعمل به».

وأخرج أحمد، وابن حبان، والحاكم، وابن ماجه، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه».

وأخرجه ابن ماجه عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه».

وأخرج أحمد وأبو بكر والشافعي في الغيلانيات، وأبو نعيم وابن عساكر، عن حذيفة بن اليمان، قال: سجد رسول الله ﷺ فلم يرفع رأسه حتى ظننا أن نفسه قد قبضت، فلما رفع قال: «إن ربي استشارني في أمتي ماذا يفعل بهم، فقلت: ما شئت يا رب خلقك وعبادك، فاستشارني الثانية، فقلت له ذلك، فاستشارني الثالثة، فقلت له ذلك، فقال: إني لن أخزيك في أمتك، وبشّرني أن أول من يدخل الجنّة معي من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ثم أرسل إليّ: ادع تجب، وسل تعط، وأعطاني أن غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأنا أمشي حياً صحيحاً، وشرح لي صدري، وأنه أعطاني أن لا تخزى أمتي، ولا تغلب، وأنه أعطاني الكوثر، نهراً في الجنة يسيل في حوضي، وأنه أعطاني القوة والنصر بالرعب يسعى بين يدي شهراً، وأنه أعطاني أني أول الأنبياء دخولاً الجنّة، وطيب لأمتي الغنيمة، وأحلّ لنا كثيراً مما شدّد على من قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، فلم أجد شكراً إلاّ هذه السجدة».

وأخرج ابن المنذر في تفسيره، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود، أنه ذكر عند النبيّ ﷺ بنو إسرائيل وما فضّلهم الله به، فقال: «كان بنو إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً أصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه، وجعلت كفارة ذنوبكم قولاً تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم، والذي نفسي بيده لقد أعطانا الله آية لهي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها» ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية.

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية، قال: قال رجل: يا رسول الله لو كانت كفارتنا ككفارات بني إسرائيل؟ فقال النبيّ ﷺ: «ما أعطاكم الله خير، كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزياً في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزياً في الآخرة، وقد أعطاكم الله خيراً من ذلك، قال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾ [النساء: ١١٠] الآية، والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن».

وأخرج ابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب، في قصة الذين عبدوا العجل، قال: قالوا لموسى: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضاً، فأخذوا السكاكين، فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وأمّه لا يبالي من قتل.

وأخرج ابن ماجه عن عبد الرحمٰن بن حسنة، أن النبيّ ﷺ قال: «**كان بنو إسرائيل إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض، فنهاهم رجل منهم فعذّب في قبره**».

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي موسى أن النبيّ ﷺ قال: «**إن بني إسرائيل كان إذا أصاب أحدهم البول قرضه بالمقراض**».

أخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن عائشة، قالت: دخلت عليَّ امرأة من اليهود، فقالت: إن عذاب القبر من البول، قلت: كذبت، قالت: بلى، إنه ليقرض منه الجلد والثوب، فقال النبيّ ﷺ: «**صدقت**».

وأخرج أحمد، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، عن أنس: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبيّ ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾[البقرة:٢٢٢] الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**اصنعوا كل شيء إلاّ النكاح**»، فقال اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلاّ خالفنا فيه. وفي كتب التفسير: كانت النصارى يجامعون الحيض، ولا يبالون بالحيض، وكانت اليهود يعتزلونهن في كل شيء، فأمر الله بالقصد بين الأمرين.

وأخرج أبو داود والحاكم عن ابن عباس، قال: كان أهل الكتاب لا يأتون النساء إلاّ على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة، وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، كانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العالم، فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] مقبلات مدبرات ومستلقيات.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف عن مرّة الهمذاني، قال: كان اليهود يكرهون الإيراك، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣] الآية، فرخص الله للمسلمين أن يأتوا النساء في الفروج كيف شاؤوا، وأنّى شاؤوا من بين أيديهن ومن خلفهن.

وأخرج أبو نعيم في المعرفة عن أنس أن النبيّ ﷺ قال لعثمان بن مظعون: «**إنها لم تكتب علينا الرهبانية، وإن رهبانية أمّتي الجلوس في المساجد، وانتظار الصلوات والحجّ والعمرة**».

وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أنس: أن النبيّ ﷺ قال: «**لكل نبي رهبانية، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله**».

وأخرج أبو داود، عن أبي أمامة أن رجلاً قال: يا رسول الله ائذن لي في السياحة، فقال: **«سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله»**.

وأخرج ابن المبارك عن عمارة بن عربة أن السياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ، فقال: **«أبدلنا الله بذلك الجهاد في سبيل الله، والتكبير على كل شرف»**.

وأخرج ابن جرير، عن عائشة، قالت: سياحة هذه الأمة الصيام.

وأخرج البخاري عن ابن عباس، قال: **«كان في بني إسرائيل القصاص، ولم يكن فيهم الدية»**، فقال الله لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة:١٧٨]، فالعفو أن يقبل الدية في العمد ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٧٨] مما كتب على من كان قبلكم.

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس، قال: **«كان على بني إسرائيل القصاص، ليس بينهم دية في نفس ولا جرح»**، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥] الآية، وخفّف الله عن أمّة محمد فقبل منهم الدية في النفس، وفي الجراحة، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٧٨].

وأخرج ابن جرير عن قتادة، قال: **«كان على أهل التوراة إنما هو القصاص والعفو، ليس بينهما أرش، وكان على أهل الإنجيل إنما هو عفو أمروا به، وجعل الله لهذه الأم القتل والعفو والدية، إن شاؤوا أحلّها لهم، ولم تكن لأمة قبلهم»**.

وقال ابن أبي شيبة في المصنف: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن الليث، عن مجاهد أنه وسع به على هذه الأمة نكاح الأمة النصرانية.

وأخرج البيهقي عن وهب بن منبه، قال: إن الله لما قرب موسى نجيّاً، قال: ربِّ، إني أجد في التوراة أمة خير أمّة أخرجت لناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، فاجعلهم أمتي، قال: **«تلك أمة أحمد»**، قال: رب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤونها، وكان من قبلهم يقرؤون كتبهم نظراً ولا يحفظونها، فاجعلهم أمتي، قال: **«تلك أمة أحمد»**، قال: رب إني أجد في التوراة أمة يؤمنون بالكتاب الأوّل والآخر، يقاتلون رؤوس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي، قال: **«تلك أمة أحمد»**، قال: رب، إني أجد في التوراة أمة يأكلون صدقاتهم في بطونهم، وكان من قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً، فأكلتها، قال: فإن لم تقبل لم تأكلهاالنار، فاجعلهم أمتي! قال: **«تلك أمة أحمد»**، قال: رب، إني أجد في التوراة أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها

كتبت عليه سيئة واحدة، وإذا همّ أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، فاجعلهم أمتي! قال: «تلك أمة أحمد»، قال: ربّ، إني أجد في التوراة أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي! قال: «تلك أمة أحمد».

قال: وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبيّ عليه السلام وما أوحى الله إليه في الزبور: «يا داود، إنه سيأتي من بعدك نبي اسمه أحمد ومحمد، صادق لا أغضب عليه أبداً، ولا يعصيني أبداً، وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما أخّر، وأمّته مرحومة، أعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتي يوم القيامة، ونورهم مثل نور الأنبياء، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهّروا لي لكل صلاة، كما افترضت على الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالغسل من الجنابة، كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتم بالحج كما أمرت الأنبياء قبلهم، وأمرتهم بالجهاد كما أمرت الرسل قبلهم، يا داود، إني فضلت محمداً وأمّته على الأمم كلّهم، أعطيتهم ست خصال لم أعطها غيرهم من الأمم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان، وكل ذنب ركبوه على غير عمد، إذا استغفروني منه غفرته، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيبت به أنفسهم عجلّته لهم أضعافاً مضاعفة، ولهم عندي أضعاف مضاعفة وأفضل من ذلك، وأعطيتهم على المصائب في البلايا إذا صبروا وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، الصلاة والرحمة والهدى إلى جنات النعيم، وإن دعوتي استجيبت لهم فإمّا أن يروه عاجلاً، وإمّا أن أصرف عنهم سوا، وإما أن أذخره لهم في الآخرة».

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمته لا تهلك بجوع، ولا تجتمع على ضلالة، ونشأ من ذلك أن إجماعهم حجة، وبأن اختلافهم رحمة، وكان اختلاف من قبلهم عذاباً:

أخرج مسلم عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وأن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم فأعطاني»[1].

وأخرج ابن أبي شيبة عن سعد أن النبيّ ﷺ قال: «سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فردت عليّ».

---

(١) رواه ابن ماجه في السنن (٣٩٥٢). والزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٢١٠).

وأخرج الدارمي وابن عساكر، عن عمرو بن قيس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أدرك بي الأجل المرحوم، واختارني اختياراً، فنحن الآخرون السابقون يوم القيامة، وإني قائل قولاً غير فخر، إبراهيم خليل الله، وموسى صفي الله، وأنا حبيب الله، ومعي لواء الحمد يوم القيامة، وأن الله وعدني في أمتي وأجارهم من ثلاث: لا يعمّهم بسنة، ولا يستأصلهم عدو، ولا يجمعهم على ضلالة»[(١)].

وأخرج أحمد والطبراني عن أبي نصرة الغفاري، عن رسول الله ﷺ قال: «سألت الله أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بالسنين كما أهلك الأمم قبلهم فأعطانيها، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض، فمنعنيها».

وأخرج الحاكم عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً».

وأخرج الحاكم عن ابن عباس، أن النبيّ ﷺ قال: «لا يجمع الله أمتي على الضلالة أبداً».

وأخرج الشيخ نصر المقدسي في كتاب الحجة: أن رسول الله ﷺ قال: «اختلاف أمتي رحمة».

وأخرج الخطيب في رواة مالك، عن إسماعيل بن أبي المجالد، قال: قال هارون الرشيد لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله نكتب هذه الكتب ونفرقها في آفاق الإسلام لنحمل عليها الأمة، قال: يا أمير المؤمنين «إن اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الأمة، كل يتبع ما صح عنده، وكل على هدى، وكل يريد الله».

باب

وأخرج أبو يعلى عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الأمم السابقة المائة منهم إذا شهدوا لعبد بخير وجبت له الجنّة، وإن أمتي الخمسون منهم أمّة فإذا شهدوا لعبد بخير، وجبت له الجنّة».

---

(١) رواه الدارمي في السنن (١: ٢٩). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٢٠٨٠). والسيوطي في جمع الجوامع (٤٦٤١).

وأخرج البخاري والترمذي والنسائي، عن عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أيما مسلم شهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة»**، قلنا: وثلاثة؟ قال: **«وثلاثة»**، قلنا: واثنان؟ قال: **«واثنان»**، ثم لم نسأله عن الواحد.

باب

اختصاصه ﷺ بأن الطاعون لأمته رحمة وشهادة، وكان عذاباً على من قبلها: أخرج الشيخان عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل، أو على من كان قبلكم»**.

وأخرج البخاري عن عائشة: سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرني: **«أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء، وأن الله جعله رحمة للمؤمنين، ليس من أحد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلاّ ما كتب الله له، إلاّ كان له مثل أجر شهيد»**.

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمته لا تزال على الحق، وبأن فيهم أقطاباً وأوتاداً ونجباً وأبدالاً، وبأن منهم من يصلي بعيسى ابن مريم، وبأن منهم من يجري مجرى الملائكة في الاستغناء عن الطعام بالتسبيح، ويقاتلون الدجال:

أخرج الشيخان عن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، حتى يأتي أمر الله»**[1].

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن ابن عمر، عن النبيّ ﷺ قال: **«لكل قرن من أمتي سابقون»**.

وأخرج عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم، ولله في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى، ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم، ولله في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل، بهم يحيي، ويميت، ويمطر، وينبت، ويدفع البلاء»**.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٩: ١٢٥). ومسلم في الصحيح (الإمارة: ٥٣). وأبو داود في السنن (الفتن: ١). والترمذي في السنن (٢٢٢٩). وابن ماجه في السنن (٦). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٥٠١).

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس، قال: قال النبيّ ﷺ: «لا تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمٰن، فيهم تسقون، وبهم تنصرون، ما مات منهم أحد إلاّ أبدل الله مكانه آخر».

وأخرج أحمد في مسنده عن عبادة بن الصامت، عن النبيّ ﷺ قال: «الأبدال في هذه الأمة ثلاثون، مثل إبراهيم خليل الرحمٰن، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً»، قال أبو الزناد: لما ذهبت النبوّة، وكانوا أوتاد الأرض، أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمّة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال، لا يموت الرجل حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه، وهم أوتاد الأرض. قال السيوطي: وقد بسطت الكلام على ذلك في تأليف مستقل.

وأخرج أبو يعلى عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم، فيقول إمامهم: تقدم، فيقول: أنت أحق بعضكم أمراء على بعض أمر أكرم الله به هذه الأمة»، الحديث أخرجه مسلم بنحوه وفيه فيقول أميرهم: تعال صلّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء يكرم الله هذه الأمة.

وأخرج البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم».

وأخرج أحمد بسند صحيح عن عائشة، أن رسول الله ﷺ ذكر جهداً يكون بين يدي الدجال، فقالوا: أي المال خير يومئذٍ؟ قال: «غلام شديد يسقي أهله الماء، وأمّا الطعام فليس»، قالوا: فما طعام المؤمنين يومئذ؟ قال: «التسبيح والتكبير والتهليل».

وأخرج أحمد من حديث أسماء بنت يزيد نحوه، وفيه يجزيهم ما يجزي أهل السماء من التسبيح والتقديس.

وأخرج الطبراني من حديث أسماء بنت عميس نحوه، وفيه: أن الله يعصم المؤمنين بما عصم به الملائكة من التسبيح. وأخرج الحاكم حديث ابن عمر نحوه.

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمته نوديت في القرآن: يا أيها الذين آمنوا، ونوديت سائر الأمم في كتبهم: يا أيها المساكين، وتسمع الملائكة في السماء آذانه وتبليتهم، وهم الحمّادون لله على كل حال، ويكبرون الله على كل شرف، ويسبّحون عند كل هبوط، ويقولون عند إرادة الأمر افعله إن شاء الله، وإذا غضبوا هلّلوا، وإذا تنازعوا سبّحوا، ومصاحفهم في صدورهم،

وسابقهم سابق، ومقتصدهم ناج، وظالمهم مغفور له، وليس منهم أحد إلاّ مرحوماً، ويلبسون ألوان ثياب أهل الجنّة، ويراعون الشمس للصلاة، وهم أمة وسط عدول بتزكية الله، وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا، وافترض عليهم ما افترض على الأنبياء والرسل، وهو الوضوء والغسل من الجنابة والحج والجهاد، وأعطوا من النوافل ما أعطي الأنبياء:

وأخرج ابن أبي حاتم عن خيثمة، قال: «**ما تقرؤون في القرآن يا أيها الذين آمنوا، فإنه في التوراة يا أيها المساكين**».

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢]، قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم مغفور له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنّة بغير حساب.

وأخرج سعيد بن منصور عن عمر بن الخطاب: أنه كان إذا نزل بهذه الآية، قال: «**إلا أن سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له**». وأخرجه ابن لال عن عمر مرفوعاً.

باب

قال الشيخ عز الدين: ومن خصائصه ﷺ أن أمّته أقل عملاً من الأمم السابقة، وأكثر أجراً.

وأخرج الشيخان عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما بقاؤكم فيمن كان قبلكم من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أوتي أهل التوراة التوراة، فعملوا بها حتى إذا انتصف النهار، عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتي أهل الإنجيل الإنجيل، فعملوا إلى صلاة العصر، ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس، فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربنا، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن كنّا أكثر عملاً، قال الله: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضلي أوْتيه من أشاء**»[1].

باب

قال الإمام فخر الدين الرازي: من كان معجزته من الأنبياء أظهر يكون ثواب قومه أقلّ،

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١: ١٤٦). والبيهقي في السنن الكبرى (٦: ١١٨). وابن حجر في فتح الباري (٢: ٣٨). والمتقي الهندي في كنز العمال (٣٤٥٤٧).

قال السبكي: يعني بالنسبة إلى التصديق لوضوحه وظهور أسبابه، وقلّة التعب والفكر فيه، قال: إلاّ هذه الأمة، فإن معجزات نبيّنا ﷺ أظهر، وثوابنا أكثر من سائر الأمم.

باب

ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالىٰ قال في حق قوم موسى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقال في حق أمّته: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمّته أوتيت العلم الأول والعلم الآخر، وفتح عليها خزائن العلم، وأوتيت الإسناد والأنساب والإعراب، وتصنيف الكتب، وعلماؤها كأنبياء بني إسرائيل:

تقدم حديث: «**إني أجد الألواح أمة يؤتون العلم الأوّل، والعلم الآخر**» في باب ذكره في التوراة والإنجيل.

وأخرج أبو زرعة في تاريخه عن شفي بن مانع الأصبحي، قال: «**يفتح على هذه الأمة كل شيء حتى يفتح عليهم خزائن**» الحديث.

وقال ابن حزم: نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبيّ ﷺ مع الاتصال، خص الله به المسلمين دون سائر الملل. وقال النووي في التقريب: الإسناد خصيصة لهذه الأمّة. وقال أبو علي الجياني: خصّ الله هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها قطّ في الأمم، من انتهى إلى حد هذه الأمة من التصرف في التصنيف والتحقيق، ولا جاراها في التفريع والتدقيق.

باب

اختصاصه ﷺ بأنه أوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأوّل من يفيق من الصعقة، وبأنه يحشر في سبعين ألفاً، ويحشر على البراق، ويؤذن باسمه في الموقف، وبأنه يكسى في الموقف حلّتين أعظم الحلل من الجنّة، وبمقامه عن يمين العرش:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من تنشق عنه الأرض، وأوّل شافع، وأول مشفّع**».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الناس يصعقون فأكون أوّل من يفيق**».

وأخرج ابن المبارك وابن أبي الدنيا، عن كعب، قال: ما من فجر يطلع إلاّ هبط سبعون ألف ملك يضربون قبر النبيّ ﷺ بأجنحتهم ويحفّون به، ويستغفرون له، ويصلّون عليه، حتى يمسوا فإذا أمسوا عرجوا، وهبط سبعون ألف ملك، كذلك حتى يصبحوا إلى أن تقوم الساعة، فإذا كان يوم القيامة خرج النبيّ ﷺ في سبعين ألف ملك.

وأخرج الطبراني والحاكم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يحشر الأنبياء على الدواب، وأبعث على البراق، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنّة، فينادى بالأذان محضاً، وبالشهادة حقاً، حتى إذا قال أشهد أن محمداً رسول الله، شهد له المؤمنون من الأوّلين والآخرين، فقبلت ممن قبلت، وردّت على من ردّت»**.

وأخرج ابن زنجويه في فضائل الأعمال عن كثير بن مرة الحضرمي، قال: قال رسول الله ﷺ: **«تبعث ناقة ثمود لصالح، فيركبها من عند قبره، حتى توافي به المحشر»**، قال معاذ: وأنت تركب العضباء يا رسول الله؟ قال: **«تركبها ابنتي، وأنا على البراق»**.

واختصت به من دون الأنبياء يومئذ، ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنّة ينادي على ظهرها بالآذان، فإذا سمعت الأنبياء وأممهم أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، قالوا: ونحن نشهد على ذلك. وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة أعطى حلّة من حلل الجنّة، ثم أقوم عن يمين العرش، ليس لأحد من الخلائق أن يقوم ذلك المقام غيري»**.

وأخرج أبو نعيم عن ابن مسعود، أن النبيّ ﷺ قال: **«أوّل من يكسى إبراهيم ثم يقعد مستقبل العرش، ثم أوتى بكسوتي فألبسها، فأقوم عن يمينه مقاماً لا يقومه أحد غيري، يغبطني فيه الأوّلون والآخرون»**.

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أول من يكسى إبراهيم حلّة من الجنّة، ثم يؤتى بي فأكسى حلّة من الجنّة، لا يقوم لها البشر»**.

وأخرج أبو نعيم عن أم كرز، قالت: سمعت النبيّ ﷺ يقول: **«أنا سيد المؤمنين إذا بعثوا، وسابقهم إذا وردوا، ومبشرهم إذا يئسوا، وإمامهم إذا سجدوا، وأقربهم مجلساً من الربّ تعالىٰ إذا اجتمعوا، فأقوم فأتكلم فيصدقني، وأشفع فيشفعني، وأسأل فيعطيني»**.

وأخرج الدارمي والترمذي وأبو يعلى والبيهقي وأبو نعيم، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أوّل الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا قائدهم إذا وفدوا، وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وأنا شافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الكرم بيدي، ومفاتيح الجنة**

بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر، يطوف عليّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون».

باب

اختصاصه ﷺ بالمقام المحمود، وبأن له لواء الحمد، وبأن آدم فمن دونه تحت لوائه، وبأنه إمام النبيّين يومئذ وخطيبهم وقائدهم، وبأنه أول شافع، وأول مشفع، وأول من ينظر إليه، وأول من يؤذن له بالسجود، وأول من يرفع رأسه، ولا يطلب منه شهيد على التبليغ، ويطلب من سائر الأنبياء، وبالشفاعة العظمى في فصل القضاء، وبالشفاعة في إدخال قوم الجنّة بغير حساب، وبالشفاعة في من استحق النار من الموحدين أن لا يدخلها، وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنّة، وبالشفاعة في من خلد من الكفار أن يخفّف عنه العذاب، وبالشفاعة في أطفال المشركين أن لا يعذّبوا:

قال الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأخرج أحمد عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ، قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممّ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغمّ والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه ألاّ ترون ما قد بلغكم ألاّ تنظرون من يشفع لكم رحى ربكم، فيقول بعض الناس أبوكم آدم، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت أوّل الرسل إلى أهل الأرض، وسمّاك الله عبداً شكوراً، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، لا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم

يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسي، نفسي، نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتوا عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمداً فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم النبيّين، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما قد بلغنا، ألا ترى ما نحن فيه؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، فيفتح الله عليّ، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه، ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع - فيقول - يا رب أمتي أمتي يا رب، أمتي أمتي، فيقال: يا محمد، أدخل من أمّتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لما بين مصراعين من مصاريع الجنّة، لكما بين مكّة وهجر، أو كما بين مكّة وبصرى».

وأخرج الشيخان عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «يجمع المؤمنون يوم القيامة، فيهتمون لذلك اليوم، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلّمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحيي ربَّه من ذلك، ولكن ائتوا نوحاً، فإنه أوّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحاً، فيقول لست هناكم، ويذكر خطيئته سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمٰن، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبداً كلّمه الله وأعطاه التوراة، فيأتون موسى، فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النفس الذي قتل بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول لهم: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

فيأتوني فأقوم فأمشي بين سماطين من المؤمنين، حتى أستأذن على ربي فإذا رأيت ربي، وقعت له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمداً، قل يسمع واشفع تشفع، وسل تعطه، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حدّاً، فأدخلهم الجنّة، ثم أعود إليه الثانية، فإذا رأيت ربي، وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء أن يدعني، ثم

يقول: ارفع محمداً، قل يسمع، وسل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حداً، فأدخلهم الجنّة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربّي، وقعت له ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمداً، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حداً، فأدخلهم الجنّة، ثم أعود الرابعة فأقول: ربّ ما بقي إلاّ من حبسه القرآن».

قال النبيّ ﷺ: «فيخرج من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة».

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أنس أن النبيّ ﷺ قال: «إني لقائم أنتظر متى يعبر الصراط، إذ جاءني عيسى، فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لعظم ما هم فيه، فالخلق يلجمون بالعرق، فأمّا المؤمن، فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت، فأقول انتظر حتى أرجع إليك، فأذهب فأقوم تحت العرش، فألقى ما لم يلق ملك مصطفى، ولا نبي مرسل، فأوحى الله إلى جبريل أن أذهب إلى محمد، وقل له: ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فشفعت في أمّتي أن أخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً، فما زلت أتردّد إلى ربّي فلا أقوم منه مقاماً إلاّ شفعت، حتى أعطاني الله من ذلك، أن قال: يا محمد أدخل من أمّتك من خلق الله من شهد أن لا إلٰه إلاّ الله يوماً واحداً، مخلصاً، ومات على ذلك».

وأخرج أحمد، وأبو يعلى عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه لم يكن نبيّ إلاّ له دعوة، وقد تنجزها في الدنيا، وأني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيّد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، آدم فمن دونه تحت لوائي، ولا فخر، ويطول يوم القيامة على الناس، فيقول بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر، فيشفع لنا إلى ربنا، فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، إني قد أخرجت من الجنّة بخطيئتي، وأنه لا يهمني اليوم إلاّ نفسي، ولكن ائتوا نوحاً رأس النبيّين، فيأتون نوحاً، فيقولون: اشفع لنا إلى ربنا فليقض بيننا، فيقول: لست هناكم، إني قد دعوت بدعوة أغرقت أهل الأرض، وأنه لا يهمني اليوم إلاّ نفسي، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم اشفع لنا إلى ربنا، فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات، والله إن جادل بهن إلا عن دين الله، قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله لامرأته حين أتى على الملك أختي، وأنه لا يهمّني اليوم إلاّ

نفسي، ولكن ائتوا موسى الذي اصطفاه الله برسالاته وكلامه، فيأتون موسى فيقولون: يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست هناكم، إني قتلت نفساً بغير نفس، ولا يهمني اليوم إلاّ نفسي، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته، فيأتون عيسى، فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا، فيقول: إني لست هناكم، إني اتَّخذت إلهاً من دون الله، وإنه لا يهمني اليوم إلاّ نفسي، ولكن إن كان تنازع في وعاء مختوم عليه، أكان يقدر على ما فيه جوفه حتى يفضّ الخاتم، فيقولون: لا، فيقول: إن محمداً ﷺ خاتم النبيّين وقد حضر اليوم، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»، قال رسول الله ﷺ: «فيأتون فيقولون: يا محمد اشفع لنا إلى ربك، فليقض بيننا، فأقول: أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى، فإذا أراد الله أن يصدع بين خلقه نادى مناد: أين أحمد وأمّته؟ فنحن الآخرون الأوّلون، نحن آخر الأمم وأوّل من يحاسب، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا، فنمضي غراً محجلين من أثر الطهور، فتقول الأمم: كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلّها، فآتي باب الجنّة فآخذ بحلقة الباب، فأقرع الباب، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمد، فآتي ربّي عزّ وجلّ على كرسيه فأخرّ له ساجداً، فأحمده بمحامد لم يحمده بها أحد كان قبلي، وليس يحمده بها أحد بعدي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: أي رب أمتي أمتي، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا، ثم أعود فأسجد فأقول ما قلت، فيقال: ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأقول: أي رب، أمتي أمتي، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا دون الأول، ثم أعود فأسجد فأقول مثل ذلك، فيقال: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: أي رب أمتي أمتي، فيقال: أخرج من كان في قلبه مثقال كذا وكذا، دون ذلك».

وأخرج الطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها، ويبقى منبري لا أجلس عليه قائماً بين يدي ربي منتصباً مخافة أن يبعث بي إلى الجنّة، وتبقى أمتي بعدي، فأقول: أي رب، أمتي أمتي، فيقول الله: يا محمد، وما تريد أن أصنع بأمتك؟ فأقول: يا رب عجل حسابهم، فما أزال أشفع حتى أعطى صكاعاً برجال قد بعث بهم إلى النار، وحتى إن مالكاً خازن النار، يقول: يا محمد ما تركت لغضب ربك في أمتك من بقية».

وأخرج البخاري عن ابن عمر، قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثى، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع لنا، يا فلان اشفع لنا، حتى تنتهي الشفاعة إلى رسول الله ﷺ، فذاك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً.

وأخرج البخاري أيضاً عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الشمس لتدنو، حتى يبلغ العرق نصف الآذان، فبينما هم كذلك، استغاثوا بآدم، فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بمحمد فيشفع فيقضي الله بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلّهم»[(١)].

وأخرج البزار والبيهقي في البعث عن حذيفة، قال: يجمع الله الناس في صعيد واحد، ولا تتكلّم نفس، فيكون أوّل من يدعى محمد ﷺ: «فيقول: لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، ولا منجى منك إلاّ إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت»، فعند ذلك يشفع، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي عاصم في السنة عن سلمان، قال: «تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين، ثم تُدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامه، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل».

قال سلمان: «عق عق، فإذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ائتوا آباكم آدم فليشفع لكم إلى ربكم، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا أنت الذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسكنك جنّته، قم فاشفع لنا إلى ربنا فقد ترى ما نحن فيه، فيقول: لست هناكم، فيقولون: إلى من تأمرنا، فيقول: ائتوا عبداً شاكراً، فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نبي الله ﷺ، أنت الذي جعلك الله عبداً شاكراً، وقد ترى ما نحن فيه، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست هناكم، فيقولون: إلى من تأمرنا؟ فيقول: ائتوا خليل الرحمٰن إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا خليل الرحمٰن، قد ترى ما نحن فيه، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست هناكم، فيقولون: فإلى من تأمرنا؟ فيقول: ائتوا موسى عبداً اصطفاه الله برسالاته وبكلامه، فيأتون موسى فيقولون: قد ترى ما نحن فيه، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست هناكم، فيقولون: إلى من تأمرنا؟ فيقول: ائتوا كلمة الله وروحه عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا كلمة الله وروحه قد ترى ما نحن فيه، فاشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست هناكم، فيقولون: فإلى من تأمرنا؟ فيقول: ائتوا عبداً فتح الله على يديه، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ويجيء في هذا اليوم آمناً محمداً، فيأتون النبيّ ﷺ، فيقولون: يا نبيّ الله أنت الذي فتح الله بك، وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، وجئت في هذا اليوم آمناً، وقد ترى ما نحن فيه، فاشفع لنا إلى

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (١٠: ٤٩٢).

ربّنا، فيقول: أنا صاحبكم، فيخرج يجوس الناس، حتى ينتهي إلى باب الجنّة، فيأخذ بحلقة الباب من ذهب، فيقرع الباب، فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فينفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله، فيستأذن في السجود فيؤذن له، فيسجد فينادى: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، وادع تجب، فيفتح الله عليك من الثناء والتحميد والتمجيد ما لم يفتحه لأحد من الخلائق، وينادى: يا محمد ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفعْ، وادع تجب».

فيرفع رأسه فيقول: «أمتي أمتي» مرتين أو ثلاثاً، فيشفع في كل من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، أو مثقال شعيرة من إيمان، أو مثقال حبة من خردل من إيمان، فذلك المقام المحمود.

وأخرج الطبراني في الكبير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين وقضى بينهم وفرغ من القضاء، يقول المؤمنون: قد قضي بيننا ربنا وفرغ من القضاء، فمن يشفع لنا إلى ربنا، فيقولون: آدم خلقه الله بيده وكلّمه، فيأتونه، فيقولون: قد قضى ربنا وفرغ من القضاء، قم أنت فاشفع إلى ربنا، فيقول: ائتوا نوحاً، فيأتون نوحاً، فيدلّهم على إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيدلّهم على موسى، فيأتون موسى، فيدلّهم على عيسى، فيأتون عيسى، فيقول: أدلّكم على العربي الأمي، فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم إليه، فيثور مجلسي من أطيب ريح شمّها أحد قط، حتى آتي ربي فيشفعني، ويجعل لي نوراً من شعر رأسي، إلى ظفر قدمي»[1].

وأخرج ابن أبي عاصم في السنة، عن أنس يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال: «ما زلت أشفع إلى ربي، ويشفعني حتى أقول: أي رب، شفعني في من قال: لا إلٰه إلاّ الله، فيقول: هذه ليست لك ولا لأحد، وعزّتي وجلالي، ورحمتي لا أدع في النار أحداً يقول لا إلٰه إلاّ الله».

وأخرج أحمد والطبراني عن عبادة بن الصامت، عن النبيّ ﷺ قال: «إن الله قال: يا محمد، إني لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلاّ وقد سألني مسألة أعطيه إياها، قل يا محمد تعط، فقلت: مسألتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»، فقال أبو بكر: وما الشفاعة؟ قال: «أقول: يا رب شفاعتي التي اختبأت عندك، فيقول الرب: نعم، فيخرج بقية أمّتي من النار، فيدخلهم الجنّة».

وأخرج أحمد والطبراني والبزار، عن معاذ بن جبل، وأبي موسى، قالا: قال رسول الله ﷺ: «إن ربي خيّرني بين أن يدخل نصف أمّتي الجنّة أو شفاعتي، فاخترت لهم الشفاعة، وعلمت أنها أوسع لهم، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً».

---

(١) رواه السيوطي في الدر المنثور (٤: ٧٤).

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي جهنم فأضرب بابها فيفتح لي، فأدخلها فأحمد الله بمحامده، ما حمد أحد قبلي مثله، ولا يحمده أحد بعدي مثلها، ثم أخرج منها من قال لا إلٰه إلاّ الله مخلصاً».

وأخرج أبو يعلى عن عوف بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال: «أعطينا أربعاً لم يعطهن أحد كان قبلنا وسألت ربي الخامسة فأعطانيها، وهي ما هي كان النبي يبعث إلى قرية لا يعدوها، وبعثت إلى الناس كافة، وأرهب منا عدوّنا مسيرة شهر، وجعلت الأرض لنا طهوراً ومسجداً، وأحل لنا الخمس ولم يحل لأحد قبلنا، وسألته أن لا يلقاه عبد من أمّتي يوحّده إلاّ أدخله الجنّة».

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة والطبراني عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، بعثت إلى الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلّت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي، وأعطيت الشفاعة، وأنه ليس من نبي إلاّ وقد قدم الشفاعة، وإني أخّرت شفاعتي، جعلتها لمن كات من أمّتي، لا يشرك بالله شيئاً».

وأخرج ابن أبي شيبة، وأبو يعلى وأبو نعيم، والبيهقي وأبو ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي»، فذكر مثل حديث أبي موسى، إلاّ أنه قال في الخامسة: «وقيل لي: سل تعطه، فاختبأت دعوتي شفاعة لأمّتي يوم القيامة، وهي نائلة منهم إن شاء الله، من لم يشرك بالله شيئاً».

وأخرج أحمد والطبراني في الأوسط، والحاكم والبيهقي وأبو نعيم، عن أم حبيبة أن رسول الله ﷺ قال: «أريت ما تلقى أمّتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض، وكان ذلك سابقاً من الله فسألته أن يوليني شفاعة فيهم يوم القيامة، ففعل».

وأخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، فرفع يده وقال: «أمّتي أمتي»، ثم بكى، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقال له: «إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

وأخرج البزار والطبراني في الأوسط عن عليّ أن رسول الله ﷺ قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي: أرضيت يا محمد، فأقول: أي رب رضيت».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ:

«أعطيت خمساً لم يعطها نبي قبلي، بعثت إلى الأحمر والأسود، وإنما كان النبيّ يبعث إلى قومه، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأطعمت المغنم ولم يطعمه أحد كان قبلي، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وليس من نبي إلاّ وقد أعطي دعوة فتعجلّها، وأني أخّرت دعوتي شفاعة لأمّتي، وهي بالغة إن شاء الله تعالىٰ، من مات لا يشرك بالله شيئاً».

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى بسند صحيح، قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي في اللاّهين من ذرية البشر، أن لا يعذّبهم فأعطانيهم».

قال ابن عبد البر: هم الأطفال لأن أعمالهم كاللهو واللعب، من غير عقد ولا عزم.

وأخرج أحمد وابن أبي شيبة، والترمذي، والحاكم، والبيهقي، عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، كنت إمام النبيّين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر».

وأخرج مسلم عن أُبيّ بن كعب أن النبيّ ﷺ قال: «أرسل إليّ ربي أن أقرأ القرآن على حرف فرددت عليه: يا رب هوّن على أمّتي، فرد عليّ الثانية أن قرأ على حرفين، قلت: يا رب هوّن على أمّتي، فرد عليّ الثالثة أن أقرأ على سبعة أحرف، ولك بكل مرة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللّهمّ اغفر لأمتي، اللّهمّ اغفر لأمتي، وأخّرت الثالثة إلى يوم يرغب فيه الخلق حتى إبراهيم».

وأخرج الحاكم والبيهقي في كتاب الرؤية، عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلاّ وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد أنا أمشي والناس معي حتى آتي باب الجنّة، فأستفتح، فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه».

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن حذيفة بن اليمان، قال: قال الصحابة: يا رسول الله، إبراهيم خليل الله، وعيسى كلمة الله وروحه، وموسى كلّمه الله تكليماً، فماذا أعطيت أنت؟ قال: «ولد آدم كلهم تحت رايتي يوم القيامة، أنا أول شافع وأوّل مشفع، ولا فخر».

وأخرج الدارمي والترمذي وأبو نعيم، عن ابن عباس، قال: جلس ناس من أصحاب النبيّ ﷺ ينتظرونه، فتذاكروا، فقال بعضهم: عجباً إن الله اتّخذ من خلقه خليلاً، فإبراهيم خليله، وقال آخر: ماذا بأعجب من أن كلم موسى تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: فآدم اصطفاه الله، فخرج عليهم، وقال: «قد سمعت كلامكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجيّه وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم

اصطفاه الله وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرّك حلق الجنّة ولا فخر، ويفتح الله فيدخلنيها، ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأوّلين والآخرين على الله، ولا فخر».

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أرسلت إلى الجنّ والإنس، وإلى كل أحمر وأسود، وأحلّت لي الغنائم دون الأنبياء، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً، ونصرت بالرعب أمامي شهراً، وأعطيت خواتيم سورة البقرة، وكانت من كنوز العرش، وخصصت بها دون الأنبياء، وأعطيت المثاني مكان التوراة، والمئين مكان الإنجيل، والحواميم مكان الزبور، وفضلت بالمفصل، وأنا سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عني وعن أمّتي ولا فخر، وبيدي لواء الحمد يوم القيامة، وجميع الأنبياء تحته ولا فخر، وأوتى مفاتيح الجنّة يوم القيامة ولا فخر، وبي تفتح الشفاعة ولا فخر، وأنا سابق الخلق إلى الجنّة ولا فخر، وأنا أمامهم وأمتي بالإثر».

باب

اختصاصه ﷺ بأن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببه ونسبه: أخرج الحاكم والبيهقي عن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة، إلاّ سببي ونسبي».

قيل: معنى الحديث أن أمّته ينسبون إليه يوم القيامة، وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل: ينتفع يومئذ بالنسبة إليه، ولا ينتفع بسائر الأنساب.

باب

اختصاصه ﷺ بأنه أوّل من يجيز على الصراط، وأوّل من يقرع باب الجنّة، وأول من يدخلها وبعده ابنته، وأن له في كل شعرة من رأسه ووجهه نوراً، ويؤمر أهل الجمع بغضّ أبصارهم حتى تمرّ ابنته على الصراط:

أخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يضرب جسر جهنم، فأكون أول من يجيز»[1].

---

(١) رواه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٢: ٢٢٠). والقرطبي في التفسير (١١: ٦).

وأخرج أبو نعيم عن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة، قيل: يا أهل الجمع، غضّوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد ﷺ فتمرّ وعليها ريطتان خضراوان».

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجب: يا أيها الناس غضّوا أبصاركم ونكّسوا، فإن فاطمة بنت محمد ﷺ تجوز الصراط إلى الجنّة».

وأخرج مسلم عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أوّل من يقرب باب الجنّة».

وأخرج مسلم عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنّة يوم القيامة، فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك».

وأخرج البيهقي وأبو نعيم عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس تنشق الأرض عن جمجمتي يوم القيامة ولا فخر، وأعطى لواء الحمد ولا فخر، وأنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، وأنا أوّل من يدخل الجنّة يوم القيامة ولا فخر».

وأخرج الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ، قال: «الجنّة حرّمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحرّمت على الأمم حتى تدخلها أمّتي».

وأخرج من حديث ابن عباس نحوه.

وأخرج أبو نعيم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول من يدخل الجنّة ولا فخر، وأوّل من يُدخل على الجنّة فاطمة، ومثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل».

باب

اختصاصه ﷺ بالكوثر، والوسيلة، وبأن قوائم منبره رواتب في الجنة، ومنبره على ترعة من ترع الجنّة، وما بين قبره ومنبره روضة من رياض الجنّة:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس، قال: قال النبيّ ﷺ: «أوتيت خصالاً لا أقولهن فخراً، غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وجعلت أمّتي خير الأمم، وأوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأوتيت الكوثر آنيته عدد نجوم السماء».

وأخرج مسلم عن ابن عمرو أن النبيّ ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول، ثم صلّوا عليّ، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلاّ لعبد من عباد الله،

وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة، حلّت عليه الشفاعة».

وأخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب: الرد على الجهمية، عن عبادة بن الصامت، أن النبيّ ﷺ قال: «إن الله رفعني يوم القيامة في أعلى غرفة من جنات النعيم، ليس فوقي إلاّ حملة العرش».

وأخرج البيهقي عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «قوائم منبري رواتب في الجنّة».

وأخرج الحاكم مثله من حديث أبي واقد اللّيثي.

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «منبري هذا على ترعة من ترع الجنّة».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري، روضة من رياض الجنّة».

باب

اختصاصه ﷺ بأن أمّته الآخرون في الدنيا الأوّلون يوم القيامة، يقضى لهم قبل الخلائق، ويكونون في الموقف على كوم عال، ويأتون غرّاً محجلين من آثار الوضوء، وعجل عذابها في الدنيا، وفي البرزخ لتوافي القيامة ممحصة، وتدخل قبورها بذنوبها، وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين، ويؤتون كتبهم بأيمانهم، وتسعى ذريتهم ونورهم بين أيديهم، ولهم سيما في وجوههم من أثر السجود، ولهم نوران كالأنبياء، وهم أثقل الناس ميزاناً، ولها ما سعت وما سعى لها بخلاف سائر الأمم:

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة وحذيفة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأوّلون يوم القيامة، المقضى لهم قبل الخلائق».

وأخرج الحاكم وصححه عن عبد الله بن سلام، قال: «إذا كان يوم القيامة يبعث الله الخلائق أمة أمة، ونبياً نبياً، حتى يكون أحمد وأمّته آخر الأمم مركزاً، ثم يوضع جسر على جهنم، ثم ينادي مناد: أين أحمد وأمّته، فيقوم فتتبعه أمّته برّها وفاجرها، فيأخذون الجسر، فيطمس الله أبصار أعدائه، فيتهافتون فيها من شمال ويمين، وينجو النبيّ ﷺ والصالحون معه، الملائكة تبوّؤهم منازلهم في الجنّة، على يمينك على يسارك، على يمينك على يسارك، حتى ينتهي إلى ربّه، فيلقى له كرسي عن يمين الله، ثم ينادي مناد: أين عيسى وأمّته» الحديث.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ ﷺ قال: **«أنا وأمتي يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من الناس أحد إلاّ ودانه منّا، وما من نبيّ كذبه قومه، إلاّ ونحن نشهد أنه بلغ رسالة ربه»**.

وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: **«يحشر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تل، فيكسوني ربّي حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود»**.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن حوضي أبعد من أيلة من عدن، إني لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه»**، قيل: يا رسول الله وتعرفنا؟ قال: **«نعم، تردون عليّ غرّاً محجّلين من أثر الوضوء، لكم سيما ليست لأحد غيركم»**.

وأخرج أحمد والبزار عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يرفع رأسه، فأنظر إلى أمّتي بين يدي، فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك»**، فقال رجل: كيف تعرف أمّتك يا رسول الله من بين الأمم، في ما بين نوح إلى أمّتك؟ قال: **«هم غرّ محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بإيمانهم، وأعرفهم تسعى ذريّتهم بين أيديهم»**.

وأخرج أحمد بسنده صحيح عن أبي ذر، أن رسول الله ﷺ قال: **«إني لأعرف أمّتي يوم القيامة من بين الأمم»**، قالوا: يا رسول الله، كيف تعرف أمّتك؟ قال: **«أعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم»**.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أمّتي أمّة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها، وتخرج من قبورها لا ذنوب عليها، تمحص عنها باستغفار المؤمنين لها»**.

وأخرج أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يحاسب أحد يوم القيامة فيغفر له، يرى المسلم عمله في قبره»**.

قال الحكيم الترمذي: يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غداً في الموقف، فيمحص في البرزخ ليخرج من القبر، وقد اقتصّ منه.

وأخرج الطبراني في الأوسط، والحاكم وصححه عن عبد الله بن يزيد الأنصاري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عذاب هذه الأمة جعل في دنياها».

وأخرج أبو يعلى، والطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة، قال: «إن هذه الأمة أمة مرحومة لا عذاب عليها، إلاّ ما عذبت به أنفسها».

وأخرج أبو يعلى والطبراني عن رجل من الصحابة، قال: قال رسول الله ﷺ: «عقوبة هذه الأمة بالسيف».

وأخرج ابن ماجه، والبيهقي في البعث، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذه أمة مرحومة، عذابها بأيديها، فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين، فيقال: هذا فداؤك من النار».

وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن ليث، قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: أمّة محمد أثقل الناس في الميزان ذلّلت ألسنتهم بكلمة ثقلت على من كان قبلهم، لا إله إلاّ الله.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله تعالىٰ: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم:٣٩]، واختص ﷺ بأن أمّته يدخلون الجنّة قبل كل أحد، ويغفر لهم المقحمات، وهم أوّل من تنشق الأرض عنه من الأمم، وتقدّمت أحاديثها.

باب

قال الشيخ عزّ الدين: ومن خصائصه ﷺ أنه يدخل الجنّة من أمّته سبعون ألفاً بغير حساب، ولم يثبت ذلك لغيره من الأنبياء.

وأخرج الشيخان عن ابن عباس، قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال: «عرضت عليّ الأمم يمرّ النبيّ معه الرجل، ويمرّ النبيّ معه الرجلان، والنبيّ ليس معه أحد، والنبي معه الرهط، فرأيت سواداً كثيراً، فرجوت أن تكون أمّتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ثم قال لي: انظر فرأيت سواداً كثيراً قد سدّ الأفق، فقيل لي: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سواداً كثيراً، فقيل لي: هؤلاء أمّتك، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب».

وأخرج الترمذي وحسّنه عن أبي أمامة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنّة من أمّتي سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، ومع كل ألف سبعون ألفاً، وثلاث حثيات من ربي».

وأخرج الطبراني والبيهقي في البعث، عن عمر بن حزم الأنصاري، أن النبيّ ﷺ قال: «إن ربي وعدني أن يدخل أمتي أمّتي الجنّة سبعين ألفاً لا حساب عليهم، وإني سألت ربي المزيد، فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً، قلت: يا رب وتبلغ أمّتي هذا، قال: أكمل لك العدد من الأعراب».

باب

قال الشيخ عزّ الدين: ومن خصائصه ﷺ: أن الله أنزل أمّته منزلة العدول من الحكام، فيشهدون على الناس بأن رسلهم بلغتهم، وهذه الخصيصة لم تثبت لأحد من الأنبياء. وقد قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأخرج البخاري والترمذي والنسائي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدعى نوح يوم القيامة فيقال: هل بلغتُ؟ فيقول: نعم، فتدعى أمّته فيقول لهم: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا أحد، فيقال: من يشهد لك، فيقول: محمد وأمّته، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والوسط العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ، وأشهد عليكم».

وأخرج أحمد والنسائي والبيهقي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبيّ يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، فأكثر من ذلك فيقال لهم: هل بلغتم؟ فيقولون: نعم، فيدعى قومهم، فيقال لهم: هل بلغوكم؟ فيقولون: لا، فيقال للنبيّين: من يشهد لكم أنكم بلّغتم؟ فيقولون: أمّة محمّد، فتدعى أمّة محمد فيشهدون أنهم قد بلغوا، فيقال لهم: وما علمكم أنهم قد بلغوا، فيقولون: جاء نبيّنا بكتاب أخبرنا أنهم قد بلغوا وصدقناه، فيقال: صدقتم»، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال عدلاً، ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأخرج الطبراني في الأوسط عن أبي بكر الصديق، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما حرّ جهنم على أمّتي كحر الحمام».

ذكر الخصائص التي اختصّ بها عن أمّته من واجبات، ومحرمات، ومباحات، وكرامات، مما لم يتقدم له ذكر:

وهذا النوع أفرده جماعة من الفقهاء بالتصنيف، وتعرّض له أصحابنا الشافعية في كتبهم

الفقهية في باب النكاح، ولم يستوفوا، وأنا أستوفي هنا، إن شاء الله تعالىٰ ذلك استيفاء لا مزيد عليه، واعلم أني أذكر كل ما قال فيه عالم أنه من خصائصه ﷺ سواء، كان عليه أصحابنا أم لا، مصححاً أم لا، فإن ذلك دأب المتتبّعين المستوعبين، وإن كان الجهلة القاصرون إذا رأوا مثل ذلك بادروا إلى الإنكار على مورده.

قسم الواجبات

والحكمة في اختصاصه ﷺ بها زيادة الدرجات والزلفى، ففي الصحيح عن الله تعالىٰ: «لن يتقرب إليّ المتقرّبون بمثل آداء ما افترضت عليهم»، وفي حديث: «إن ثواب الفرض يعدل سبعين مندوباً».

باب

اختصاصه ﷺ بوجوب صلاة اللّيل، والوتر، وركعتي الفجر، والضحى، والسواك، والأضحية: قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩].

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة في الآية، قال: كانت للنبيّ ﷺ نافلة ولكم فضيلة.

وأخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في سننه، عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث هنّ عليّ فرائض، وهنّ لكم سنةٌ: الوتر، والسواك، وقيام اللّيل».

وأخرج أحمد والبيهقي في السنن، عن ابن عباس، أن النبيّ ﷺ قال: «ثلاث هن عليّ فرائض، ولكم تطوّع: النحر، والوتر، وركعتا الضحى».

وأخرج الدارقطني والحاكم، عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ قال: «ثلاث هن عليّ فرائض ولكم تطوّع: النحر، والوتر، وركعتا الفجر».

وأخرج أحمد والبزار من وجه آخر عن ابن عباس، مرفوعاً: «أمرت بركعتي الفجر، والوتر، وليس عليكم».

وأخرج أحمد وعبد في مسنده، عن ابن عباس مرفوعاً: «أمرت بركعتي الضحى ولم تؤمروا بها، وأمرت بالأضحى ولم تكتب عليكم».

وفي لفظ لأحمد: «كتب عليّ النحر ولم يكتب عليكم».

وأخرج أحمد والطبراني من وجه ثالث عن ابن عباس مرفوعاً: «ثلاث عليّ فريضة وهي لكم تطوّع: الوتر، وركعتا الفجر، وركعتا الضحى».

وأخرج أبو داود، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي في السنن، عن عبد الله بن حنظلة الغسيل، أن رسول الله ﷺ كان يؤمر بالوضوء، لكل صلاة طاهراً، أو غير طاهر، فلما شقّ ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة، ووضع عنه الوضوء، إلاّ من حدث.

فائدة: ثبت أنه ﷺ صلّى الوتر على الراحلة، قال بعضهم: ولو كان واجباً عليه لم يجز فعله على الراحلة، وقال النووي في شرح المهذب: كان من خصائصه ﷺ جواز فعل هذا الواجب الخاص به على الراحلة.

فائدة: أخرج البيهقي في سننه، عن سعيد بن المسيب، قال: أوتر رسول الله ﷺ وليس عليك، وضحى وليس عليك، وصلّى الضحى وليس عليك، وصلّى قبل الظهر وليس عليك، وهذا قد يشعر بأن الصلاة التي كان يصلّيها عند الزوال من خصائصه الواجبة عليه.

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند فيه نوح بن أبي مريم، وهو وضاع، من حديث ابن عباس مرفوعاً: «الوتر عليَّ فريضة وهو لكم تطوّع، والأضحى عليَّ فريضة وهو لكم تطوّع، الغسل يوم الجمعة عليَّ فريضة وهو لكم تطوّع».

باب

اختصاصه ﷺ بوجوب المشاورة: قال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأخرج ابن علي والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال رسول الله ﷺ: «أما إن الله ورسوله لغنيّان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمّتي».

وأخرج الحكيم الترمذي عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمرني بمداراة الناس، كما أمرني بإقامة الفرائض».

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة، قال: ما رأيت من الناس أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

وأخرج الحاكم عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كنت مستخلفاً أحداً عن غير مشورة، لاستخلفت ابن أم عبد».

وأخرج أحمد عن عبد الرحمٰن بن غنم، أن النبيّ ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما».

وأخرج الحاكم عن الحباب بن المنذر، قال: أشرت على رسول الله ﷺ بخصلتين فقبلهما مني، خرجت معه يوم بدر، فعسكر خلف الماء، فقلت: يا رسول الله أبوحي فعلت، أم برأي؟ قال: «برأي يا حباب»، قلت: فإن الرأي أن تجعل الماء خلفك، فإن لجأت لجأت إليه فقبل ذلك مني، ونزل جبريل فقال: أي الأمرين أحب إليك تكون في دنياك مع أصحابك، أو ترد على ربك في ما وعدك من جنات النعيم؟ فاستشار أصحابه فقالوا: يا رسول الله معنا أحب إلينا، وتخبرنا بعورات عدوّنا، وتدعو الله لينصرنا عليهم، وتخبرنا من خبر السماء، فقال: «ما لك لا تتكلّم يا حباب»، قلت: يا رسول الله اختر حيث اختار لك ربك، فقبل ذلك مني.

وأخرج ابن سعد عن يحيى بن سعيد، أن النبيّ ﷺ استشار الناس يوم بدر، فقام الحباب بن المنذر، فقال: نحن أهل الحرب، أرى أن تغور المياه إلاّ ماء واحداً، نلقاهم عليه، قال واستشارهم يوم قريظة والنضير، فقام الحباب بن المنذر، فقال: أرى أن تنزل بين الحصون، فتقطع خبر هؤلاء عن هؤلاء، وخبر هؤلاء عن هؤلاء، فأخذ رسول الله ﷺ بقوله.

وأخرج الحاكم عن عبد الحميد بن أبي عبس بن محمد بن أبي عيسى، عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لي يابن الأشرف، فقد آذى الله ورسوله»، فقال: محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله؟ فصمت ثم قال: «أين سعد بن معاذ»، فاستشاره فجئته، فذكرت له ذلك، فقال: «إمضِ على بركة الله». قال الماوردي: اختلف في ما يشاور فيه، فقال قوم في الحروب ومكايدة العدو خاصة، وقال آخرون: في أمورالدنيا والدين، وقال آخرون: في أمور الدين تنبيهاً لهم على علل الأحكام، وطريق الاجتهاد.

باب

اختصاصه ﷺ بوجوب مصابرة العدو: وإن كثر عددهم ووجوب تغيير المنكر، ولا يسقط للخلاف بخلاف غيره من الأمّة فيهما، ووجه الأمرين أن الله تعالىٰ وعده بالحفظ والعصمة، فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، فلم يكونوا ليصلوا إليه بسوء، قلّوا أو كثروا.

باب

اختصاصه ﷺ بوجوب قضاء دين من مات من المسلمين معسراً: أخرج ابن ماجه عن

جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «من ترك مالاً فلأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، فعليّ وإليّ».

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفى عليه الدين، فيسأل: «هل ترك لدينه من قضاء»، فإن حدث أنه ترك وفاء صلّى عليه، وإلاّ قال للمسلمين: «صلّوا على صاحبكم»، فلما فتح الله عليه الفتوح، قام فقال: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفّي من المؤمنين فترك ديناً فعليّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته».

باب

اختصاصه ﷺ بوجوب تخيير نسائه، وإمساك مختارته، وتحريم طلاقها: أخرج أحمد ومسلم والنسائي، عن جابر، قال: دخل أبو بكر وعمر على النبيّ ﷺ وحوله نساؤه، وهو ساكت، فقال عمر: لأكلمنّ النبيّ ﷺ لعلّه يضحك، فقال عمر: يا رسول الله أرأيت ابنة زيد امرأة عمر، سألتني النفقة آنفاً، فوجأت عنقها فضحك النبيّ ﷺ، وقال: «هنّ حولي يسألنني النفقة»، فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة كلاهما يقول: تسألان النبيّ ﷺ ما ليس عنده، وأنزل الله الخيار فبدأ بعائشة، فقال: «إني ذاكر لك أمراً فأحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك»، قالت: ما هو؟ فتلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الأحزاب:٢٨] الآية، قالت عائشة: أفيك أستأمر أبويّ، بل أختار الله ورسوله.

وأخرج ابن سعد عن أبي جعفر قال: قال نساء النبيّ ﷺ بعد النبي أغلى مهوراً منّا، فغار الله لنبيّه فأمره أن يعتزلهن فاعتزلهن تسعة وعشرين يوماً، ثم أمره أن يخيّرهم فخيّرهن.

وأخرج ابن سعد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه، قال: لما خيّر رسول الله ﷺ نساءه بدأ بعائشة، فاخترنه جميعاً غير العامرية اختارت قومها، فكانت بعده تقول: أنا الشقيّة، وكانت تلقط البعر وتبيعه وتستأذن على أزواج النبيّ ﷺ وتسألهنّ وتقول: أنا الشقيّة.

وأخرج ابن سعد عن ابن مناح، قال: اخترنه ﷺ جميعاً غير العامرية اختارت قومها، فكانت ذاهبة العقل حتى ماتت.

أخرج ابن سعد عن عكرمة، قال: لما خيّرهن رسول الله ﷺ اخترن الله ورسوله، فأنزل الله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الأحزاب:٥٢]، قال: من بعد هؤلاء التسع اللاتي اخترنك، فقد حرم الله عليك تزوج غيرهنّ.

وأخرج ابن سعد، عن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وعن الحسن، وعن مجاهد، وعن أبي أمامة بن سهل، قالوا: في قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، حبس رسول الله ﷺ على نسائه فلم يتزوّج بعدهن.

وأخرج ابن سعد عن عائشة، قالت: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحلّ الله له أن يتزوّج من النساء ما شاء، إلاّ ذات محرم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ [الأحزاب: ٥١] الآية.

وأخرج ابن سعد مثله عن أم سلمة، وابن عباس وعطاء بن يسار، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

وأخرج ابن سعد عن عائشة، قالت: لما نزل: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، قلت: إن الله يسارع لك في ما تريد.

وقد اختلف العلماء في نكتة التخيير، فقال الغزالي: لأن الغيرة توغر الصدور، وتنفر القلب، وتوهن الاعتقاد.

وقال الرافعي: لما خيّره الله بين الغنى والفقر، فاختار الفقر وآثر لنفسه الصبر عليه، أمره بتخييرهن لئلا يكون مكرهاً على الفقر والضرّ. وقال بعضهم: امتحنهنّ بالتخيير، ليكون لرسوله خير النساء.

وقال في الروضة وغيرها: لما خيّرهنّ فاخترنه، كافأهنّ الله على حسن صنيعهنّ بالجنة، فقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٢٩]، بأن حرم على رسوله التزوّج عليهن والاستبدال بهنّ، فقال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ثم نسخ ذلك لتكون المنّة لرسول الله ﷺ بترك التزوّج عليهن بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] الآية.

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان، عن عائشة، قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له النساء، إسناده صحيح، واختلف هل أحلّ له جميع النساء أو المهاجرات فقط لظاهر الآية على وجهين، حكاهما الماوردي، فعلى الثاني يكون ذلك أيضاً خصيصة أنه يحرم عليه نكاح من لم تهاجر، ويؤيّده ما أخرجه الترمذي عن أمّ هاني، قالت: لم أكن أحلّ له لأني لم أهاجر، ورجح الأول بأنه أوسع في النكاح من أمّته فلم يجز أن ينقص عنهم، وبأنه تزوج صفية بعد، وليست من المهاجرات، ويجاب عن الأوّل بأن ذلك لا ينافي كونه أوسع تشريفاً لمنصبه، بدليل أنه لا ينكح الكتابية، وهي مباحة للأمة، وعن الثاني بأن المرجح أن تزوج صفية كان قبل نزول الآية، فإنه تزوجها في خيبر سنة سبع، والآية نزلت سنة

تسع، قال أصحابنا: وأبيح له التبدّل بهن، لكنّه لم يفعله. وخالف أبو حنيفة، فقال: دام التحريم ولم ينسخ، وأحد الوجهين عندنا، وهو نصّ الشافعي في الأم، وبه قطع الماوردي، أنه ﷺ كان يحرم عليه طلاق من اختارته، كما كان يحرم إمساكها لو رغبت عنه، وحكى أصحابنا وجهين في من اختارت الفراق، أحدهما: تحرم عليه مؤبّداً لاختيارها الدنيا على الآخرة، فلم تكن من أزواجه في الآخرة، وعلى هذا فذلك من خصائصه ﷺ، لأن الواحد من الأمة إذا خيّر زوجته فاختارت نفسها وجعلناه طلاقاً لم تحرم عليه على التأبيد.

باب

قيل: من خصائصه ﷺ أنه كان يجب عليه إذا رأى ما يعجبه أن يقول: «لبّيك إن العيش عيش الآخرة»، حكاه الرافعي.

ومنها: أنه كان يجب عليه أداء فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها، ذكره الماوردي وغيره.

ومنها: أنه كان يؤخذ عن الدنيا حالة الوحي، ولا تسقط عنه الصلاة والصوم وسائر الأحكام، ذكره ابن القاص في التلخيص، والقفال، وحكاه النووي في زوائد الروضة، وجزم به ابن سبع.

ومنها: أنه كان يلزمه إتمام كل تطوّع شرع فيه، حكاه في الروضة وأصلها.

ومنها: أنه كان مطالباً برؤية مشاهدة الحق مع معاشرة الناس بالنفس والكلام.

ومنها: أنه كلّف من العلم وحده ما كلّفه الناس بأجمعهم، ومنها أن يدفع بالتي هي أحسن.

ومنها: أنه كان يعان على قلبه، فيستغفر الله كل يوم سبعين مرة، ذكر هذه كلها ابن القاص من أصحابنا في تلخيصه، وابن سبع.

وحكي الجرجاني عن الشافعي وجهاً أن الإمامة في سيدنا محمد ﷺ أفضل من الأذان بخلاف غيره، لأنه ﷺ لا يقرّ على السهو والغلط، بخلاف غيره.

وهذا الوجه ينبغي أن يقطع به، ويجعل محل الخلاف في التفضيل بين الإمامة والأذان في غيره.

قسم المحرمات

وفائدته التكرمة حيث نزّه عن سفاسف الأمور، وجبل على مكارم الأخلاق، ولأن أجر ترك المحرم أكثر من المكروه.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه وعلى آله وعلى مواليه وموالي آله: أخرج مسلم عن المطلب بن ربيعة أن رسول الله ﷺ قال: **«إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس، وإنها لا تحل لمحمد ولا لآل محمد»**.

وأخرج ابن سعد عن أبي هريرة، وعائشة، وعبد الله بن بسر، أن رسول الله ﷺ كان يقبل الهدية، ولا يقبل الصدقة.

وأخرج ابن سعد عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الله حرّم عليَّ لصدقة وعلى أهل بيتي»**.

وأخرج أحمد عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أتي بطعام من غير أهله سأل عنه، فإن قيل هدية أكل، وإن قيل صدقة لم يأكل.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس، قال: استعمل النبيّ ﷺ الأرقم الزهري على السعاية، فاستتبع أبا رافع مولى النبيّ ﷺ، فأتى النبيّ ﷺ فقال: **«يا أبا رافع، إن الصدقة حرام على محمد، وعلى آل محمد»**.

وأخرجه أحمد وأبو داود من حديث أبي رافع، وفيه فقال: **«الصدقة لا تحل لنا وأن موالي القوم من أنفسهم»**.

وأخرج ابن سعد، والحاكم وصححه عن عليّ، قال: قلت للعباس: سل النبيّ ﷺ أن يستعملك على الصدقة، فسأله فقال: **«ما كنت لأستعملك على غسالة الأيدي»**.

وأخرج ابن سعد عن عبد الملك بن المغيرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني

عبد المطلب إن الصدقة أوساخ الناس، فلا تأكلوها، ولا تعملوا عليها».

وأخرج مسلم وابن سعد عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث، قال: جئت أنا والفضل بن العباس، فقلنا: يا رسول الله جئنا لتأمرنا على هذه الصدقات، فسكت ورفع رأسه إلى سقف البيت، حتى أردنا أن نكلّمه، فأشارت إلينا زينب من وراء حجابها، كأنها تنهانا عن كلامه، وأقبل فقال: «إن الصدقة لا تحل لمحمد، ولا لآل محمد، وإنما هي أوساخ الناس»، قال العلماء: لما كانت الصدقة أوساخ الناس نزّه منصبه الشريف عن ذلك، وانجرّ إلى آله بسببه، وأيضاً فالصدقة تعطى على سبيل الترحّم المنبي عن ذل الآخذ، فأبدلوا عنها بالغنيمة المأخوذة بطريق العزّ والشرف المنبي عن عزّ الآخذ، وذلّ المأخوذ منه، وقد اختلف علماء السلف: هل شاركه في ذلك الأنبياء، أم اختصّ به دونهم؟ فقال بالأول الحسن البصري، وبالثاني سفيان بن عيينة، ثم الزكاة وصدقة التطوّع بالنسبة إليه ﷺ سواء.

وأمّا آله فمذهبنا أنه لا يحرم عليهم سوى الزكاة، وأمّا صدقة التطوّع فتحل لهم في الأصح، وفي وجه عندنا، وهو مذهب المالكية، أنها تحرم عليهم أيضاً، وفي وجه ثالث تحرم عليهم الخاصة دون العامّة، كالمساجد ومياه الآبار، وحكى ابن الصلاح عن أمالي أبي الفرج السرخسي أن في صرف الكفارة، والنذر إلى الهاشمي قولين، وفي جواز كونهم عمالاً على الزكاة وجهان، أصحهما أيضاً المنع، والأحاديث السابقة صريحة فيه.

باب

أخرج أحمد عن عمران بن حصين الضبي، أن رجلاً حدّثه قال: كان شيخان للحي قد انطلق ابن لهما، فلحق بالنبيّ ﷺ، فقالا: ائته فاطلبه منه وإن أبى إلاّ الفداء، فافتده فطلبته منه، فقال: «هوذا فائت به أباه»، فقلت: الفداء يا نبيّ الله، فقال: «إنه لا يصلح لنا آل محمد، أن نأكل ثمن أحد من ولد إسماعيل»، هذا الحكم المذكور في هذا الحديث لم أرَ أحداً من الفقهاء نبّه عليه.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم أكل ما له ريح كريه في أحد الوجهين: أخرج أحمد والحاكم عن جابر بن سمرة، قال: نزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب، وكان إذا أكل طعاماً بعث إليه بفضله، فينظر إلى موضع يد رسول الله ﷺ فأتى النبيّ ﷺ يوماً، فقال: يا رسول الله لم أر أثر أصابعك؟ قال: «إنه كان فيه ثوم»، قال: أحرام هو، قال: «إنك لست مثلي، إنه يأتيني الملك».

وأخرج الشيخان عن جابر، قال: أتي رسول الله ﷺ بقدر فيه خضرات من بقول، فوجد لها ريحاً، فسأل فأخبر بما فيها من البقول، فقال: قرّبوها إلى بعض أصحابه، فلما رآه كره أكلها، قال: «**كل فإني أناجي من لا تناجي**».

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم الأكل متكئاً في أحد الوجهين: أخرج البخاري عن أبي جحيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أنا فلا آكل متكئاً**».

وأخرج ابن سعد وأبو يعلى بسند حسن، عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال لها: «**يا عائشة، لو شئت لسارت معي جبال الذهب، أتاني ملك وإن حجزته لتساوي الكعبة**»، فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إن شئت نبياً ملكاً، وإن شئت نبياً عبداً، فأشار إليّ جبريل ضع نفسك، فقلت: «**نبياً عبداً**»، قالت: فكان بعد ذلك لا يأكل متكئاً، ويقول: «**آكل كما يأكل العبد، واجلس كما يجلس العبد**».

وأخرج ابن سعد عن الزهري، قال: بلغنا أنه أتى النبيّ ﷺ ملك لم يأته قبلها، ومعه جبريل، فقال الملك وجبريل صامت: إن ربك يخيّرك بين أن تكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً، فنظر إلى جبريل كالمستأمر له، فأشار إليه أن تواضع، فقال: «**بل نبياً عبداً**»، فزعموا أنه لم يأكل منذ قالها متكئاً حتى فارق الدنيا.

وأخرج الطبراني وأبو نعيم والبيهقي، عن ابن عباس، قال: إن الله أرسل إلى نبيّه ﷺ ملكاً من الملائكة معه جبريل، فقال: إن الله يخيّرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكاً نبياً، فالتفت النبيّ ﷺ إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ أن تواضع، فقال: «**بل أكون عبداً نبياً**»، فما آكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقي ربّه.

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن يسار، أن جبريل أتى النبيّ ﷺ وهو بأعلى مكّة يأكل متكئاً، فقال له: يا محمد أكل الملوك، فجلس رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس أن جبريل جاء إلى النبيّ ﷺ وهو يأكل متكئاً، فقال: التكأة من النعمة، فاستوى قاعداً، فما رؤي بعد ذلك متكئاً، وقال: «**إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأشرب كما يشرب العبد**»، قال الخطابي: والمراد بالمتكئ هنا الجالس المعتمد على وطاء تحته، وأقرّه البيهقي، وابن دحية، والقاضي عياض، ونسبه للمحققين، وقيل: المراد به المائل على جنبه.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم الكتابة والشعر: قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، وقال: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩].

وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد، قال: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً لا يخط بيمينه، ولا يقرأ كتاباً، فنزلت: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت:٤٨] الآية.
قال الرافعي: وإنما يتجه القول بتحريمهما إذا قلنا أنه كان يحسنهما، وتعقبه النووي في الروضة، فقال: لا يمتنع تحريمهما، وإن لم يحسنهما، ويكون المراد تحريم التوصّل إليهما.
والصواب أنه ﷺ لم يكن يحسنهما، وذهب بعضهم إلى خلافه متمسّكاً بحديث القضية أنه ﷺ كتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله، والجواب أن المراد بكتب: أمر بالكتابة.

وأخرج الطبراني عن عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه، قال: ما مات النبيّ ﷺ حتى قرأ وكتب، سنده ضعيف، وقال الطبراني: هذا حديث منكر.

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمي: وأظن أن معناه أن النبيّ ﷺ لم يمت حتى قرأ عبد الله بن عتبة وكتب، يعني أنه كان يعقل في زمانه ووقع في أطراف أبي مسعود الدمشقي في حديث القضية أنه ﷺ أخذ الكتاب، وليس يحسن أن يكتب، فكتب مكان رسول الله محمد.
وذكر عمر بن شبّة في كتاب الكُتّاب له أنه ﷺ كتب بيده يوم الحديبية، وأنه لم يكن يعلم الكتابة قبل ذلك، وأن ذلك من معجزاته أنه علّم الكتابة من وقته، وقال بهذا القول جماعة من المحدثين، منهم أبو ذر الهروي، وأبو الفتح النيسابوري، والقاضي أبو الوليد اللخمي، والقاضي أبو جعفر السمناني الأصولي، قال أبو الوليد: كان من أوكد معجزاته أنه يكتب من غير تعليم وقال بعضهم كتب في ذلك اليوم غير عالم بالكتابة ولا فميز لحروفها ولكنه القلم بيده فخط به ما لم يميّزه هوه، فإذا هو كتاب ظاهر بيّن على حسب المراد.

ومما يدلّ على تحريم الشعر عليه ما أخرجه أبو داود عن ابن عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقاً، أو تعلقت تميمة، أو قلت الشعر من قبل نفسي».

وأخرج ابن سعد عن الزهري، قال: قال النبيّ ﷺ وهم يبنون المسجد: «هذا الحمال لا حمال خيبر، هذا أبر ربنا وأطهر»، فكان الزهري يقول: إنه لم يقل شيئاً من الشعر، إلاّ قد قيل قبله إلاّ هذا.

وأخرج ابن سعد، عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد أن النبيّ ﷺ قال للعباس بن مرداس: «**أرأيت قولك: أصبح نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة**»، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أنت بشاعر، ولا راوية، ولا ينبغي لك، إنما قال بين عيينة والأقرع. قال العلماء: ما روى عنه ﷺ من الرجز؛ كقوله: «**هل أنتِ إلا أصبع دميتِ**»، وغيره محمول على أنه لم يقصده، ولا يسمى شعراً إلاّ ما كان مقصوداً، ولذا وقع في القرآن آيات موزونة لأنها لم تقصد.

قال الماوردي: وكما يحرم عليه الكتابة يحرم عليه القراءة في الكتابة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ [العنكبوت:٤٨]، قال: وكما يحرم عليه قول الشعر، يحرم عليه روايته، قال الحربي: ولم يبلغني أنه ﷺ أنشد بيتاً تاماً على رويه بل أما الصدر؛ كقول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، أو العجز كقوله: ويأتيك بالأخبار من لم تزود، فإن أنشد بيتاً كاملاً غيره، كبيت العباس بن مرداس.

وأخرج البيهقي، عن عائشة، قالت: ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قطّ.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم نزع لامته إذا لبسها قبل أن يقاتل: أخرج أحمد وابن سعد عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد: «**رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت بقراً تنحر، فأوّلت أن الدرع المدينة، والبقر بقر، فإن شئتم أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها**»، فقالوا: والله ما دخلت علينا في الجاهلية، أفتدخل علينا في الإسلام، قال: «**فشأنكم إذاً**»، فذهبوا فلبس رسول الله ﷺ لامته فقالوا: ما صنعنا رددنا على رسول الله ﷺ رأيه، فجاؤوا فقالوا: شأنك يا رسول الله، قال: «**الآن أنه ليس لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل**».

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم المن ليستكثر: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر:٦].

أخرج ابن جرير عن ابن عباس في الآية، قال: لا نعط عطية نلتمس بها أفضل منها، وأجمع المفسّرون على أن ذلك خاصّ به ﷺ.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك في قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ [الروم:٣٩] الآية

قال: هذا هو الربا الحلال يهدي الشيء ليثاب أفضل منه ذاك لا له ولا عليه، ونهى عنه النبيّ ﷺ خاصّة.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم مدّ العين إلى ما متع الناس: قال تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر:٨٨] الآية، وهذا الحكم نقله الرافعي عن صاحب الإيضاح، وجزم به النووي في أصل الروضة، وابن القاصّ في التلخيص.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم الصلاة على من عليه دين: كان ذلك في أوّل الإسلام، ثم نسخ لما حصلت التوسعة، وتقدم حديثه في قسم الواجبات.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم إمساك كارهته: أخرج البخاري عن عائشة أن ابنة الجون لما دخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها، قالت: أعوذ بالله منك، فقال: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك»، قال ابن الملقن في خصائصه: وفهم من ذلك أنه يحرم عليه نكاح كل امرأة كرهت صحبته، قال: ويشهد لذلك إيجاب التخيير المتقدم.

وأخرج ابن سعد عن مجاهد، قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب فردّ لم يعد فخطب امرأة، فقالت: أستأمر أبي، فلقيت أباها، فأذن لها، فلقيت رسول الله ﷺ فقالت له، فقال: «قد التحفنا لحافاً غيرك».

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم نكاح الكتابية: أخرج أبو داود في ناسخه عن مجاهد، في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب:٥٢]، قال: نساء أهل الكتاب.

وأخرج سعيد بن منصور عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب:٥٢]، قال: يهوديات ولا نصرانيات لا ينبغي أن يكنّ أمّهات المؤمنين، قال الأصحاب: لأن أزواجه أمّهات المؤمنين، وزوجات له في الآخرة، ومعه في درجته في الجنّة، ولأنه أشرف

من أن يضع ماءه في رحم كافرة، ولأنها تكره صحبته، ولأن الله شرط في إباحة النساء له الهجرة، فقال: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فإذا حرم عليه المسلمة التي لم تهاجر، فغير المسلمة أولى.

قال أبو إسحاق من أصحابنا: ولو نكح كتابية لهديت إلى الإسلام كرامة له، وذهب بعض أصحابنا إلى تحريم تسريه بالأمة الكتابية أيضاً، لكن الأصح فيها الحل.

قال الماوردي في الحاوي: وقد استمتع ﷺ بأمته ريحانة قبل أن تسلم، وعلى هذا فهل عليه تخييرنا بين أن تسلم فيمسكها، أو تقيم على دينها فيفارقها، فيه وجهان، أحدهما: نعم، لتكون من زوجاته في الآخرة، والثاني: لا، لأنه لما عرض على ريحانة الإسلام فأبت لم يزلها عن ملكه، وأقام على الاستمتاع.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم نكاح المسلمة التي لم تهاجر: أخرج الترمذي وحسنه، وابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال: نهى رسول الله ﷺ عن أصناف النساء، إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات، قال: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، فأحلّ له الفتيات المؤمنات، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ وحرم كل ذات دين غير الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] إلى قوله: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، وحرم ما سوى ذلك من أصناف النساء.

باب

ومن خصائصه ﷺ تحريم نكاح الأمة المسلمة: في الأصح لأن جوازه مشروط بخوف العنت، وهو ﷺ معصوم، وبفقدان طَوْل الحرة، ونكاحه غير مفتقر إلى المهر، ولا من نكح أمة كان ولده منها رقيقاً، ومنصبه منزّه عن ذلك، قال الرافعي: لكن من جوز ذلك، قال: «خوف العنت»، إنما يشترط في حق الأمة، وكذا فقد الطول، وعلى هذا يجوز له الزيادة على أمة واحدة، بخلاف الأُمَّة، ولو قدر نكاحه أمة فأتت بولد لم يكن رقيقاً، ولا يلزمه قيمة الولد لسيّدها على الصحيح، لأن الرقّ متعذّر. قال الإمام: ولو قدر نكاح غرور في حقه ﷺ لم يلزمه قيمة الولد. قال ابن الرفعة في المطلب: وفي إمكان تصوّر نكاح الغرور ووطئه فيه نظر، إذا قلنا: إن وطأ الشبهة حرام مع كونه لا إثم فيه، فيجوز أن يصان جانبه العليّ عن ذلك، ويجوز أن يقال بجوازه، لأن الإثم مفقود بإجماع كالنسيان.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم خائنة الأعين: أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وصححه، والبيهقي، عن سعد بن أبي وقاص أن النبيّ ﷺ يوم الفتح أمّن الناس إلاّ أربعة نفر، منهم: عبد الله بن أبي سرح، فاختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاءه، فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: «أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته، ليقتله»، قالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك، هلا أومأت بعينك؟ قال: «إنه لا ينبغي أن يكون لنبي خائنة الأعين».

وأخرج ابن سعد عن ابن المسيب مرسلاً نحوه، وآخره فقال: «الإيماء خيانة ليس لنبيّ أن يوميْ». قال الرافعي: خائنة الأعين هي الإيماء إلى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر ويشعر به الحال، ولا يحرم ذلك على غيره، إلاّ في محظور، واستدلّ به صاحب التلخيص على أنه لم يكن له ﷺ أن يخدع في الحرب، وخالفه المعظم، قال الرافعي: لأنه اشتهر أنه ﷺ كان إذا أراد سفراً ورى بغيره، وهو في الصحيحين من حديث كعب بن مالك، والفرق أن الرمز يزري بالرامز، بخلاف الإيهام في الأمور العظام.

قال السيوطي: قلت: وقد أخرج البيهقي في الدلائل، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر في مدخله المدينة: «إله الناس، فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب»، فكان أبو بكر إذا سئل: ما أنت؟ قال: باغٍ، فإذا قيل: من الذي معك؟ قال: هادٍ يهديني، وهذا يدلّ على أن التورية في الأمور الخاصّة لا تليق أيضاً بالأنبياء، فإن الذي قاله أبو بكر لم يكن كذباً، وإنما هو تورية، ومراده يهديني سبيل الخير، ولكنه سمي كذباً لما كان بصورته، وبهذا يتّضح حديث قول إبراهيم عليه السلام في الشفاعة: إني كذبت ثلاث كذبات، وإنما هنّ توريات، فالظاهر أن من خصائص الأنبياء المنع من ذلك، فلذلك عدّهن على نفسه كذبات.

باب

عدّ ابن سبع من خصائصه تحريم الإغارة إذا سمع التكبير، ويستدلّ له بما أخرجه الشيخان عن أنس: أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم.

باب

ومن خصائصه ﷺ بما ذكر القضاعي أنه يحرم عليه قبول الاستعانة بالمشركين: أخرج البخاري في تاريخه عن حبيب بن يسارف، قال: خرج النبيّ ﷺ وجهاً، فأتيته أنا ورجل من قومي، قلنا: إنا نكره أن يشهد قوماً مشهداً لا نشهده معهم، فقال: «**أسلمتما**»، قلنا: لا، قال: «**فإنّا لا نستعين بالمشركين على المشركين**».

وعدّ القاضي من خصائصه ﷺ أنه لا يشهد على جور، أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير.

قسم المباحات

باب

اختصاصه ﷺ بإباحة الصّلاة عند العصر: قال في الروضة: فاته ﷺ ركعتان بعد الظهر، فقضاهما بعد العصر، ثم واظب عليهما بعد العصر، وفي اختصاصه بهذه المداومة وجهان، أصحهما الاختصاص.

أخرج مسلم والبيهقي في سننه عن أبي سلمة، أنه سأل عائشة عن السجدتين اللتين كان رسول الله ﷺ يصلّيهما بعد العصر، فقالت: كان يصلّيهما قبل العصر، ثم إنه شغل عنهما فصلاهما بعد العصر، ثم أثبتهما، وكان إذا صلّى صلاة أثبتها.

وأخرج أحمد، وأبويعلى، وابن حبان بسند صحيح عن أم سلمة، قالت: صلّى رسول الله ﷺ العصر، ثم دخل بيتي، فصلّى ركعتين، فقلت: يا رسول الله صلّيت صلاة لم تكن تصلّيها.

قال: «قدم خالد فشغلني عن ركعتين كنت أركعهما بعد الظهر، فصلّيتهما الآن»، قلت: يا رسول الله أفنقضيهما إن فاتتا؟ قال: «لا».

وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يصلّي بعد العصر وينهى عنها، ويواصل وينهى عن الوصال.

وأخرج البخاري عن عائشة، قالت: ركعتان لم يكن رسول الله ﷺ يدعهما سراً وعلانية، ركعتان قبل الصبح، وركعتان بعد العصر.

باب

اختصاصه ﷺ بحمل الصغيرة في الصلاة في ما ذكر بعضهم: أخرج الشيخان عن أبي قتادة: أن رسول الله ﷺ صلّى وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها، قال بعضهم: هذا من خصائصه ﷺ، نقله ابن حجر في شرح البخاري.

باب

ذهب أبو حنيفة إلى أن الصلاة على الغائب من خصائصه ﷺ، وحمل على ذلك صلاته على النجاشي، وقال: إنه لا يجوز لغيره.

باب

قالت طائفة: ومن خصائصه ﷺ أنه صلّى بالناس جالساً، كما في حديث الصحيحين، ونهى عن ذلك.

وأخرج الدارقطني والبيهقي في السنن، من طريق جابر الجعفي عن الشعبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمنّ أحد بعدي جالساً».

قال الدارقطني: لم يروه غير جابر الجعفي وهو متروك، والحديث مرسل لا تقوم به حجّة. وقال الشافعي: قد علم الذي احتجّ بهذا أن ليست فيه حجّة لأنه مرسل، ولأنه عن رجل يرغب الناس عن الرواية عنه.

باب

اختصاصه بإباحة الوصال: أخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إيّاكم والوصال»، قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله، قال: «إني لست مثلكم»، قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني».

اختلف في معنى هذا الحديث، فقيل: المراد الحقيقة، وأنه يأتيه الطعام والشراب من الجنّة، وأكل الجنّة لا يفطر، وقيل: المجاز والمراد أنه يجعل فيه قوّة الطاعم والشارب، ثم الجمهور على أن الوصال في حقه من المباحات، وقال إمام الحرمين: هو قربة في حقّه، وهٰهنا لطيفة نبّه عليها صاحب المطلب، وهو أن خصوصيته بإباحة الوصال على كل أمّته لا على أحد أفرادها، لأن كثيراً من الصلحاء اشتهر عنهم الوصال، قال: والنهي توجه بحسب المجموع، انتهى.

فائدة: قال ابن حبان في صحيحه: يستدلّ بهذا الحديث على بطلان ما ورد أنه كان يضع الحجر علي بطنه من الجوع، لأنه كان يطعم ويسقى من ربّه إذا واصل، فكيف يترك جائعاً مع عدم الوصال حتى يحتاج إلى شدّ حجر على بطنه؟ قال: وإنما لفظ الحديث الحجز، بالزاي وهو طرف الإزار، فتصحف بالراء.

باب

اختصاصه ﷺ بأن له أن يستثني في كلامه بعد زمان منفصلاً: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].

أخرج الطبراني، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في الآية، قال: إذا نسيت الاستثناء فاستثن إذا ذكرت، وقال: هي خاصة برسول الله ﷺ، وليس لأحد منّا أن يستثني إلاّ في صلة من يمينه.

باب

ومن خصائصه ﷺ كما قال الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام وغيره: أن له الجمع في الضمير بينه وبين ربّه سبحانه؛ كقوله: «أن يكون الله ورسوله، أحب إليه مما سواهما»، وقوله: «ومن يعصهما فإنه لا يضرّ إلاّ نفسه»، وذلك ممتنع على غيره؛ لقوله للخطيب حين قال من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله»، قالوا: إنما امتنع عن غيره دونه لأن غيره إذا جمع أوْهَم إطلاقه التسوية بخلافه هو، فإن منصبه لا يتطرّق إليه إيهام ذلك.

باب

ومن خصائصه ﷺ أنه لا تجب عليه الزكاة، قال الشيخ تاج الدين بن عطاء، شيخ الصوفية على طريقة الشاذلية في كتابه «التنوير»: الأنبياء عليهم السلام لا تجب عليهم الزكاة، لأنهم لا ملك لهم مع الله، إنما كانوا يشهدون ما في أنفسهم من ودائع الله لهم يبذلونه في أوان بذله، ويمنعونه في غير محلّه، ولأن الزكاة إنما هي طهرة لما عساه أن يكون ممن أوجبت عليه، والأنبياء مبرؤون من الدنس لعصمتهم.

باب

اختصاصه ﷺ بأربعة أخماس الفيء، وخمس خمس الفيء والغنيمة، وباصطفاء ما يختاره من الغنيمة قبل القسمة من جارية وغيرها:

قال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١].

وأخرج أحمد والشيخان عن عمر قال: إن الله كان خص رسول الله ﷺ في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحداً غيره، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر:٦]، فكانت هذه خاصة لرسول الله ﷺ، فكان ينفق على أهله نفقة سنتهم، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مجعل مال الله، فعمل بذلك حياته، ثم توفي، فقال أبو بكر: أنا وليّ رسول الله ﷺ، فعمل فيه بما عمل فيه رسول الله ﷺ.

وأخرج أبو داود والحاكم عن عمرو بن عبسة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلاّ الخمس، والخمس مردود فيكم**».

وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عمر بن الحكم، قال: لما سبيت بنو قريظة عرض السبي على رسول الله ﷺ، فكان فيه ريحانة بنت زيد بن عمرو، فأمر بها فعزلت، وكان يكون له صفي من كل غنيمة.

وأخرج البيهقي في سننه عن يزيد بن الشخير، عن رجل من الصحابة من أهل البادية أن رسول الله ﷺ كتب له في قطعة أديم من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش: «**إنكم إن شهدتم أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأدّيتم الخمس من المغنم، وسهم النبيّ، وسهم الصفيّ، أنتم آمنون بأمان الله ورسوله**».

قال ابن عبد البر: سهم الصفي مشهور في صحيح الآثار، معروف عند أهل العلم، ولا تختلف أهل السير في أن صفيه منه، وأجمع العلماء على أنه خاصّ به ﷺ، وذكر الرافعي أن ذا الفقار كان من الصفي.

باب

اختصاصه ﷺ بالحمى لنفسه، وأنه لا ينقض ما حماه:

أخرج البخاري عن ابن عباس أن الصعب بن جثامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حمى إلاّ لله ولرسوله**»، قال الأصحاب: من خصائصه ﷺ أن له أن يحمي الموات لنفسه، ولا يجوز ذلك لسائر الأئمّة قطعاً، وإنما يجوز لهم الحمى للمسلمين، وقيل: لا يجوز أيضاً، وعلى الجواز يجوز نقله لمن بعده، وما حماه النبيّ ﷺ لا ينتقض ولا يغيّر بحال، وكان ﷺ يقطع الأراضي قبل فتحها، لأن الله ملكه إياها، يفعل فيها ما يشاء، وقد أقطع تميماً الداري وذريته قرية بيت المقدس قبل فتحه، وهي في يد ذريته إلى اليوم، وأراد بعض الولاة التشويش عليهم،

فأفتى الغزالي بكفره، قال: لأن النبيّ ﷺ كان يقطع أرض الجنّة، فأرض الدنيا أولى.

باب

اختصاصه ﷺ بإباحة القتال بمكّة، والقتل بها، ودخولها بغير إحرام، والقتل بعد الأمان:

قال تعالىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

وأخرج الشيخان عن أنس: أن رسول الله ﷺ دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاءه رجل، فقال: إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه».

وأخرج الشيخان عن أبي شريح العدوي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح: «إن مكّة حرّمها الله ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحداً ترخص بقتال رسول الله ﷺ، فقولوا: إن الله أذن لرسوله، ولم يأذن لكم».

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام، قال ابن القاصّ: وكان يجوز له القتل بعد الأمان، قال الرافعي: وخطّؤوه فيه، وقالوا: من يحرم عليه خائنة الأعين، كيف يجوز له قتل من أمّنه.

باب

اختصاصه ﷺ بالقضاء بعلمه ولنفسه ولولده، وقبول شهادة من يشهد له ولولده والشهادة لنفسه ولولده، وقبول الهدية بخلاف غيره من الحكام:

أورد البيهقي في القضاء بالعلم، حديث هند زوج أبي سفيان، وقوله لها: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك، ويكفي بنيك».

وأورد في الحكم لنفسه وقبول شهادة من يشهد له حديث شهادة خزيمة الآتي، قال: وإذا جاز ذلك جاز أن يحكم لولده، وتقدم حديث قبول الهدية.

باب

ومن خصائصه ﷺ أنه لا يكره له الحكم والفتوى في حال الغضب، لأنه لا يخاف عليه

من الغضب ما يخاف علينا: ذكره النووي في شرح مسلم، عند حديث اللقطة، فإنه أفتى فيه، وقد غضب حتى احمرّت وجنتاه.

باب

اختصاصه ﷺ بجواز القبلة وهو صائم مع قوة شهوته، وذلك حرام على غيره:

أخرج الشيخان عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يقبّل وهو صائم، وأيّكم يملك أربه كما كان رسول الله ﷺ يملك أربه.

وأخرج مسلم وابن ماجه عن عائشة، قالت: كان رسول الله ﷺ يباشر وهو صائم، وكان أملكهم لأربه.

وأخرج البيهقي في سننه عن عائشة: أن رسول الله ﷺ كان يقبّلها وهو صائم، ويمصّ لسانها.

باب

اختصاصه ﷺ بجواز استمرار الطّيب بعد الإحرام، في ما ذكره المالكية:

أخرج الشيخان عن عائشة، قالت: كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفارق رسول الله ﷺ وهو محرم.

قال المالكية: استدامة الطيب بعد الإحرام من خصائصه، لأنه من دواعي النكاح، فنهى الناس عنه، وكان هو أملك الناس لأربه ففعله، ولأنه حبّب إليه، فرخص له فيه، ولمباشرته الملائكة لأجل الوحي.

باب

اختصاصه ﷺ بجواز المكث في المسجد جنباً، وبعدم انتقاض وضوئه بالنوم مضطجعاً، وباللمس في أحد الوجهين، وهو الأصح عندي:

أخرج الترمذي والبيهقي عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: **«لا يحلّ لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك»**.

وأخرج البزار عن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحلّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»**.

وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب، قال: لقد أعطي عليّ ثلاث خصال، لأن يكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من أن أعطى حمر النعم: تزويجه فاطمة، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ لا يحل لي فيه ما يحل له، والراية يوم خيبر.

وأخرج البيهقي عن أمّ سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«لا يحلّ هذا المسجد لجنب ولا حائض إلاّ لرسول الله ﷺ، وعليّ، وفاطمة، والحسن والحسين»**.

وأخرج الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن أبي حازم الأشجعي، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ هو وهارون، وإن الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلاّ أنا وعليّ وابنا عليّ»**.

وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: **«إني لا أحلّ المسجد لجنب ولا حائض، إلاّ لمحمد وآله وعليّ وفاطمة»**.

وأخرج البيهقي في سننه، عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال: **«إني لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب، إلاّ لمحمد وآل محمد»**.

وأخرج الشيخان عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ توّضأ باللّيل، وصلّى ثم نام، حتى سمعت غطيطه، ثم أتاه المؤذن، فقام إلى الصّلاة، ولم يتوضّأ.

وأخرج البزار عن ابن مسعود، أن النبيّ ﷺ كان ينام وهو ساجد، ثم يقوم فيمضي في صلاته.

وأخرج ابن ماجه وأبو يعلى، عن ابن مسعود، قال: كان رسول الله ﷺ ينام مستلقياً حتى ينفخ، ثم يقوم فيصلّي ولا يتوضّأ، وعلّة ذلك أنه تنام عينه ولا ينام قلبه.

وأخرج ابن ماجه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قبّل بعض نسائه ثم صلّى ولم يتوضّأ، وفي لفظ عنها: كان يتوضّأ، ثم يقبّل، ويصلّي ولا يتوضأ، قال عبد الحق: لا أعلم لهذا الحديث علّة توجب تركه.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عائشة، قالت: أن كان رسول الله ﷺ ليصلّي، وإني لمعترضة بين يديه اعتراض الجنازة، حتى إذا أراد أن يوتر مسّني برجله.

باب

اختصاصه ﷺ بجواز لعن من شاه بغير سبب: قاله ابن القاصّ وإمام الحرمين، وما فيه من الفرائد.

أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «اللّهمّ إني أتخذ عندك عهداً لا تخلفنيه، فإنما أنا بشر فأيّ المؤمنين آذيته، أو سببته أو لعنته، أو جلدته، فاجعلها له زكاة وصلاة وقربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة».

وأخرج أحمد بسند صحيح عن أنس أن رسول الله ﷺ دفع إلى حفصة رجلاً، وقال: «احتفظي به»، فغفلت عنه ومضى، فقال لها رسول الله ﷺ: «قطع الله يدك» ففزعت، فقال: «إني سألت ربي تبارك وتعالىٰ، أيّما إنسان من أمّتي دعوت الله عليه، أن يجعلها له مغفرة».

وأخرج الطبراني عن معاوية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللّهمّ من لعنته في الجاهلية ثم دخل في الإسلام، فاجعل ذلك قربة له إليك».

باب

اختصاصه ﷺ بقهر من شاء على طعامه وشرابه: وعلى المالك البذل وإن كان محتاجاً، ويفدي بمهجته مهجة رسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦]، وذكر جماعة أنه لو قصده ظالم وجب على من حضره أن يبذل نفسه دونه ﷺ، كما وقاه طلحة بنفسه يوم أُحد، ولو رغب في نكاح امرأة فإن كانت خلية وجب عليها الإجابة، وحرم على غيره خطبتها، وإن كانت ذات زوج وجب على زوجها طلاقها لينكحها، للآية السابقة، ولقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال:٢٤] الآية، كذا استدلّ بها الماوردي.

واستدلّ الغزالي لوجوب التطليق بقصد زيد، قال: ولعلّ السرّ فيه من جانب الزوج امتحان إيمانه بتكليفه النزول عن أهله، فإن النبيّ ﷺ قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وولده والناس أجمعين»، ومن جانبه ﷺ ابتلاؤه بالبليّة البشريّة، ومنعه من خائنة الأعين، ومن الإضمار الذي يخالف الإظهار.

باب

اختصاصه ﷺ بنكاح أكثر من أربعة نسوة، وهو إجماع: أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، في قوله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾ [الأحزاب:٣٨]، قال: يعني يتزوّج من النساء ما شاء هذا فريضة، وكان من كان من الأنبياء هذا سنّتهم.

قد كان لسليمان بن داود ألف امرأة، وكان لداود مائة امرأة. وقال البيهقي في سننه في قوله تعالىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠] إلى قوله تعالىٰ: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، فأحل له مع أزواجه، وكنّ ذوات عدد من ليس له بزوج يوم أحلّ له من بنات عمّه وبنات عمّاته، وبنات خاله، وبنات خالاته.

قال العلماء: لما كان الحرّ لفضله على العبد يستبيح من النسوة أكثر مما يستبيحه العبد، وجب أن يكون النبيّ ﷺ لفضله على جميع الأمة يستبيح من النساء أكثر مما تستبيحه الأمة. وحكى القرطبي في تفسيره: أنه أحلّ لنبيّنا ﷺ تسعاً وتسعين امرأة، وذكر في ذلك فوائد منها نقل محاسنه الباطنة، فإنه ﷺ مكمل الظاهر والباطن.

ومنها: نقل الشريعة التي لم يطّلع عليها الرجال، ومنها: تشريف القبائل بمصاهرته، ومنها: شرح صدره بكثرتهن عما يقاسيه من أعدائه.

ومنها: زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل أعباء الرسالة، فيكون ذلك أعظم لمشاقه وأكثر لأجره، ومنها: أن النكاح في حقه عبادة، قالوا: وقد تزوّج أم حبيبة وأبوها في ذلك الوقت عدوّه، وصفية وقد قتل أباها وعمّها وزوجها، فلو لم يطّلعن على باطن أحواله على أنه أكمل الخلق، لكانت الطباع البشرية تقتضي ميلهن إلى آبائهن وقرابتهن، وكان في كثرة النساء عنده بيان لمعجزاته وكماله باطناً، كما عرفه الرجال منه ظاهراً ﷺ.

باب

اختصاصه ﷺ بجواز النكاح بغير وليّ وشهود: أخرج البيهقي في سننه عن أبي سعيد قال: لا نكاح إلاّ بولي وشهود ومهر، إلاّ ما كان للنبيّ ﷺ. وأورد البيهقي أيضاً ما أخرجه مسلم عن أنس: أن رسول الله ﷺ حين بنى بصفية، قال الناس: لا ندري أتزوّجها أم اتّخذها أم ولد؟ فقالوا: إن حجبها فهي امرأته، وإن لم يحجبها فهي أمّ ولد، فلما أراد أن يركب حجبها فعرفوا أنه قد تزوّجها، ووجه الدلالة منه ظاهر كما ترى.

قال العلماء: إنما اعتبر الوليّ في نكاح الأمة للمحافظة على الكفارة، وهو ﷺ فوق الأكفاء، وإنما اعتبر الشهود لا من الجحود، وهو ﷺ لا يجحد، ولو جحدت هي لم يرجع إلى قولها على خلاف قوله، بل قال العراقي في شرح المهذب: تكون كافرة بتكذيبه، وكان له ﷺ تزويج المرأة من نفسه، وتولّي الطرفين بغير إذنها وإذن وليّها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

باب

ومن خصائصه ﷺ أن المرأة كانت تحل له بتحليل الله، فيدخل عليها بغير عقد. قال البيهقي: وإذا جاز ذلك جاز أن يعقد على المرأة بغير استئمارها، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

وأخرج البخاري عن أنس، قال: كانت زينب تفتخر على أزواج رسول الله ﷺ، فتقول: زوجّكن أهاليكن، وزوّجني الله من فوق سبع سمٰوات.

وأخرج مسلم عن أنس، قال: لما انقضت عدّة زينب، قال رسول الله ﷺ لزيد: «اذهب فاذكرها عليّ»، فذهب فأخبرها، فقالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربّي، فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتى دخل عليها بغير إذن.

وأخرج البيهقي عن عليّ بن الحسين، في قوله تعالىٰ: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب:٣٧]، قال: كان الله أعلمه أن زينب ستكون من أزواجه.

وأخرج ابن سعد وابن عساكر، عن أم سلمة عن زينب، قالت: إني والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله ﷺ، إنهن زوّجن بالمهور، وزوّجهن الأولياء، وزوّجني الله ورسوله، وأنزل فيَّ الكتاب، يقرأه المسلمون لا يبدل ولا يغيّر.

وأخرج ابن سعد وابن عساكر، عن عائشة قالت: يرحم الله زينب بنت جحش، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف، أن الله زوّجها نبيّه في الدنيا، ونطق به القرآن، وأن رسول الله ﷺ قال لنسائه، ونحن حوله: «أسرعكن بي لحوقاً أطولكن باعاً»، فبشّرها بسرعة لحوقها به، وهي زوجته في الجنّة.

وأخرج ابن جرير عن الشعبي، قال: كانت زينب تقول للنبيّ ﷺ إني لأدلّ عليك بثلاث ما من امرأة تدل بهنّ: أن جدي وجدك واحد، وأني أنكحنيك الله من السماء، وأن السفير جبريل.

باب

ومن خصائصه ﷺ أن له النكاح بلفظ الهبة، وبلا مهر ابتداء وانتهاء. قال تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠].

أخرج ابن سعد عن عكرمة أن ميمونة بنت الحارث وهبت نفسها للنبيّ ﷺ.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم التيمي، أن أم شريك وهبت نفسها للنبيّ ﷺ فلم يقبلها، فلم تتزوّج حتى ماتت.

وأخرج ابن سعد والبيهقي في السنن، عن الشعبي في قوله تعالىٰ: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]، قال: كنّ نساء وهبن أنفسهن للنبيّ ﷺ، فدخل ببعضهن، وأرجأ بعضاً، فلم ينكحن بعده، منهنّ أم شريك.

وأخرج سعيد بن منصور، والبيهقي في سننه عن المسيّب، قال: لا تحل الهبة لأحد بعد رسول الله ﷺ، وهل يكفي لفظ الاتهاب من جهته أيضاً، كما يكفي من المرأة، أو يشترط لفظ النكاح؟ وجهان، أصحهما الثاني، لظاهر قوله: أن يستنكحها، فاعتبر في جانبه النكاح.

باب

اختصاصه ﷺ بإباحة عدم القسم لأزواجه في أحد الوجهين، وهو المختار وصححه الغزالي: قال تعالىٰ: ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ﴾ [الأحزاب:٥١].

أخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي، قال: كان رسول الله ﷺ موسعاً عليه في قسم أزواجه، يقسم بينهن كيف شاء، وذلك قول الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]، إذا علمن أن ذلك من الله.

قال بعضهم في وجوب القسم عليه شغل عن لوازم الرسالة، وقد صح أنه كان يطوف على نسائه في الساعة الواحدة، وذلك ينافي وجوب القسم. وقد ذكر ابن القشيري في تفسيره: أنه كان واجباً عليه، ونسخ بالآية المذكورة، وفي وجوب نفقة أزواجه عليه، وجهان، صحح النووي الوجوب، وعلى هذا لا تتعدد بخلاف نفقة غيره.

باب

اختصاصه ﷺ بجواز النكاح وهو محرم: أخرج الشيخان عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ نكح ميمونة وهو محرم، وفي وجه حكاه الرافعي أنه كان يجوز له نكاح المعتدّة من غيره، والجمع بين المرأة وأختها، وعمّتها، وخالتها، وابنتها، والأصح في الجميع المنع، ويشهد له حديث الصحيح، وفي بنت أم سلمة، وقوله لأم حبيبة وقد عرضت عليه أختها: «إن ذلك لا يحل لي، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن».

وقد صحّ أنه ﷺ تزوّج عائشة بنت ست سنين أو سبع، فذهب ابن شبرمة في ما حكاه ابن حزم إلى أن ذلك خاصّ به ﷺ، وأنه لا يجوز للأب إنكاح ابنته حتى تبلغ، أورده ابن اللقن في الخصائص، وقال: هذا غريب لا نعلمه عن غيره.

وقد قال الجمهور: إن ذلك لكل أحد، وإنه ليس من الخصائص، بل نقل ابن المنذر الإجماع عليه.

باب

اختصاصه ﷺ بعتق أمته وجعل عتقها صداقها: أخرج الشيخان عن أنس: أن رسول الله ﷺ أعتق صفية، وجعل عتقها صداقها.

وأخرج البيهقي في سننه عن أنس: أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وتزوّجها، فسئل: ما أصدقها؟ قال: «نفسها».

قال ابن حبان: فعل ذلك ﷺ، ولم يقم دليل على أنه خاص به دون أمّته، فيباح لهم ذلك لعدم وجود تخصيصه فيه، قلت: وقول ابن حبان هو المختار عندي، وهو مذهب أحمد وإسحاق.

باب

اختصاصه ﷺ بإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهنّ: أخرج البخاري عن خالد بن ذكوان، قال: قالت الرُّبَيّع بنت معوّذ بن عفراء: جاء النبيّ ﷺ فدخل عليَّ حين بُنيَ عليَّ، فجلس على فراشي كمجلسك مني، قال الكرماني: هذا الحديث هو محمول على أن ذلك كان قبل نزول آية الحجاب، أو جاز النظر للحاجة، أو للأمن من الفتنة.

وقال ابن حجر: الذي وضح لنا بالأدلّة القوية أن من خصائص النبيّ ﷺ جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها، وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان في دخوله عليها ونومه عندها، وتفليتها رأسه، ولم يكن بينهما محرمية، ولا زوجية.

وفي الخصائص لابن الملقن: وقد ذكر أم حرام من أحاط علماً بالنسبة، علم أنه لا محرمية بينها وبين النبيّ ﷺ، وقد بيّن ذلك الحافظ الدمياطي، وقال: هذا خاصّ بأمّ حرام وأختها أم سليم، قال ابن الملقن: والنبيّ ﷺ معصوم، فيقال: كان من خصائصه الخلوة بالأجنبية، وقد ادّعاه بعض شيوخنا.

قلت: نقل الشمني في حاشيته على الشفا للقاضي عياض أن أم أنس بن مالك، وهي أم

سليم واسمها سهلة، وقيل: رميلة، وقيل: أنيسة، وقيل: مليكة، وقيل: الرميصاء، وقيل: الغميصاء، وأختها أم ملحان خالتا النبيّ ﷺ من الرضاع، وعلى هذا فالمحرمية موجودة.

باب

اختصاصه ﷺ بأنه يزوج من شاء من النساء بمن شاء من الرجال إجباراً بغير رضاهنّ، ورضى آبائهنّ: قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦] الآية. وأورد البيهقي في سننه في الباب قوله تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب:٦].

وما أخرجه البخاري عن أبي هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «ما من مؤمن إلاّ وأنا أولى به في الدنيا والآخرة». وما أخرجه الشيخان عن سهل بن سعد أن امرأة أتت النبيّ ﷺ فعرضت نفسها عليه، فقال: «ما لي بالنساء من حاجة»، فقال رجل: يا رسول الله زوّجنيها، قال: «زوجتكها بما معك من القرآن».

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ خطب زينب بنت جحش على فتاه زيد بن حارثة، فقالت: لست بناكحته، فبينما هما يتحدثان أنزل الله على رسوله هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب:٣٦] الآية، قالت: قد رضيته لي يا رسول الله، قال: «نعم»، قالت: إذن لا أعصى رسول الله.

وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي أن عبد الله ذا البجادين خطب امرأة فلم تتزوجه، فسألها أبو بكر وعمر فأبت، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: «يا عبد الله ألم يبلغني أنك تذكر فلانة»، قال: بلى، قال: «فإني قد زوجتكها»، فأدخلت عليه.

باب

وله على ذلك تزويج الصغيرة من غير بناته: أخرج البيهقي في سننه عن ابن عباس، أن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب كانت بملكه، فلما قدم النبيّ ﷺ في عمرة القضية خرج بها عليّ، وقال للنبيّ ﷺ تزوّجها، فقال: «إنها ابنة أخي من الرّضاعة»، فزوّجها رسول الله ﷺ سلمة بن أبي سلمة.

قال البيهقي: للنبيّ ﷺ في باب النكاح من إنكاح الصغيرة وغير ذلك ما ليس لغيره، ولذلك تولّى تزويجها دون عمّها العباس.

باب

أخرج البيهقي في سننه عن سلمة بن أبي سلمة أن النبيّ ﷺ خطب أم سلمة، قالت: ليس أحد من أوليائي شاهداً، قال: «مري ابنك أن يزوّجك»، فزوّجها ابنها وهو يومئذ صغير لم يبلغ. قال البيهقي: وكان له ﷺ في باب النكاح ما لم يكن لغيره.

باب

ومن خصائصه عدم انحصار طلاقه في الثلاث في أحد الوجهين، كما لا ينحصر عدد زوجاته، وعلى الحصر لو طلق واحدة ثلاثاً، فهل تحلّ له من غير أن تنكح غيره؟ فيه وجهان، أحدهما: نعم، لما خصّ به من تحريم نسائه على غيره، والثاني: لا، لا تحل له أبداً.

باب

ومن خصائصه أنه ﷺ حرم أمته مارية فلم تحرم عليه، ولم تلزم كفارة، في ما قاله مقاتل؛ لأنه مغفور له، وغيره من الأمة إذا أحرم أمته لزمته الكفارة.

باب

ومن خصائصه أنه ضحى عن أمته، وليس لأحد أن يضحي عن الغير بغير إذنه.

أخرج الحاكم عن عائشة وأبي هريرة أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين فذبح أحدهما، فقال: **«اللّهمّ عن محمد وأمّته من شهد لك بالتوحيد، ولي بالبلاغ»**.

وأخرج الحاكم وصححه عن عليّ بن الحسين: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج: ٦٧]، قال: ذبح هم ذابحوه، حدّثني أبو رافع: أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحّى اشترى كبشين سمينين أملحين أقرنين، فإذا خطب وصلّى ذبح أحدهما، ثم يقول: **«اللّهمّ هذا عن أمتي جميعاً من شهد لك بالتوحيد، ولي بالبلاغ»**، ثم أتى بالآخر فذبحه وقال: **«اللّهمّ هذا عن محمد وآل محمد»**، ثم يطعمهما المساكين ويأكل هو وأهله منهما، فمكثنا سنين قد كفانا الله الغرم والمؤنة، ليس أحد من بني هاشم يضحّي.

باب

عدّ ابن سبع من خصائصه ﷺ أن له قتل من سبّه أو هجاه، وذلك راجع إلى القضاء لنفسه.

قسم الكرامات

باب

اختصاصه بأنه لا يورث، وأن ماله بعد قائم على نفقته: أخرج الشيخان عن أبي بكر الصديق أن رسول الله ﷺ قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة»، إنما يأكل آل محمد في هذا المال، وإني والله لا أغيّر شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليه في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ.

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، قال: «لا تقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فإنه صدقة».

وأخرج الطبراني عن ابن عمر أن النبيّ ﷺ قال لعلي: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبوّة ولا وراثة».

فائدة: حكى القاضي عياض عن الحسن البصري، أنه قال: هذه الخصيصة مختصّة بنبيّنا ﷺ بخلاف سائر الأنبياء، فإنهم يورثون؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦]، وقول زكريا: رب هب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب، وعلى هذا فتضمّ هذه إلى الخصائص التي امتاز بها على الأنبياء، لكن الصواب الذي عليه جميع العلماء أن ذلك لجميع الأنبياء، لما أخرجه النسائي من حديث الزبير مرفوعاً: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورث».

والجواب عن الآيتين: أن المراد فيهما إرث النبوّة والعلم. وقد روى ابن ماجه عن أبي الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر».

وقد ذكر في الحكمة في كون الأنبياء لا يورثون أوجه، منها: أنه لا يتمنى قريبهم موتهم فيهلك بذلك. ومنها: أن لا يظن بهم الرغبة في الدنيا، وجمعها لورّاثهم. ومنها: أنهم أحياء والحي لا يورث.

ولهذا ذهب إمام الحرمين إلى أن ماله ﷺ باقٍ على ملكه ينفق منه على أهله وخدمه ومصرفه في ما كان يصرفه في حياته.

ورجّح النووي وغيره أنه زال ملكه عنه، وأنه صدقة على جميع المسلمين، لا تختصّ به

الورثة، وأخذ بعضهم من هذا خصّيصة أخرى، وهو أنه أبيح له التصدّق بجميع ماله بعد موته بخلاف أمته، فإنهم مقصورون على الثلث.

باب

اختصاصه ﷺ بأن أزواجه أمّهات المؤمنين: وذلك في تحريم نكاحهنّ، ووجوب احترامهنّ وطاعتهنّ لا في النظر ونحوه، قال تعالىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وقرئ: وهو أب لهم، قال البغوي: وهنّ أمّهات المؤمنين من الرجال دون النساء، لأن فائدة المؤمنين في حق الرجال وهي النكاح مفقودة في حق النساء.

وأخرج ابن سعد والبيهقي عن عائشة: أن امرأة قالت لها: يا أمه، فقالت: أنا أم رجالكم ولست أم نسائكم.

وأخرج ابن سعد والبيهقي، عن أمّ سلمة، أنّها قالت: أنا أم الرجال منكم والنساء، وبه قال طائفة، لأن فائدة الاحترام والتعظيم موجودة في النساء أيضاً، قال البغوي: وكان ﷺ أبا الرجال والنساء جميعاً في الحرمة والتعظيم.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم رؤية أشخاص أزواجه في الأزر وسؤالهنّ مشافهة: قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ﴾ [الأحزاب:٥٣]، قال في الروضة تبعاً للرافعي والبغوي: لا يحل لأحد أن يسألهنّ إلاّ من وراء حجاب الآية، وأما غيرهنّ فيجوز أن يسألهن مشافهة.

وقال القاضي عياض والنووي في شرح مسلم: خصّصن بفرض الحجاب عليهن بلا خلاف في الوجه والكفّين، فلا يجوز لهن كشف ذلك لشهادة ولا غيرها، ولا إظهار شخوصهنّ، وإن كنّ مستترات إلاّ لضرورة خروجهن للبراز، وكن إذا قعدن للناس جلسن من وراء الحجاب، وإذا خرجن حجبن وسترن أشخاصهن.

ولما توفيت زينب جعلوا لها قبّة فوق نعشها، تستر شخصها.

وأخرج البخاري عن عائشة: خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر فقال: يا سودة، أما والله لا تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، فانكفأت راجعة إلى رسول الله ﷺ وإنه ليتعشّى وفي يده عرق،

فقالت: يا رسول الله خرجت لبعض حاجتي، فقال لي عمر كذا وكذا، فأوحى الله إليه وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: «إنه قد أذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكن».

وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمٰن بن عوف قال: أرسلني عمر وعثمان بأزواج النبيّ ﷺ السنة التي توفّي فيها عمر نحجّ بهن، فكان عثمان يسير أمامهنّ، فلا يترك أحداً منهنّ يدنو منهنّ ولا يراهن إلاّ من مدّ البصر، وعبد الرحمٰن خلفهن يفعل مثل ذلك، وهنّ في الهوادج، وكانا ينزلان بهن في الشعاب، ولا يتركان أحداً يمرّ عليهن.

وأخرج ابن سعد عن أمّ معبد بنت خالد بن خليف، قالت: رأيت عثمان وعبد الرحمٰن بن عوف في خلافة عمر حجّا بنساء رسول الله ﷺ، فرأيت على هوادجهن الطيالسة الخضر، وهنّ حَجْرَةٌ من الفأس، أي متفردات يسير أمامهن عثمان على راحلته يصيح إذا دنا منهن أحد: إليك إليك، وابن عوف من ورائهن يفعل مثل ذلك.

وأخرج ابن سعد عن المسور بن مخرمة، قال: قد رأيت عثمان وهو أمام أزواج النبيّ ﷺ يلقى الناس مقبلين في وجهه فينحيهم، حتى يكونوا مدّ البصر حتى يمضين.

باب

اختصاصه ﷺ بوجوب جلوس أزواجه من بعده في بيوتهن، وتحريم خروجهن ولو لحجّ أو عمرة في أحد القولين: قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أخرج ابن سعد عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ في حجّة الوداع هذه ثم ظهور الحر، قال: وكنّ يحججن كلهنّ إلاّ سودة وزينب، قالتا: لا تحرّكنا دابة رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن سعد، عن ابن سيرين، قال: قالت سودة: قد حججت واعتمرت، فأنا أقعد في بيتي، كما أمرني الله، وكانت قد أخذت بقول رسول الله ﷺ عام قال هذه الحجّة، ثم ظهور الحصر، فلم تحجّ حتى توفيت.

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن يسار: أن النبيّ ﷺ قال لأزواجه: «أيكن اتقت الله ولم تأت بفاحشة مبينة، ولزمت ظهر حصيرها، فهي زوجتي في الآخرة».

وأخرج ابن سعد من طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن، عن أبي جعفر أن عمر بن الخطاب منع أزواج النبيّ ﷺ الحجّ والعمرة.

وأخرج ابن سعد عن عائشة، قالت: منعنا عمر الحجّ والعمرة، حتى إذا كان آخر عام أذن لنا، فحججنا معه، فلما ولي عثمان استأذناه، فقال: افعلن ما رأيتن، فحجّ بنا إلاّ امرأتين

منّا زينب وسودة، لم تخرج واحدة منهما من بيتها بعد النبيّ ﷺ، وكنّا نستتر، قال سفيان بن عيينة: كان نساء رسول الله ﷺ في معنى المعتدّات، وللمعتدّة السكنى، فجعل لهنّ سكنى البيوت ما عشن، ولا يملكن رقابها.

باب

اختصاصه بطهارة دمه وبوله وغائطه: أخرج الغطريف في جزئه، والطبراني وأبو نعيم، عن سلمان الفارسي: أنه دخل على رسول الله ﷺ فإذا عبد الله بن الزبير معه طست يشرب ما فيه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما شأنك»، قال: إني أحببت أن يكون من دم رسول الله ﷺ في جوفي، قال: «ويل لك من الناس، وويل للناس منك، لا تمسّك النار إلاّ قسم اليمين».

وأخرج ابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس، قال: حجم النبيّ ﷺ غلام لبعض قريش، فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به فشربه، ثم أقبل فنظر في وجهه، فقال: ويحك ما صنعت بالدم؟ قال: يا رسول الله نفست على دمك أن أهريقه في الأرض، فهو في بطني، قال: «اذهب فقد أحرزت نفسك من النار».

وأخرج الدارقطني في سننه عن أسماء بنت أبي بكر، قالت: إن النبيّ ﷺ احتجم فدفع دمه إلى ابني فشربه، فأتى جبريل فأخبره، فقال: ما صنعت؟ قال: كرهت أن اصب دمك، فقال النبيّ ﷺ: «لا تمسّك النار»، ومسح على رأسه، وقال: «ويل للناس منك، وويل لك من الناس».

وأخرج البزار وأبو يعلى، وابن أبي خيثمة والبيهقي في السنن، والطبراني عن سفينة، قال: احتجم النبيّ ﷺ وقال لي: «غيّب الدم»، فذهبت فشربته، ثم جئت، فقال: ما صنعت؟ قلت: غيّبته، قال: «شربته»، قلت: نعم، فتبسّم.

وأخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي في السنن بسند حسن، عن عبد الله بن الزبير، قال: احتجم النبيّ ﷺ فأعطاني الدم، فقال: «اذهب فغيّبه»، فذهبت فشربته، ثم أتيت النبيّ ﷺ فقال لي: «ما صنعت»؟ قلت: غيّبته، قال: «لعلّك شربته»، قلت: شربته.

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري، قال: شجّ رسول الله ﷺ يوم أحد فتلقاه أبي فملج الدم عن وجهه بفمه، وازدرده، فقال النبيّ ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى من خالط دمي دمه، فلينظر إلى مالك بن سنان».

وأخرج ابن السكن والطبراني في الأوسط، بلفظ فقال: «خالط دمه بدمي، ولا تمسّه النار».

وأخرج أبو يعلى والحاكم والدارقطني والطبراني وأبو نعيم، عن أم أيمن، قالت: قام النبيّ ﷺ من اللّيل إلى فخارة فبال فيها، فقمت من الليل، وإنا عطشانه فشربت ما فيها، فلما أصبح أخبرته فضحك، وقال: «أما أنك لا تيجعن بطنك أبداً»، ولفظ أبي يعلى: «إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبداً».

وأخرج الطبراني والبيهقي بسند صحيح، عن حكيمة بنت أميمة عن أمّها، قالت: كان للنبيّ ﷺ قدح من عيدان يبول فيه، ويضعه تحت سريره، فقام فطلبه فلم يجده، فسأل عنه، فقال: أين القدح؟ قالوا: شربته خادمة أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة، فقال النبيّ ﷺ: «لقد احتظرت من النار بحظار».

وأخرج الطبراني في الأوسط عن سلمى امرأة أبي رافع، قالت: اغتسل النبيّ ﷺ فشربت ماء غسله، ثم أخبرته فقال: «اذهبي فقد حرم الله بدنك على النار». قال أصحابنا: وشعره طاهر بالإجماع، ولا يجري فيه الخلاف في سائر الناس.

وأخرج الشيخان عن أنس أن النبيّ ﷺ لما حلق شعره يوم النحر أمر أن يقسم بين الناس، فأخذ أبو طلحة منه طالعة، قال ابن سيرين: لأن يكون عندي منه شعرة واحدة أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها.

باب

اختصاصه ﷺ بأن تطوّعه في الصلاة قاعداً كتطوّعه قائماً: أخرج مسلم وأبو داود عن ابن عمر، قال: حدثت أن النبيّ ﷺ قال: «صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة»، فأتيته فوجدته يصلّي جالساً، فقلت: يا رسول الله حُدّثت أنك قلت صلاة الرجل قاعداً نصف الصلاة، وأنت تصلّي قاعداً، قال: «أجل ولكنّي لست كأحد منكم».

باب

اختصاصه ﷺ بأن عمله له نافلة: أخبر أحمد بسند صحيح عن عائشة أنها سئلت عن صيام رسول الله ﷺ، قالت: أتعملون كعمله، فإنه قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، كان عمله له نافلة.

وأخرج أحمد والطبراني عن أبي أمامة في قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، قال: إنما كانت النافلة خاصّة لرسول الله ﷺ.

وأخرج البيهقي عن مجاهد في قوله تعالىٰ: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، قال: لم تكن النافلة لأحد إلاّ للنبيّ ﷺ خاصّة من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، والناس يعملون ما سوى المكتوب في كفارة ذنوبهم، فليس للناس نوافل، إنما هي للنبيّ ﷺ خاصّة.

وقال المفسّرون في قوله تعالىٰ: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء:٧٩]، أي: زيادة على ثواب الفرائض، بخلاف تهجّد غيره، فإنه جابر للنقصان المتطرق إلى الفرائض، وهو ﷺ معصوم عن تطرّق الخلل إلى مفروضاته.

باب

اختصاصه ﷺ بأن المصلّي يخاطبه بقوله: السلام عليك أيها النبي، ولا يخاطب سائر الناس، ويجب عليه إجابته إذا دعاه، ولا تبطل صلاته.

أخبر البخاري عن أبي سعيد بن المعلّى الأنصاري: أن النبيّ ﷺ دعاه وهو يصلّي فصلّى، ثم أتاه، فقال: «ما منعك أن تجيبني إذا دعوتك»، قال: إني كنت أصلّي، فقال: «ألم يقل الله عزّ وجلّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤]» الآية، ثم قال: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن»؟ قال: فكأنه نسيها أو نسّي، قلت: يا رسول الله الذي قلت لي؟ قال: «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم».

باب

اختصاصه ﷺ بأن من تكلم في عهده وهو يخطب بطلت جمعته، وبأنه لا يجوز لأحد الخروج من مجلسه إلاّ بإذنه: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢] الآية.

أخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان، قال: كان لا يصلح الرجل أن يخرج من المسجد إلاّ بإذن النبيّ ﷺ في يوم الجمعة بعد ما يأخذ في الخطبة، وكان إذا أراد أحدهم الخروج أشار بإصبعه إلى النبيّ ﷺ، فيأذن له من غير أن يتكلّم الرجل، لأن الرجل منهم كان إذا تكلّم والنبيّ ﷺ يخطب بطلت جمعته.

باب

اختصاصه ﷺ بأن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، وبأن من كذب عليه لم تقبل له

رواية بعد ذلك وإن تاب، وبأنه يكفر بذلك في ما قال الشيخ أبو محمد الجويني.

أخرج الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليّ [متعمداً] فليتبوأ مقعده من النار».

قال النووي وغيره: الكذب عليه من الكبائر، ولا يكفر فاعله على الصحيح، وقول الجمهور، وقال الجويني: هو كفر فإن تاب منه، فذهب جماعة منهم الإمام أحمد والصيرفي وخلائق إلى أنه لا تقبل له رواية أبداً، وإن حسنت حاله بخلاف التائب من الكذب على غيره، ومن سائر أنواع الفسق، وهذا مما خالف فيه الكذب عليه الكذب على غيره، وهذا القول هو المعتمد في الحديث، كما بيّنته في شرح التقريب، وشرح ألفية الحديث، وإن رجّح النووي خلافه.

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم التقديم بين يديه، ورفع الصوت فوق صوته، والجهر له بالقول، وندائه من وراء الحجرات، والصياح به من بعيد: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١ - ٥].

أخرج أبو نعيم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]، يريد يصيح من بعيد: يا أبا القاسم، ولكم كما قال الله تعالىٰ في الحجرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الآية. قال جماعة: ويكره رفع الصوت عند قبره ﷺ لأن حرمته ميتاً كحرمته حياً.

وروى ابن حميد، قال: ناظر أبو جعفر المنصور مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، وكان بين يدي الخليفة في ذلك اليوم خمسمائة سيف، فقال له: ما لك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدّب قوماً، فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] الآية، ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ [الحجرات: ٣] الآية، وذمّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وأن حرمة رسول الله ﷺ ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها الخليفة.

باب

اختصاصه ﷺ بأن من استهان به كفر، ومن سبّه أو هجاه قتل: أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في سننه، عن أبي برزة: أن رجلاً سبّ أبا بكر رضي الله عنه، فقلت: ألا أضرب عنقه يا خليفة رسول الله؟ فقال: لا ليست هذه لأحد بعد رسول الله ﷺ.

وأخرج ابن عدي والبيهقي، عن أبي هريرة، قال: لا يقتل أحد بسبب أحد إلاّ بسب النبيّ ﷺ.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس أن أعمى كانت له أم ولد على عهد رسول الله ﷺ تكثر الوقيعة في رسول الله ﷺ وتشتمه، فقتلها الأعمى، فذكر ذلك للنبيّ ﷺ، فقال النبيّ ﷺ: «أشهد أن دمها هدر».

وأخرج أبو داود والبيهقي، عن عليّ أن يهوديّة كانت تشتم النبيّ ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأبطل رسول الله ﷺ دمها.

باب

تخصيصه بوجوب محبّته، ومحبة أهل بيته وأصحابه: قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٤] إلى قوله تعالىٰ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [التوبة: ٢٤].

وأخرج الشيخان عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من والده وولده، والناس أجمعين». وعبارة ابن الملقن في الخصائص: أنه يجب على أمّته أن يحبّوه أعلى درجات المحبة.

وأخرج ابن ماجه والحاكم، عن العباس بن عبد المطلب، قال: كنّا نلقى النفر من قريش وهم يتحدّثون فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «ما بال أقوام يتحدّثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبّهم لله ولقرابتهم منّي».

وأخرج الشيخان عن أنس أن النبيّ ﷺ قال: «آية الإيمان حبّ الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار».

وأخرج ابن ماجه عن البراء، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ الأنصار أحبّه الله، ومن أبغض الأنصار أبغضه الله».

باب

اختصاصه ﷺ بأن أولاد بناته ينسبون إليه، وأولاد بنات غيره لا ينسبون إليه في الكفاءة ولا في غيرها: أخرج الحاكم عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل بني أب عصبة إلاَّ ابنَيْ فاطمة، فأنا وليّهما وعصبتهما».

وأخرج أبو يعلى مثله من حديث فاطمة. وأورد البيهقي في الباب حديث قوله في الحسن: «إن ابني هذا سيّد»، وقوله لعليّ حين ولد الحسن: «ما سمّيت ابني» وكذا حين ولد الحسين.

باب

اختصاصه ﷺ بأن بناته لا يتزوّج عليهنّ: أخرج الشيخان عن المسور بن مخرمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول، وهو على المنبر: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم عليّ بن أبي طالب، فلا آذن ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلاّ أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي، وينكح ابنتهم، فإنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها». قال ابن حجر: لا يبعد أن يكون من خصائصه ﷺ منع التزوّج على بناته.

وأخرج الحارث عن أبي أمامة، عن علي بن الحسين، قال: أراد عليّ بن أبي طالب أن يخطب بنت أبي جهل، فقال رسول الله ﷺ أنه ليس لأحد أن يتزوج ابنة عدوّ الله على ابنة رسول الله.

وأخرج الحاكم، عن أبي حنظلة، أن عليًا خطب ابنة أبي جهل، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إنما فاطمة بضعة مني، فمن آذاها فقد آذاني»، مرسل قويّ.

وأخرج أحمد والحاكم والبيهقي عن عبيد الله بن أبي رافع عن المسور أنه بعث إليه حسن بن حسن يخطب ابنته، فقال: والله ما من نسب ولا سبب ولا صهر أحبّ إليّ منكم، ولكن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة مني، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها»، وعندك ابنتها ولو زوّجتك لقبضها ذلك، فانطلق عاذراً له.

باب

أخرج ابن عساكر من طريق الحارث بن علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار من تزوّج إليّ، أو تزوّجت إليه».

وأخرج الحارث بن أبي أسامة والحاكم وصححه عن ابن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي أن لا أزوّج أحداً من أمّتي، ولا أتزوج إلى أحد من أمّتي، إلاّ كان معي في الجنّة، فأعطاني».

وأخرج الحارث مثله من حديث ابن عمرو.

وأخرج ابن راهويه، والحاكم وصححه، والبيهقي، عن عمر بن الخطاب، أنه خطب إلى عليّ أم كلثوم فتزوّجها، فأتى عمر المهاجرين، فقال: ألا تهنوني بأم كلثوم، ابنة فاطمة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة، إلاّ ما كان من سببي ونسبي»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب ونسب.

وأخرج أبو يعلى عن المسور بن مخرمة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تنقطع الأسباب والأنساب والأصهار، إلاّ صهري».

باب

اختصاصه ﷺ بتحريم النقش بنقش خاتمه: أخرج ابن سعد عن أنس، قال: اصطنع رسول الله ﷺ خاتماً ونقش عليه محمد رسول الله، وقال: «إنّا قد اصطنعنا خاتماً، ونقشنا فيه نقشاً، فلا ينقش عليه أحد».

وأخرج ابن سعد عن طاوس، قال: اتّخذ رسول الله ﷺ خاتماً، ونقش فيه: محمد رسول الله، وقال: «لا ينقش أحد على نقش خاتمي».

وأخرج البخاري في تاريخه عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: «لا تستضيئوا بنار المشركين، ولا تنقشوا في خواتيمكم عربياً». قال البخاري في تاريخه: يعني عربياً محمد رسول الله، يقول: «لا تكتبوا مثل خاتم محمد رسول الله».

باب

اختصاصه ﷺ بصلاة الخوف: في مذهب طائفة منهم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:١٠٢] الآية، فقيّد بكونه فيهم، والحكمة فيه من حيث المعنى أن الصّلاة معه ﷺ فضيلة لا يعادلها شيء، فاحتمل لأجلها تغيير نظم الصلاة حتى لا يحصل الانفراد عنه، وغيره من الأئمّة ليس في مقامه، فالاستبدال به في الجماعة سهل.

باب

اختصاصه ﷺ بالعصمة من كل ذنب كبيراً كان أو صغيراً، عمداً أو سهواً: قال الله تعالىٰ: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]، قال السبكي في تفسيره: أجمعت الأمة على عصمة الأنبياء في ما يتعلق في التبليغ وفي غير ذلك من الكبائر، ومن الصغائر الرذيلة التي تحط من مرتبتهم، ومن المداومة على الصغائر، هذه الأربعة مجمع عليها.

واختلف في الصغائر التي لا تحط من مرتبتهم، فذهبت المعتزلة وكثير من غيرهم إلى جوازها، والمختار المنع لأنّا مأمورون بالاقتداء بهم في كل ما يصدر منهم من قول وفعل، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي ويؤمر بالاقتداء فيه، قال: والذي جوّز ذلك لم يجوّزها بنص ولا دليل، إنما أخذ ذلك من هذه، يعني الآية السابقة، قال: وقد تأمّلتها مع ما قبلها وما بعدها، فوجدتها لا تحتمل إلاّ وجهاً واحداً، وهو تشريف النبيّ ﷺ من غير أن يكون هناك ذنب، ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم من الله على عباده الآخروية وجميع النعم الأخروية شيئان سلبية، وهي غفران الذنوب، وثبوته، وهي لا تتناهى أشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ ﴾ [الفتح: ٢]، وجميع النعم الدنيوية شيئان، دينية أشار إليها بقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢]، ودنيوية وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾ [الفتح: ٣].

فانتظم بذلك تعظيم قدر النبيّ ﷺ بإتمام أنواع نعم الله المتفرّقة في غيره، ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذي عظمه وفخّمه بإسناده إليه بنون العظمة، وجعله خاصاً بالنبي ﷺ بقوله: لك، قال: وقد سبق إلى نحو هذا ابن عطية، فقال: وإنما المعنى التشريف بهذا الحكم، ولم تكن ذنوب ألبتة، ثم قال: وعلى تقدير الجواز لا شكّ ولا ارتياب أنه لم يقع منه ﷺ، وكيف يتخيّل خلاف ذلك ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

وأمّا الفعل، فإجماع الصحابة على اتّباعه والتأسّي به ﷺ في كل ما يفعله من قليل أو كثير، أو صغير أو كبير، لم يكن عندهم في ذلك توقّف ولا بحث حتى أعماله في السرّ والخلوة يحرصون على العلم بها وعلى اتّباعها، علم بهم أو لم يعلم، ومن تأمّل أحوال الصحابة معه ﷺ استحى من الله أن يخطر بباله خلاف ذلك.

وأخرج الحاكم وصححه من طريق عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جدّه، قال: قلت: يا رسول الله أتأذن لي، فأكتب ما أسمع منك؟ قال: «نعم»، قلت: في الرضى والغضب؟ قال: «نعم، فإنه لا ينبغي أن أقول عند الرضى والغضب إلاّ حقاً»، فقال بعض أصحابه: فإنك تراعينا؟ فقال: «لا أقول إلاّ حقاً».

باب

ومن خصائصه ﷺ أن ينزّه عن فعل المكروه: قال ابن السبكي في جمع الجوامع: وفعله غير محرم للعصمة، وغير مكروه للقدوة، وما فعله مما هو مكروه في حقنا فإنما فعله لبيان الجواز، فهو في حقه واجب للتبليغ أو فضيلة، ويثاب عليه ثواب واجب أو فاضل.

باب

ومن خصائصه ﷺ وسائر الأنبياء أنه لا يجوز عليهم الجنون بخلاف الإغماء، لأن الجنون نقص، والإغماء مرض.

وقال الشيخ أبو حامد: لا يجوز عليهم أيضاً الإغماء الطويل الزمن، وجزم به البلقيني في حواشي الروضة، ونبّه السبكي على أن الإغماء الذي يحصل لهم ليس كالإغماء الذي يحصل لآحاد الناس، وإنما هو غلبة الأوجاع للحواس الظاهرة فقط دون القلب، قال: لأنه قد ورد أنه إنما تنام أعينهم دون قلوبهم، فإذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي هو أخفّ من الإغماء، فمن الإغماء بطريق أَوْلى. وهو نفيس جداً، والأشهر امتناع الاحتلام عليهم، كما قاله النووي في الروضة، وتقدم دليله في أوّل الكتاب.

قال السبكي: ولا يجوز عليهم العمى أيضاً لأنه نقص، ولم يعم نبي قطّ، وما ذكر عن شعيب أنه كان ضريراً، فلم يثبت، وأما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت.

باب

اختصاصه ﷺ بأن رؤياه وحي، وكل ما رآه فهو حق: أخرج الطبراني عن معاذ بن جبل، قال: ما رأى رسول الله ﷺ في نومه أو يقظته، فهو حق.

وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [يوسف: ٤]، قال: رؤيا الأنبياء وحي.

باب

ومن خصائصه ﷺ أن رؤيته في المنام حق:

أخرج الشيخان عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني

حقاً، فإن الشيطان لا يتمثّل بي». قال القاضي أبو بكر: معناه أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث. وقال آخرون: معناه رآه حقيقة، وقال بعضهم: خصّ ﷺ بأن رؤيته بالمنام صحيحة، ومنع الشيطان أن يتصوّر في خلقته، لئلا يكذب على لسانه في النوم، كما منعه أن يتصوّر في صورته في اليقظة إكراماً له.

وفي شرح مسلم للنوي: ولو رأى شخص النبيّ ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه، أو ينهاه عن منهيّ عنه، أو يرشده إلى فعل مصلحة، فلا خلاف في أنه يستحب له العمل بما أمر به. وفي فتاوي الحناطي: لو رأى إنسان النبيّ ﷺ في منامه على الصفة المنقولة عنه، فسأله عن حكم، فأفتاه بخلاف مذهبه، وليس مخالفاً لنص ولا إجماع ففيه وجهان:

أصحهما: يأخذ بقوله، لأنه مقدم على القياس، والثاني: لا لأن القياس دليل، والأحلام لا تعويل عليها، فلا يترك من أجلها الدليل.

وفي كتاب الجدل، للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني: لو رأى رجل النبيّ ﷺ في المنام، وأمره بأمر هل يجب عليه امتثاله إذا استيقظ؟ وجهان:

وجه المنع، لعدم ضبط الرائي، لا للشكّ في الرؤية، فإن الخبر لا يقبل إلاّ من ضابط مكلف، والنائم بخلافه، وفي فتاوى القاضي حسين مثله، في ما لو رؤي ليلة الثلاثين من شعبان، وأخبر أن غداً من رمضان هل يجب الصوم؟ وفي روضة الحكام للقاضي شريح: لو رؤي النبيّ ﷺ قال: لفلان على فلان كذا، فهل للسامع أن يشهد بذلك، وجهان.

باب

اختصاصه ﷺ بفضيلة الصلاة عليه: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أخرج مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه عشراً».

وأخرج أحمد عن ابن عمرو، قال: من صلّى على رسول الله ﷺ صلاة صلّى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة، فَلْيُقِلّ عبد من ذلك أو ليكثر.

أخرج الحاكم وصححه عن أبي طلحة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني ملك، فقال: إن ربك يقول: أما يرضيك أن لا يصلّي عليك أحد من أمّتك إلاّ صلّيت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد إلاّ سلمت عليه عشراً».

وعن عمر بن الخطاب، أن النبيّ ﷺ قال: «إن جبريل أتاني، فقال: من صلّى عليك صلاة صلّى الله عليه عشراً، ورفعه عشر درجات».

وعن عبد الرحمٰن بن عوف أن النبيّ ﷺ قال: «من صلّى عليّ صلاة كتب الله له بها عشر حسنات».

وأخرج القاضي إسماعيل عن عبد الرحمٰن بن عوف، قال: من صلّى على النبيّ ﷺ كتب له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيّئات، ورفع له عشر درجات.

وأخرج الأصبهاني في الترغيب عن سعد بن عمير عن أبيه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة صادقاً من نفسه صلّى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات».

وأخرج أحمد وابن ماجه عن عن عامر بن ربيعة: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «من صلّى عليّ لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما صلّى، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر».

وأخرج الترمذي وابن حبان عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة».

وأخرج أحمد والترمذي عن الحسين بن علي، أن رسول الله ﷺ قال: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ».

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من نسي الصلاة عليّ خطئ طريق الجنّة».

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه، ولم يصلّوا على نبيّهم إلاّ كان عليهم ترة، إن شاء عذّبهم، وإن شاء غفر لهم».

وأخرج الترمذي والحاكم عن أُبي بن كعب، قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «ما شئت»، قلت: الربع، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير»، قلت: فالنصف؟ قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير»، قلت: فالثلثين؟ قال: «ما شئت فإن زدت فهو خير»، قلت: أجعل لك صلاتي كلّها؟ قال: «إذاً تكفي همك، ويغفر لك ذنبك».

وأخرج القاضي إسماعيل في فضل الصلاة، عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التيمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي، فقال: ما من عبد يصلّي عليك صلاة إلاّ صلّى الله

عليه بها عشراً»، فقام إليه رجل، فقال: يا رسول الله ألا أجعل نصف دعائي لك، قال: إن شئت، قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك، قال: «إن شئت»، قال: ألا أجعل دعائي لك كلّه؟ قال: «إذاً يكفيك الله هم الدنيا والآخرة».

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل، فقال: رغم أنف امرئ ذكرت عنده فلم يصلّ عليك».

وأخرج القاضي إسماعيل عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «كفى به شحاً أن يذكرني قوم فلا يصلّون عليّ».

وأخرج أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه، أن النبيّ ﷺ قال: «من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فقد خطئ طريق الجنّة».

وأخرج القاضي إسماعيل والأصبهاني في الترغيب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلّوا عليّ، فإن صلاتكم عليّ زكاة لكم».

وأخرج الأصبهاني عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلّوا عليّ، فإن الصلاة عليّ كفارة لكم».

وأخرج الأصبهاني عن خالد بن طهمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ صلاة واحدة قضيت له مائة حاجة».

وأخرج القاضي إسماعيل، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي سعيد عن النبيّ ﷺ، قال: «ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلّون على النبيّ ﷺ، إلاّ كان عليهم يوم القيامة حسرة، وإن دخلوا الجنّة لما يرون من الثواب».

وأخرج الأصبهاني في الترغيب، عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليّ في دار الدنيا صلاة، أنه قد كان في الله وملائكته كفاية، ولكن حضّ المؤمنين بذلك ليثيبهم عليه».

وأخرج الأصبهاني عن أبي بكر الصديق، قال: الصّلاة على النبيّ ﷺ أفضل من عتق الرقاب، وحب رسول الله ﷺ أفضل من مهج الأنفس، وقال: من ضرب السيف، في سبيل الله.

وأخرج البزار والأصبهاني عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوني كقدح الراكب، فإن الراكب يملأ قدحه ويضعه، فإن احتاج إلى الشرب شرب، أو إلى الوضوء توضأ، وإلاّ أهراقه، ولكن اجعلوني في أول الدعاء، وأوسطه وآخره».

وأخرج الأصبهاني عن عليّ بن أبي طالب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من داع إلاّ بينه وبين السماء حجاب حتى يصلّي على محمد ﷺ وعلى آل محمّد، فإذا فعل ذلك انخرق الحجاب ودخل الدعاء، وإن لم يفعل ذلك رجع الدعاء».

وأخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب، قال: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلّي على نبيّك».

وأخرج القاضي إسماعيل عن سعيد بن المسيّب، قال: ما من دعوة لا يصلّى على النبيّ ﷺ قبلها إلاّ كانت معلقة بين السماء والأرض.

وأخرج الطبراني بسندجيّد عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ حين يصبح عشراً، وحين يمسي عشراً، أدرحته شفاعتي يوم القيامة».

وأخرج البيهقي في الشعب عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا الصّلاة عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة، فمن فعل ذلك كنت له شهيداً أو شافعاً يوم القيامة».

وأخرج الطبراني عن عبد الرحمٰن بن سمرة في حديث الرؤيا، قال: قال رسول الله ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمّتي يرعد على الصراط، كما ترعد السعفة، فجاءته صلاته عليّ فسكنت رعدته».

وأخرج الديلمي عن أنس مرفوعاً: «من أكثر الصلاة عليّ كان في ظلّ العرش».

وأخرج البيهقي بسنده عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا عليّ من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمّتي تعرض عليّ في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم صلاة كان أقربهم مني منزلة».

وأخرج أبو عبد الله النميري في فضل الصلاة، عن عبد الله بن عمو، قال: إن لآدم من الله موقفاً في فسيح من العرش عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى الجنّة، وينظر إلى من ينطلق به من ولده إلى النار، فبينا آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمّة محمد ﷺ ينطلق به إلى النار، فينادي آدم: يا أحمد فيقول: «لبيّك يا أبا البشر»، فيقول: هذا رجل من أمّتك ينطلق به إلى النار، فاشد المئزر، وأهرع في إثر الملائكة، وأقول: يا رسل ربي قفوا، فيقولون: نحن الغلاظ الشداد الذين لا نعصى الله ما أمرنا، ونفعل ما نؤمر، فإذا آيس النبيّ ﷺ قبض على لحيته بيده اليسرى، واستقبل العرش بوجهه، فيقول: «ربّ قد وعدتني أن لا تخزيني في أمّتي»، فيأتي النداء من عند العرش: أطيعوا محمداً، وردوا هذا العبد إلى الميزان، فأخرج من حجزتي بطاقة بيضاء كالأنملة، فألقيها في كفة الميزان اليمنى، وأنا

أقول: بسم الله، فترجح الحسنات على السيّئات، فينادى سعد وسعد جدّه، وثقلت موازينه، انطلقوا به إلى الجنّة، فيقول: يا رسل ربي، قفوا حتى أسأل هذا العبد الكريم على ربّه، فيقول: بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك، وأحسن خلقك، من أنت؟ فقد أقلتني عثرتي، ورحمت عبرتي، فيقول: «أنا نبيّك محمد، وهذه صلاتك التي كنت تصلّي عليّ، وافتك أحوج ما تكون إليها».

وأخرج الأصبهاني عن ابن مسعود مرفوعاً: «إذا فرغ أحدكم من طهوره، فليشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم ليصلّ عليّ، فإذا قال ذلك فتحت له أبواب الرحمة».

وأخرج الأصبهاني عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب».

وأخرجه أيضاً من حديث ابن عباس، بلفظ: «لم تزل الصلاة جارية له».

وأخرج أيضاً عن كعب الأحبار، قال: أوحى الله إلى موسى: يا موسى أتحب أن لا ينالك عطش يوم القيامة؟ قال: نعم، قال: فأكثر الصلاة على محمد ﷺ.

وأخرج ابن أبي الحسن الميموني، قال: رأيت أبا علي الحسن بن عيينة في المنام بعد موته، وكأن على أصابع يديه شيئاً مكتوباً بلون الذهب، فسألته عن ذلك، فقال: يا بني هذا لكتبي ﷺ في حديث رسول الله ﷺ.

باب

ومن خصائصه ﷺ أنه يجلّ منصبه عن الدعاء بالرحمة: قال ابن عبد البرّ: لا يجوز لأحد إذا ذكر النبيّ ﷺ أن يقول رحمه الله، لأنه قال: «من صلّى عليّ» ولم يقل من ترحم عليّ ولا من دعا لي»، وإن كان معنى الصلاة الرحمة، ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيماً له، فلا يعدل عنه إلى غيره، ويؤيّده قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣] انتهى.

قال ابن حجر في شرح البخاري: وهو بحث حسن، وقد ذكر نحو ذلك القاضي أبو بكر بن العربي من المالكية، والصيدلاني من الشافعية، فقال أبو القاسم الأنصاري شارح الإرشاد: يجوز ذلك مضافاً للصّلاة، ولا يجوز مفرداً.

وفي الذخيرة من كتب الحنفية، عن محمد: يكره ذلك لإيهامه النقص لأن الرحمة غالباً إنما تكون لفعل ما يلام عليه.

باب

اختصاصه ﷺ بأن له أن يصلّي بلفظ الصلاة على من شاء وليس لأحد غيره أن يصلّي إلاّ على نبي أو ملك:

أخرج الشيخان عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: كان رسول الله ﷺ إذا [أتاه][1] قوم بصدقاتهم، قال: «اللّهمّ صلّ عليهم»، فأتاه أبي بصدقته، فقال: «اللّهمّ صلّ على آل أبي أوفى».

وأخرج ابن سعد والقاضي إسماعيل والبيهقي في سننه، عن جابر بن عبد الله، قال: جاءنا رسول الله ﷺ فنادته امرأتي: يا رسول الله صلّ عليّ وعلى زوجي، فقال: «صلّى الله عليك وعلى زوجك».

وأخرج القاضي إسماعيل والبيهقي في سننه، عن ابن عباس قال: لا تصلح الصلاة على أحد إلاّ على النبيّ ﷺ، ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار.

قال أصحابنا: تكره الصلاة على غير الأنبياء ابتداء، وقيل: تحرم.

قال الجويني: والسلام في معنى الصلاة، فإن الله قرن بينهما، فلا يفرد به غائب غير الأنبياء، ولا بأس به على سبيل المخاطبة للأحياء والأموات من المؤمنين.

باب

اختصاصه ﷺ بأنه يخصّ من شاء بما شاء من الأحكام: أخرج أبو داود والنسائي من طريق عمارة بن خزيمة الأنصاري عن عمّه أن النبيّ ﷺ ابتاع فرساً من رجل من الأعراب، فاستتبعه ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي وأبطأ الأعرابي، فطفق رجال يعترضون الأعرابي، فساوموه بالفرس ولا يشعرون أن رسول الله ﷺ قد ابتاعه، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي ابتاعه رسول الله ﷺ.

فلما زاده نادى الأعرابي رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعاً هذا الفرس فابتعه أو لأبيعنّه، فقام رسول الله ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، حتى أتاه فقال له: «أوَ لست قد ابتعته منك»، فطفق الناس يلوذون برسول الله ﷺ وبالأعرابي، وهما يتراجعان، وطفق الأعرابي

---

(١) وردت في الأصل: «أتوه قوم» والصحيح ما أثبتناه في المتن لأنه لا يجوز أن يكون للفعل سوى فاعل واحد. فالواو في «أتوه» في محل رفع فاعل، و«قوم» تقع موقع الفاعل.

يقول: هلم شهيداً يشهد أني بايعتك، فمن جاء من المسلمين، قال للأعرابي: ويلك إن رسول الله ﷺ لم يكن يقول إلاّ حقاً، حتى جاء خزيمة، فاستمع ما يراجع رسول الله ﷺ ويراجع الأعرابي، وطفق الأعرابي يقول: هلمّ شهيداً يشهد أني بايعتك، قال خزيمة: أنا أشهد أنك قد بايعته، فأقبل رسول الله ﷺ على خزيمة، قال: «بم تشهد».

قال: بتصديقك يا رسول الله، فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة شهادة رجلين.

وأخرج ابن أبي أسامة في مسنده عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ اشترى من أعرابي فرساً، فجحده الأعرابي، فجاء خزيمة بن ثابت، فقال: يا أعرابي أنا أشهد عليك أنك بعته، فقال النبيّ ﷺ: «يا خزيمة، إنا لم نشهدك كيف تشهد»، قال: أنا أصدقك على خبر السماء، ألا أصدقك على هذا الأعرابي، فجعل النبيّ ﷺ شهادته بشهادة رجلين، فلم يكن في الإسلام رجل تجوز شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة بن ثابت.

وأخرج البخاري في تاريخه عن خزيمة، أن النبيّ ﷺ قال: «من شهد له خزيمة أو شهد عليه، فحسبه».

وأخرج الشيخان عن البراء بن عازب، قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر، فقال: «من صلّى صلاتنا، ونسك نسكنا، فقد أصاب النسك، ومن نسك قبل الصلاة، فتلك شاة لحم»، فقام أبو بردة بن نيار، فقال: يا رسول الله، لقد نسكت قبل أن أخرج إلى الصلاة، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب، فتعجّلت وأكلت وأطعمت أهلي وجيراني، فقال رسول الله ﷺ: «تلك شاة لحم»، قال: فإن عندي عناقاً جذعة هي خير من شاتي لحم، فهل تجزي عني؟ قال: «نعم، ولن تجزي عن أحد بعدك».

وأخرج مسلم عن أم عطية، قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:١٢]، قالت: كان منه النياحة، فقلت: يا رسول الله إلا آل فلان، فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية، فلا بدّ لي من أن أسعدهم، فقال: «إلاّ آل فلان».

قال النووي: هذا محمول على الترخيص لأم عطية في آل فلان خاصة، وللشارع أن يخصّ من العموم ما شاء.

وأخرج ابن سعد والحاكم عن عمرة بنت عبد الرحمٰن، عن سهلة امرأة أبي حذيفة، أنها ذكرت لرسول الله ﷺ سالماً مولى أبي حذيفة، ودخوله عليها، فأمرها أن ترضعه فأرضعته، وهو رجل كبير بعدما شهد بدراً.

وعن أم سلمة، قالت: أبى سائر أزواج النبيّ ﷺ أن يدخل عليهنّ أحد بهذا الرضاع، وقلن: إنما هذا رخصة من رسول الله ﷺ لسالم خاصة، وفي لفظ: لسهلة بنت سهيل خاصّة.

وأخرج الحاكم عن ربيعة، قال: كانت رخصة لسالم.

وأخرج ابن سعد عن أسماء بنت عميس، قالت: لما أصيب جعفر بن أبي طالب، قال لي رسول الله ﷺ: «تسلبي ثلاثاً، ثم اصنعي ما شئت».

وأخرج ابن سعد عن عليّ أن العباس سأل رسول الله ﷺ في تعجيل صدقته قبل أن تحل، فرخّص له في ذلك.

وأخرج ابن سعد عن الحكم بن عيينة، أن رسول الله ﷺ تعجّل من العباس صدقة سنتين.

وأخرج سعيد بن منصور عن أبي النعمان الأزدي، قال: زوّج النبيّ ﷺ امرأة على سورة من القرآن، وقال: لا يكون لأحد من بعدك مهراً مرسل، وفيه من لا يعرف.

وأخرج أبو داود عن مكحول، قال: ليس هذا لأحد بعد النبيّ ﷺ. وأخرج أبو عوانة عن الليث بن سعد نحوه.

وأخرج ابن سعد جعفر بن محمد عن أبيه، قال: كانت أم أيمن إذا دخلت على النبيّ ﷺ قالت: سلام، لا عليكم، فرخّص لها النبيّ ﷺ أن تقول: السلام، ومن وجه آخر أنها كانت عسراء اللسان.

وأخرج ابن سعد عن منذر الثوري، قال: وقع بين عليّ وطلحة كلام، فقال له طلحة: لا كجراءتك على رسول الله ﷺ سمّيت باسمه، وكنيت بكنيته، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يجمعهما أحد من أمّته بعده، فدعاه عليّ بنفر من قريش، فقالوا: نشهد أن رسول الله ﷺ قال: «إنه سيولد لك بعدي غلام، فقد نحلته اسمي وكنيتي، ولا يحل لأحد من أمتي بعد».

وأخرج ابن سعد من طريق المنذر الثوري، قال: سمعت محمد بن الحنفية، قال: كانت رخصة لعليّ، قال: يا رسول الله إن ولد لي بعدك أسمّيه باسمك، وأكنّيه بكنيتك؟ قال: «نعم».

باب

اختصاصه ﷺ بأنه كان يواخي بين من شاء، ويثبت بينهم التوارث وليس ذلك لغيره:

أخرج ابن جرير عن عليّ بن زيد في قوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٣]، قال: الذين عقد رسول الله ﷺ ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء:٣٣]، إذا لم يكن رحم يحول بينهم، قال: وهؤلاء لا يكون مثلهم اليوم إنما كالنفر آخى رسول الله ﷺ بينهم، وانقطع ذلك ولا يكون هذا لأحد إلاّ للنبيّ ﷺ، كان آخى بين المهاجرين والأنصار، واليوم لا يؤاخي بين أحد.

باب

قال أصحابنا: من صلّى في المدينة النبويّة، فمحراب رسول الله ﷺ في حقه كالكعبة لا يجوز العدول عنه بالاجتهاد بحال، وكذا سائر البقاع التي صلّى فيها رسول الله ﷺ، ولا يجوز الاجتهاد في ذلك في التيامن والتياسر، بخلاف سائر البلاد، فإنه يجوز فيها الاجتهاد في التيامن والتياسر على أصح الأوجه.

باب

ما شرف فيه أولاده وأزواجه وآل بيته وأصحابه وقبيلته من أجله ﷺ: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وقال: ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣١].

أخرج الحاكم عن أم سلمة، قالت: في بيتي نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فأرسل إلى عليّ وفاطمة وابنيهما، فقال: «هؤلاء أهل بيتي».

وأخرج الحاكم عن حذيفة مرفوعاً، قال: «نزل ملك من السماء استأذن الله أن يسلم عليّ، فبشّرني أن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة».

وأخرج الحاكم عن عليّ: سمعت النبيّ ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من وراء الحجب: يا أهل الجمع غضوا أبصاركم حتى تمرّ فاطمة، فتمرّ وعليها ريطتان خضراوان».

وأخرج الحاكم عن عليّ، قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك، ويرضى لرضاك».

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنّة، إلاّ مريم بنت عمران».

وأخرج الحاكم وصححه عن عائشة أن النبيّ ﷺ قال في مرضه لفاطمة: «ألا ترضين أن

تكوني سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء المؤمنين، وسيّدة نساء هذه الأمة».

وأخرج ابن سعد عن البراء، قال: صلّى رسول الله ﷺ على ابنه إبراهيم، وقال: «إن له ظئراً يتمّ رضاعة في الجنّة وهو صدّيق».

وأخرج ابن سعد عن البراء عن النبيّ ﷺ، قال: «إن له مرضعاً في الجنّة يستتم بقية رضاعه»، وقال: «إنه صديق شهيد».

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما مات إبراهيم ابن النبيّ ﷺ، صلّى عليه وقال: «إن له مرضعاً في الجنّة، ولو عاش لكان صديقاً نبياً، ولا عتقت أخواله القبط، وما استرقّ قبطي».

وأخرج ابن سعد عن أنس، قال: «لو عاش إبراهيم كان صديقاً نبياً».

وأخرج الحاكم عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة، إلاّ ابني الخالة».

وأخرج مثله عن ابن مسعود.

وأخرج الحاكم عن حذيفة عن النبيّ ﷺ، قال: «أتاني جبريل، فقال: إن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة».

وأخرج الحارث بن أبي أسامة، عن محمد بن علي، قال: اصطرع الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هيه حسن»، فقالت له فاطمة: يا رسول الله، تعين الحسن كأنه أحبّ إليك من الحسين، قال: إن جبريل يعين الحسين، وأنا أحب أن أعين الحسن» مرسل.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر، قال: كان على الحسين والحسن تعويذان فيهما زغب من زغب جناح جبريل.

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم».

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة، وفاطمة».

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «يا بني عبد المطلب، إني سألت الله أن يثبت قائدكم، ويهدي ضالّكم، وأن يعلم جاهلكم، وأن يجعلكم جوداً،

نجداء، رحماء، فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام فصلّى وصام، ثم لقي الله مبغضاً لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار». وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبغضنا أهل البيت أحد إلاّ أدخله الله النار».

وأخرج أبو يعلى والبزار والحاكم، عن أبي ذرّ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إلا أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها هلك».

وأخرج الترمذي وحسّنه، والحاكم وصححه، عن زيد بن أرقم أن النبيّ ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي».

وأخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفها قبيلة اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

وأخرجه أبو يعلى، وابن أبي شيبة من حديث سلمة بن الأكوع.

وأخرج الحاكم عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذّبهم».

وأخرج الحاكم عن جابر عن النبيّ ﷺ، قال: «سيّد الشهداء حمزة».

وأخرج الحاكم عن عروة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيّد فتيان أهل الجنّة أبو سفيان بن الحارث»، هو ابن عبد المطلب ابن عمّ النبيّ ﷺ.

وأخرج الطبراني عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقوم الرجل لأخيه من مجلسه، إلا بني هاشم لا يقومون لأحد».

وأخرج ابن عساكر عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقومن أحد من مجلس إلاّ للحسن أو للحسين، أو ذرّيتهما».

باب

وأخرج ابن ماجه عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، ولو أن أحدكم انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداخلهم ولا نصيفه».

وأخرج الطيالسي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ لو أن لرجل أحداً ذهباً فأنفقه في سبيل الله وفي الأرامل والمساكين والأيتام، ليدرك فضل رجل من أصحابي ساعة من النهار ما أدركه أبداً».

وأخرج ابن أبي عمر في مسنده عن أنس، عن النبيّ ﷺ قال: «مثل أصحابي في أمّتي مثل النجوم يهتدى بها، وإذا غابت تحيّروا».

وأخرج عبد بن حميد في مسنده، عن ابن عمر أن النبيّ ﷺ قال: «مثل أصحابي مثل النجوم يهتدى بها، فأيّهم أخذتم بقوله اهتديتم».

وأخرج أبو يعلى والبزار عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أصحابي مثل الملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلاّ به».

وأخرج ابن منيع والطبراني في الأوسط، عن حذيفة عن النبيّ ﷺ، قال: «يكون لأصحابي بعدي زلّة يغفرها الله لهم بسابقتهم معي، يعمل بها قوم من بعدي يكبّهم الله في النار على مناخرهم».

وأخرج ابن منيع عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوا أصهاري وأصحابي، فإنه من حفظني فيهم كان معه من الله حافظ، ومن لم يحفظني فيهم تخلّى الله منه، ومن تخلّى الله منه يوشك أن يأخذه».

وأخرج ابن عساكر عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي إلاّ له نظير في أمّتي، أبو بكر نظير إبراهيم، وعمر نظير موسى، وعثمان نظير هارون، وعليّ نظيري، ومن سرّه أن ينظر إلى عيسى ابن مريم فلينظر إلى أبي ذر».

وأخرج ابن عساكر عن بريده، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات من أصحابي ببلدة فهو قائدهم وإمامهم، ونورهم يوم القيامة».

وأخرج أيضاً عن عليّ مرفوعاً: «لا يموت أحد من أصحابي ببلد إلاّ كان لهم نوراً، وبعثه الله يوم القيامة سيّد أهل ذلك البلد».

وأخرج الدارقطني في سننه عن عليّ أنه كان يكبر على أهل بدر ستاً، وعلى أصحاب محمد خمساً، وعلى سائر الناس أربعاً.

وأخرج الحسن بن سفيان من طريق أبي الزاهرية عن الحليس أن رسول الله ﷺ قال: «أعطيت قريش ما لم يعط الناس».

باب

ومن خصائصه أن أصحابه كلّهم عدول، بإجماع من يعتدّ به، فلا يبحث عن عدالة أحد

منهم كما يبحث عن عدالة الرواة، واستدلّ لذلك بقوله ﷺ: «خير الناس قرني».

ومن خصائصه ﷺ أن الصحبة تثبت لمن اجتمع به ﷺ لحظة بخلاف التابعي مع الصحابي، فلا يثبت له اسم التابعي إلاّ بطول الاجتماع مع الصحابة على الأصح عند أهل الأصول، والفرق وعظم منصب النبوّة ونورها، فبمجرّد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة.

ومن خصائصه ﷺ أن حملة حديثه لا تزال وجوههم نضيرة. قال بعضهم: ليس أحد من أهل الحديث إلاّ وفي وجهه نضرة، لقوله ﷺ: «نظر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأدّاها إلى من لم يسمعها»، وأنهم اختصّوا بالتلقيب بالحفاظ وأمراء المؤمنين.

قال الخطيب الحافظ: لقب اختصّ به أهل الحديث من بين سائر العلماء.

ومنهم الإمام العلامة تقي الدين السبكي(١) المتوفى سنة ٧٥٦ هـ رضي الله عنه

ومن جواهره

[تفسير قوله تعالى ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾]

قوله كما في الخصائص في كتابه التعظيم والمنّة، في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لتؤمنن به ولتنصرنه﴾ [:]، في هذه الآية من التنويه بالنبيّ ﷺ وتعظيم قدره ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلاً إليهم، فتكون نبوّته ورسالته عامّة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، وتكون الأنبياء وأممهم كلّهم من أمّته، ويكون قوله: «بعثت إلى الناس كافّة»، لا يختصّ به الناس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول من قبلهم أيضاً، ويتبيّن ذلك معنى قوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»، وأن من فسّره بعلم الله بأنه سيصير نبياً لم يصل إلى هذا المعنى، لأن علم الله محيط بجميع الأشياء.

ووصف النبيّ ﷺ بالنبوّة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أمر ثابت له في ذلك الوقت، ولهذا رأى آدم اسمه مكتوباً على العرش محمد رسول الله، فلا بدّ أن يكون ذلك معنى ثابتاً ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرّد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنه نبيّ وآدم بين الروح والجسد، لأن جميع الأنبياء يعلم الله نبوّتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بدّ من خصوصية للنبيّ ﷺ لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاماً لأمّته ليعرفوا قدره عند الله تعالىٰ، فيحصل لهم الخير بذلك. فإن قلت: أريد أن أفهم ذلك القدر الزائد، فإن النبوّة وصف لا بدّ أن يكون الموصوف به موجوداً، وإنما يكون بعد بلوغ أربعين سنة أيضاً، فكيف يوصف به قبل وجوده، وقبل إرساله، وإن صحّ ذلك فغيره كذلك.

قلت: قد جاء أن الله خلق الأرواح قبل الأجساد، فقد تكون الإشارة بقوله: «كنت نبياً»

---

(١) هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن تقي الدين. شيخ الإسلام في عصره ولد سنة ٦٨٣ هـ، وتوفي سنة ٧٥٧ هـ.

إلى روحه الشريف، أو إلى حقيقته، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها، وإنما يعلمها خالقها ومن أيّده بنور إلٰهي، ثم إن تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء، فحقيقة النبيّ ﷺ قد تكون من قبل خلق آدم آتاها الله ذلك الوصف، بل قد يكون خلقها متهيّئة لذلك وأفاضه عليها من ذلك الوقت، فصار نبيّاً وكتب اسمه على العرش، وأخبر عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته، فحقيقته موجودة من ذلك الوقت، وإن تأخر جسده الشريف المتّصف بها، واتّصاف حقيقته بالأوصاف الشريفة المفاضة عليها من الحضرة الإلٰهية متقدم، إنما تأخر البعث والتبليغ وكل ما له من جهة الله.

ومن جهة تأهل ذاته الشريفة، وحقيقته معجل لا تأخير فيه، وكذلك استنباؤه وإيتاؤه الكتاب والحكم والنبوّة، وإنما المتأخّر تكونه وتنقله إلى أن ظهر ﷺ، ويره من أهل الكرامة قد تكون إفاضة الله تلك الكرامة عليه بعد وجوده بمدة كما يشاء سبحانه، ولا شكّ أن كل ما يقع فالله عالم به من الأزل، ونحن نعلم علمه بذلك بالأدلّة العقلية والشرعية، ويعلم الناس منها ما يصل إليهم عند ظهوره، كعلمهم نبوّة النبيّ ﷺ حين نزل عليه القرآن في أوّل ما جاء به جبريل، وهو فعل من أفعاله تعالىٰ من جملة معلوماته ومن آثار قدرته وإرادته واختياره في محل خاص يتّصف بها.

فهاتان مرتبتان: **الأولى**: معلومة بالبرهان، والثانية: ظاهرة للعيان، وبين المرتبتين وسائط من أفعاله تعالىٰ تحدث على حسب اختياره منها ما يظهر لهم بعد ذلك، ومنها ما يحصل به كمال لذلك المحل، وإن لم يظهر لأحد من المخلوقين، وذلك ينقسم إلى كمال يقارن ذلك المحجل من حين خلقه، وإلى كمال يحصل له بعد ذلك، ولا يحصل علم ذلك إلينا إلاّ بالخبر الصادق.

والنبيّ ﷺ خير الخلق فلا كمال لمخلوق أعظم من كماله، ولا محل أشرف من محله، فعرفنا بالخبر الصحيح حصول ذلك الكمال من قبل خلق آدم لنبيّنا ﷺ من ربّه سبحانه، وأنه أعطاه النبوّة من ذلك الوقت، ثم أخذ له المواثيق على الأنبياء ليعلموا أنه المقدّم عليهم، وأنه نبيّهم ورسولهم، وفي أخذ المواثيق معنى الاستحلاف، ولذلك دخلت لام القسم في ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، ولعلّ إيمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء أخذت من هنا، فانظر هذا التعظيم العظيم للنبيّ ﷺ من ربّه سبحانه وتعالىٰ، فإذا عرف ذلك، فالنبيّ ﷺ هو نبي الأنبياء، ولهذا أظهر ذلك في الآخرة جميع الأنبياء تحت لوائه، وفي الدنيا كذلك ليلة الإسراء صلّى بهم، ولو اتّفق مجيئه في زمن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وجب عليهم وعلى أممهم الإيمان به ونصرته، وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم، فنبوّته عليهم ورسالته إليهم معنى حاصل

له، وإنما أمره متوقّف على اجتماعهم معه، وتأخّر ذلك لأمر راجع إلى وجودهم، لا إلى عدم اتّصافهم بما يقتضيه، وفرّق بين توقف الفعل على قبول المحل، وتوقفه على أهلية الفاعل فهٰهنا لا توقف من جهة الفاعل، ومن جهة ذات النبيّ ﷺ.

وإنما من جهة وجود العصر المشتمل عليه، فلو وجد في عصرهم لزمهم اتّباعه بلا شك، ولهذا يأتي عيسى في آخر الزمان على شريعته، وهو نبيّ كريم على حالته، لا كما يظنّ بعض الناس، أنه يأتي واحداً من هذه الأمة، نعم هو واحد من الأمة لما قلناه من اتّباعه للنبيّ ﷺ.

وإنما يحكم بشريعة نبيّنا محمد ﷺ بالقرآن والسنّة وكل ما فيهما من أمر أو نهي، فهو متعلّق به كما يتعلق بسائر أمة، وهو نبيّ كريم على حاله لم ينقص منه شيء، وكذلك لو بعث النبيّ ﷺ في زمانه أو في زمان موسى وإبراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرّين على نبوّتهم ورسالهم إلى أممهم، والنبيّ ﷺ نبيّ عليهم ورسول إلى جميعهم، فنبوّته ورسالته أعمّ أشمل وأعظم وهو متفق مع شرائعهم في الأصول لأنها لا تختلف، وتقدّم شريعته ﷺ في ما عساه يقع اختلاف فيه من الفروع.

إمّا على سبيل التخصيص، وإما على سبيل النسخ، أو لا نسخ ولا تخصيص، بل تكون شريعة النبيّ ﷺ في تلك الأوقات بالنسبة إلى أولئك الأمم ما جاءت به أنبياؤهم، وفي هذا الوقت بالنسبة إلى هذه الأمة هذه الشريعة، والأحكام تختلف باختلاف الأشخاص والأوقات، وبهذا بان لنا معنى حديثين، كان خفياً عنا أحدهما، قوله ﷺ: «بعثت إلى الناس كافّة»، كنّا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة، فبان أنه جميع الناس أوّلهم وآخرهم، والثاني قوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»، كنّا نظن أنه بالعلم، فبان أنه زائد على ذلك على ما شرحناه.

وإنما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده ﷺ وبلوغه الأربعين، وما قبل ذلك وتعليق الأحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل، وقد يكون بحسب الفاعل المتصرّف، فهٰهنا التعليق إنما هو بحسب المحل القابل، وهو المبعوث إليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبه بلسانه، وهذا كما يوكل الأب رجلاً في تزويج ابنته إذا وجد كفوءاً، فالتوكيل صحيح، وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة، وقد يحصل توقّف التصرف على وجود كفوء، ولا يوجد إلاّ بعد مدة، وذلك لا يقدح في صحة الوكالة، أو أهلية الوكيل، انتهى كلام السبكي، وقد تأخّر ذكره سهواً وحقه التقدم.

ومنهم الإمام العلامة [كمال الدين] بن الهمام الحنفي(١) المتوفى سنة ٨٦١ هـ

ومن جواهره رضي الله عنه

[محمد ﷺ أرسل إلى الخلق أجمعين]

قوله في عقيدته المسايرة التي ساير فيها الإمام الغزالي في الرسالة القدسية: نشهد أن محمداً رسول الله أرسله إلى الخلق أجمعين خاتماً للنبيّين، وناسخاً لما قبله من الشرائع، لأنه ادّعى النبوّة وأظهر المعجزة.

أمّا دعواه النبوّة فقطعيّ لا يحتمل التشكيك، وأما إظهاره للمعجزة فلأنه أتى بأمور خارقة للعادة مقروناً بدعوى النبوّة، بمعنى جعلها بياناً لصدقه في ما يدّعيه عن الله تعالىٰ، ولا نعني بالمعجزة إلاّ ذلك، ووجه دلالتها أنها لما كانت مما يعجز عنه الخلق لم تكن إلاّ فعلاً لله سبحانه، فمهما جعلها بينة على صدقه في ما ينقل عن الله، وهو معنى التحدّي، فأوجده الله كان ذلك تصديقاً له من الله تعالىٰ، وذلك كالقائم بين يديّ الملك مقبلاً على قوم يدّعي أنه رسول الملك إليهم، فإنه إذا قال للملك: إن كنت صادقاً في ما نقلت عنك، فقم على سرير على خلاف عادتك، ففعل حصل للحاضرين علم قطعي بأنه صدقه، بمنزلة قوله: صدقت.

والذي أظهره الله تعالىٰ ثلاثة أمور، أعظمها: القرآن، ثم حاله في نفسه التي استمرّ عليها مع ضميمة أنه لم يصحب معلماً أدّبه ولا حكيماً هذّبه، ثم ما ظهر على يديه من الخوارق، كانشقاق القمر، وتسليم الحجر، وسعي الشجر إليه، وحنين الجذع الذي كان يخطب إليه لما انتقل إلى المنبر عنه، ونبع الماء من بين أصابعه بالمشاهدة، وشرب القوم والإبل الكثير من الماء القليل الذي مجّ فيه بعدما نزحت البئر في الحديبية، وكانوا ألفاً وأربعمائة، وأكل الجمّ الغفير كما في حديث أبي طلحة، وكانوا ألفاً من أقراص يأكلها رجل واحد، وإخبار الشاة

---

(١) هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود، كمال الدين، المعروف بابن تمام ولد سنة ٧٩٠ هـ، وتوفي سنة ٨٦١ هـ.

المشوية بأنها مسمومة، وصح في البخاري أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل، وغير ذلك مما أفرد بالتصنيف.

وقول السهيلي في بعض هذه أنها علامة لا معجزة بناء على عدم اقترانها بدعوى النبوّة ليس بذلك، فإنه منسحب عليه دعوى النبوّة من حين ابتدائها إلى أن توفّاه الله تعالىٰ، كأنه في كل ساعة يستأنفها، فكل ما وقع له كان معجزة، وكأنه يقول في كل ساعة إني رسول الله، وهذا دليل صدقي.

وأمّا القرآن فهو المعجزة العقلية الباقية على طول الزمان الذي أعيا كل بليغ بجزالته وغرابة أسلوبه وبلاغته، لا بالأوّلين فقط كقول القاضي، ولا بالصرف عن التوجّه إلى معارضته وسلبهم لقدرة عند قصد ذلك، خلافاً لمرتضي وغيره، وإلاّ كان الأنسب ترك بلاغته، فإنه إذا كان غير بليغ، ولم يقدروا على معارضته، كان أظهر في خرق العادة به.

وأمّا حاله، فما استمرّ عليه من الآداب الكريمة والأخلاق الشريفة التي لو أفنى العمر في تهذيب النفس لم تحصل كذلك، كالحلم وتمام التواضع للضعفاء بعد تمام رفعته، وانقياد الخلق له، والصبر والعفو مع الاقتدار عن المسيء إليه، ومقابلته السيّئة بالحسنة، والجود، وتمام الزهد في الدنيا، والخوف من الله تعالىٰ، حتى إنه ليظهر عليه ذلك إذا عصفت الريح ونحوه، ودوام فكره، وتجديد التوبة والإنابة في اليوم سبعين مرّة، كلما بدا له من جلال الله وكبريائه قدره، فيستقصر بنظره إليه ما هو فيه من القيام بشكره وطاعته، والفراغ عن هوى النفس وحظوظها مما لا يقع إلاّ لمن استولت عليه معرفة الله تعالىٰ حتى زهد في نفسه، حتى إنه ما انتصر لنفسه قطّ، إلاّ أن تنتهك حرم الله، وما خيّر بين شيئين إلاّ اختار أيسرهما.

ولعمري إن من رآه طالباً للحق لم يحتجّ عند مشاهدة وجهه الكريم إلى غيره لظهور شهادة طلعته المباركة بصدق لهجته، وصفاء سريرته، كما قال المرتاد للحق، فما هو إلاّ أن رأيت وجهه علمت أنه ليس بوجه كذّاب، قال الكمال رحمه الله تعالىٰ: وقلت في قصيدة أمتدحه بها ﷺ:

إذا لحظت لحاظك منه وجهاً ... ونازلت الهوى بعض النزال
شهدت الصدق والإخلاص طراً ... ومجموع الفضائل في مثال

وفي أخرى قلت أيضاً:

فإذا لحظت لحاظك منه وجهاً ... شهدت الحق يسطع منه فجرا
خلياً عن حظوظ النفس ما إن ... أرقْتَ منه يوماً قط ظفراً

وتفاصيل شيمه الكريمة تستدعي مجلدات، هذا كلّه مع العلم بأنه إنما نشأ بين قوم لا

يعلمون علماً ولا أدباً، يرون الفخر ويتهالكون عليه والإعجاب ويتغالون فيه، معبوداتهم حظوظ النفس، لم يؤثر عنه أنه خرج عنهم إلى حبر من أهل الكتاب تردّد إليه، ولا حكيم عوّل عليه، بل استمرّ بين أظهرهم إلى أن ظهر بمظهر علم واسع، وحكمة بالغة مع بقائه على أمّيته لا يقرأ ولا يكتب، وأخبر عن مغيبات ماضيه وأمم خالية لا يطلع عليها إلاّ من مارس الكتب، واختلف إلى أفراد يشار إليهم في ذلك الزمان لندرة سعة المعرفة في أولئك الكائنين من أهل الكتاب، مع ضنة أحدهم باليسير الكائن عنده، وأخبر عن أمور مستقبله، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم: ٣ - ٤]، وإذا ثبتت نبوّته ﷺ ثبتت نبوّة سائر الأنبياء، لثبوت ما أخبر به ﷺ.

ومنهم العلامة ملاّ علي القاري الحنفي[١] المتوفى سنة ١٠١٦ هـ[٢] رحمه الله تعالىٰ

ومن جواهره

[النبي ﷺ حاز خصال الأنبياء وهو منبعها]

قوله رحمه الله تعالىٰ في شرح الشفاء في أوائل الباب الثاني: قال التلمساني: إن النبيّ ﷺ حاز خصال الأنبياء كلّها، واجتمعت فيه إذ هو عنصرها ومنبعها، فأعطي خلق آدم، ومعرفة عيسى، وشجاعة نوح، وخلّة إبراهيم، ولسان إسماعيل، ورضى إسحاق، وفصاحة صالح، وحكمة لوط، وبشرى يعقوب، وجمال يوسف، وشدّة موسى، وصبر أيّوب، وطاعة يونس، وجهاد يوشع، وصوت داود، وحب دانيال، ووقار إلياس، وعصمة يحيى، وزهد عيسى، وانغمس ﷺ في جميع أخلاق الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام، ليقتبسوها منه، وقد أفصح بذلك البوصيري حيث قال: وكل آي أتى الرسل الكرام بها، فإنما اتّصلت من نوره بهم.

ومن جواهر ملاّ علي القاري أيضاً

[أفضليته ﷺ على سائر الأنبياء]

ما ذكره في شرح الشمائل، عند قوله ﷺ في حديث جابر: «عرض عليّ الأنبياء، فإذا موسى ضرب من الرجال، كأنه من رجال شنوأة، ورأيت عيسى فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود، ورأيت إبراهيم فإذا أقرب من رأيت به شبهاً صاحبكم» ـ يعني نفسه ـ «ورأيت جبريل، فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دحية».

قال رحمه الله تعالىٰ: فيه إيماء إلى أفضليّته ﷺ، ولم يقل عرضت عليهم، فإنهم

---

(١) هو علي بن سلطان محمد نور الدين الملاّ الهروي القاري، فقيه حنفي ولد في هراة، ولم نعثر على تاريخ ولادته.

(٢) توفي سنة ١٠١٤ هـ، وهذا كما ورد في الأعلام للزركلي.

صلوات الله عليهم، كالحشم له والعسكر تعرض على السلطان، دون العكس، ولهذا قال بعض العارفين: أنه ﷺ بمنزلة القلب في الجيش والأنبياء مقدمته، والأولياء ساقته، والملائكة يمنة ويسرة متظاهرين متعاونين. كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]، والشياطين قطاع الطريق في الدين، والمراد بالأنبياء المعنى الأعمّ الشامل للرسل، وذلك العرض ليلة الإسراء.

كما جاء في روايات أُخر؛ كرواية أبي العالية عن ابن عباس، ورواية ابن المسيّب عن عليّ وأبي هريرة، كوشف له صور أبدانهم كما كانت، وقيل: كان في المقام.

ويؤيّده ما ورد في بعض الطرق، أنّه قال: «بينا أنا قائم رأيتني أطوف بالكعبة» وذكر الخبر، قيل: على الثاني لا إشكال، فإنه مثلّت له أرواحهم بهذه الصور، وعلى الأول يجوز أنهم مثلوابهيئاتهم التي كانوا عليهم في حياتهم.

ولذا قال في رواية ابن عباس عند مسلم: «كأني أنظر إلى موسى، وكأني أنظر إلى عيسى»، وأن تكون هذه الرؤية من المعجزات، وهم متمثّلون في السمٰوات بهذه الصور على الحقيقة.

قيل: لا وجه لهذا الترديد بل الصواب أن رؤيتهم إن كانت نوماً فقد مثّل له صورهم في حال حياتهم أو يقظة، فهو رآهم على صورتهم الحقيقية التي كانوا عليها في حياتهم، لأنه ثبت أن الأنبياء أحياء.

وقيل: إنه أخبر عما أوحي إليه ﷺ من أمرهم وما صدر عنهم، ولهذا أدخل حرف التشبيه على الرؤية، وحيث أطلقها فهي محمولة على ذلك، ويستفاد من الحديث على ما سيأتي أنه ينبغي تبليغ صور العظماء إلى من لم يرهم، فإن في إحضار صورهم بركة، كما في ملاقاتهم، وفيه مزيد حثّ على ضبط خلقة رسول الله ﷺ انتهى كلام ملا علي القاري.

تتمة: ذكرت في سعادة الدارين كلاماً نفيساً للإمام صدر الدين القونوي، في شرح الأربعين له، منه قوله: من ثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل من الأنبياء والأولياء، اجتمع بهم متى شاء يقظة ومناماً.

قال: ورأيت ذلك لشيخنا، يعني سيدي محيي الدين العربي، فكان متمكّناً من الاجتماع بروح من شاء من الأنبياء والأولياء وسائر الماضين على ثلاثة أنحاء، إن شاء استنزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسّداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العنصرية، التي كانت له في حياته الدنياوية لا ينحرم منها شيء، وإن شاء أحضره في نومه، وإن شاء انسلخ من هيكله،

واجتمع به حيث تعيّن مرتبة نفسه إذ ذاك من العالم العلوي، وهذا الحال هو من آية صحة الإرث النبويّ، وإليه الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧] الآية، فلو لم يكن أي النبيّ ﷺ متمكناً من الاجتماع بهم، لم يكن لهذا الخطاب فائدة، انتهى باختصار.

والحمد لله ربّ العالمين، قد تمّ الجزء الأول
من جواهر البحار في محرم سنة ١٣٢٥
ويليه الجزء الثاني
أوّله كلام الإمام القسطلاني

فهرس الجزء الأول

من

جواهر البحار في فضائل النبي المختار ﷺ

فهرس المحتويات